555



الجزء الثاني من الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف

الملتقط من مطانه الانيقة والمقتبس من اسراره الدقيقة مولانا الامام العلامة الجحجاح
عنوان الفخار والكمال والصلاح معدن الاداب والمعالي كوكب الحكم البدر المتلالي المتواري
في هالة الشرف الى الضوء الساطع في العترة الشمّ النبوي الامامي صلاح المذهب وطراز حلة
بني عبد مناف المذهب عبد الله بن الهادي بن امير المؤمنين يحيى بن حمزة بن رسول الله عليه وعلى اله الطاهرين

الحمد لله رب العالمين
والصلوة والسلام على سيدنا
محمد وعلى اله الطاهرين

سورة يونس مكية وهي مائة وتسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم الر تعديد للحروف وعلى [illegible] تلك اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب السورة

طريق التحدي آيات الكتاب الحكيم [illegible] ذو الحكمة لاشتماله عليها او وصف بصفة محدثه وهو الله تعالى أكان للناس

عجبا أن أوحينا الى رجل منهم هذا انكار عليهم فاستهزائهم برسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى انهم جعلوه

لهم أعجوبة يتعجبون منها ونصبوه علما لهم يوجهون نحوه استهزاءهم وانكارهم والذي تعجبوا منه أن

يوحى الى بشر وان يكون رجلا من أفناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم فقد كانوا يقولون العجب ان الله لم

يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب وان يذكر لهم البعث وينذر الناس بالنار ويبشر بالجنة

وكل واحد من هذه الامور ليس بعجب لان الرسل المبعوثين الى الامم لم يكونوا [illegible] وارسال

الفقير او اليتيم ليس بعجب ايضا لان الله انما يختار من استحق الاختيار لجمعه اسباب الاستقلال

بما اختير له من النبوة والغنى والتقدم في الدنيا ليس من تلك الاسباب في شيء كما قال تعالى وما اموالكم

ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى والبعث للجزاء على الخير والشر هو الحكمة العظمى [illegible]

[illegible] انما العجب [illegible] المنكر في العقول تعطيل الجزاء أن أنذر الناس أن هي المفسرة لان الايحاء

فيه معنى القول [illegible] انذر الناس من عذاب النار وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم

اي سابقة ومنزلة رفيعة [illegible] السابقة من الاعمال هي التي تسبق الموت [illegible] في الدنيا وسميت

[illegible] لما كان السعي والسبق بالقدم سميت المسعاة الجميلة والسابقة قدما كما سميت النعمة يدا لانها تعطى

باليد [illegible] قدم في الخير واضافته الى الصدق دلالة على زيادة فضل وانه من السوابق العظيمة

قال الكافرون ان هذا يعني الكتاب وما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم لسحر مبين اي واضح لا شك

ومن قرأ لساحر فهذا اشارة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو دليل عجزهم واعترافهم به وانهم

في تسميتهم اياه سحرا ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش

[illegible] والتحسين لما وجد عن عدم وهو تعالى قادر على خلق السموات والارض

في طرفة عين ولكنه تعالى خلقهن في هذه الايام لحكمة علمها وخفي علينا كما جعل اصحاب النار

يونس

[illegible] عشرة وعن سعيد بن جبير انما خلقها في ستة ايام تعليما لخلقه الرفق والتثبت في الامور والتأني

والعرش هو سرير الملك واستواؤه عليه عبارة عن [illegible] على الملك [illegible] عن الملك الكامل ووجه

الكناية ان استواء الملك على السرير من توابع الملك يدبر الامر [illegible] على حسب [illegible] الحكمة [illegible]

ما يفعل المتحري للصواب الناظر في ادبار الامور وعواقبها [illegible] من احوال الامور [illegible] كله

وامور ملكوت السموات والارض والعرش ما من شفيع الا من بعد اذنه اي لا [illegible]

الا باذنه والمعنى انه دل بخلقه السموات والارض مع سعتها واتساعها ووقت [illegible] على عظم

شأنه وملكه وبالاستواء على العرش على استيلائه على جميع الملك وتدبير الامور على انه لا يخرج

امر منها من قضائه وتقديره وكذلك قوله ما من شفيع الا من بعد اذنه دليل على العزة والكبرياء

لقوله يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن ذلكم الله ربكم اي ذلكم

العظيم الموصوف بما وصف به هو ربكم وهو الذي يستحق العبادة منكم فاعبدوه وحده ولا تشركوا

به بعض خلقه من ملك او انسان فضلا عن جماد لا يضر ولا ينفع أفلا تذكرون انكار عليهم فيما هم

[illegible] دليل العقل والمعنى أفلا تتفكرون وتنظرون فان ادنى التفكر والنظر ينبهكم على الخطأ فيما انتم عليه

اليه مرجعكم جميعا اي لا ترجعون في العاقبة الا اليه فاستعدوا للقائه [illegible] الرجوع اليه

ثم اكد الوعد بقوله وعد الله حقا اي وعد بذلك وعدا [illegible] انه يبدأ الخلق

ثم يعيده هذا التعليل لوجوب المرجع اليه وهو ان الغرض ومقتضى الحكمة بابتداء الخلق واعادته

هو جزاء المكلفين على اعمالهم وهو معنى قوله ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط

بالعدل والمعنى ليجزيهم بقسطه ويوفيهم اجورهم او بقسطهم وبما اقسطوا وعدلوا ولم يظلموا

حين آمنوا وعملوا الصالحات لان الشرك ظلم والعصاة ظلام انفسهم والذين كفروا من

قريش وغيرهم لهم شراب من حميم هو الماء الحار في جهنم عن ابن عباس لو سقطت منه نقطة على

جبال الدنيا لاذابتها وعذاب أليم بما كانوا يكفرون هو الذي جعل الشمس ضياء الضياء ابلغ واقوى

من النور ولذلك قال والقمر نورا قال الخليل [illegible] لاهل السموات [illegible] لاهل

الارضين وقدره منازل يعني القمر والمعنى قدر مسيره منازل او [illegible]

كقوله والقمر قدرناه منازل وقيل [illegible] منازل ينزل فيها في كل وقت على ما دبر [illegible]

في شهر والشمس في سنة واليوم من طلوع الشمس الى غروبها والليل من وقت غيبوبة الشمس

الى وقت طلوعها لتعلموا عدد السنين والحساب حساب الاوقات من الاشهر والايام والليالي كل

سنة اثنا عشر شهرا كل سنة دوران الشمس وكل شهر دوران القمر وهذا بيان لوجه الحكمة الباهرة

والنعمة الظاهرة ما خلق الله ذلك المذكور من هذه الامور الا بالحق اي الا خلقا ملتبسا

بالحق الذي هو الحكمة البالغة وهو انتفاع المكلفين وتعريضهم للنظر في القدرة والاعتبار

عما شاهدوه ولم يخلق ذلك عبثا يفصل الآيات نوردها مفصلة مبينة لقوم يعلمون

اي يتدبرون ويعقلون إن في اختلاف الليل والنهار اي تعاقبهما اظلمة وما خلق الله في

السموات والارض من العجائب والمصنوعات وتعليق الكواكب والافلاك وامساك الجبال بغير

عمد والاشياء وما فيهما من الحيوانات والارزاق لآيات اي لدلائل على عظيم قدرة الله وباهر حكمته

لقوم يتقون خص المتقين لانهم يحذرون العاقبة فيدعوهم الى النظر والتدبر إن الذين لا

يرجون لقاءنا اي لا يتوقعونه اصلا ولا يخطرونه ببالهم لغفلتهم المستولية عليهم المذهلة

باللذات وحب العاجل عن التفطن للحقائق او لا يأملون حسن لقائنا كما يأمله السعداء

او لا يخافون سوء لقائنا الذي يجب ان يخاف ورضوا بالحياة الدنيا بدلا من الآخرة وآثروا

القليل الفاني على الكثير الباقي واطمأنوا بها اي سكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها فبنوا شديدا

واملوا بعيدا والذين هم عن آياتنا غافلون معرضون أولئك مأواهم النار اي مصيرهم

الذي يأوون اليه بما كانوا يكسبون من الاعمال القبيحة والاعراض عما خلقوا له من العبادة

إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم يسددهم ويرشدهم بسبب ايمانهم للاستقامة

على سلوك السبيل المؤدي الى الثواب لذلك جعل تجري من تحتهم الانهار بيانا له وتفسيرا لان التمسك

بسبب السعادة كالوصول اليها ويجوز ان يريد يهديهم في الآخرة بنور ايمانهم الى طريق الجنة

كقوله يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم ومنه الحديث ان المؤمن اذا خرج

من قبره صور له عمله في صورة حسنة فيقول له انا عملك فيكون له نورا وقائدا الى الجنة والكافر اذا

خرج من قبره صور له عمله في صورة سيئة فيقول له انا عملك فينطلق به حتى يدخله النار وقد دلت هذه

الآية على ان الايمان الذي يستحق به العبد الهداية والتوفيق والنور يوم القيامة هو الايمان المقيد وهو

الايمان المقرون بالعمل الصالح والايمان الذي لم يقترن بالعمل الصالح فصاحبه لا توفيق له ولا

نور لانه اوقع الصلة مجموعا فيها بين الايمان والعمل كأنه قال ان الذين جمعوا بين الايمان والعمل

الصالح ثم قال بايمانهم اي بايمانهم هذا المضموم اليه العمل الصالح وهو بين واضح لا شبهة فيه في

جنات النعيم قيل تجري الانهار بين ايديهم وهم يرونها من علو وقيل تجري تحت بساتينهم واسرتهم

دعواهم فيها سبحانك اللهم اي دعاؤهم ونداؤهم لان اللهم نداء لله تعالى ومعناه اللهم انا

نسبحك كقول القانت في دعاء القنوت اللهم اياك نعبد ولك نصلي ونسجد ويجوز ان يراد بالدعاء

العبادة على ان لا تكليف في الجنة ولا عبادة وما عبادتهم الا ان يسبحوا الله ويحمدوه وذلك ليس بعبادة

وانما يلهمونه فينطقون به تلذذا بلا كلفة وتحيتهم فيها سلام معناه ان بعضهم يحيي بعضا

بالسلام وقيل هي تحية الملائكة اياهم وقيل تحية الله لهم وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين

اي وخاتمة دعائهم الذي هو التسبيح ان يقولوا الحمد لله رب العالمين وان هي المخففة من الثقيلة

واصله انه الحمد لله ولم يرد ان آخر [illegible] ينقطع لكن قيل معناه اذا اشتهوا اشياء قالوا سبحانك اللهم

فيأتيهم فاذا نالوا منه حمدوا او قيل يفتتحون كل كلامهم بالتوحيد والتسبيح ويختمون بالتحميد والشكر

ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير اراد ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم الخير

فوضع استعجالهم بالخير موضع تعجيله لهم الخير اشعارا بسرعة اجابته لهم واسعافه بطلبتهم

حتى كان استعجالهم بالخير تعجيل لهم يعجل له لقرب اجابتهم اليه والمراد اهل مكة وقولهم فامطر

علينا حجارة من السماء او ائتنا ولو عجلنا لهم الشر الذي دعوا به كما نعجل لهم الخير ونجيبهم اليه لقضي

اليهم اجلهم اي لاميتوا واهلكوا جميعا وفي قراءة لقضى اليهم اجلهم فنذر الذين لا يرجون لقاءنا وهم

الكفار الذين لا يخافون البعث في طغيانهم يعمهون الطغيان الزيادة في الكفر والظلم ومعنى

يعمهون يتحيرون في الظلمة وهو عمى الرأي خاصة ووجه اتصال قوله فنذر الذين لا يرجون لقاءنا

بما قبله ان قوله ولو يعجل الله متضمن معنى نفي التعجيل فكأنه قيل ولا نعجل لهم الشر ولا نقضي اليهم

اجلهم فيذرهم في طغيانهم اي فيمهلهم ونفيض عليهم النعمة مع طغيانهم الزاما للحجة عليهم وإذا
مس الانسان الضر اي اصاب الانسان الضر من مرض او بلوى او شدة دعانا لجنبه اي مضطجعا
لجنبه على الفراش او قاعدا او قائما فائدة ذكر هذه الاحوال ان المضرور لا يزال داعيا لا يفتر
عن الدعاء حتى يزول عنه الضر فهو يدعونا في حالاته كلها كان منبطحا عاجزا او كان قاعدا لا
يقدر على القيام او كان قائما لا يطيق المشي فهو لا يزال يدعو في كل حال الى ان يخف كل الخفة ويرزق
الصحة بتمامها فلما كشفنا عنه ضره مر اي مضى على طريقته الاولى قبل مس الضر ونسي حال
الجهد او مر عن موقف الابتهال والتضرع لا يرجع اليه كانه لا عهد له به كأن لم يدعنا اي
كانه لم يدعنا فخفف وحذف الضمير الى ضر مسه اي اصابه فلم يعد الى حال الدعاء والتضرع
وشكر نعمة كشف الضر عنه كذلك زين اي مثل ذلك التزيين للاعراض عن دعائنا زين للمسرفين
اي زين لهم الشيطان بوسوسته او الله عز وجل بخذلانه وتخليته ما كانوا يعملون من الاعراض
عن الذكر واتباع الشهوات ولقد اهلكنا القرون من قبلكم الخطاب لاهل مكة والمعنى ولقد
اهلكنا الامم الماضية من قبلكم يا اهل مكة لما ظلموا اي حين ظلموا بالتكذيب لرسلهم وجاءتهم
رسلهم بالبينات اي وقد جاءتهم رسلهم بالحجج والشواهد على صدقهم وهي المعجزات وما
كانوا ليؤمنوا نفي لايمانهم واللام لتأكيد النفي يعني وما كانوا يؤمنون حقا تأكيدا لنفي ايمانهم وان الله
قد علم منهم انهم يصرون على كفرهم وان الايمان مستبعد منهم فلذلك اهلكهم والمعنى ان السبب
في اهلاكهم تكذيبهم الرسل وعلم الله انه لا فائدة في امهالهم بعد ان الزموا الحجة ببعثة الرسل
كذلك اي مثل ذلك الجزاء يعني الاهلاك نجزي المجرمين اي نجزي كل مجرم وهو وعيد لاهل مكة
على اجرامهم بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم والجرم الذنب ثم جعلناكم خلائف في
الارض من بعدهم الخطاب للذين بعث اليهم محمد صلى الله عليه وسلم اي استخلفناكم في الارض بعد
القرون التي اهلكناها لننظر كيف تعملون اي لننظر اتعملون خيرا ام شرا فنعاملكم
على حسب عملكم وجاز النظر على الله تعالى وجه معنى المقابلة لانه مستعار للعلم المحقق الذي
هو العلم بالشيء موجودا شبه بنظر الناظر وعيان المعاين في تحققه وإذا تتلى عليهم آياتنا

بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا او بدله لما غاظهم ما في القرآن
من ذم عبادة الاوثان والوعيد للمشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ائت بقرآن آخر ليس فيه ما
يغيظنا من ذلك نتبعك او بدله بان تجعل مكان آية عذاب آية رحمة وتسقط ذكر الالهة وذم
عبادتها فامر بان يجيب عن التبديل لانه داخل تحت قدرة الانسان وهو ان يضع مكان آية عذاب
آية رحمة مما انزل وان يسقط ذكر الالهة واما الاتيان بقرآن آخر فغير مقدور عليه
للانسان قل ما يكون لي اي ما ينبغي لي وما يحل كقوله ما يكون لنا ان نتكلم بهذا ان ابدله
من تلقاء نفسي اي من قبل نفسي ومن عندي [illegible] ان اتبع الا ما يوحى الي
اي لا اتبع ولا اذر شيئا من ذلك الا متبعا لوحي الله واوامره ان نسخت آية تبعت النسخ وان
بدلت آية مكان آية تبعت التبديل وليس الي تبديل ولا نسخ اني اخاف ان عصيت
ربي بالتبديل والنسخ من عند نفسي عذاب يوم عظيم وهو يوم القيامة وقد ظهر وتبين لهم
العجز عن الاتيان بمثل القرآن ولكنهم كانوا لا يعترفون بالعجز وكانوا يقولون لو نشاء لقلنا
مثل هذا ويقولون افترى على الله كذبا فينسبونه الى رسول الله ويزعمونه قادرا عليه وعلى
مثله مع علمهم بان العرب مع كثرة فصحائها وبلغائها اذا عجزوا عنه كان الواحد منهم
اعجز وما كان غرضهم وهم ادهى الناس وانكرهم بما اقترحوه من التبديل الا التحكم والمكر اما
طلبهم ابدال القرآن بقرآن فلانه يدل على انه من عندك وانك قادر على مثله فابدل مكانه آخر
واما طلبهم التبديل والتغيير فللطمع ولاختبار الحال وانه ان وجد منه تبديل فاما ان يهلكه
الله فينجوا منه او لا يهلكه الله فيسخروا منه ويجعلوا التبديل حجة عليه وتصحيحا لافترائه
على الله تعالى قل لهم يا محمد لو شاء الله ما تلوته عليكم يعني ان تلاوته ليست الا بمشيئة الله
عز وجل واحداثه امرا عجيبا خارجا عن العادات وهو ان يخرج رجل امي لم يتعلم ولم يستمع
ولم يشاهد العلماء ساعة من عمره ولا نشأ في بلد فيه علماء فيقرأ عليكم كتابا فصيحا يبهر كل كلام
فصيح ويعلو كل منثور ومنظوم مشحونا بعلوم من علوم الاصول والفروع واخبار مما كان
وما يكون ناطقا بالغيوب التي لا يعلمها الا الله وقد بلغ بين ظهرانيكم اربعين سنة

يطلعون على اخبار ... وما سمعتم منه حرفا من ذلك ولا عرفه به
ويشغلني عن الناس ... ولا ادراكم به اي ولا اعلمكم به على لساني وقرا ابن كثير
ولأدراكم به بلام الابتداء لاثبات الادراك ومعناه لو شاء الله ما تلوته انا عليكم ولاعلمكم به
على لسان غيري ولكنه يمن على من يشاء من عباده فخصني بهذه الكرامة ورآني لها اهلا دون
سائر الناس فقد لبثت فيكم عمرا من قبله اي من قبل القران وقبل تلاوته عليكم وحين لوى
صغيرا او كبيرا فلم تعرفوني متعاطيا شيئا من ذلك ولا قدرت عليه ولا كنت متواصفا بعلم
وبيان فتتهموني باختراعه افلا تعقلون انكار عليهم فيما اتهموه به والمعنى اتتهموني باختراع
القران مني افلا تنظرون بعيون عقولكم فتعلموا انه ليس الا من الله لا من مثلي وهذا جواب
عما دسوه تحت قولهم ائت بقران غير هذا من اضافة الافتراء اليه فمن اظلم ممن افترى على
الله كذبا يحتمل ان يريد كذب المشركين على الله في قولهم انه ذو شريك وذو ولد وان يكون
ردا عليهم فيما اضافوه اليه من الافتراء على الله والمعنى لا اظلم لنفسه ممن كذب على الله او كذب
بآياته فلم يومن بها انه لا يفلح المجرمون اي لا يظفرون بثواب ويعبدون من دون الله ما لا
يضرهم ولا ينفعهم هي الاوثان التي هي جماد لا تقدر على نفع ولا ضر وقيل ان عبدوها لم تنفعهم
وان تركوا عبادتها لم تضرهم ومن حق المعبود ان يكون مثيبا على الطاعة معاقبا على
المعصية وكان اهل الطائف يعبدون اللات واهل مكة العزى ومناة وهبل واسافا
ونائلة وكانوا يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وعن النضر بن الحرث اذا كان يوم القيمة
شفعت لي اللات والعزى قل لهم يا محمد اتنبئون الله بما لا يعلم اي تخبرونه بكونهم شفعاء
عنده وهو اخبار بما ليس بمعلوم لله واذا لم يكن معلوما له وهو العالم الذات المحيط بجميع
المعلومات لم يكن شيئا لان الشيء ما يعلم ويخبر عنه وهو تهكم بهم وبما ادعوه من المحال الذي
هو شفاعة الاصنام واعلام بان الذي انبأوا به باطل غير منطو تحت الصحة فكانهم يخبرونه
بشيء لا يتعلق به علمه كما يخبر الرجل بما لا يعلمه وقوله في السموات ولا في الارض تاكيد لنفيه
لان ما لم يوجد فيهما فهو منتف معدوم سبحانه اي تنزيها له وتعالى تباعدا وارتفاعا عما

يشركون اي عن الشركاء الذين يشركونهم به او عن اشراكهم وقرئ بالتاء ... ما موصولة او مصدرية
وما كان الناس الا امة واحدة اي الا جماعة واحدة حنفاء متفقين على دين الحق ملة الاسلام
من غير ان يختلفوا بينهم وذلك في عهد ادم الى ان قتل قابيل هابيل وقيل بعد الطوفان حين
لم يذر الله من الكافرين ديارا فاختلفوا في الدين ولولا كلمة سبقت من ربك وهو تاخير
الحكم بينهم في الدنيا الى يوم القيمة لقضي بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون اي فيما اختلفوا فيه ويميز
المحق من المبطل ولفصل بينهم في الدين الذي اختلفوا فيه باثابة هذا وعقوبة هذا او سبق
كلمته بالتاخير لحكمة اوجبت ان تكون هذه الدار دار تكليف وتلك دار ثواب وعقاب
ويقولون لولا انزل عليه اية من ربه ارادوا اية من الايات التي كانوا يقترحونها وكانوا لا
يعتدون بما انزل عليه من الايات العظام التي لم ينزل على احد من الانبيا مثلها وكفى بالقران
وحده اية باقية على وجه الدهر بديعة غريبة في الايات دقيقة المسلك من بين المعجزات
وجعلوا نزولها كلا نزول وكانه لم ينزل عليه اية قط حتى قالوا لولا انزل عليه اية واحدة من
ربه وذلك لفرط عنادهم وتماديهم في التمرد وانهماكهم في الغي فقل لهم يا محمد انما الغيب لله
اي هو المختص بعلم الغيب المستاثر به لا علم لي ولا لاحد به والمعنى ان الصارف عن انزال
الايات المطلوبة امر مغيب لا يعلمه الا هو فانتظروا نزول ما طلبتموه اني معكم من المنتظرين
لما يفعل الله بكم لعنادكم وجحودكم الايات واذا اذقنا الناس رحمة اي مطرا وخصبا
من بعد ضراء مستهم اي قحط وفقر اذا لهم مكر في اياتنا مكرهم في الايات غيبها والتكذيب
بها ومعنى مستهم خالطتهم حتى احسوا بسوء اثرها فيهم قال رضي الله عنه سلط الله
القحط سبع سنين على اهل مكة حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فاخذوا يطعنون
في ايات الله ويعادون رسول الله صلى الله عليه ويكيدونه والمعنى انهم اذا اخصبوا ابطروا
فاحتالوا لدفع ايات الله وتكذيبها قل لهم يا محمد الله اسرع مكرا اي اسرع نقمة
ومعناه ان ما اتاهم من العقاب اسرع في اهلاكهم مما اتوا من المكر في ابطال ايات الله
او ان الله تعالى دبر عقابكم وهو موقعه بكم قبل ان تدبروا كيف تعملون في اطفاء نور الاسلام

الحيا المطر

ان رسلنا وهم الحفظة يكتبون ما تمكرون ليجازيكم به في الآخرة وهذا اعلام بان ما تظنونه خافيا
مطويا لا يخفى على الله وهو منتقم منهم وقيل مكرهم قولهم سقينا بنوء كذا وعن ابي هريرة ان الله
ليصبح القوم بالنعمة ويمسيهم بها فتصبح طائفة منهم بها كافرين يقولون مطرنا
بنوء كذا هو الذي يسيركم في البر والبحر ففي البر على المراكب والظهور وفي البحر على السفن
حتى اذا كنتم في الفلك يعني السفن وجرين بهم يعني وجرت السفن بمن ركبها في البحر بريح
طيبة يعني رخاء لينة وفرحوا بها يعني بالريح اللينة واستووا بها جاءتها ريح عاصف يعني
جاءت الريح الطيبة اي تلقتها وقيل الضمير للفلك والعاصف الشديد وجاءهم الموج وهو
ما ارتفع من الماء من كل مكان اي من جميع امكنة الموج وظنوا انهم احيط بهم اي دنوا
من الهلاك جعل احاطة العدو بالحي مثلا في الهلاك دعوا الله مخلصين له الدين اي
اخلصوا الله الربوبية من غير اشراك به لا يدعون احدا غيره معه قالوا لئن انجيتنا
من هذه يعني الريح العاصفة لنكونن من الشاكرين لنعمتك الموحدين لك فلما
انجاهم اذا هم يبغون في الارض اي يفسدون فيها ويعملون بالفساد والمعاصي والجراءة
على الله ممعنين في ذلك بغير الحق احترازا من البغي بالحق وهو استيلاء المسلمين
على ارض الكفرة وهدم دورهم واحراق زروعهم وقلع اشجارهم كما فعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم في بني قريظة فعلى هذا حقيقة البغي مجاوزة الحد مطلقا واكثر ما يستعمل
في الظلم ومنه البغي على امام المسلمين يا ايها الناس يعني يا اهل مكة لان الخطاب لهم
انما بغيكم على انفسكم اي انما ظلمكم وفسادكم على انفسكم اي على امثالكم والذين هم من جنس
انفسكم متاع الحياة الدنيا هذا اخبار بفائدة البغي اي ما بغيكم عليهم الا منفعة الحياة
الدنيا ومعناه ان بغي بعضكم على بعض منفعة حقيرة زائلة لا بقاء لها ولا انقطاع لعذابها
واشار اليه بقوله ثم الينا مرجعكم اي مصيركم للجزاء فننبئكم بما كنتم تعملون وقرأ حفص
بنصب متاع ومعناه انما يعود عقاب بغيكم على انفسكم تتمتعون بالبغي متاع الحياة الدنيا
لا غير ويجوز ان يكون معنى الآية مع رفع المتاع ونصبه واحدا وتقديره في الرفع انما عقاب

بغيكم يعود عليكم دون غيركم ثم قال متاع الحياة اي تمتعون متاع الحياة الدنيا ومن هنا نفعها
الخسيسة ولا يعود عقابه الا عليكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تمكر ولا تعن ماكرا
ولا تبغ ولا تعن باغيا ولا تنكث ولا تعن ناكثا وكان يتلو هذه الآية وعنه صلى الله عليه وسلم اسرع الخير
ثوابا صلة الرحم واعجل الشر عقابا البغي واليمين الفاجرة وروي ثنتان يعجلهما الله تعالى
في الدنيا البغي وعقوق الوالدين وعن ابن عباس لو بغى جبل على جبل لدك الباغي وكان
المأمون يتمثل بهذين البيتين في اخيه يا صاحب البغي ان البغي مصرعة فاربع فخير فعال المرء اعدله
فلو بغى جبل يوما على جبل لاندك منه اعاليه واسفله وعن محمد بن كعب ثلاث من كن فيه
كن عليه البغي والنكث والمكر قال الله تعالى انما بغيكم على انفسكم انما مثل الحياة الدنيا
كماء انزلناه من السماء شبهت حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد الاقبال
بحال نبات الارض في جفافه وذهابه حطاما بعدما التف وتكاثف وزين الارض بخضرته ورفيفه
فاختلط به نبات الارض اي اشتبك النبات واختلط بعضه ببعض والضمير للماء لانه سبب
نبته وكثرته حتى خالط بعضه بعضا مما ياكل الناس من الزروع والثمار والانعام اي
ومما ياكل البهائم من العلف والشجر حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت هذا كلام
فصيح جعلت الارض اخذة زخرفها على التمثيل بالعروس اذا اخذت الفاخرة من كل لون
فاكتستها وتزينت بغيرها من الوان الزين وظن اهلها انهم قادرون عليها اي
متمكنون من منفعتها محصلون لثمرتها رافعون لغلتها اتاها امرنا وهو ضرب
زرعها واتلافه ببعض العاهات بعد امنهم واستيقانهم انه قد سلم ليلا او نهارا اي في ساعة
ليل او نهار فجعلناها اي فجعلنا زرعها حصيدا مقطوعا لا شيء فيه شبهها بما حصد من
الزرع في قطعه واستئصاله كأن لم تغن بالامس معناه كأن زرعها لم يلبث ولم يوجد
بالامس والامس مثل في الوقت القريب كأنه قيل كأن لم تغن آنفا كذلك اي مثل ذلك التفصيل
الواضح نفصل الآيات اي نبين العبر لقوم يتفكرون يعقلونها فيعملون بمقتضى الفكر
ويخص المتفكرين لانهم المنتفعون بالتفصيل وهذا التشبيه في هذه الآية من التشبيه

[..]كد وهو تشبيه [..] بحل المشبه به ﴿والله يدعو الى دار السلام﴾ السلام من اسماء الله
تعالى ودار السلام الجنة واضافها الى اسمه تعظيما لها وقيل السلام السلامة لان اهلها سالمون
[من كل] مكروه وقيل لفشو السلام بينهم وتسليم الملائكة عليهم كقوله الا قيلا سلاما سلاما ﴿ويهدي
من يشاء﴾ هم الذين علم ان اللطف والهدى ينفع فيهم لان مشيئته تعالى تابعة لحكمته والمعنى يدعو
العباد كلهم الى دار السلام ولا يدخلها الا المهديون ﴿الى صراط مستقيم﴾ وهو طريق الحق الذي
يوصل الى الجنة ﴿للذين احسنوا﴾ اي اعمالهم من العباد ﴿الحسنى﴾ اي المثوبة الحسنى والمعنى
ان لهم الثواب الذي هو احسن الثواب ﴿وزيادة﴾ هي ما يزيد على المثوبة وهي التفضل الزائد على الثواب
ويدل عليه قوله ويزيدهم من فضله وعن علي الزيادة غرفة من لؤلؤ واحد وعن ابن عباس
الحسنى الجنة والزيادة عشر امثالها وعن الحسن عشر امثالها الى سبعمائة ضعف وعن
مجاهد الزيادة مغفرة من الله ورضوان وعن يزيد بن شجرة الزيادة ان تمر السحابة باهل
الجنة فتقول ما تريدون ان امطركم فلا يريدون شيئا الا امطرتهم وزعمت المجبرة والمشبهة ان الزيادة
النظر الى وجه الله عز وجل وجاءت بحديث مرفوع اذا دخل اهل الجنة الجنة نودوا
يا اهل الجنة فيكشف الحجاب فينظرون اليه فوالله ما اعطاهم شيئا هو احب اليهم منه ﴿ولا يرهق
وجوههم﴾ اي لا يغشاها ﴿قتر﴾ غبرة فيها سواد ﴿ولا ذلة﴾ اي ولا اثر هوان وكسوف بال والمعنى
لا يرهقهم ما يرهق اهل النار ﴿اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾ لا انقطاع لنعيمهم فيها
﴿والذين كسبوا السيئات﴾ هذا عطف على قوله للذين احسنوا كانه قيل وللذين كسبوا
السيئات وهي الكبائر ﴿جزاء سيئة بمثلها﴾ اي يجازى سيئة بمثلها لا يزاد عليها وفي هذا دليل على ان
المراد بالزيادة الفضل لانه دل بترك الزيادة على السيئة على عدله ودل ثم باثبات الزيادة
على المثوبة على فضله ﴿وترهقهم ذلة﴾ اي تغشاهم ﴿ما لهم من الله من عاصم﴾ اي لا يعصمهم احد من
سخط الله عز وجل وعذابه ويجوز ما لهم من جهة الله من يعصمهم كما يكون للمؤمنين ﴿كانما اغشيت
وجوههم قطعا من الليل مظلما﴾ شبه سواد وجوههم بقطع من الليل والقطع جمع قطعة اي
كان وجوههم البست قطعا من الليل في حال اسوداده واظلامه وقرا ابن كثير والكسائي

قطعا بسكون الطاء وهو اخر الليل او بعضه فقراه اي كانما تغشى وجوههم وجه من الليل مظلم ﴿اولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون﴾ وصفهم بالخلود فيها كما وصف اولئك بالخلود في الجنة ﴿ويوم نحشرهم
جميعا﴾ اي نجمعهم للجزاء الا [..] المتفرقة ﴿ثم نقول للذين اشركوا مكانكم﴾ اي الزموا مكانكم لا تبرحوا
حتى تنظروا ما يفعل بكم ﴿انتم وشركاؤكم﴾ اي انتم ومن جعلتموه لله شركاء وقد ﴿فزيلنا بينهم﴾
ففرقنا بينهم وقطعنا اقرانهم والوصل التي كانت بينهم في الدنيا او باعدنا بينهم بعد الجمع بينهم
في الموقف وتبرؤ شركائهم منهم ومن عبادتهم ﴿وقال شركاؤهم﴾ اي الذين جعلوهم لله شركاء وهم
الملائكة والمسيح ومن عبدوه من دون الله من اولي العقل وقيل الاصنام ينطقها الله
تعالى فتخاطبهم بالتبرؤ من عبادتهم بدل الشفاعة التي طمعوا فيها فيقولون ﴿ما كنتم ايانا
تعبدون﴾ انما كنتم تعبدون الشياطين حيث امروكم ان تتخذوا لله اندادا فاطعتموهم ﴿فكفى
بالله شهيدا بيننا وبينكم﴾ هذا من كلام الشركاء لو استشهد الله على علمه فينا ﴿ان كنا عن عبادتكم
لغافلين﴾ اي ما كنا عن عبادتكم الا غافلين لانا كنا جمادا لم نكن فينا روح ﴿هنالك﴾ اي
في ذلك المقام وفي ذلك الموقف او في ذلك الوقت ﴿تبلو كل نفس ما اسلفت﴾ تختبر وتذوق
ما قدمت من العمل فتعرف كيف هو اقبيح ام حسن انافع ام ضار امقبول ام مردود وعن
عاصم نبلو كل نفس بالنون ونصب كل اي نختبرها باختبار ما اسلفت من العمل فنعرف حالها
بمعرفة حال عملها ان كان حسنا فهي سعيدة وان كان سيئا فهي شقية وقرا حمزة والكسائي تتلو
اي تتبع ما اسلفت او تقرا في صحيفتها ما قدمت من خير او شر ﴿وردوا الى الله مولاهم الحق﴾
اي ربهم الصادق ربوبيته الذي يملكهم ويتولى امورهم لا ما كانوا يتولون ما ليس لربوبيته حقيقة
او الذي يتولى حسابهم وثوابهم العدل الذي لا يظلم احدا ﴿وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾
اي وضاع عنهم ما كانوا يدعون انهم شركاء لله او بطل عنهم ما كانوا يختلقون من الكذب وشفاعة
الالهة ﴿قل من يرزقكم من السماء والارض﴾ اي من الذي يرزقكم منهما جميعا لم يقتصر برزقكم
على جهة واحدة ليفيض عليكم نعمته ويوسع رحمته ﴿ام من يملك السمع والابصار﴾ اي من
يستطيع خلقهما وتسويتهما على الحد الذي سويا عليه من الفطرة العجيبة او من يحميهما من الآفات

مع كثرتها في المدد الطوال وهو الاسماع ... حفظه ومن يخرج الحي من الميت
المؤمن من الكافر والطائر من البيضة والانسان من النطفة ويخرج الميت من الحي عكس ما
تقدم ومن يدبر الامر اي ومن يلي تدبير امر العالم كله من امر الدنيا والاخرة جاء بالعموم بعد الخصوص
فسيقولون الله لانهم يعترفون بذلك وتشبيه لا يختلف عنهم الحجة افلا تتقون اي افلا تتقون انفسكم
ولا تحذرون عليها عقابه بترك ما انتم عليه من الشرك فذلكم الله اشارة الى من هذه
قدرته وافعاله ربكم الحق اي الثابت ربوبيته ثباتا لا ريب فيه لمن حقق النظر فماذا
بعد الحق الا الضلال يعني ان الحق والضلال لا واسطة بينهما فمن تخطى الحق وقع في
الضلال فانى تصرفون عن الحق الى الضلال وعن التوحيد الى الشرك وعن السعادة الى الشقاوة
كذلك اي مثل ذلك الحق حقت كلمات ربك اي كما حق وثبت ان الحق بعده الضلال
او كما حق انهم مصروفون عن الحق فكذلك حقت كلمة ربك اي نسبه على الذين فسقوا
اي تمردوا في كفرهم وخرجوا الى الحد الاقصى منه انهم لا يؤمنون اي حق عليهم انتفاء
الايمان وعلم الله عز وجل منهم ذلك او حق عليهم كلمة الله انهم من اهل الخذلان
وان ايمانهم غير كائن او اراد بالكلمة العدة بالعذاب وانهم لا يؤمنون تعليل بمعنى لانهم لا
يؤمنون قل هل من شركائكم من يبدؤا الخلق ثم يعيده اضاف الشركاء اليهم من حيث انهم
جعلوها شركاء لله في الربوبية والعبادة فوبخهم بانها لا تقدر على ما يقدر عليه من انشاء
الخلق ثم اعادته وهم غير معترفين بالاعادة ولكن الله تعالى وضع اعادة الخلق لظهور
دليلها موضع ما اعترفوا به وما لا شك فيه للدلالة على انهم في انكارهم للاعادة مكابرون
لعقولهم منكرون امرا مثله معترفا بصحته عند العقلاء ثم امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه
بالجواب عنهم بقوله قل يا محمد الله يبدؤا الخلق ثم يعيده يعني انه لا يدعهم لجاجهم ومكابرتهم
ان ينطقوا بكلمة الحق فاذن تنوب عنهم في الجواب فانى تؤفكون اي فكيف تصرفون
عن الحق مع هذا الدليل الذي يعترف به كل عاقل قل لهم يا محمد هل من شركائكم من يهدي
الى الحق اي من يرشد الى دين الاسلام قل الله يهدي للحق يقال هداه للحق والى الحق

والضلال

فجمع بين اللغتين والمعنى واحد افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدى
قرأ حمزة والكسائي امن لا يهدي بسكون الهاء خفيفة الدال وابو عمرو وقالون جعلها الا انهما
شدد الدال واشم ابو عمرو الهاء شيئا من الفتح وقرأ ابن كثير وابن عامر يهدي بفتح الهاء
وتشديد الدال وقرئ الا ان يهدى من هداه وهداه للمبالغة والمعنى ان الله وحده هو
الذي يهدي للحق بما ركب في المكلفين من العقول واعطاهم من التمكين للنظر والادلة
التي نصبها لهم وبما لطف بهم ووفقهم والهمهم واخطر ببالهم ووقفهم على الشرائع فهل من
شركائكم الذين جعلتم اندادا لله من يهدي الى الحق مثل هدايته ثم قال افمن يهدي الى
الحق هذه الهداية احق بالاتباع ام الذي لا يهدي اي لا يهتدي بنفسه او لا يهدي غيره
الا ان يهديه الله وقيل معناه ام من لا يهتدي من الاوثان الى مكان فينتقل اليه
الا ان يهدى الا ان ينقل او لا يهتدي ولا يصح منه الاهتداء الا ان ينقله الله من حاله
الى ان يجعله حيوانا مكلفا فيهديه فما لكم كيف تحكمون بالباطل حيث تزعمون
انهم انداد الله وما يتبع اكثرهم في اقرارهم بالله الا ظنا لانه قول غير مستند الى برهان
عندهم ان الظن في معرفة الله عز وجل لا يغني من الحق شيئا اي لا يغني عن العلم
بالله والمراد بالاكثر الجميع كما يراد بالقلة العدم وقيل وما يتبع اكثرهم في قولهم
للاصنام انها الهة وانها شفعاء عند الله الا الظن لعدم الدليل على صحة قولهم ان الله
عليم بما يفعلون هذا وعيد على ما يفعلون من اتباع الظن وتقليد الاباء وما كان هذا
القرآن ان يفترى اي ما صح وما استقام ان يكون هذا القرآن مكذوبا على الله
لعلو امره واعجازه فلا يقدر عليه الا الله تعالى ولكن كان تصديق الذي بين يديه
اي مصدقا لما تقدمه من الكتب المنزلة لانه معجز دونها فهو عيار عليها شاهد
بصحتها الاخبار بها وبما فيها وتفصيل الكتاب معناه ابين ما كتب وفرض من الاحكام
والشرائع لا ريب فيه اي لا شك فيه من رب العالمين اي كائنا من رب العالمين
كانه قال ولكن كان تصديقا وتفصيلا منتفيا عنه الريب كائنا من رب العالمين ام

هدى وبالله
اي ...

يقولون افتراه اي اختلقه وكذب به على الله واتى به من نفسه وهو انكار لقولهم واستبعاد
والتقدير الزام الحجة عليهم قل لهم يا محمد ان كان الامر على ما تزعمون في اني افتريته فاتوا
اي على وجه الافترا بسورة مثله وافتروها فانتم مثلي في العربية والفصاحة والمعنى
بسورة مثله اي شبيهة به في البلاغة وحسن النظم وادعوا للاستعانة على الاتيان
بمثله او بسورة مثله من استطعتم اي جميع من امكنكم الاستعانة به من دون
الله اي استعينوا على ذلك بجميع خلق الله دون الله والمعنى ان الله وحده
القادر على ان ياتي بمثله لا يقدر على ذلك احد غيره فلا تستعينوه واستعينوا
بكل من دونه ان كنتم صادقين في انه افتراه بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه اي بل
سارعوا الى التكذيب بالقران الذي لم يحيطوا بمعرفته ولم يعلموا اجمعناه والمعنى
انهم كذبوا به في اول سماعه قبل ان يفقهوه ويعلموا كنه امره وقبل ان يتدبروه ويقفوا على
تاويله ومعانيه وذلك لفرط نفورهم عما خالف دينهم وشرادهم عن مفارقة دين اباءهم
كالناشي على التقليد اذا احس بكلمة لا توافق ما نشا عليه والفه وان كانت اضوا من الشمس
في ظهور الصحة وبيان الاستقامة انكرها في اول وهلة واشمازت منها قبل ان يحس
ادراكها بحاسة سمعه من غير فكر في صحته او فساده لانه لم يشعر قلبه الا صحة مذهبه
وفساد ما عداه من المذاهب ولما ياتهم تاويله معناه انهم كذبوا به على البديهة قبل
التدبر ومعرفة التاويل تقليدا للاباء وكذبوه بعد التدبر تمردا وعنادا فذمهم بالتسرع
الى التكذيب قبل العلم به وجا بكلمة التوقع ليوذن انهم علموا بعد علو شانه واعجازه لما
كرر عليهم التحدي وراروا قواهم في المعارضة واستيقنوا عجزهم عن مثله فكذبوا
به بغيا وحسدا كذلك اي مثل ذلك التكذيب كذب الذين من قبلهم يعني قبل
النظر في معجزات الانبيا وقبل تدبرها من غير انصاف من انفسهم ولكن قلدوا الاباء
وعاندوا او قيل اذا الذين كذبوا ادهم شاكون في صدقه ويجوز ان يكون يعني ولما
ياتهم بعد تاويل ما فيه من الاخبار بالغيوب اي عاقبته حتى يتبين لهم اهو كذب او صدق

تاويله اي ولم ياتهم

يعني انه كتاب معجز من جهتين من جهة اعجاز نظمه ومن جهة ما فيه من الاخبار بالغيوب فتسرعوا
الى التكذيب به قبل ان ينظروا في نظمه وبلوغه حد الاعجاز وقبل ان يخبروا باخباره بالمغيبات
وصدقه وكذبه ثم توعدهم على كفرهم ووصفهم بالظلم لانفسهم فقال فانظر كيف كان عاقبة
الظالمين اي كيف كان عاقبة المكذبين قبلهم كيف اهلكهم الله بسبب تكذيبهم فليتنظروا مثل
تلك العاقبة ومنهم من يؤمن به اي يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكنه يعاند بالتكذيب
ومنهم من لا يؤمن به اي يشك فيه لا يصدق به او معناه ومنهم من يؤمن به في المستقبل ومنهم من
يصر على التكذيب فلا يؤمن به ابدا وربك اعلم بالمفسدين بالمعاندين او المصرين فيعاقبهم
وان كذبوك اي وان تموا على تكذيبك وتيئست من اجابتهم فتبرا منهم وخلهم فقد اعذرت
وقل لي عملي ولكم عملكم اي لكل جزاء لا يتعداه انتم بريئون مما اعمل من الخير والشر وانا بري
مما تعملون وقيل هذه الاية منسوخة باية السيف ومنهم من يستمعون اليك اي ومن المكذبين
ناس يستمعون اليك اذا قرات القران وعلمت الشرائع ولكنهم لا يعون ولا يقبلون افانت تسمع
الصم اي اتطمع ان تقدر على اسماع من جمع بين الصمم وعدم العقول لان الاصم العاقل ربما
تفرس واستدل اذا وقع في صماخه دوي الصوت فاذا اجتمع سلب السمع والعقل جميعا فقد
تم الامر ومنهم من ينظر اليك اي ومنهم ناس ينظرون اليك ويعاينون ادلة الصدق واعلام
النبوة ولكنهم لا يصدقون افانت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون اي اتحسب انك تقدر على
هداية العمي ولو انضم الى فقد البصر فقد البصيرة لان الاعمى الذي له في قلبه بصيرة قد يحدس ويظن واما
العمي مع الحمق فجهد البلا يعني انهم في الياس من ان يقبلوا ويصدقوا كالصم والعمي الذين لا عقول
لهم ولا بصائر وقوله افانت دلالة على انه لا يقدر على اسماعهم وهدايتهم الا الله عز وجل بالقسر
والالجا كما لا يقدر على رد الاصم والاعمى المسلوبي العقل حديدي السمع والبصر راجحي العقل الا
هو وحده ان الله لا يظلم الناس شيئا اي لا ينقصهم شيئا مما يتصل بمصالحهم من بعثة الرسل وانزال
الكتب ولكن الناس انفسهم يظلمون اي ولكنهم يظلمون انفسهم بالظلم والتكذيب ويجوز ان يكون
وعيدا للمكذبين يعني ان ما يلحقهم يوم القيامة من العذاب لاحق بهم على سبيل العدل والاستحقاق

ولو كانوا لا يعقلون

ولا يظلمهم الله شيئا ولكنهم ظلموا انفسهم باقتراف ما كان سببا فيه ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة
من النهار يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا وقيل في القبور لهول ما يرون من الافزاع لان ايام السرور
قصار او ما كانوا فيه من العذاب في الدنيا او في القبور كايام السرور بالنظر الى ما يشاهدون يوم البعث
من الاهوال يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا كانهم لم يتفارقوا الا قليلا وذلك عند خروجهم من القبور
ثم ينقطع التعارف بينهم لشدة الامر عليهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله هذه شهادة من الله على
خسرانهم والمعنى انهم خسروا في تجارتهم وبيعهم الايمان بالكفر حيث كذبوا بلقاء جزاء الله وما كانوا مهتدين
للصواب في التجارة ولا عارفين بطرقها وهو استئناف فيه معنى التعجب كانه قيل ما اخسرهم واما نرينك يا محمد
بعض الذي نعدهم نريد ما ابتلوا به يوم بدر او نتوفينك قبل ذلك فالينا مرجعهم جواب نتوفينك
وجواب نرينك محذوف كانه قيل واما نرينك يا محمد بعض الذي نعدهم في الدنيا فذاك او نتوفينك
قبل ان نرينك فنحن نرينك في الاخرة فانت لا تخلو من رؤيته ثم الله شهيد على ما يفعلون في الدارين
وذكر الشهادة والمراد مقتضاها ونتيجتها وهو العقاب كانه قال ثم الله معاقب
على ما يفعلون ويجوز ان يراد ان الله مؤد شهادته على افعالهم يوم القيامة حين ينطق جلودهم
والسنتهم والايدي والارجل شاهدة عليهم ولكل امة رسول بعث اليهم لتبليغهم لينبههم على التوحيد
ويدعوهم الى دين الحق فاذا جاء رسولهم بالبينات فكذبوه ولم يتبعوه قضي بينهم اي بين النبي
ومكذبيه بالقسط بالعدل فانجي الرسول وعذب المكذبون او لكل امة من الامم يوم القيامة
رسول تنسب اليه وتدعى به فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان قضي بينهم وهم
لا يظلمون بزيادة او نقصان ويقولون متى هذا الوعد استعجال منهم لما وعدوا من العذاب
واستبعاد له قالوا ذلك حتى قال لهم واما نرينك فقالوا متى هذا العذاب الذي يعدنا يا محمد
ان كنتم يا محمد انت واتباعك صادقين فيما تعدوننا به وهذه مبالغة في التكذيب قل لهم يا محمد
لا املك لنفسي ضرا من مرض او فقر ولا نفعا من صحة او غنا الا ما شاء الله اي ولكن ما شاء الله
من ذلك كائن فكيف املك لكم الضرر وجلب العذاب لكل امة اجل يعني ان عذابكم له اجل مضروب
عند الله وحد محدود من الزمان اذا جاء اجلهم اي اخر الوقت المحدود اصابهم لا محالة فلا يستاخرون

عنه ساعة ولا يستقدمون اي لا يتقدمون وفي عطفه على [illegible] ساعة والمعنى لا تستعجلوا فاذا جاء ذلك
الوقت انجز وعدكم لا محالة قل ارايتم ان اتاكم عذابه بياتا اي وقت بيات بحيث تكونوا وانتم ساهون
نائمون لا تشعرون كما يبيت العدو والمباغتة والبيات عبارة عن التبييت وهو الاخذ بالليل بغتة او
نهارا معناه او في وقت انتم فيه مشتغلون بطلب المعاش والكسب ماذا يستعجل منه المجرمون
الضمير في منه للعذاب والمعنى ان العذاب كله مكروه مر المذاق موجب للنفار فاي شيء
تستعجلون منه وليس شيء منه يستوجب الاستعجال ويجوز ان يكون معناه التعجب كانه قيل
اي شيء هول شديد تستعجلون منه وقيل الضمير في منه لله تعالى اثم اذا ما وقع امنتم به هذا
انكار عليهم في تاخير الايمان الى وقت مشاهدة العذاب والمعنى ان اتاكم عذابه امنتم به بعد وقوعه
حين لا ينفعكم الايمان آلآن اي قيل لهم اذا امنوا بعد وقوع العذاب الان امنتم به وقد كنتم به
تستعجلون يعني وقد كنتم به تكذبون لان استعجالهم كان على جهة التكذيب والانكار ثم قيل للذين ظلموا
هذا متعلق بقيل وفيه زيادة وصف لهم بالظلم انفسهم ذوقوا عذاب الخلد اي ذوقوا مرار
عذاب الخلود في جهنم هل تجزون الا بما كنتم تكسبون اي ما تجزون الا باعمالكم وبسبب كسبكم القبيح
ويستنبئونك اي يستخبرونك فيقولون احق هو اي احق العذاب الموعود وهو استفهام
على جهة الانكار والاستهزاء وقرئ آلحق هو وهو ادخل في الاستهزاء لتضمنه معنى التعريض بانه باطل
كانه قيل اهو الحق لا الباطل او اهو الذي تسميه الحق قل لهم يا محمد اي وربي اي يعني نعم
في القسم خاصة والمعنى نعم وربي ان العذاب الذي عدتم لحق لا شك في وقوعه وما
انتم بمعجزين بفائتين العذاب وهو لاحق بكم لا محالة ولو ان لكل نفس ظلمت ما في الارض
المعنى ولو ان لكل نفس ظالمة ما في الدنيا اليوم من خزائنها واموالها وجميع منافعها على
كثرتها لافتدت به اي لجعلته فدية لها ولاستخلصت به نفسها من العذاب وفداه
وافتداه بمعنى واسروا الندامة لما راوا العذاب لانهم بهتوا لرؤيتهم ما لم يحتسبوه ولم
يخطر ببالهم وعاينوا من شدة الامر وتفاقمه ما سلبهم قواهم وبهرهم فلم يطيقوا عنده بكاء
ولا صراخا ولا ما يفعله الجازع سوى اسرار الندم والحسرة في القلوب كما ترى المقدم للصلب

انه لحق

غصه بحيث تعلقت حتى لا ينبس بكلمه ويبقى ... لما بهتوا وقيل اسروا ... الندامه من سفلتهم الرؤس
يضلوهم حتى منهم ... ولا اسروها اخلصوها لان اخفاها اخلاصها وفيه تهكم
منهم ... احطابهم وقت خلاص الندامه وقيل اسروا الندامه اظهروها من قولهم اسر الشي واشره اذا
اظهره وليس هنا تكرار وقضي بينهم اي بين الظالمين والمظلومين بالقسط بالعدل وهم لا
يظلمون فيما قضي به ولا ينقصون شيا الا ان لله ما في السموات والارض الا ان وعد الله
حق انبع ذلك الاعلام بان له الملك كله وانه المثيب في المعاقب ما وعده من الثواب والعقاب
حق ولكن اكثرهم لا يعلمون لاعراضهم عن صول الحق ونفورهم عن الادله هو يحيي ويميت
واليه ترجعون وهو القادر على الاحيا والاماته لا يقدر عليهما غيره والى حسابه وجزائه المرجع
ليعلم ان الامر كذلك فيخاف ويرجى ولا يغتر به المغترون يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة
من ربكم اي قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد من موعظة وتنبيه على التوحيد وردع
عن القبائح وشفاء لما في الصدور اي ودوا لما في صدوركم من ... ذاب الفاسد ودعا
الى الحق وهدى يهدى اليه ورحمة للمؤمنين اي ونعمة كاملة لمن امن منكم وخص المومنين
لانهم المنتفعون به دون غيرهم والا جميع رحمه عامه لهم لكن غير المومنين لم يقبلوها
قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا اصل الكلام قل بفضل الله وبرحمته فليفرحوا
فبذلك فليفرحوا والتكرير للتاكيد ولايجاب اختصاص الفضل والرحمه بالفرح دون ما
عداهما من فوائد الدنيا فحذف احد الفعلين وهو فليفرحوا لدلاله المذكور عليه والفاء
لمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشي فليخصوا الفضل والرحمه بالفرح والمراد بفضل الله القران
لانه فضل الله على عباده وبرحمته نعمته عليهم وقيل فضل الله ورحمته هو القران ولذلك
قال هو خير ولم يقل هما اي فالقران فليفرحوا لانه فضل الله عليهم واعظم نعمه نزلت اليهم
هو خير مما يجمعون من اموال الدنيا ومنافعها وقرى فلتفرحوا بالتا وهي قراه رسول
صلى الله عليه وعن ابي بن كعب ان رسول الله صلى الله عليه تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال كتاب
الله والاسلام وقيل فضله الاسلام ورحمته ما وعد عليه قل ارايتم ما انزل الله لكم من

اي قل يا محمد لكفار مكه ارايتم ما خلق الله لكم من انواع الارزاق وقيل هي المطر من السما وقيل انزل
اباحته فجعلتم منه حراما وحلالا اي انزله الله رزقا حلالا كله فبعضتموه وقلتم هذا حلال
وهذا حرام يعني ما حرموه مما هو حلال لهم من البحيره والسائبه والوصيله والحام وما
لالهتهم وما احلوه مما حرام من الميته وامثالها قل لهم يا محمد آلله اذن لكم تكرير قل للتوكيد
والمعنى اخبروني الله اذن لكم في التحليل والتحريم فانتم تفعلون ذلك باذنه ام على الله تفترون
ام تكذبون على الله في نسبه ذلك اليه والهمزه للانكار وام منقطعه بل قال رضي الله عنه وكفى
بهذه الايه زاجرا زجرا بليغا عن التجوز فيما يسال عنه من الاحكام وباعثه على وجوب الاحتياط
فيه وان لا يقول احد في شي جائز او غير جائز الا بعد اتقان وايقان ومن لم يتحقق فليتق الله وليصمت
والا فهو مفتر على الله عز وجل وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيمه
نعم اي شي ظن المفترين في ذلك اليوم ما يصنع بهم فيه وهو يوم الجزا بالاحسان والاسائه وهو
وعيد عظيم حيث ابهم امره ان الله لذو فضل على الناس حيث انعم عليهم بالعقل ورحمهم بالوحي
وتعليم الحلال والحرام ولكن اكثرهم لا يشكرون هذه النعمه ولا يتبعون ما هدوا له
اليه وما تكون في شان ما نافيه والخطاب لرسول الله صلى الله عليه والشان الامر وما تتلوا
منه من قران الضمير في منه للشان لان تلاوه القران شان من شان رسول الله صلى الله عليه
بل هو معظم شانه او يكون الضمير في منه للقران كانه قيل وما تتلو من التنزيل من قران لان كل
جزء منه قران والاضمار قبل الذكر تفخيم له او لله عز وجل ولا تعملون من عمل اي عمل كان الا
كنا عليكم شهودا اي شاهدين رقباء نحصي عليكم اذ تفيضون فيه اي تدخلون في العمل
وتاخذون فيه من افاض في الامر اذا اندفع فيه وما يعزب اي ما يبعد وما يغيب عن ربك من
مثقال ذره اي وزن نمله وهي النمله الحمرا الصغيره في الارض ولا في السما اي لا يغيب عنه شي بمثقال
ذره في الارضين السبع ولا في السموات السبع ولا اصغر من ذلك المثقال ولا اكبر
قرى اصغر واكبر بالنصب على نفي الجنس وقرى حمزه بالرفع فيهما على الابتدا ليكون كلاما براسه
وعطفهما على محل من مثقال ذره او على لفظ مثقال ذره لا يصح لانه يودي الى ان الذي في الكتاب يعزب

في الارض كما في سورة سبا عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وحق السماء التقدم على الارض ولكنه تعالى لما ذكر شهادته على شؤون اهل الارض واحوالهم واعمالهم ووصل بذلك قوله لا يعزب عنه لاءم ذلك ان قدم الارض على السماء لما فيه من حسن الملاءمة على ان العطف بالواو حكمه حكم التثنية وانه لا يقتضي الترتيب **الا في كتاب مبين** هو اللوح المحفوظ لان فيه كل كائن معلوم لله تعالى **الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون** اولياء الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة وقد فسر ذلك في قوله **الذين امنوا وكانوا يتقون** اي كانت طريقتهم تقوى الله باجتناب محارمه فهذا هو توليهم الله تعالى واصل الولي من الولي وهو القرب وقوله لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الاخرة هي تولية الله التي تولاهم بها وعن سعيد بن جبير رحمه الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل من اولياء الله فقال هم الذين يذكر الله برؤيتهم يعني السمت والهيئة يريد لما فيهم من الخشوع والوقار وقيل هم المتحابون في الله وعن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان من عباد الله عبادا ما هم بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيمة لمكانهم من الله قالوا يا رسول الله خبرنا من هم وما اعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله على غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرأ الاية والمعنى انهم لا يتوقعون مكروها ولا يحزنون على فائت **لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الاخرة** البشرى في الدنيا ما بشر الله به المؤمنين المتقين في غير مكان من كتابه من حسن العاقبة والكلمة الطيبة وحسن المخرج للمتقين وعن النبي صلى الله عليه وسلم هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم او ترى له وعنه عليه السلام ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وقيل هي محبة الناس له والذكر الحسن وعن ابي ذر قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال تلك عاجل بشرى المؤمن وعن عطا البشرى عند الموت تأتيهم الملائكة بالرحمة واما البشرى في الاخرة فتلقي الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من بياض وجوههم واعطاء الصحائف بايمانهم وما يقرؤون منها وغير ذلك من البشارات ويمكن ان يقال البشرى هي مجموع هذه البشارات لانها غير متعارضة

البشرى عموم يتناول جميع ما بشر به اهل الايمان والتقوى اللهم اجعلنا منهم **لا تبديل لكلمات الله** اي لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده **ذلك** اي البشرى لهم في الدارين **هو الفوز العظيم** اي الظفر الذي لا اعظم منه **ولا يحزنك قولهم** اي تكذيبهم وتهديدهم وتشاورهم في تدبير هلاكك وابطال امرك وسائر ما يتكلمون به في شانك **ان العزة لله جميعا** ابتدا كلام يعني التعليل كانه قيل ما لي لا احزن فقيل ان العزة لله جميعا اي ان الغلبة والقهر في ملكة الله جميعا لا يملك احد شيئا منها لا هم ولا غيرهم فهو يغلبهم وينصرك عليهم كتب الله لاغلبن انا ورسلي انا لننصر رسلنا **وهو السميع العليم** يسمع ما يقولون ويعلم ما يدبرون ويعزمون عليه وهو مكافيهم بذلك **الا ان لله من في السموات ومن في الارض** يعني العقلاء المميزين وهم الملائكة والثقلان وانما خصهم ليؤذن ان هؤلاء اذا كانوا له وفي مملكته وهم عبيد كلهم وهو سبحانه وتعالى ربهم ولا يصلح احد منهم للربوبية ولا ان يكون شريكا له فيها وليدل على ان من اتخذ غيره ربا من ملك او انسي فضلا عن صنم او غير ذلك فهو مبطل تابع لما ادى اليه التقليد وترك النظر **وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء** اي وما يتبعون حقيقة الشركاء وان كانوا يسمونها شركاء لان شركة الله عز وجل في الربوبية محال **ان يتبعون الا الظن** اي الا ظنهم انها شركاء **وان هم الا يخرصون** يكذبون ويقدرون ان تكون شركاء تقديرا باطلا **هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا** هذا تنبيه على عظم قدرته ونعمته الشاملة لعباده التي يستحق بها ان يوحدوه بالعبادة حيث جعل لهم الليل مظلما ليسكنوا فيه مما يقاسون في نهارهم من تعب التردد في المعاش والنهار مضيئا يبصرون فيه مطالب ارزاقهم ومكاسبهم **ان في ذلك** المذكور من نعمتي الليل والنهار **لايات** لدلائل على عظم القدرة وواسع الرحمة او على انه المختص بالتوحيد وباستحقاق العبادة **لقوم يسمعون** سماع متدبر معتبر مذكر **قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه** اي تنزيها له عن اتخاذ الولد وفيه تعجب من كلمتهم الحمقاء ونسبة الولد اليه **هو الغني** هذا علة لنفي الولد لان السبب في طلب الولد الحاجة ومن الحاجة منتفية عنه كان الولد عنه منتفيا **له ما في السموات وما في الارض** من العقلاء وغيرهم فهو مستغن

... إن عندكم من سلطان بهذا اي ما عندكم من حجة

... أتقولون على الله ما لا تعلمون لما نفى عنهم الحجة على ...

... القول ثم اكثر جعلهم بقوله ... فذلك جهل والسر ...

الولد جعلهم عن علم بما فدل على ان كل قول لا برهان عليه لقائله فذلك جهل

قل إن الذين يفترون على الله الكذب يعني باضافة الولد اليه لا يفلحون اي لا فلاح لهم ولا ظفر ...

... متاع في الدنيا اي افتراؤهم هذا منفعة قليلة في الدنيا ... وذلك حيث يقيمون ...

... والنبي صلى الله عليه ... بالظاهر ثم يلقون الشقاء المؤبد بعد واشار الى ...

ثم إلينا مرجعهم اي مصيرهم للجزاء ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون اي

بسبب كفرهم واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه اي واتل يا محمد على قومك حديث نوح

وقت قال لقومه اي عظيم به إن كان كبر عليكم اي عظم عليكم وشق وثقل عليكم مقامي

يعني نفسه كما تقول فعلت كذا لمكان فلان اي لاجله وفلان ثقيل الظل اي هو ثقيل او اراد

قيامي ومكثي بين اظهركم مدة طويلة الف سنة الا خمسين عاما او اراد مقامي وتذكيري

لانهم كانوا اذا وعظوا الجماعة قاموا على ارجلهم يعظونهم ليكون مكانهم بينا وكلامهم مسموعا كما

يحكى عن عيسى صلى الله عليه انه كان يعظ الحواريين قياما وهم قعود وتذكيري اي وعظي

بآيات الله فعلى الله توكلت اي فالى الله فوضت امري وبه اعتصمت من كيدكم

فأجمعوا أمركم وشركاءكم يقال اجمع الامر وازمعه اذا نواه وعزم عليه والواو

بمعنى مع يعني فاجمعوا امركم مع شركائكم اي مع اصنامكم واستعينوا بها في اهلاكي وقرئ

وشركاؤكم بالرفع بمعنى وليجمع شركاؤكم معكم وقرئ فاجمعوا من الجمع اي فاجمعوا امركم

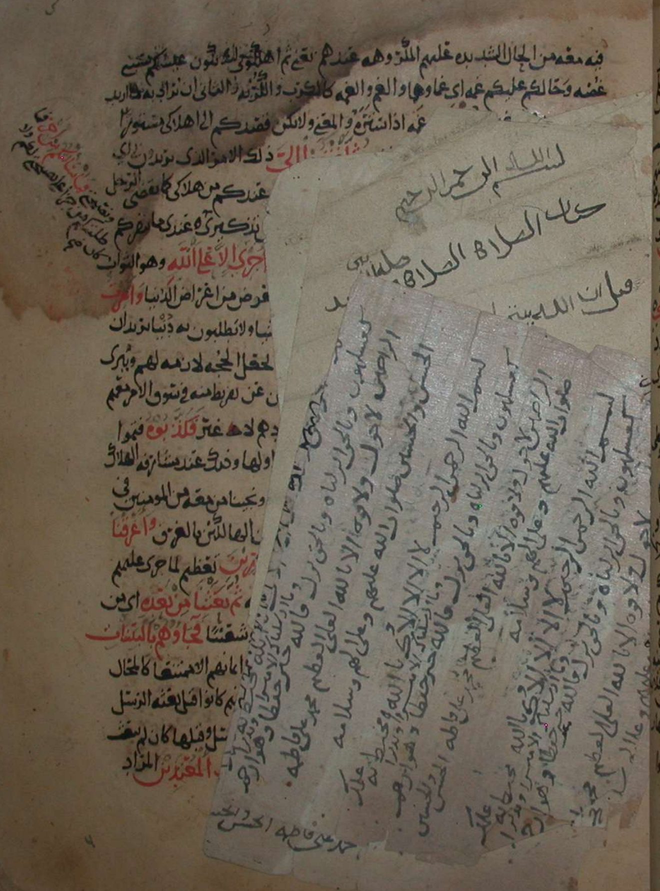
واجمعوا شركاءكم وقرئ فاجمعوا امركم وادعوا شركاءكم للاستعانة بهم والغرض بالاجماع

والجمع امرهم بالاجتهاد في اهلاكه والمعنى اجمعوا ما تريدون من اهلاكي واحتشدوا

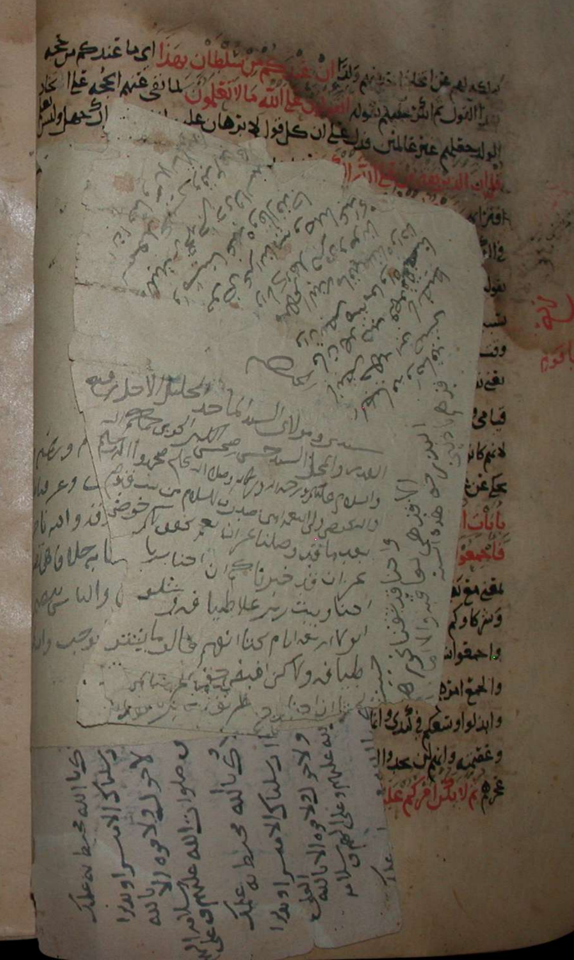
وابذلوا وسعكم في كيدي وانما قال ذلك اظهارا لقلة مبالاته وثقته بما وعده ربه من

... وغضبه وانهم لن يجدوا اليه سبيلا واسناد الاجماع الى الشركاء على وجه التهكم

... ثم لا يكن أمركم عليكم غمة فيه وجهان احدهما ان يراد به مصاحبتهم له وما كانوا



فيه معه من الحال الشديد عليهم الملل وهو عندهم يعني ثم اهلكوني لئلا تكون عليكم مشقة
غصّه وحالكم عليكم غمه اى غما وهما والغم والغمه كالكرب والكربة والثاني أن يراد به ما اريد
بالامر الاول والغمه المستورة من غمه اذا ستره والمعنى ولا يكن قصدكم الى اهلاكي مستورا
عليكم ولكن مكشوفا مشهورا تجاهرون به ثم اقضوا الى ذلك الامر الذي تريدون بي
ادوا الى قطعه وتصحيحه او ادوا الى ما هو حق عليكم عندكم من هلاكي كما يقضي الرجل
غريمه ولا تنظرون اي ولا تمهلون فان توليتم اى اعرضتم عن تذكيري عندي فما ضركم
غمي ونميمونى لاجله من طمع في اموالكم وطلب اجر على عظتكم ان اجري الا على الله وهو الثواب
الذي يثيبني به في الاخرة اي ما نصحتكم الا لوجه الله تعالى لا لغرض من اغراض الدنيا وامرت
ان اكون من المسلمين الذين لا ياخذون على تعليم الدين شيئا ولا يطلبون به دنيا يريد ان
ذلك مقتضى الاسلام والذي كل مسلم مامور به والمراد ان يحقق الحجه لازمه لهم ويبرئ
ساحته وينزه نفسه من المطامع وذكر ان توليهم لم يكن عن تفريط منه في سوق الامر معهم
على الطريق الذي يجب ان يساق عليه وانما ذلك لعنادهم وتمردهم لاجل غيهم فكذبوه فتموا
على تكذيبه وكان تكذيبهم له في اخر المدة المتطاوله كتكذيبهم في اولها وذلك عند مشارفة الهلاك
بالطوفان فنجيناه من الغرق ومن معه في الفلك اي ونجينا من معه من المؤمنين في
السفينة وجعلناهم خلائف الارض جمع خليفه اي يخلفون الهالكين بالغرق واغرقنا
الذين كذبوا باياتنا وقوله فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لما جرى عليهم
وتحذير لمن انذرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مثله وتسلية له ثم بعثنا من بعده اي من
بعد نوح رسلا الى قومهم يعني هودا وصالحا وابرهيم ولوطا وشعيبا فجاءوهم بالبينات
بالحجج الواضحة المثبتة لدعواهم فما كانوا ليؤمنوا اي فما كان ايمانهم الا ممتنعا كالمحال
لشدة شكيمتهم في الكفر وتصميمهم عليه بما كذبوا به من قبل يريد انهم كانوا قبل بعثة الرسل
اهل جاهلية مكذبين بالحق فما وقع فصل بين حالتيهم بعد بعثة الرسل وقبلها كان لم يبعث
اليهم احد كذلك نطبع اي مثل ذلك الطبع المحكم نطبع على قلوب المعتدين المراد



بالطبع الخذلان وهو كنايه عن كفرهم وعنادهم ولجاجهم لسن اعذان نتبعه الاترى كيف
اسند اليهم الاعتدا ووصفهم به وهو التجاوز لحدود الله والمبالغه في الكفر ثم بعثنا
من بعدهم اي من بعد الرسل موسى وهرون الى فرعون وملايه هم اشراف قومه
وخصهم بالذكر لانهم الاكابر المتبعون باياتنا اي بالمعجزات المصدقه وهي الايات التسع
فاستكبروا اي ازدادوا الكفر او تكبروا عن قبولها وهو اعظم الكبر ان يتهاون العبيد برسالة
ربهم بعد تبينها ويتعظموا عن تقبلها وكانوا قوما مجرمين اي كفارا ذوي اثام عظام فلذلك
استكبروا عنها فاجترؤا على ردها فلما جاءهم الحق من عندنا اي فلما عرفوا ان الذي
جاءهم من الايات هو الحق وانه من عند الله لا من قبل موسى وهرون قالوا لحبهم الشهوات
ومكابرة الحق ان هذا يعنون المعجزات لسحر مبين اي لسحر واضح وهم يعلمون ان الحق
ابعد شيء من السحر الذي ليس الا تمويها وباطلا قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم
اسحر هذا اي اتعيبون الحق وتطعنون فيه بقولكم هو سحر وكان عليكم ان [struck] تذعنوا
له وتعظموه وقوله اسحر هذا انكار عليهم ما قالوا في عيبه اي وليس بهذا ساحر على
مثله ولا يفلح الساحرون اي لا يظفر ساحر بشيء كما قال موسى للسحرة ما جئتم به السحر
ان الله سيبطله قالوا اجئتنا لتلفتنا اي لتصرفنا واللفت والفتل اخوان عما
وجدنا عليه اباءنا يعنون عبادة الاصنام وهذا انكار منهم على موسى وتكون لكما الكبرياء
اي الملك لان الملوك موصوفون بالكبر في الارض يعني ارض مصر ويجوز ان يقصدوا
ذمهما وانهما ان ملكا ارض مصر تجبرا وتكبرا كما قال القبطي لموسى ان تريد الا ان تكون جبارا
في الارض وما نحن لكما بمؤمنين اي لمصدقين لكما فيما جئتما به وقال فرعون ائتوني بكل
ساحر عليم اي عظيم العلم بالسحر محكم فيه والمقصد ائتوني بهم ليبطلوا سحر موسى وهرون فلما جاء
السحرة قيل كانوا اثنين الفا وقيل سبعين الفا وفي الثعلبي اجتمع السحرة سبعمائه الف وكان
رئيسهم اعمى قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون من حبالكم وعصيكم لانها جعلوا
فيها الزيبق لتجعل تلتوي كالحيات فلما القوا حبالهم وعصيهم على الارض لمغالبة موسى

قال موسى ما جئتم به السحر اي الذي جئتم به هو السحر لا الذي سماه فرعون وقومه سحرا من ايات الله
ان الله سيبطله اي سيمحقه او يظهر بطلانه باظهار المعجزة على الشعوذة ان الله لا يصلح عمل
المفسدين اي لا يثبته ولا يديمه ولكن يسلط عليه الدمار ويحق الله الحق اي يثبته بكلماته
باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته اي بامره ومشيته ولو كره المجرمون اي ولو كره اهل عظايم
الذنوب وهم قوم فرعون فما امن لموسى لعله في اول امره الا ذرية من قومه على خوف من فرعون
اي الا طايفة من ذراري بني اسرائيل كانه قيل الا اولاد من اولاد قومه وذلك لانه دعا الاباء فلم يجيبوه
خوفا من فرعون واجابته طايفة من ابنايهم مع الخوف وقيل الضمير في قومه لفرعون والذرية
مومن ال فرعون واسيه امرأته وخازنه وامرأة خازنه وماشطته وملايهم الضمير في ملايهم
يرجع الى فرعون لانه ذو اصحاب يأتمرون له ويجوز ان يرجع الى الذرية اي على خوف من فرعون
وخوف من اشراف بني اسرائيل لانهم كانوا يمنعون اعقابهم خوفا من فرعون عليهم وعلى انفسهم
ويدل عليه قوله ان يفتنهم اي يعذبهم ويصرفهم عن دينهم بالمحنة والبلية يوقعهم فيها وان فرعون
لعال في الارض لغالب متكبر قاهر وانه لمن المسرفين في الظلم والفساد وفي الكبر والعتو
بادعائه الربوبية وقال موسى يا قوم ان كنتم امنتم بالله اي صدقتم به وباياته الظاهرة فعليه توكلوا
فاليه استندوا امركم في العصمة من فرعون ان كنتم مسلمين شرط في التوكل الاسلام وهو ان يسلموا
نفوسهم لله اي يجعلوها له سالمة خالصة لا حظ للشيطان فيها لان التوكل لا يكون مع
التخليط فقالوا على الله توكلنا انما قالوا ذلك لان القوم كانوا مخلصين لا جرم ان الله قبل
توكلهم واجاب دعاهم ونجاهم واهلك من كانوا يخافونه وجعلهم خلفاء في ارضه فمن اراد ان يصلح
للتوكل على ربه والتفويض اليه فعليه برفض التخليط الى الاخلاص ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم
الظالمين اي موضع فتنة لهم اي عذاب يعذبوننا ويفتنونا عن ديننا او فتنة لهم يفتتنون
بنا ويقولون لو كان هؤلاء على الحق لما اصيبوا ونجنا برحمتك من القوم الكافرين اي دعنا
بنعمتك من شر قوم فرعون واراد بالظالمين والكافرين فرعون وقومه واوحينا الى موسى واخيه
لما ارسل موسى الى فرعون امر فرعون بمساجد بني اسرائيل فخربت كلها ومنعوا من الصلوة فامروا

[illegible] وتعذر ابنيها خوفا من فرعون فذلك قوله أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا
[illegible] اي ترجعا يرجع اليه كما قال توطنه اذا اتخذه وطنا والمعنى اجعلا
[illegible] من بيوته مباءة لقومكما ومرجعا يرجعون اليه للعبادة والصلوة فيه وَاجْعَلُوا
بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً مساجد متوجهة نحو القبلة وهي الكعبة وكان موسى ومن معه يصلون الى
الكعبة وكانوا في اول امرهم مامورين بان يصلوا في بيوتهم في خيفة من الكفرة لئلا يظهروا عليهم
فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان المؤمنون على ذلك في اول الاسلام بمكة وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ
في تلك المساجد وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بخير الدارين وابهم المبشر به لتعظيمه وعمومه قال رضي الله
عنه وثنى الخطاب اولا ثم جمع ثم وحد لان اختيار المساجد وعمارتها للعبادة مما يفوض الى
الانبياء واهل الولايات فلذلك خوطب به موسى وهرون ثم سيق الخطاب عاما لهما ولقومهما
باتخاذ المساجد والصلوة فيها لان ذلك واجب على الجمهور ثم خص موسى صلى الله عليه وسلم بالبشارة
التي هي الغرض تعظيما لها وللمبشر بها والمعنى بشرهم بالعاقبة المحمودة والنصر على اعدائهم
والعون في الاخرة وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا الزينة ما يتزين به
من لباس او حلي او فرش او اثاث وعن ابن عباس كانت لهم من فسطاط مصر الى ارض الحبشة جبال
فيها معادن من ذهب وفضة وزبرجد وياقوت فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا اي في هذه الحيوة القريبة التي
هي ادنى من الحيوة الاخرة اي اقرب منها لان العباد لهم حياتان حياة في الدنيا وحياة في الاخرة
وقوله رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ دعا عليهم بالضلال وهو دعا بلفظ الامر كقوله ربنا اطمس
واشتد ذلك انه لما عرض عليهم ايات الله وبيناته عرضا مكررا وردد عليهم النصائح والمواعظ
زمانا طويلا وحذرهم عقاب الله وانتقامه وانذرهم عاقبة ما كانوا عليه من الكفر والضلال
المبين وراهم لا يزدادون على عرض الايات الا كفرا وعلى الانذار الا استكبارا وعلى النصيحة الا
نبوا ولم يبق له مطمع فيهم وعلم بالتجربة وطول الصحبة انه لا يجيء منهم الا الغي والضلال وان
ايمانهم كالمحال الذي لا يدخل تحت الصحة او علم ذلك بوحي من الله اشتد غضبه عليهم وافرط مقته
وكراهته لحالهم فدعا عليهم بما علم انه لا يكون غيره كما تقول لعن الله ابليس واخزى الله الكفرة

في المدرسة التي بناها عمرو بن العاص

مع علمه انه لا يكون غير ذلك وليشهد عليهم بانه لم يبق له فيهم حيلة وانهم لا يستاهلون الا ان يخذلوا
ويخلى بينهم وبين ضلالهم يترددون فيه كانه قال ليثبتوا على ما هم عليه من الضلال وليكونوا ضلالا رَبَّنَا
اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ اي اذهبها حتى تكون مطموسة اي اذهبه فانها اسباب عجبهم وتكبرهم وقيل
امسخها وغيرها عن هيئتها قال ابن عباس صارت اموالهم حجارة وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ اي اقسها واطبع عليها
الشد على القلوب الاستيثاق منها حتى لا يدخلها الايمان والمعنى اوثقها واربط عليها ولا تدخلها
من الايمان شيء فَلَا يُؤْمِنُوا هذا جواب للدعا الذي هو اشدد او هو دعا عليهم بلفظ النهي اي فلا يظفروا
بالايمان حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ اي الى ان يشاهدوا الوقت الذي لا يقبل فيه الايمان وهو وقت نزول
العذاب عليهم حين انقطاع التكليف وهو وقت يشاهدون ملائكة الموت او وقت عذاب الاخرة بعد الموت
لقوله الاليم وهو الشديد في الالم قَالَ اللَّهُ تعالى قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا قيل كان موسى يدعو وهرون يؤمن
ويجوز ان يكونا جميعا يدعوان والمعنى ان دعاكما مستجاب وما طلبتما كاين ولكن في وقته فَاسْتَقِيمَا
فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة والزيادة في الزام الحجة فقد لبث نوح في قومه الف عام الا قليلا
ولا تستعجلا قال ابن جريج مكث موسى بعد الدعاء اربعين سنة ثم حصل ما اجيب به وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ
الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ اي لا تتبعا طريق الجهلة بعادة الله في تعليق الامور بالمصالح ولا تعجلا فان العجلة
ليست بمصلحة وهذا كما قال لنوح عليه السلام اني اعظك ان تكون من الجاهلين وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ
الْبَحْرَ لما اجاب الله تعالى دعا موسى باهلاك قومه امره باخراج بني اسرائيل ليلا من مصر فخرج وتبعهم فرعون
فلما انتهوا الى البحر امر الله تعالى موسى فضرب بعصاه فانفلق فصار فيه اثنا عشر طريقا يابسة بين كل
طريقين ماء كالجبل العظيم وفيه خروق ينظر بعضهم الى بعض حتى جاوزوا سالمين من الغرق فَأَتْبَعَهُمْ
فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ اي لحقهم بَغْيًا وَعَدْوًا اي ظلما واعتداء حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ اي حتى قارب ان
يغرق وعلم انه هالك لا محالة وانقطع وقت التكليف قَالَ آمَنْتُ اي قال امنت بانه لا معبود بحق
يستحق ان يسمى الها الا الذي امنت به بنو اسرائيل وهو الله عز وجل لا انا ولا غيري ممن يعبد ويعد
الاها وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ المخلصين لله وحده وقرا حمزة والكسائي انه بالكسر على انه كلام مبتدا
مستانف قال رضي الله عنه كرر المخذول المعنى الواحد ثلاث مرات في ثلاث عبارات حرصا على

انه لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل

المقبول ثم لم يقبل منه حيث اخطأ وقته وقاله حين لم يبق له اختيار قط وكانت المرة الواحدة كافية في حال
الاختيار وعند تقبل الحق قلت وارادرضي الله عنه بالمعنى الواحد الايمان والثلاث العبارات على
القراءة بالكسر في انه فالعبارة الاولى امنت والثانية انه لا اله الا الذي امنت به بنوا اسرائيل والثالثة وانا من
المسلمين وقيل انه قال امنت بعد ان غرق في نفسه والذي حكى انه حين قال امنت اخذ جبريل من
حال البحر اي من طينه الاسود وهو الحمأة فدسه في فيه فالغرض به الغرض الغضب لله على الكافر
في وقت قد علم ان ايمانه لا ينفعه واما قول من قال ان جبريل عليه السلام فعل ذلك خشية ان تدرك فرعون
رحمة الله لو نطق بالايمان فهذا من زيادات الباهتين لله وملائكته وفيه جهالتان احداهما ان
الايمان يصح بالقلب كايمان الاخرس فحال البحر لا يمنعه والاخرى ان من كره ايمان الكافر واحب بقاءه على
الكفر فهو كافر لان الرضا بالكفر كفر **آلآن وقد عصيت قبل** معناه اتؤمن الساعة في
وقت الاضطرار حين ادركك الغرق وايست من نفسك وهذا انكار عليه في تاخير الايمان الى
الوقت الذي لا يقبل فيه وتعيير بالمعصية في الوقت الذي كان يقبل فيه الايمان **وكنت من المفسدين**
اي من الضالين المضلين عن الايمان وروي ان جبريل عليه السلام اتاه بفتيا ما قول الامير في عبد لرجل
نشأ في ماله ونعمته فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه فكتب فرعون فيه يقول ابو العباس
الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج على سيده الكافر نعماه ان يغرق في البحر فلما الجمه الغرق
ناوله جبريل عليه السلام خطه فعرفه **فاليوم ننجيك ببدنك** فقرئ ننجيك بالتشديد والتخفيف والمعنى ننقذك
مما وقع فيه قومك من قعر البحر وقيل نلقيك بنجوة من الارض وقرئ ننحيك بالحا اي نلقيك بناحية من الـ
وذلك انه طرح بعد الغرق بجانب البحر قال كعب رماه الماء الى الساحل كانه ثور وقوله **ببدنك**
بيان لحاله في النجية اي ننجيك جسدك من غير روح فيك وانما انت بدن او بدنك كاملا
لم ينقص منه شيء ولم يتغير او عريانا لست الا بدنا من غير لباس او بدرعك وكانت له درع من ذهب
يعرف بها **لتكون لمن خلفك آية** اي لتكون لمن وراءك من الناس علامة وهم بنوا اسرائيل
وكان في انفسهم ان فرعون اعظم شانا من ان يغرق وروي انهم قالوا ما مات فرعون ولا يموت
ابدا وقيل اخبرهم موسى عليه السلام بهلاكه فلم يصدقوه فالقاه الله على الساحل حتى عاينوه

مطرحه كان على ممر من بني اسرائيل حتى قيل لمن خلفك ومعنى كونه آية ان تظهر للناس عبوديته
ومهانته وان ما كان يدعيه من الربوبية باطل محال وانه مع ما كان عليه من عظم الشان وكبرياء الملك
آل امره الى ما ترون لعصيانه ربه عز وجل فما الظن بغيره او معناه لتكون عبرة تعتبر بها الامم
فلا يجترئوا على نحو ما اجترأت عليه اذا سمعوا حالك وهوانك على الله عز وجل وقرئ لمن خلقك
بالقاف اي لتكون لخالقك آية كسائر آياته ويجوز ان يراد ليكون طرحك على الساحل وحدك وتمييزك
من بين المغرقين لئلا تشتبه على الناس امرك ولئلا يقولوا لادعائك العظمة ان مثله لا يغرق
ولا يموت آية من آيات الله التي لا يقدر عليها غيره وليعلموا ان ذلك تعمد منهم لازالة الشبهة في امرك
وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون اي لمعرضون عن التدبر لها والاعتبار بها **ولقد
بوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق** اي انزلناهم منزلا صالحا مرضيا وهو مصر والشام وذلك بعد هلاك
فرعون وذهاب العمالقة الذين كانوا ملوك الشام **ورزقناهم من الطيبات** اي من مستلذات المطاعم
والارزاق **فما اختلفوا** في دينهم وما تشعبوا فيه شعبا **حتى جاءهم العلم** اي الا من بعد ما
قرؤوا التوراة وكسبوا العلم بدين الحق ولزمهم الثبات عليه واتحاد الكلمة وعلموا ان الاختلاف فيه
تفرق عنه وقيل هو العلم بمحمد صلى الله عليه وسلم واختلاف بني اسرائيل وهم اهل الكتاب اختلافهم في صفته
ونعته وانه هو او ليس به بعد ما جاءهم العلم والبيان انه هو لم يرتابوا فيه كما قال تعالى الذين
آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم **ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون**
يقضي بالقضاء بينهم يوم القيامة في الذي اختلفوا فيه هو حكم الله بالثواب للمطيعين المحقين وبالعقاب
للعصاة المبطلين **فان كنت في شك مما انزلنا اليك** هذا بمعنى الفرض والتمثيل كانه قيل فان وقع
لك شك مثلا وخيل لك الشيطان خيالا منه تقديرا **فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك** والمعنى
ان الله عز وجل قدم ذكر بني اسرائيل وهم قراء الكتاب ووصفهم بان العلم قد جاءهم لان امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم مكتوب عندهم في التوراة والانجيل وهم يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فاراد ان يؤكد علمهم بصحة
القران وصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ويبالغ في ذلك فقال فان وقع لك شك فرضا وتقديرا فاسأل
علماء اهل الكتاب لان عادة من حاكه شبهة في الدين ان يسارع الى حلها واماطتها الا ما

كالرجوع الى قول اهل ... عنه واما المقادحة العلماء المتبحرين على الحق والمعنى انهم الاحاطة بصحة

ما انزل الله ... لمن حقه ... ومسائلهم فضلا عن غيرك فالغرض وصفهم بالرسوخ

في العلم بصحة ما انزل اليك الى رسول الله صلى الله عليه لا وصف رسول الله بالشك ثم قال

لقد جاءك الحق من ربك اي ثبت عندك بالايات والبراهين القاطعة ان ما اتاك هو الحق

لا مدخل فيه للمرية **فلا تكونن من الممترين** اي الشاكين **ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله**

اي فاثبت ودم على ما انت عليه من انتفاء المرية عنك والتكذيب بايات الله والغرض بهذا زيادة التثبيت

والعصمة ولذلك قال صلى الله عليه عند نزول هذه الايات لا اشك ولا اسال بل اشهد انه الحق وعن

ابن عباس لا والله ما شك طرفة عين ولا سال احدا منهم وقيل خوطب رسول الله والمراد

امته ومعناه فان كنتم في شك مما انزلنا اليكم وقيل ان للنفي بمعنى ما كنت في شك فسال والمعنى لا

نامرك بالسوال لانك شاك ولكن لتزداد يقينا كما ازداد ابراهيم بعيان احياء الموتى وقوله **فتكون من الخاسرين**

للنهي عن الشك والتكذيب والمعنى من الخاسرين كل الخسران وهو اسند الى الذين عندهم

ان الذين حقت عليهم كلمة ربك اي ثبت عليهم قول الله الذي كتبه في اللوح واخبر به الملائكة

وهو انهم يموتون كفارا فلا يكون غيره وتلك كتابة معلوم لا كتابة تقدير وارادة تعالى الله عن ذلك

وقوله **لا يؤمنون** اي لا يحصل منهم ايمان ابدا **ولو جاءتهم كل اية** اي كل معجزة تدل على صحة

ما دعوا اليه من الايمان **حتى يروا العذاب الاليم** اي لا يؤمنون الى وقت الاضطرار وان طلع

الذي لا يقبل منهم فيه ايمان وهو عند رؤيتهم اسباب العذاب **فلولا كانت قرية امنت** اي فهلا كانت

قرية واحدة من القرى التي اهلكناها تابت عن الكفر واخلصت الايمان قبل المعاينة ووقت

التكليف ولم تؤخر كما اخر فرعون الى ان اخذه الغرق **فنفعها ايمانها** بان يقبله الله منها لوقوعه

في وقت الاختيار **الا قوم يونس** يعني ولكن قوم يونس **لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي** اي

الذل وقرئ قوم يونس بالرفع كانه قيل ما امنت قرية من القرى الهالكة الا قوم يونس وعلى هذا

قوم يونس مستثنى منقطع عما قبله مع النصب والرفع روي ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى من ارض الموصل

فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا الى الله

وقيل قال لهم يونس ان اجلكم اربعون ليلة فقالوا ان رأينا اسباب الهلاك امنا بك فلما مضت خمس وثلاثون

اغامت السماء غيما اسود ذا هول يدخن دخانا شديدا ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم ويسود سطوحهم

فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان

وبين الدواب واولادها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واظهروا الايمان والتوبة

وتضرعوا فرحمهم الله وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن ابن مسعود بلغ من توبتهم ان

ترادوا المظالم حتى ان الرجل كان يقلع الحجر وقد وضع عليه اساس بنائه فيرده وقيل خرجوا الى

شيخ من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي

لا اله الا انت فقالوها فكشف عنهم وعن الفضيل بن عياض قالوا اللهم ان ذنوبنا عظمت وجلت وانت

اعظم منها واجل افعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله **ومتعناهم الى حين** اي نفعناهم

بالحيوة والمعيشة الى حين موتهم وانقطاع اجالهم **ولو شاء ربك** مشيئة القسر والالجاء **لامن**

من في الارض كلهم يعني على وجه الاحاطة والشمول **جميعا** مجتمعين على الايمان مطبقين عليه

لا يختلفون فيه الا ترى الى قوله **افانت تكره الناس** يعني انما يقدر على اكراههم واضطرارهم

الى الايمان هو لا انت لانه القادر على ان يفعل في قلوبهم ما يضطرون عنده الى الايمان وذلك غير مقدور

للبشر ومعنى قوله **حتى يكونوا مؤمنين** اي لكي يكونوا مؤمنين **وما كان لنفس ان تؤمن** اي ما

صح الايمان من نفس من النفوس التي علم الله انها تؤمن **الا باذن الله** اي بتسهيله وتوفيقه

وهو منح الالطاف لانها مما تقبل **ويجعل الرجس** وهو الخذلان الذي نقيض اللطف **على الذين لا**

يعقلون اي على الكفرة المصرين على الكفر كانهم لا عقول لهم قابل الاذن بالرجس وهو الخذلان والنفس

المعلوم ايمانها بالذين لا يعقلون وهم المصرون على الكفر وسمي الخذلان رجسا وهو العذاب لانه سببه

قل لهم يا محمد **انظروا ماذا في السموات والارض** من الايات والعبر **وما تغني الايات والنذر**

اي وما تنفع الرسل المنذرون او الانذارات **عن قوم لا يؤمنون** اي لا يتوقع ايمانهم وهم الذين لا يعقلون

والمعنى ان وجود الايات والنذر عندهم كعدمها فانهم لا ينتفعون بها ولا يقبلونها **فهل ينتظرون**

الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم اي الا مثل وقائع الله فيهم كما يقال ايام العرب لوقائعها ايامهم

من خرج بها او هذا وعيد للمشركين يمثل ما جرى على من قبلهم من الامم قل فانتظروا مثل ما وقع بمن قبلكم
اني معكم من المنتظرين لهلاككم ثم ننجي رسلنا هذا معطوف على كلام محذوف كانه قيل نهلك
الامم ثم ننجي رسلنا على حكاية حال الماضية لانه احسن ما قد مضى والذين آمنوا اي ومن معهم كذلك
اي مثل ذلك الانجاء ننجي المؤمنين منكم ونهلك المشركين وحقا علينا اعتراض فاصل للتحقيق
نجاة المؤمنين وتاكيدها يعني حق ذلك علينا حقا وقرئ ننجي بالتشديد والتخفيف قل يا ايها الناس
اي يا اهل مكة ان كنتم في شك من ديني وصحته وسداده فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله فهذا
ديني فاسمعوا وصفه واعرضوه على عقولكم وانظروا فيه بعين الانصاف لتعلموا انه دين لا مدخل فيه للشك
وهو اني لا اعبد الحجارة التي تعبدونها من دون من هو الهكم وخالقكم ولكن اعبد الله الذي
يتوفاكم انما وصفه بالتوفي ليريهم انه الحقيق بان يخاف ويتقى فيعبد دون ما لا يقدر على شيء ولا
يضر ولا ينفع وامرت ان اكون من المؤمنين يعني ان الله امرني بذلك بما ركب في من العقل وبما اوحى الي
في كتابه وقيل معناه ان كنتم في شك من ديني ومما انا عليه أأثبت عليه ام اتركه واوافقكم فلا تحدثوا
انفسكم بالمحال ولا تشكوا في امري واقطعوا عني اطماعكم واعلموا اني لا اعبد الذين تعبدون من دون
الله ولا اختار الضلالة على الهدى وان اقم وجهك للدين حنيفا اي امرت ان اكون من المؤمنين
وبان اقم وجهك للدين اي للدين الاسلام حنيفا اي مائلا الى دين الاسلام عن كل دين والمعنى استقم
ولا تلتفت عنه يمينا ولا شمالا ولا تكونن من المشركين بالميل الى غير دين الاسلام وهو نهي على
طريق التهييج والالهاب لانه معلوم انه لا يكون منهم لكن المراد به ادامة التثبيت والتقوية ولا
تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك اي لا تعبد من دون الله هذه الاصنام والاحجار
فان فعلت معناه فان دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فكنى عنه بالفعل ايجازا
فانك اذا من الظالمين اذا جزاء الشرط وجواب لسؤال مقدر كان سائلا سال عن عقوبة
عباد الاوثان فقال ما عقوبتي لو عبدتها فقيل ان فعلت فانك اذا من الظالمين وجعل
الظالمين لانه لا ظلم اعظم من الشرك ان الشرك لظلم عظيم وان يمسسك الله بضر فلا
كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله قال رضي الله عنه اتبع النهي عن

عبادة الاوثان ووصفها بانها لا تضر ولا تنفع ان الله عز وجل هو الضار النافع الذي ان اصابك بضر
لم يقدر على كشفه الا هو وحده دون كل احد فكيف بالجماد الذي لا شعور به وكذا ان ارادك
بخير لم يرد احد ما يريده بك من فضله واحسانه فكيف بالاوثان فهو الحقيق بان توجه اليه العبادة
دونها وهذا ابلغ من قوله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات
رحمته وذكر في احد الطرفين والارادة في الاخر كانه اراد ان يذكر الامرين جميعا الارادة والاصابة
في كل واحد من الضر والخير وانه لا راد لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما فاوجز الكلام بان ذكر
المس وهو الاصابة في احدهما والارادة في الاخر ليدل بما ذكر على ما ترك مع انه قد ذكر الاصابة
بالخير في قوله يصيب به من يشاء من عباده اي يصيب بالخير من يشاء منهم ومن كان اصابته به مصلحة
والمراد بالمشيئة مشيئة المصلحة وهو الغفور اي عظيم الغفران للتوابين الرحيم بجميع العباد
فلا يعاجل العقوبة ولا يحرم عباده النعمة قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فلم يبق لكم
عذر ولا على الله حجة والمراد بالحق القران والاسلام وجميع ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فمن اهتدى
فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها اي فمن اختار الهدى واتباع الحق فما نفع باختياره
الا نفسه ومن آثر الضلال وهوى النفس فما ضر الا نفسه واللام وعلى دلا على معنى النفع والضر
وكل اليهم الامر بعدما ابانه الحق وازاحة العلل وفيه حث على ايثار الهدى واطراح الضلال
وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الي امركم وحملكم على ما اريد انما انا بشير ونذير بين يدي
عذاب يوم شديد واتبع ما يوحى اليك من الحق والتبليغ والانذار واصبر على دعوتهم الى
الاسلام وعلى اذاهم لك واحتمل اذاهم واعراضهم حتى يحكم الله لك بالنصرة عليهم والغلبة
وهو خير الحاكمين لانه لا يحكم الا بالحق والعدل وقد صبر صلى الله عليه وسلم الى ان ظفره الله
نبيه وفتح مكة فجاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وروي ان هذه الاية
نزلت لما جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصار فقال انكم ستجدون بعدي اثرة فاصبروا
حتى تلقوني يعني اني امرت في هذه الاية بالصبر على ما ساءني من الكفرة فصبرت فاصبروا انتم على
ما يسومونكم الامراء الجورة قال انس فلم يصبروا وروي ان ابا قتادة رضي الله عنه تخلف عن تلقي

معوية حين قدم المدينه وقد تلقته الانصار ثم دخل عليه فقال له مالك لم تتلقنا
قال لم يكن عندنا دواب قال فاين النواضح قال قطعناها في طلبك وطلب ابيك يوم بدر وقد قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار انكم ستلقون بعدي اثرة قال معوية فماذا
قال قال فاصبروا حتى تلقوني قال فاصبر قال اذا نصبر فقال عبد الرحمن بن حسان
الا ابلغ معوية بن حرب امير الظالمين نثا كلامي بانا صابرون ومنظروكم الى يوم التغابن والخصام

سورة هود عليه السلام وهي مائة وثلث وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم الر تعديد للحروف على طريق
التحدي كتاب احكمت اياته اي نظمت نظما رصينا محكما لا يقع فيه نقض ولا خلل
كالبناء المحكم وقيل منعت من الفساد وعن قتادة احكمت اياته من الباطل ثم فصلت كما تفصل
القلائد بالفرائد من دلائل التوحيد والاحكام والمواعظ والقصص او جعلت
فصولا سورة سورة واية اية او فرقت في التنزيل ولم تنزل جملة واحدة او فصل فيها ما
يحتاج اليه العباد اي بين ولخص ومعنى ثم التراخي في الحال لا في الوقت كما تقول هي محكمة
الاحكام ثم مفصلة احسن التفصيل من لدن حكيم خبير اي من عنده احكامها وتفصيلها
وفيه طباق حسن لان المعنى احكمها حكيم وفصلها اي بينها وشرحها خبير عالم بكيفيات
الامور الا تعبدوا الا الله اي احكمت الايات وفصلها من عنده لئلا تعبدوا الا الله
او امركم ان لا تعبدوا الا الله انني لكم منه نذير وبشير اي انذركم منه ومن عذابه
ان كفرتم وابشركم بثوابه ان امنتم وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه
اي امركم بالتوحيد والاستغفار والمعنى استغفروا من الشرك ثم ارجعوا اليه بالطاعة
او استغفروا والاستغفار توبة ثم اخلصوا التوبة واستقيموا عليها كقوله ثم استقاموا
يمتعكم متاعا حسنا اي يطول نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة مرضية من عيشة واسعة
ونعمة متتابعة كقوله فلنحيينه حياة طيبة الى اجل مسمى اي الى ان يتوفاكم ويؤت كل
ذي فضل فضله اي ويعط في الاخرة كل من كان له فضل في العمل وزيادة فيه جزاء

لا يبخس منه او فضله في الثواب والدرجات تتفاضل في الجنة على قدر تفاضل الطاعات وان تولوا اي
تتولوا تعرضوا عن التوحيد والطاعة فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير هو يوم القيامة وصف بالكبير كما وصف
بالعظم والثقل الى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير ثم ذكر عذاب اليوم الكبير بان مرجعهم الى
من هو قادر على كل شيء فكان قادرا على اشد ما اراد من عذابهم لا يعجزه الا انهم يثنون صدورهم
اي يزورون عن الحق وينحرفون عنه لان من اقبل على الشيء استقبله بصدره ومن ازور عنه وانحرف
ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه ليستخفوا منه يعني ويريدون ليستخفوا من الله فلا يطلع رسوله
والمؤمنين على ازورارهم الا حين يستغشون ثيابهم يعني ويريدون الاستخفاء حين
يستغشون ثيابهم كراهة لاستماع كلام الله كقول نوح عليه السلام جعلوا اصابعهم في اذانهم واستغشوا
ثيابهم اي يتغطون بها وجعلوها اغشية لهم ثم قال يعلم ما يسرون وما يعلنون يعني انه لا تفاوت
في علمه بين اسرارهم واعلانهم فلا وجه لتوصلهم الى ما يريدون من الاستخفاء والله مطلع على ثنيهم
صدورهم واستغشائهم ثيابهم ونفاقهم غير نافق عنده روي انها نزلت في الاخنس بن شريق وكان
يظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم المحبة وله منطق حلو وحسن سياق للحديث وكان يعجب
رسول الله صلى الله عليه وسلم مجالسته ومحادثته وهو يضمر خلاف ما يظهر وقيل نزلت في المنافقين انه
عليم بذات الصدور اي بمضمراتها فلا يخفى عليه مرادهم وما من دابة في الارض اراد بالدابة كل
ما دب على الارض من ادمي وبهيمة وسائر الحيوانات التي تدب على الارض الا على الله رزقها جاء
في الرزق بلفظ الوجوب وانما هو تفضل لانه لما ضمن ان يتفضل عليهم رجح التفضل واجبا كنذور
العباد فصار الرزق واجبا على الله تعالى فليهتم المكلف بما وكل اليه من اصلاح اخرته ولا يشتغل
عنه بما ضمن له به رزقه فانه واصل اليه لا محالة ويعلم مستقرها ومستودعها المستقر مكان
الدابة من الارض الذي تستقر فيه ومسكنها والمستودع حيث كانت مودعة من صلب او رحم او
بيضة كل يعني كل واحد من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها في كتاب مبين هو اللوح
المحفوظ يعني ذكرها مكتوب فيه مبين وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام
اولها الاحد واخرها الجمعة وكان عرشه على الماء اي ما كان تحته خلق قبل خلق السموات

ايضا

اى

غير راجح

على ان العرش والماء كانا مخلوقين قبل السموات والارض
والارض ان تعالى عنه فوقها اذ الماء وفيه دليل
وقيل كان الماء على متن الريح والله اعلم بذلك وكيفما كان فالله ممسك كل ذلك بقدرته وكلما
ازدادت الاجرام كانت احوج اليه والى امساكه ليبلوكم متعلق بخلق اي خلقهن لحكمة
بالغة وهي ان يجعلها مساكن لعباده وينعم عليهم فيها بفنون النعم ويكلفهم الطاعات واجتناب
المعاصي فمن شكر واطاع اثابه ومن كفر وعصى عاقبه ولما اشبه ذلك اختبار المختبر قال
ليبلوكم يريد ليفعل بكم ما يفعل المبتلي لاحوالكم الناظر كيف تعملون وهو قوله ايكم احسن عملا
اي اعمل بطاعته ليعلم احسن العقل واشد المتقي وعن النبي صلى الله عليه في تفسيرها ايكم احسن
عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله ثم ذكر حال الكفرة ومكابرتهم للايات والرسل
فقال ولئن قلت لهم يا محمد انكم مبعوثون من بعد الموت اي ولئن قلت لهم لعلكم مبعوثون بمعنى
توقعوا بعثكم وظنوه ولا تبتوا القول بانكاره ليقولن الذين كفروا اي ليقالوا ان هذا الا
سحر اي باطل وخداع واشار بهذا الى القران لانه هو الناطق بالبعث فاذا جعلوه سحرا فقد اندرج
تحته انكار ما فيه من البعث وغيره ولئن اخرنا عنهم العذاب اي عذاب الاخرة وقيل عذاب يوم بدر
وعن ابن عباس هو قتل جبريل المستهزئين منهم الى امة معدودة اي الى اجل وحين معلوم
ليقولن ما يحبسه اي ما يمنعه من النزول استعجالا له على وجه التكذيب والاستهزاء فقال الله تعالى الا
يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم اي اذا اخذتهم سيوف المسلمين لم تغمد عنهم حتى يباد اهل الكفر وتعلو كلمة
الاخلاص وحاق بهم احاط بهم ما كانوا به يستهزءون وهو العذاب والقتل الذي كانوا
يستعجلون وانما وضع يستهزءون مكان يستعجلون لان استعجالهم كان على جهة الاستهزاء
والمعنى ويحيق بهم الا انه جاء على عادة الله في اخباره ولئن اذقنا الانسان منا رحمة اي الانسان
للجنس وقيل هو الوليد بن المغيرة والرحمة النعمة من صحة وامن وجدة ثم نزعناها منه اي سلبنا
تلك النعمة المسلوبة انه ليئوس اي شديد اليأس من ان تعود اليه مثل تلك النعمة المسلوبة قاطع
رجاءه من سعة فضل الله من غير صبر ولا تسليم لقضائه ولا استرجاع كفور عظيم
الكفران لما سلف له من التقلب في نعمة الله نسّاء له ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته

وهم جمع الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وعبد يغوث والاسود بن المطلب والاسود بن الطلاطلة والحارث

انه ليبطر فينسى حالة السلب ويترك حمد الله على ما صرف عنه وهو قوله ليقولن ذهب السيئات عني
اي المصائب التي ساءتني انه لفرح اشر بطر فخور على الناس بما اذاقه الله من نعمائه قد شغله
الفرح والفخر عن الشكر ثم ذكر الله المؤمنين فقال الا الذين صبروا يعني ولكن الذين صبروا
على الشدة والمكاره وعملوا الصالحات في السراء والضراء فان عادتهم ان نالتهم رحمة ان يشكروا
وان زالت عنهم نعمة ان يصبروا اولئك لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير وهي الجنة ولا اكبر جزاء منه
فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك كان المشركون يقترحون على رسول الله صلى الله عليه ايات
تعنتا لا استرشادا لانهم لو كانوا مسترشدين لكانت اية واحدة مما جاء به كافية في ارشادهم
ومما قالوه له ائتنا بقران ليس فيه سب الهتنا حتى نتبعك وقال بعضهم لولا انزل عليك كنز ينفق
به او جاء معه ملك يشهد له بالصدق وكانوا لا يعتدون بالقران ويتهاونون به فكان يضيق
صدر رسول الله صلى الله عليه من كونه يلقي اليهم ما لا يقبلونه ويضحكون منه فحرك الله منه
وهيجه لاداء الرسالة وطرح المبالاة بردهم واستهزائهم بقوله فلعلك تارك بعض ما يوحى
اليك اي لعلك تترك ان تلقيه اليهم وتبلغه اياهم مخافة ردهم له وتهاونهم به وضائق به صدرك
ان تتلوه عليهم ان يقولوا اي مخافة ان يقولوا لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك اي هلا
انزل عليه ما طلبناه نحن من الانزال لكنز ومجيء الملائكة ولم انزل عليه ما لا نريده ولا نطلبه ثم
قال انما انت نذير اي ليس عليك الا ان تنذرهم بما اوحي اليك وتبلغهم ما امرت بتبليغه ولا عليك
ردوا او تهاونوا او طلبوا والله على كل شيء وكيل يحفظ ما يقولون وهو فاعل بهم ما
يجب ان يفعل فتوكل على الله وكل امرك اليه وعليك بتبليغ الوحي بقلب فسيح وصدر منشرح غير
ملتفت الى استكبارهم ولا مبال بسفههم واستهزائهم قال رضي الله عنه وعدل عن ضيق
الى ضائق ليدل على انه ضيق عارض غير ثابت ولان رسول الله صلى الله عليه كان
افسح الناس صدرا ام يقولون اي بل يقولون افتراه اي افترى القران بمعنى كذب به وجاء
به من عند نفسه قل لهم يا محمد فأتوا بعشر سور مثله في النظم والبلاغة مفتريات اي مكذوبات
من عند انفسكم تحداهم اولا بعشر سور ثم بسورة واحدة كما يقول المخابر في الخط لصاحبه اكتب

يتحدى انسانا بمثل ما اتى فاذا بين له العجز عن مثل خطبه قال قد افتضحت منك على سطر واحد وبقلبه
عشر امثاله اى بعشر سور كل واحدة منها مماثلة له في حسن النظم والبيان ومفتريات صفة لعشر سور
لما قالوا افترى القرآن واختلقه من عند نفسك فاودهم على دعواهم وارخى معهم العنان وقال
هبوا انى اختلقته من عند نفسي ولم يوح الي وان الامر كما قلتم فأتوا انتم بكلام مثله مختلق من عند
انفسكم فانتم عرب فصحاء مثلي لا تعجزون عن مثل ما اقدر عليه من الكلام **وادعوا** للاستعانة
على الاتيان بمثله **من استطعتم** من وجدتم وامكنكم **من دون الله** فلا تستعينوا به فهو قادر على
على الاتيان بذلك ولكن استعينوا الكل من دونه **ان كنتم صادقين** في انه مفترى **فان**
لم يستجيبوا لكم فاعلموا جمع الخطاب وهو لكم فاعلموا بعد افراده في قل لان معناه فان لم يستجيبوا
لك وللمؤمنين لان رسول الله صلى الله عليه والمؤمنين كانوا يتحدونهم وقد قال في موضع اخر فان لم
يستجيبوا لك فاعلم ويجوز الجمع لتعظيم رسول الله صلى الله عليه ويجوز ان يكون الخطاب
للمشركين والمعنى فان لم يستجب لكم من تدعونه من دون الله الى المعاونة
على معارضته لعلمهم بالعجز عنه وان طاقتهم اقصر من ان تبلغه **فاعلموا انما انزل بعلم الله**
اي انزل ملتبسا بما لا يعلمه الا الله من نظم معجز للخلق واخبار بغيوب لا سبيل لهم اليه **وان لا**
اله الا هو اي واعلموا عند ذلك ان لا اله الا الله وحده وان توحيده واجب والاشراك به
ظلم عظيم **فهل انتم مسلمون** مبايعون بالاسلام بعد هذه الحجة القاطعة وهذا وجه
حسن مطرد ومن جعل الخطاب للمسلمين فمعناه فاثبتوا على العلم الذى انتم عليه وازدادوا
يقينا وثبات قدم على انه منزل من عند الله وعلى التوحيد ومعنى فهل انتم مسلمون فهل انتم مخلصون
من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها اي من كان همه ومطمح همه صلاح الدنيا و
ما له رسه فيها من المال والبنين وسائر زينتها وشغل بطلب ذلك عن اصلاح آخرته **نوف**
اليهم اعمالهم فيها اي نوصل اليهم اجور اعمالهم وافية كاملة من غير بخس في الدنيا وهو ما ينالون
فيها من الصحة والرزق وقيل هم اهل الرياء يقال للقراء منهم اردت ان يقال فلان قارئ فقد قيل
ذلك ولمن وصل الرحم وتصدق فعلت حتى يقال فقد قيل ولمن قاتل فقتل قاتلت حتى يقال

ان يكون م

في
مما يبغون

اهلي

فلان جرئ فقد قيل ذلك وعن انس بن مالك هم اليهود والنصارى ان اعطوا سائلا او وصلوا
رحما عجل لهم جزاء ذلك بتوسعة في الرزق وصحة في البدن **وهم فيها لا يبخسون** لا ينقصون
ثواب ما يستحقون فاذا وردوا الآخرة وردوا على عاجل الحسرة اذ لا حسنة لهم هناك وهو
قوله **اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار** لاعراضهم في الدنيا عن اسباب النجاة **وحبط ما**
صنعوا فيها اي وبطل الذى صنعوه في الآخرة يعني لم يكن لهم ثواب لانهم لم يريدوا به الآخرة انما
ارادوا به الدنيا وقد وفي لهم ما ارادوا **وباطل ما كانوا يعملون** اي كان عملهم في نفسه باطلا
لانه لم يعمل لوجه صحيح والعمل الباطل لا ثواب له وقرئ وبطل بلفظ الفعل **افمن كان على بينة**
من ربه معناه امن كان يريد الحيوة الدنيا كمن كان على بينة اى لا يساوي طالب الدنيا في الثواب
والدرجة على من كان على بينة اى لا يعقبونهم في المنزلة ولا يقاربونهم والمعنى ان بين الفريقين تفاوتا
بعيدا وتباينا بينا وتقدير الاية افمن كان بهذه الصفة كمن ليس بهذه الصفة فحذف ذكر المضاد
له واراد بهم من آمن من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره كان على بينة من ربه اى على برهان من الله
وبيان ان دين الاسلام حق وهو دليل العقل **ويتلوه** اي ويتبع ذلك البرهان **شاهد منه**
اى شاهد يشهد بصحته وهو القرآن ومعنى منه اى من الله او شاهد من القرآن **ومن قبله**
اي ومن قبل القرآن **كتاب موسى** وهو التوراة اي ويتلو ذلك البرهان ايضا من قبل القرآن
كتاب موسى ثم بين حال كتاب موسى بقوله **اماما** اى كتابا مؤتما به في الدين قدوة فيه **ورحمة**
اي نعمة عظيمة على المنزل اليهم **اولئك** يعني من كان على بينة **يؤمنون به** اي بالقرآن **ومن**
يكفر به من الاحزاب يعني اهل مكة ومن ضامهم من المتحزبين على رسول الله صلى الله عليه **فالنار**
موعده في الآخرة **فلا تك في مرية** في شك **منه** من القرآن او من الموعد بالنار **انه الحق من ربك**
اى ان القرآن او الموعد حق **ولكن اكثر الناس لا يؤمنون** اى لا يصدقون بانه الحق **ومن**
اظلم ممن افترى على الله كذبا المعنى انه لا اظلم لنفسه ممن كذب على الله بانه اتخذ ولدا
وشريكا **اولئك** يعني الكاذبين على الله **يعرضون على ربهم** اي يحبسون في الموقف ويعرض
اعمالهم ويشهد عليهم الاشهاد من الملائكة والنبيين بانهم الكاذبون على الله بانه اتخذ

ولدا وشريكا ويقول الاشهاد وهم الملائكة والانبياء والمومنون هؤلاء الذين كذبوا على ربهم
الا لعنة الله على الظالمين اي المشركين فوا خزياه ووا فضيحتاه الذين يصدون عن سبيل
الله اي يمنعون الناس عن سلوك طريق الحق ويبغونها عوجا اي يصفونها بالاعوجاج وهي
مستقيمة وهم بالاخرة هم كافرون اي بحساب الاخرة وثوابها وعقابها جاحدون وهم الثانية للتاكيد
كفرهم بالاخرة واختصاصهم به اولئك لم يكونوا معجزين في الارض اي ما كانوا يعجزون الله في
الدنيا ان يعاقبهم لو اراد عقابهم وما كان لهم من دون الله من اولياء اي وما كان لهم من
ينصرهم منه ويمنعهم من عقابه ولكنه اراد انظارهم وتاخير عقابهم الى هذا اليوم وهذا من كلام
الاشهاد يضاعف لهم العذاب يعني كلما مضى ضعف جاء ضعف ما كانوا يستطيعون
السمع يعني انهم لشدة اعراضهم عن استماع الحق وكراهيتهم له كانهم لا يستطيعون السمع وهو
عبارة عن تعاميهم عن الحق ويحتمل ان يريد بقوله ما كان لهم من اولياء انهم جعلوا الهتهم اولياء
من دون الله وولايتها ليست بشيء فما كان لهم في الحقيقة من اولياء ثم بين نفي كونهم اولياء بقوله
ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون فكيف يصلحون للولاية وهم لا يقدرون
على السمع والبصر وقوله يضاعف لهم العذاب فاصل بين الكلام لتاكيد عذاب من عبد من لا
يستحق العبادة اولئك الذين خسروا انفسهم خسرانهم انهم اشتروا عبادة الالهة بعبادة الله
فكان خسرانهم في تجارتهم ما لا خسران اعظم منه وهو انهم خسروا انفسهم وضل عنهم اي بطل
وضاع ما اشتروه وهو ما كانوا يفترون من الالهة وشفاعتها لا جرم بمعنى حق ووجب
انهم في الاخرة هم الاخسرون اي لا ترى احدا ابين خسرانا منهم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
اي جمعوا بين الايمان والاعمال الصالحة واخبتوا الى ربهم اي اطمانوا اليه وانقطعوا الى عبادته
بالخشوع والتواضع ماخوذ من الخبت وهي الارض المطمئنة اولئك اصحاب الجنة هم فيها
خالدون بشرهم بانهم اصحاب الجنة الملازمون لها بالخلود في نعيمها مثل الفريقين كالاعمى
والاصم والبصير والسميع شبه فريق الكافرين بالاعمى والاصم وفريق المومنين بالبصير والسميع
وفيه معنيان احدهما ان يشبه الفريقين تشبيهين اثنين والثاني ان التشبيه واحد

في الكشاف

الكافرين من جمع بين العمى والصمم في عدم الانتفاع بما يسمع ويبصر من دلائل الحق والهدى وشبه
فريق المومنين بمن جمع بين صحة البصر والسمع لانتفاعهم بما يسمع ويبصر من دلائل الحق والهدى
هل يستويان يعني الفريقين مثلا يعني تشبيها افلا تذكرون اي افلا تتفكرون لتعقلوا ما بينهما
من التفاوت ولقد ارسلنا نوحا الى قومه يامرهم بالتوحيد ويقول اني لكم نذير مبين من
عذاب الاخرة ان لا تعبدوا الا الله اي انذركم لتوحدوا الله وتتركوا عبادة غيره اني اخاف
عليكم ان خالفتموني وكفرتم عذاب يوم اليم مولم فقال الملأ الذين كفروا من قومه الملأ الاشراف
من قولهم فلان مليء بكذا اذا كان مطيقا له فقيل لهم ملأ لانهم مليئون بكفايات الامور
واضطلعوا بها او لانهم يملؤون القلوب هيبة والمجالس ابهة او لانهم ملاء بالاحلام والاراء
الصائبة ما نراك الا بشرا مثلنا هذا تعريض منهم بانهم احق منه بالنبوة وان الله
لو اراد ان يجعلها في واحد من البشر يجعلها فيهم فكانهم قالوا غايته امرك ان تكون واحدا من
الملأ وموازيا لهم في المنزلة فما جعلك احق منهم بالنبوة دليل قولهم وما نرى لكم علينا من فضل
او اراد والله كان ينبغي ان يكون ملكا لا بشرا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا اي
اخساؤنا يعنون الذين لا شرف لهم ولا مال بادي الرأي ارادوا ان اتباعهم لك انما هو
عن لهم بديهة من غير روية ولا نظر قال رضي الله عنه وانما استرذلوا المومنين لفقرهم
وتاخرهم في الاسباب الدنيوية لانهم كانوا جهالا ما كانوا يعلمون الا ظاهرا من الحياة
الدنيا فكان الاشرف عندهم من له جاه ومال كما ترى اكثر المتسمين بالاسلام يعتقدون
ذلك ويبنون عليه اكرامهم واهانتهم ولقد زل عنهم ان التقدم في الدنيا لا يقرب احدا من الله
وانما يبعده ولا يرفعه بل يضعه فضلا ان يجعله سببا في الاختيار للنبوة والتاهيل لها على
ان الانبياء عليهم السلام بعثوا مرغبين في الاخرة ورفض الدنيا مزهدين فيها مصغرين لشانها
وشان من اخلد اليها فما ابعد حالهم من الاتصاف بما يبعد من الله والتشريف بما هو ضعة عند
وما نرى لكم علينا من فضل اي من زيادة شرف علينا تؤهلكم للنبوة بل نظنكم كاذبين فيما تدعونه
منها قال يا قوم ارايتم اي اخبروني ان كنت على بينة اي على برهان من ربي واتاني رحمة من عنده

من عنده هي البينة التي تشهد بصحة دعواه او النبوة
تشهد بصحة دعواي [...] وقرئ فعميت
عليكم اي خفيت لان الله تعالى لم يطلعكم عليها وشغلكم عن فهمها العناد كم الحق
والمعنى انهم صموا على الاعراض عنها فخلاهم الله وتصميمهم فجعلت تلك التخلية تعمية منه
عليه قوله انلزمكموها وانتم لها كارهون يعني انكرههم على قبولها ونضطركم الى
وانتم تكرهونها ولا تختارونها ولا اكراه في الدين وياقوم لا اسألكم عليه مالا
اطلبكم على تبليغ الرسالة اجرا ان اجري الا على الله اي ما اجري في ذلك الا على الله وهو
الاجر وما انا بطارد الذين امنوا كانوا سألوه طرد المومنين عنه ليومنوا به انفة وكبرا
ان يكونوا معهم على سوا فقال لا يجوز لي طردهم اذ كانوا يلقون الله فيجزيهم بايمانهم ويأخذ
ممن ظلمهم وصغر شأنهم وهو قوله انهم ملاقوا ربهم اي هم مصدقون بلقائه موقنون
بالمور انهم ملاقوه لا محالة والمعنى انهم يلاقون الله فيعاقب من طردهم او يلاقون فيجزيهم
على ما في قلوبهم من ايمان صحيح ثابت كما ظهر لي منهم ولكني اراكم قوما تجهلون
تتسافهون على المومنين وتدعونهم اراذل او تجهلون انهم خير منكم وياقوم من ينصرني
اي من يمنعني من انتقامه ان طردتهم لبنوا منوا نسب طردهم افلا تذكرون اي افلا
لتعلموا ان التماسكم طردهم لا يوجب طردهم ولا يمنعني من عقاب الله ان طردتهم لان الايمان
عند الله انفعكم والطرد لهم يوجب عقاب الله ولا اقول لكم عندي خزائن الله
لا اقول لكم عندي خزائن الله فادعي فضلا عليكم في الغنى حتى تجحدوا فضلي بقولكم وما نرى
علينا من فضل ولا اعلم الغيب اي ولا اقول انا اعلم الغيب حتى تنسبوني الى الكذب والا
او حتى اطلع على ما في نفوس اتباعي وضماير قلوبهم ولا اقول اني ملك حتى تقولوا لي ما
الا بشرا مثلنا ولا اقول للذين تزدري اعينكم لن يوتيهم الله خيرا اي ولا احكم على
استرذلتم من المومنين لفقرهم ان الله لن يوتيهم خيرا في الدنيا والاخرة لهوانهم عليه
تقولون مساعدة لكم ونزولا على هواكم الله اعلم بما في انفسهم اي بما في ضمايرهم
على ان اشق عن قلوبهم والتعرف بسر ذلك منهم حتى اطردهم اني اذا لمن الظالمين

ان قلت شيئا من ذلك او ان طردتهم تكذيبا لكم بعد ما ظهر لي منهم من الايمان يعني تزدري
تفتعل من زرى عليه اذا عابه ويقال ازدرته عينه اي استحقرته واستحقرته قالوا يانوح قد
جادلتنا فاكثرت جدالنا الجدال المجادلة المخاصمة اي قد نشرعت في جدالنا فاكثرته فأتنا
بما تعدنا من العذاب المعجل ان كنت من الصادقين فيما تقول قال انما ياتيكم به الله اي ليس
الاتيان بالعذاب الي انما هو الى من كفرتم به وعصيتموه ان شاء يعني ان اقتضت حكمته
ان يعجله لكم وليس تعجيله شرطا في صدقي لانهم قالوا ان كنت من الصادقين اي ان كنت
صادقا فيما تدعي من النبوة فأتنا بالعذاب واراد وا بذلك المبالغة في التكذيب وما انتم بمعجزين
لله ان شاء تعجيل العذاب لم تقدروا على الامتناع منه ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح
لكم معناه ان اردت ان انصح لكم اي اخلص النصيحة لكم لم ينفعكم نصحي ان كان الله يريد
ان يغويكم يعني الاغواء ان الله اذا عرف من الكافر الاصرار خلاه وشانه ولم يلجئه سمى ذلك
اغواء واضلالا كما انه اذا عرف منه انه يتوب ويرعوي فلطف به وهداه سمى ارشادا وهداية
وقيل معنى ان يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل غوى اذا بشم فهلك والمعنى انكم اذا انتم
من التصميم على الكفر بالمنزلة التي لا ينفعكم نصائح الله ومواعظه وساير الطافه فكيف ينفعكم
نصحي هو ربكم خالقكم ومتولي امركم واليه ترجعون فله ان يتصرف فيكم كيف شاء
ام يقولون اي بل يقولون افتراه اي اختلق ما جاء به من الوحي قل لهم يانوح ان افتريته
فعلي اجرامي معناه ان صح وثبت اني افتريته فعلي عقوبة اجرامي اي افترائي وكان حقي
حينئذ ان تعرضوا عني وتجمعوا علي وانا بريء مما تجرمون اي من اجرامكم في اسناد الافترا
الي فلا وجه لاعراضكم ومعاداتكم واوحي الى نوح انه لن يومن من قومك هذا
اخبار له باليأس من ايمانهم وانه كالمحال الذي لا يتوقع الا من قد امن اي الا من قد وجد
منه ما كان يتوقع من ايمانه وقد للتوقع وقد اصابت محزها فلا تبتئس اي لا تحزن
بأس مستكين بما كانوا يفعلون المعنى لا تحزن بما فعلوه من تكذيبك وايذائك ومعاداتك
فقد حان وقت الانتقام لك منهم واصنع الفلك وهي السفينة لنجاتك ونجاة من معك

بأعيننا اي بمرأنا وبحفظنا اياك حفظ من يراك ويملك دفع السوء عنك والمعنى اصنعها
محفوظا لعاينا باعيننا كان لله معه اعينا تكلاه ان يزيغ في صنعته عن الصواب وان لا
يحول بينه وبين عملها احد من اعدائه ووحينا اي بما نوحي اليك من الالهام الى صنعتها عن
ابن عباس لم يعلم نوح كيف صنعة الفلك فاوحى الله اليه ان يصنعها مثل جؤجؤ الطائر
ولا تخاطبني في الذين ظلموا اي لا تراجعني ولا تدعني في امهالهم واستدفاع العذاب عنهم
بشفاعتك انهم مغرقون اي محكوم عليهم بالاغراق وقد وجب ذلك وقضي به القضاء
وجف القلم فلا سبيل الى كفه ودفعه ويصنع الفلك هذه حكاية الحال الماضية
الى صنع فيها نوح عليه السلام وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه اي استهزؤوا به
وضحكوا منه ومن عمله السفينة وكان يعملها في برية لا ماء فيها بل في بعد من موضع الماء
وفي وقت عز الماء فيه عزة شديدة فكانوا يتضاحكون ويقولون له يا نوح صرت نجارا بعد
ما كنت نبيا قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم يعني في المستقبل كما
تسخرون منا الساعة والمعنى انا نسخر منكم سخرية مثل سخريتكم اذا وقع عليكم الغرق في الدنيا
والحرق في الاخرة وقيل معناه ان تستجهلونا فيما نصنع فانا نستجهلكم فيما انتم عليه من الكفر
والتعرض لسخط الله عز وجل وعذابه فانتم اولى بالاستجهال منا وروي ان نوحا عليه السلام اتخذ
السفينة في سنتين وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسون ذراعا وطولها في
السماء ثلثون ذراعا وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلاثة بطون فحمل في البطن الاول
الوحوش والسباع والهوام وفي البطن الاوسط الدواب والانعام وركب هو ومن معه
في البطن الاعلى مع ما يحتاج اليه من الزاد وحمل معه جسد آدم وجعله معترضا بين
الرجال والنساء وعن الحسن كان طولها الف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة
وروي ان الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا
عنها فانطلق بهم الى كثيب من تراب فاخذ كفا منه فقال اتدرون من هذا قالوا الله
ورسوله اعلم قال هذا كعب بن حام قال فضرب الكثيب بعصاه وقال قم باذن الله

فاذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه وقد شاب فقال له عيسى عليه السلام اهكذا هلكت قال لا ولكني مت وانا شاب ولكني
ظننت انها الساعة فمن ثم شبت قال حدثنا عن السفينة سفينة نوح قال كان طولها الف ذراع ومائتي ذراع
وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات طبقة للدواب والوحوش وطبقة للانس وطبقة للطير ثم
قال له عيسى عد باذن الله كما كنت فعاد ترابا فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه هذا وعيد لهم
اي فسوف تعلمون الذي يأتيه عذاب يخزيه ويعني به اياهم ويريد بالعذاب عذاب الدنيا وهو الغرق
ويحل عليه اي يلزمه كحلول الدين والحق اللازم الذي لا انفكاك له عنه عذاب مقيم وهو عذاب الآخرة
لانه مقيم لا يزول حتى اذا جاء امرنا حتى غاية لقوله ويصنع الفلك اي وكان يصنع الفلك الى ان جاء
وقت الموعد وما بين يصنع وحتى بيان لحال نوح عليه السلام في وقت صنعها كانه قال يصنعها والحال انه كلما
مر عليه ملأ من قومه سخروا منه وذكر ما جرى بينهم الى ان جاء امر الله بالغرق ثم والمعنى حتى
اذا جاء امرنا بالاغراق وفار التنور اي طلع منه الماء وهو تنور نوح قيل كان التنور في مسجد
الكوفة وقيل بالشام لموضع يقال له عين وردة وقيل بالهند وقيل هو تنور آدم وكان من حجارة فصار
الى نوح روي انه قيل لنوح اذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب انت ومن معك في السفينة فلما نبع الماء
من التنور اخبرته امرأته فركب قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين اي من كل ذكر
وانثى واهلك يعني واحمل اهلك وهم ولده لبنيه وعياله والمؤمنين من عترتهم الا من سبق عليه القول
استثنى من اهله من كان في علم الله انه يكفر وهي امرأته واعلة وابنه كنعان وما سبق عليهم القول
بذلك الا للعلم بانه يختار الكفر لا لتقديره عليه وارادته به تعالى الله عن ذلك ومن آمن يعني
واحمل من صدق ذلك من غير اهلك وما آمن معه الا قليل روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
كانوا ثمانية نوح واهله المسلمة وبنوه الثلاثة ونساؤهم وعن محمد بن اسحق كانوا عشرة خمسة رجال
وخمس نسوة وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا وامرأة واولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم
فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها
ومرساها يعني اركبوا فيها مسمين الله او قائلين بسم الله وقت اجرائها ووقت ارسائها او ارادة بسم الله
اجراؤها وارساؤها يروى انه كان اذا اراد ان تجري قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو

قال بسم الله فرست ان ربي لغفور رحيم اي لولا مغفرته لذنوبكم ورحمته اياكم لما نجاكم مما وقع
فيه غيركم من الغرق وهي تجري بهم في موج كالجبال يعني موج الطوفان شبه كل موجة بالجبل في تراكـ
ـمها وارتفاعها والموج ما ارتفع فوق الما عند اضطرابه وزخيره قال رضي الله عنه وكان الما
التقى وطبق ما بين السما والارض وهو الما وكانت السفينة تجري في الما كما تسبح السمكة فمعنى جريها ان ذلك
كان قبل التطبيق وقيل ان نغمر الطوفان الجبال ولذلك قال ابنه ساوي الى جبل يعصمني من الما ونادى
نوح ابنه قيل كان اسمه كنعان وقيل يام وقرى علي عليه ابنها اى ابن امراة نوح ومثله قرى
الحسن قال قتاده سالت الحسن فقال والله ما كان ابنه فقلت ان الله عز وجل حكى عنه ان ابني
من اهلي وانت تقول لم يكن ابنه واهل الكتاب لا يختلفون في انه كان ابنه فقال ومن ياخذ دينه من اهل
الكتاب واستدل بقوله من اهلي ولم يقل مني وكان في معزل يعني في مكان عزل فيه نفسه عن ابيه
وعن مركب المومنين وقيل كان في معزل عن دين ابيه يا بني اركب معنا قيل ناداه بهذا ستيرمن
ولا تكن مع الكافرين فتهلك قال ساوي الى جبل يعصمني من الما اى سانضم الى مكان في جبل يمنعني من الما
فلا اغرق قال نوح بحاله لا عاصم اليوم من امر الله اى لا مانع اليوم من عذاب الله وهو الغرق الذى
امر به الا من رحم اى الا الراحم وهو الله تعالى او لا عاصم اليوم من الطوفان الا من رحم الله اى الا
مكان من رحم الله من المومنين وذلك انه لما جعل الجبل عاصما قال له لا يعصمك اليوم معتصم قط
من جبل ونحوه سوى معتصم واحد وهو مكان من رحمهم الله ونجاهم يعني السفينة وقيل الا من
رحمه الله فهو المعصوم وقرى الا من رحم بضم الرا وكسر الحا وحال بينهما الموج بين نوح
وابنه فكان ابنه من المغرقين وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سما اقلعي اى قال الله يا ارض ابلعي اى
انشفي ما عليك من الما ويا سما اقلعي اى امسكي عن ارسال الما وكما يقال اقلع المطر اذا كف واقلعت الحمى
اذا ارتفعت قال رضي الله عنه نادى الارض والسما بما ينادى به الحيوان المميز وخصصهما بالخطاب من
من سائر المخلوقات ثم امرهما بما يومر به اهل التمييز والعقل من قوله ابلعي ماءك واقلعي الدلالة على
الاقتدار العظيم وان السموات والارض وهذه الاجرام العظام منقادة لتكوينه فيها ما يشا
غير ممتنعة عليه كانها عقلا مميزون قد عرفوا عظمته وجلالته وثوابه وعقابه وقدرته

بلغ

على كل مقدور وتبينوا ما يجب عليهم من طاعته والانقياد له فهم يهابونه ويفزعون من مخالفة امره وغيض الما اى
ونقص الما بابتلاع الارض له من غاضه اذا نقصه وقضي الامر اى انجز ما وعد الله نوحا من هلاك قومه
واستوت اى واستقرت السفينة على الجودي وهو جبل بالموصل وعن قتادة استقلت بهم السفينة على
الما لعشر خلون من رجب وكانت في الما خمسين ومائة يوم واستقرت بهم على الجودي شهرا وهبط بهم
يوم عاشورا وروي انها مرت بالبيت فطافت به سبعا وقد اعتقه الله من الغرق وروي ان نوحا
عليه السلام صام يوم الهبوط وامر من معه فصاموا شكرا لله تعالى وقيل بعدا للقوم الظالمين اى
هلاكا لهم وهو مختص بدعا السو يقال بعد بعدا اى هلك هلاكا لان الهالك بعيد وهو
دعا عليهم من الملائكة او من المومنين ونادى نوح ربه اى دعاه فقال رب ان ابني من اهلي اى بعض
اهلي لانه كان ابنه من صلبه او كان ربيبه فهو بعض اهله لانه مختلف فيه فعند ابن عباس واكثر
المفسرين انه لصلبه وقراه علي عليه والحسن البصري يقضي بانه ربيب فقط قيل والاول اصح لظاهر
الاية وان وعدك الحق اى الثابت الذى لا شك في الوفا به وقد وعدتني ان تنجي اهلي فما اخرج ولدى
منهم وانت احكم الحاكمين اى اعلم الحكام واعدلهم لانه لا فضل لحاكم على غيره الا بالعلم
والعدل قال رضي الله عنه ورب غريق في الجهل والجور من متقلدي الحكومة في زماننا قد لقب
اقضى القضاة ومعناه احكم الحاكمين فاعتبروا واستعبروا قال يا نوح انه ليس من اهلك اى ليس
من اهل دينك وعدتك ان انجيه انه عمل غير صالح هذا تعليل لانتفا كونه من اهله جعلت ذاته
عملا غير صالح مبالغة في ذمه قال رضي الله عنه وفيه اعلام بان قرابة الدين غامرة لقرابة النسب
لا حكم لها معها وان نسيبك في دينك ومعتقدك من الاباعد الاجانب وان كان حبشيا وكنت
قرشيا فهو لصيقك وخصيصك ومن لم يكن على دينك وان كان امس اقاربك رحما فهو ابعد بعيد
منك وقرا الكسائي انه عمل غير صالح اى عملا غير صالح فلا تسالن ما ليس لك به علم قرا نافع
وابن عامر تسالن بفتح اللام وكسر النون وتشديدها وابن كثير مثلها الا انه فتح النون
وقرا الباقون باسكان اللام وكسر النون وتخفيفها والمعنى لا تطلب مني مطلوبا لا تعلم اصواب
هو او غير صواب حتى تقف على كنهه وذكر المسئلة دليل على ان النداء كان قبل ان يغرق حين

الموصل بالعراق على عشر من الكوفة

بلغ

خاف عليه وسمى نداءه سؤالا ولا سؤال فيه لانه قد تضمن معنى السؤال وان لم يصرح به لانه اذا ذكر الموعد
بنجاة اهله في الوقت الذي خاف فيه الغرق على ولده فقد سال وطلب نجاته اني اعظك اي ازجرك
ان تكون من الجاهلين جعل سؤال ما لا تعرف كنهه جهلا وغباوة ووعظه ان لا يعود اليه والى مثله
من افعال الجاهلين قال رضي الله عنه وقد وعد الله نوحا ان ينجي اهله ولم يكن عنده ان ابنه
ليس منهم فلما اشفى على الغرق تشابه عليه الامر لان العدة قد سبقت له وقد عرف ان الله حكيم
لا يجوز عليه فعل القبيح وخلف الميعاد فطلب ازالة الشبهة وطلب ازالة الشبهة واجب وانما زجر
وسمى سؤاله جهلا لان الله تعالى قدم له الوعد بانجاء اهله مع استثناء من سبق عليه القول منهم فكان
عليه ان يعتقد ان في جملة اهله من هو مستوجب للعذاب لكونه غير صالح وان كلهم
ليسوا ناجين وان لا تخالجه شبهة حين شارف ولده الغرق في انه من المستثنين لا من
المستثنى منهم فعوتب على ان اشتبه عليه ما يجب ان لا يشتبه قال رب اني اعوذ بك ان اسالك
ما ليس لي به علم اي استجير بك واعتصم من ان اطلب منك في المستقبل ما لا علم لي بصحته تادبا
بادبك واتعاظا بعظتك والا تغفر لي ما فرط مني في ذلك وترحمني بالتوبة علي اكن من الخاسرين
في العمل قيل يا نوح اهبط اي انزل من السفينة الى الارض بسلام منا اي بسلامة مسلما محفوظا
من جهتنا او مسلما عليك مكرما وبركات عليك اي ومباركا عليك والبركات الخيرات
النامية وذلك انه صار ابا البشر لان جميع من بقي كان من نسله وعلى امم ممن معك اي على امم ناشئة
ممن معك وهي الامم من اولادهم الى اخر الدهر ويحتمل ان يراد الامم الذين كانوا معه في السفينة لانهم
كانوا جماعات وقيل لهم امم لان الامم تتشعب منهم والاول اصح وامم سنمتعهم فيه حذف تقديره
وممن معك امم سنمتعهم وانما حذف لان قوله ممن معك يدل عليه والمعنى ان السلام منا والبركات
عليك وعلى امم يولدون ممن معك وممن معك امم كفار وفساق سنمتعهم اي سنمتعهم في الدنيا
ثم يمسهم منا عذاب اليم وهو عذاب النار وكان نوح عليه السلام ابا للانبياء عليهم السلام والخلق كلهم
بعد الطوفان منه وممن كان معه في السفينة فقد روي انه مات كل من كان معه في السفينة غير ولده
والناس كلهم اولاد نوح ينتسبون اليه وبنوه الثلاثة اثنا وهم سام ابو العرب وفارس والروم

ابو السودان من المشرق الى المغرب ويافث ابو الترك ويأجوج ومأجوج فعلى هذا نوح آدم الصغير
وعن محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيامة وفيما بعده من
المتاع والعذاب كل كافر وعن ابن زيد هبطوا والله عنهم راض ثم اخرج منهم نسلا منهم من رحم
ومنهم من عذب وقيل المراد بالامم الممتعة قوم هود وصالح ولوط وشعيب تلك من انباء الغيب
نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك تلك اشارة الى قصة نوح اي تلك القصة بعض انباء
الغيب نعلمك اياها بالوحي كانت مجهولة لك يا محمد ولقومك من قبل هذا اي من قبل ايحائي
اليك واخباري بها او من قبل هذا العلم الذي كسبته بالوحي او من قبل هذا الوقت فاصبر على
تبليغ الرسالة واذى قومك كما صبر نوح وتوقع في العاقبة لك ولمن كذبك نحو ما قيض لنوح
ولقومه ان العاقبة في الفوز والنصر والغلبة للمتقين قال رضي الله عنه وفائدة قوله ولا قومك
المبالغة في نفي علمه يعني ان قومك الذين انت منهم على كثرتهم ووفور عددهم اذا لم يعلموا اهل الفضل
ولا سمعوها ولا عرفوها فاولى ان لا تعلم بها رجل منهم وفيه معجزة له حيث اخبر عليهم لا نداء اعلام تعجب
والى عاد اخاهم هودا اي وارسلنا الى عاد اخاهم وهودا عطف بيان له قال يا قوم اعبدوا الله
اي اخلصوا له العبادة وحده دون الاوثان ما لكم من اله غيره يحق له العبادة وتستحق التعظيم
ان انتم الا مفترون اي كاذبون تفترون على الله الكذب باتخاذكم الاوثان له شركاء ثم نزه نفسه
عن المطامع بقوله يا قوم لا اسالكم عليه اجرا اي لا اطلب منكم على ما ارسلت به اليكم جعلا ولا مالا
ان اجري اي جزائي الا على الذي فطرني اي ابدع خلقي وذلك الاجر هو ثواب الآخرة قال رضي الله
عنه ما من رسول الا واجه قومه بهذا القول لان النصيحة لا يخلصها ولا يدل على نفي التهمة
فيها الا قطع المطامع وحسمها وما دام شيء منها لم تنجع ولم تنفع افلا تعقلون حين تردون
نصيحة من لا يطلب عليها اجرا الا من الله تعالى ويا قوم استغفروا ربكم اي آمنوا به ثم توبوا
اليه من عبادة غيره لان التوبة لا تصح الا بعد الايمان ثم رغبهم الله الى ذلك بالذكر فايدتهم فقال
يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم المدرار الكثير الدرور اي الصب وانما
قصد استمالتهم الى الايمان وترغيبهم فيه بكثرة المطر وزيادة القوة لان القوم كانوا اصحاب زروع

وبساتين وعمارات حرصًا عليها اشد الحرص فكانوا احوج شيء الى الماء وكانوا اهل الثمر ومن سنه
القوة والبطش والبأس والنجدة مستحرزين بها من العدو ومهيبين في كل ناحية وقيل اراد القوة
في المال وقيل القوة على النكاح وقيل حبس عنهم القطر ثلاث سنين وعقمت ارحام نسائهم وعن الحسن
رضي الله عنه انه وفد على معاوية فلما خرج تبعه بعض حجابه فقال اني رجل
ذو مال ولا يولد لي فعلمني شيئا لعل الله يرزقني ولدا فقال عليك بالاستغفار فكان الرجل يكثر
الاستغفار حتى ربما استغفر في يوم واحد سبعمائة مرة فولد له عشرة بنين فبلغ ذلك معاوية
فقال هلا سألته مم قال ذلك فوفد الحسن وفدة اخرى فسأله الرجل فقال الم تسمع قول هود
ويزدكم قوة الى قوتكم وقول نوح ويمددكم باموال وبنين ولا تتولوا تعرضوا عني وعما ادعوكم
اليه وارغبكم فيه مجرمين مصرين على اجرامكم واثامكم قالوا يا هود ما جئتنا ببينة هذا كذب منهم
وجحود لمعجزاته كما قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه لولا انزل عليه اية من ربه مع فوت اياته
الحصر والمعجز ما جئتنا بمعجزة تبين لنا صدقك في النبوة وما نحن بتاركي الهتنا عن قولك اي ما
نترك الهتنا صادرين عن قولك وما نحن لك بمؤمنين اي وما يصح من امثالنا ان يصدقوا مثلك فيما
يدعوهم اليه وهذا اقناط له من الاجابة واظهار لليأس منها ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا
بسوء اي ما نقول الا هذا القول وهو ان بعض الهتنا اعتراك بسوء اي خبلك ومسك بجنون
لسبك اياها وصدك عنها وعداوتك لها مكافاة لك منها على سوء فعلك بسوء الجزاء فلذلك
انت تتكلم بكلام المجانين وتهذي بهذيان المبرسمين قال رضي الله عنه ولسنا نعجب من اولئك
ان سموا التوبة والاستغفار خبلا وجنونا وهم عاد اعلام الكفر واوتاد الشرك وانما العجب من
قوم من المتظاهرين بالاسلام سمعناهم يسمون التائب عن ذنوبه مجنونا والمنيب الى ربه مختلا
عدهم جهة على عنتهم ما كانوا عليه في ايام جاهليته من المنكرات وما ذاك الا لعرقهم من الالحاد
الى الان ينبض وحب من الزندقة اراد ان يطلع راسه وقد دلت احوالهم المتقدمة على انهم
كانوا جفاة غلاظ الاكباد لا يبالون بالبهت ولا يلتفتون الى النصح ولا تلين شكيمتهم للرشد وهذا
دال على جهل مفرط في عاد وبله متناه حيث اعتقدوا في حجارة انها تنتصر وتنتقم ولعلهم حين

العقاب كانوا يجحدون الثواب قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه اكد براءته
من الهتهم وشركهم ووثقها بما جرت به عادة الناس من توكيدهم الامور بشهادة الله وشهادة الناس
فقال اني اشهد الله على براءتي منكم واشهدوا اني بريء من الذين تشركونه في عبادته من دونه فكيدوني
جميعا اي فكيدوني انتم واحتالوا على اهلاكي في حال اجتماعكم ليس لكم كيدكم انتم وشركاؤكم فاني
لا ابالي بكم وبكيدكم ولا اخاف معرتكم وان تعاونتم علي وانتم الاقوياء الشداد فكيف تضرني
الهتكم وما هي الا جماد لا تضر ولا تنفع وكيف تنتقم مني اذا نلت منها وصددت عن عبادتها ثم لا
تنظرون اي ثم لا تمهلوني ساعة واحدة قال رضي الله عنه من اعظم الايات ان يواجه بهذا
الكلام رجل واحد امة عطاشا الى اراقة دمه يرمونه عن قوس واحدة وما ذاك الا لثقته
بربه عز وجل وانه يعصمه منهم فلا ينشبون فيه مخالبهم ومثل ذلك قال نوح لقومه ثم اقضوا الي
ولا تنظرون اني توكلت على الله اي تسددت امري كله واعتصمت به ربي وربكم ما من دابة الا
هو اخذ بناصيتها لما ذكر توكله على الله عز وجل وثقته بحفظه وكلاءته من كيدهم
وصفه بما يوجب التوكل عليه من اشتمال ربوبيته عليه وعليهم ومن كون كل دابة في
قبضته وملكته وتحت قهره وسلطانه والاخذ بناصيتها وهي مقدم الرأس تمثيل لذلك
لان من اخذ بناصيته فهو قادر عليه ان ربي على صراط مستقيم يريد انه على طريق الحق
والعدل في ملكه لا يفوته ظالم ولا يضيع عنده معتصم به فان تولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به
اليكم معناه اني قد ابلغتكم الرسالة والنصيحة فان تعرضوا لم اعاتب على تفريط في الابلاغ وكنتم
محجوجين بان ما ارسلت به اليكم قد بلغكم فابيتم الا تكذيب الرسالة ومعاداة الرسول وقوله
ويستخلف ربي قوما غيركم ابتداء كلام اي ويهلككم الله ويجيء بقوم اخرين
يخلفونكم في دياركم واموالكم ولا تضرونه بتوليكم شيئا من ضرر قط لانه لا يجوز عليه المضار
والمنافع وانما تضرون انفسكم ان ربي على كل شيء حفيظ اي رقيب عليه مهيمن فما تخفى
عليه اعمالكم ولا يغفل عن مؤاخذتكم او من كان رقيبا على الاشياء كلها حافظا لها وكانت مفتقرة
الى حفظه من المضار لم يضر مثله مثلكم ولما جاء امرنا نجينا هودا والذين امنوا معه قل

كانوا اربعة الاف برحمة منا بسبب الايمان الذي انعمنا عليهم بالتوفيق له بحيث هم سالم
للايمان وعصمناهم من الكفر ثم قال ونجيناهم من عذاب غليظ معنى تكرير التنجية انه ذكر
اولا انه حين اهلك عدوهم نجاهم ثم قال ونجيناهم من عذاب غليظ على معنى وكانت التنجية
التنجية من عذاب غليظ وذلك ان الله عز وجل بعث عليهم السموم وهي ريح حارة فكانت
تدخل في انوفهم وتخرج من ادبارهم فتقطعهم عضوا عضوا وقيل اراد بالتنجية الثانية التنجية من
عذاب الاخرة ولا عذاب اغلظ منه واشد وتلك عاد اشارة الى قبورهم واثارهم كانه قال
سيروا في الارض فانظروا اليها واعتبروا ثم ابتدا ووصف احوالهم فقال جحدوا بايات ربهم
وعصوا رسله لانهم اذا عصوا رسولهم فقد عصوا جميع رسل الله بدليل قوله لا نفرق بين
احد من رسله وقيل لم يرسل الى عاد الا هود عليه السلام واتبعوا امر كل جبار عنيد
الجبار الذي يقتل ما يريد من الظلم ويجبر الناس على ما يشاء والعنيد المعاند وهو المجانب
للحق مع علمه بانه على الباطل يريد رؤساءهم وكبراءهم ودعاتهم الى تكذيب الرسل ومعنى
اتباع امرهم طاعتهم لهم واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة اللعنة هي الابعاد عن رحمة الله
والطرد من رحمته ولما كانوا اتبعوا رؤساءهم دون الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم في
الدارين تكبهم على وجوههم في عذاب الله الا ان عادا كفروا ربهم اي جحدوه الا بعدا
لعاد قوم هود دعاء عليهم بالهلاك وتكرار الا وتكرير النداء على كفرهم والدعاء عليهم
هلاكهم الدلالة على انهم كانوا مستاهلين للدعاء عليهم بالهلاك في حال حياتهم وقوله قوم هود
عطف بيان لعاد لان عادا عادان الاولى القديمة التي هي قوم هود والقصة فيهم والاخرى
ارم يقال لها عاد الاخيرة والى ثمود اخاهم صالحا اي وارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا
قال يا قوم اعبدوا الله اي اخضعوا بالعبادة دون ما تزعمون انها الهة لكم ما لكم من اله
غيره هذا بيان لاختصاصه تعالى بالعبادة واحتج على ذلك بقوله هو انشاكم من الارض
لانه لم ينشئكم منها الا هو ولم يشركه فيها غيره وانشاؤهم منها خلق ادم من التراب
واستعمركم فيها اي امركم بالعمارة وهي متنوعة الى واجب وندب ومباح ومكروه

فالواجب ما يحتاج اليه الانسان لنفسه ولمن يلزمه نفقته ومؤنته والندب عمارة المساجد ومواضع
القرب والمباح عمارة الارض التي يستغنى عنها ولا يقصد بها التكاثر وزينة الدنيا والمكروه ما يراد به الرياء
والسمعة وكانوا ملوك فارس قد اكثروا من حفر الانهار وغرس الاشجار وعمروا الاعمار الطوال
مع ما كان فيهم من عسف الرعايا فسال نبي من انبياء زمانهم ربه عن سبب تعميرهم فاوحى الله اليه انهم عمروا
بلادي فعاش فيها عبادي وعن معويه راى سفيان انه اخذ في احيا الارض في اخر عمره فقيل له فقال ما
حملني عليه الا قول القايل ليس الفتى بفتى لا يستضاء به ولا تكون له في الارض اثاره وقيل استعمركم من
العمر نحو استبقاكم من البقاء وقد جعل من العمرى ومعناه اعمركم في الارض دياركم ثم هو وارثها
عنكم عند انقضاء اجالكم فاستغفروه من الشرك ثم توبوا اليه اي ارجعوا اليه بالطاعة واستقبلوا
على توحيده وطاعته ان ربي قريب اي داني الرحمة سهل المطلب مجيب لمن دعاه وساله قالوا يا صالح
قد كنت فينا اي فيما بيننا مرجوا قبل هذا اي كانت تلوح فيك مخايل الخير وتظهر لنا منك امارات
الرشد فكنا نرجو ان ننتفع بك وتكون مشاورا في الامور ومسترشدا في التدابير فلما نطقت بهذا
القول انقطع رجاؤنا عنك وعلمنا ان لا خير فيك وعن ابن عباس يعني مرجوا فاضلا خيرا نقدمك
على جميعنا وقيل معناه كنا نرجوا ان تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه ثم انكروا عليه
بقولهم اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباؤنا من الاوثان وانا لفي شك مما تدعونا اليه مريب اي موقع في
الريبة وهي التهمة قال يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربي واتاني منه رحمة جاء بحرف الشك وكان
على يقين انه على بينة لان خطابه للجاحدين فكانه قال قدروا اني على بينة من ربي وانظروا واني على الحق
ان تابعتكم وعصيت ربي في اوامره فمن ينصرني من الله ان عصيته اي فمن يمنعني من عذاب الله فما تزيدونني
غير تخسير يعني تخسرون اعمالي وتبطلونها او فما تزيدونني بما تقولون لي وتحملونني عليه غير ان
اخسركم اي انسبكم الى الخسران واقول لكم انكم خاسرون ويا قوم هذه ناقة الله لكم اية انما قال
ناقة الله لانها اية من اياته وانه بيان لحال الناقة اي علامة لصدقي فذروها تاكل في ارض الله اي اتركوها تاكل
مما انبته الله في ارضه فليست الارض لكم ولا ما فيها من انباتكم ولا تمسوها بسوء اي بعقر فياخذكم
من الله عذاب قريب اي عاجل لا تاخير فعقروها فقال تمتعوا اي استمتعوا بالعيش في داركم

لا غيرتم تقع عليكم ثلاثة ايام وقيل في دار الدنيا اي تتصرفون فيها لا تعداد الديار
في بلدكم وتسمى البلاد الديار لانه يدار فيها وعد غير مكذوب اي غير مكذوب فيه قيل عقروها يوم الاربعاء
العذاب ذلك نعني وعد العذاب
وهلكوا يوم السبت فلما جاء امرنا بعذابهم وهو صيحة جبريل التي تزلزلت لها الارض وتقطعت منها
قلوبهم فهلكوا نجينا صالحا والذين آمنوا معه اي والمؤمنين معه نجيناهم من العذاب الذي وقع
على ثمود برحمة منا اي بسبب الايمان الذي انعم عليهم بالتوفيق له ومن خزي يومئذ هذا معطوف على
نجينا ان تقديره ونجيناهم من خزي يومئذ اي من ذله ومهانته وفضيحته ولا خزي اعظم من
خزي من كان هلاكه بغضب الله وانتقامه ويجوز ان يريد بيومئذ يوم القيامة كما فسر العذاب الغليظ
بعذاب الآخرة ان ربك هو القوي لقوله هزله عذابه العزيز الغالب لهم واخذ الذين ظلموا الصيحة
اي صيحة جبريل فاصبحوا في ديارهم جاثمين هامدين موتى لا يتحركون كان لم يغنوا فيها اي هلكوا
وعدموا كانهم لم يقيموا في ديارهم ثم شهر امرهم في الكفر فقال الا ان ثمود كفروا ربهم اي جحدوه
وجحدوا النعمة الا بعدا لثمود اي هلاكا لهم من البعد وهو الهلاك ولقد جاءت رسلنا ابراهيم يريد
الملائكة عن ابن عباس جاء جبريل وملكان معه وقيل جبريل وميكائيل واسرافيل وقيل كانوا تسعة
وعن السدي احد عشر بالبشرى هي البشارة بالولد وقيل بهلاك قوم لوط والظاهر هو الولد قالوا
سلاما اي سلمنا عليك سلاما قال سلام اي امركم سلام او عليكم سلام فما لبث ان جاء بعجل
اي فما لبث في المجيء به بل عجل فيه او فما لبث مجيئه والعجل ولد البقرة ويسمى الحسيل والخشن بلغة اهل
السراة وكان مال ابرهيم صلى الله عليه البقر والحنيذ المشوي بالرضف في اخدود وقيل حنيذ
يقطر دسمه من حنذت الفرس اذا القيت عليه الجل حتى تقطر عرقا فلما رأى ايديهم لا تصل اليه نكرهم
اي انكرهم قيل كان ينزل في طرف من الارض فخاف ان يريدوا به مكروها وقيل كانت عادتهم ان
الواصل اليهم اذا امتنع طعامهم امنوه والاخافوه والظاهر انه احس بانهم ملائكة ونكرهم لانه
تخوف ان يكون نزولهم لامر انكره الله عليه او لتعذيب قومه واوجس منهم خيفة اي اضمر منهم
خوفا ولم يأمن ان يكونوا جاؤا البلاء لما لم يحرموا طعامه فلما رأوا علامة الخوف في وجهه
قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط بالعذاب وانما قالوا لا تخف لانهم رأوا اثر الخوف والتغير في

وجهه او عرفوه بتعريف الله او علموا ان علمه بانهم ملائكة موجب للخوف لانهم كانوا لا ينزلون الا
لعذاب وامرأته نسائه قائمة قيل كانت قائمة وراء الستر تستمع تحاورهم وقيل كانت قائمة على رؤسهم
تخدمهم وفي مصحف عبد الله وامرأته قائمة وهو قاعد فضحكت سرورا بزوال الخيفة او بهلاك
اهل الخبائث او كان ضحكها ضحك انكار لغفلتهم وقد اطلهم العذاب وقيل كانت تقول لابرهيم
اضمم لوطا ابن اخيك اليك فاني اعلم ان ينزل بهؤلاء القوم عذاب فضحكت سرورا لما اتى الامر على
ما توهمت وقيل فضحكت اي فحاضت قال الفرا ولم اسمعه من ثقة فبشرناها باسحق قيل كان
ابرهيم قد ولد له من هاجر اسمعيل وكبر وشب فتمنت سارة ان يكون لها ابن وايست من ذلك
لكبر سنها فبشرت على كبر السن بولد يكون نبيا ويلد نبيا وهو قوله ومن وراء اسحق يعقوب اي
ومن بعد اسحق يعقوب مولود من بعده لانه يعقوب بن اسحق وقيل بشروها بانها تحيى الى ان ترى ولد اسحق
وتعيش الى ان ترى ولد ولده والوراء ههنا بمعنى بعد وقيل الوراء ولد الولد قالت سارة يا ويلتا اصله
يا ويلتي اضاف الويل اليها تعجبا ثم قلبت الياء الفا كما يقال يا عجبا وقرأ الحسن يا ويلتي بالياء على الاصل
أألد وانا عجوز استفهام تعجب وهذا بعلي شيخا اي في حال الشيخوخة قيل بشرت ولها تسعون
سنة ولابرهيم مائة وعشرون سنة ان هذا الذي تذكرونه من الولد بيننا لشيء عجيب ان يولد
ولد من هرمين وهو استبعاد من حيث العادة التي اجراها الله وقيل قالت سارة لجبريل
ما علامة هذا فاخذ عودا يابسا فلواه بين اصابعه فاهتز واخضر قالوا أتعجبين من امر الله اي
من قضائه وقدرته وانما انكرت عليها الملائكة تعجبها لانها كانت في بيت الآيات ومهبط المعجزات
والامور الخارقة للعادات فكان عليها ان تتوقر ولا يعجبها ما يعجب سائر النساء الناشئات في
غير بيوت النبوة وان تسبح الله وتمجده مكان التعجب والى ذلك اشارت الملائكة صلوات الله
عليهم في قوله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت اي ارادوا ان هذه وامثالها مما يكرمكم به رب العزة
ويخصكم بالانعام به يا اهل بيت النبوة فليست بمكان عجب وقوله رحمة الله وبركاته عليكم كلام
مستأنف علل به انكار التعجب كانه قيل اياك والتعجب فان امثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة من الله
عز وجل عليكم وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بني اسرائيل لان الانبياء منهم وكلهم كانوا

من ابرهيم وشأن واهل البيت منصوب على النداء او على الاختصاص لان اهل البيت مدح لهم اذ المراد
اهل بيت خليل الرحمن انه حميد فاعل ما يستوجب الحمد من عباده مجيد كريم كثير الاحسان
اليهم فلما ذهب عن ابرهيم الروع وهو الخيفة التي اوجسها حين انكر اضيافه وجاءته البشرى
باسحق ويعقوب يجادلنا اي اقبل واخذ يجادلنا او المعنى فلما امن ابرهيم وحل محل سروره بالبشرى جرى
واجترأ علينا واخذ يجادلنا في قوم لوط او المعنى يجادل رسلنا ومجادلته اياهم انهم قالوا انا مهلكوا
اهل هذه القرية فقال ارأيتم ان كان فيها خمسون رجلا من المؤمنين اتهلكونها قالوا لا قال
فاربعون قالوا لا قال فثلثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال ارأيتم ان كان فيها رجل مسلم
اتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله وعن
ابن عباس قالوا له ان كان فيها خمسة يصلون رفع عنهم العذاب وعن قتادة ما قوم لا يكون
فيهم عشرة فيهم خير وقيل كان فيها اربعة الاف الف انسان ان ابرهيم لحليم اي غير عجول
على كل من اساء اليه اواه كثير التأوه من الذنوب كما يتوجع المريض منيب تائب راجع الى الله
بما يحب ويرضى وهذه الصفات دالة على رقة القلب والرأفة والرحمة فبين ان ذلك مما حمله
على المجادلة فيهم رجاء ان يرفع عنهم العذاب ويمهلوا لعلهم يحدثون التوبة والانابة
كما حمله على الاستغفار لابيه الكافر يا ابرهيم اي قالت الملئكة يا ابرهيم اعرض عن هذا الجدال
وان كانت الرحمة عادتك فلا يفيدك الجدال انه قد جاء امر ربك اي قضاؤه وحكمه الازلي
لا يصدر الا عن صواب وحكمة وتدبير ومصلحة وانهم آتيهم عذاب غير مردود اي وان العذاب نازل
بالقوم لا محالة لا مرد له بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم اي حزن
بمجيئهم وساءه وصولهم لانه رآهم في احسن صورة واجمل خلقة واطيب رائحة وحسب انهم انس
فخاف عليهم خبث قومه وعلم انه يحتاج الى المدافعة عنهم وانه يعجز عن مقاومة قومه ومدافعتهم
وكانت الملئكة قد اتته في صورة الاضياف وضاق بهم ذرعا اي صدرا وعظم المكروه
عليه وقال هذا يوم عصيب اي شديد من عصبه اذا شده وروي ان الله تعالى قال
للملئكة لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات فلما مشى معهم منطلقا بهم الى منزله

قال لهم اما بلغكم امر هذه القرية قالوا وما امرهم قال اشهد بالله انها لشر قرية في الارض عملا
قال ذلك اربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك احد فخرجت امرأته فاخبرت بهم قومها
فلما علموا بمجيء قوم حسان الوجوه اضيافا للوط قصدوا اذاهم وذلك قوله وجاءه قومه يهرعون
اليه اي يسرعون الى بيته قيل لما اضافهم لوط عليه السلام مضت امرأته عجوز السوء فقالت لقومه
لقد استضاف لوطا قوم لم ار احسن وجوها منهم فجاؤا يسرعون ومن قبل كانوا يعملون السيئات
اي ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون الفواحش ويكثرونها فضروا عليها واعتادوها
وقل عندهم استقباحها فلذلك اسرعوا اليه مجاهرين لا يكفهم حياء وقيل معنى ومن قبل اي
وقد عرف لوط عادتهم في عمل الفواحش قبل ذلك قال يا قوم هؤلاء بناتي اي زوجوهن اراد ان يقي
اضيافه ببناته وذلك غاية الكرم وكان تزويج المسلمات من الكفار جائزا كما زوج رسول الله
صلى الله عليه ابنتيه من عتبة بن ابي لهب ومن ابي العاص بن الربيع قبل الوحي وهما كافران هن اطهر
لكم مما تريدون من الفواحش ومن نكاح الرجال فاتقوا الله بايثارهن عليهم ولا تخزون
اي ولا تهينوني ولا تفضحوني من الخزي او لا تخجلوني من الخزاية وهي الحياء في ضيفي اي في حق ضيوفي
لانهم اذا هجموا على اضيافه بالمكروه لحقته الفضيحة واذا خزي ضيف الرجل او جاره فقد
خزي قال رضي الله عنه وذلك من عراقة الكرم واصالة المروة اليس منكم رجل رشيد اي
رجل واحد يهتدي الى سبيل الحق وفعل الجميل والكف عن السوء والمكروه ويأمر بالمعروف
وينهى عن المنكر قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق اي لستن لنا بازواج فنستحقهن وقيل لما
اتخذوا اتيان الذكور مذهبا ودينا لتواطؤهم عليه كان عندهم انه هو الحق وان نكاح
الاناث من الباطل لكونه على خلاف مذهبهم ويجوز ان يقولوه على وجه الخلاعة والعرض نفي
الشهوة عن البنات ولذلك قالوا وانك لتعلم ما نريد من اتيان الذكور وما لنا فيه من الشهوة
قال لو ان لي بكم قوة اي لو ان معي جماعة اقوى بها عليكم وجواب لو محذوف والمعنى لو ان لي
بكم قوة تمنعني وتنصرني لحلت بينكم وبين المعصية ولفعلت بكم وصنعت او آوي اي انضم الى
ركن شديد اي الى قوي استند اليه واتمنع به فيحميني منكم شبه القوي العزيز بالركن من الجبل

في شدته ومنعته فقالت له الملئكه عند ذلك وقد عصبت عليه يا لوط ان ركنك لشديد وفي الكرم
عن النبي صلى الله عليه قال رحم الله اخي لوطا كان ياوي الى ركن شديد وروي ان لوطا عليه
اغلق بابه حين جاؤا اليه وجعل يرادهم ما حكى الله عنه ويجادلهم ويعرض بناته والنهي عن
اخزائه في ضيفه فتسوروا الجدار فلما رات الملائكه ما لقي لوط عليه من الكرب قالوا يا لوط
انا رسل ربك لنصرتك عليهم لن يصلوا اليك بسوء تكرهه وانا نحول بينهم وبين ذلك فافتح الباب
ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستاذن جبريل ربه في عقوبتهم فاذن له فقام في الصورة
التي يكون فيها فنشر جناحه وله جناحان وعليه وشاح منظوم وهو براق الثنايا فضرب بجناحه
وجوههم فطمس اعينهم فاعماهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون النجا النجا فان
في بيت لوط قوما سحرة ولما اراد الله تعالى هلاكهم واستيصال شافتهم امر لوطا بالخروج من بينهم بقوله
فاسر باهلك قيل لم يومن بلوط عليه الا ابنتاه الكبرى اسمها ربه والصغرى عزوبه والمراد
بالاهل ابنتاه بقطع من الليل والقطع ظلمة الليل آخر ولا يلتفت منكم احد اي لا ينظر وراءه اذا خرج
من قريته الا امراتك فلا تسر بها وخلفها مع قومها فان هواها اليهم وفي امراتك قراءتان
النصب والرفع فمن نصب جعلها مستثناة من الاهل على معنى فاسر باهلك الا امراتك ومن رفع
المعنى ولا يلتفت منكم احد الا امراتك قيل كانت مع لوط حين خرج من القرية فلما سمعت هدة
العذاب التفتت وقالت واقوماه فادركها حجر فاهلكها وهو قوله انه مصيبها
ما اصابهم من العذاب لكفرها ان موعدهم الصبح اي لنزول العذاب عليهم وروي انه قال لهم
متى موعد هلاكهم قالوا الصبح قال اريد اسرع من ذلك يا جبريل فقالوا له اليس الصبح بقريب فلما جاء امرنا
الملائكه بالعذاب جعلنا عاليها سافلها الضمير يعود الى المؤتفكات وذلك ان جبريل عليه
ادخل جناحه تحت مداين قوم لوط حتى قلعها ثم رفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب
وصياح الديكه ونهيق الحمير لم تسقط لهم جرة ولم تنكسر لهم اناء وكان الطير يجرح في الهوى ولا
اين يذهب ثم قلبها عليهم مكانها واتبعوا الحجارة من فوقهم وهو قوله وامطرنا عليها حجارة من
سجيل اي من طين مطبوخ حتى صار كالآجر وقيل حجارة صلبة ليست من الثلج والبرد

وقيل هي كلمة معربة من سنك وكل بالفارسية منضود متتابع يرسل بعضه في اثر بعض
وقيل نضد في السماء نضدا معدا للعذاب مسومة معلمة للعذاب يعرف انها ليست من حجارة
الدنيا وعن الحسن كانت معلمة ببياض وحمرة وقيل كان مكتوب على كل واحد اسم من يرمى به
عند ربك اي في خزائنه التي لا يتصرف في شيء منها الا باذنه وما هي من الظالمين ببعيد يعني كفار قريش
وعن النبي صلى الله عليه انه سال جبريل عليه عن هذه الاية فقال يعني ظالمي امتك ما من ظالم
منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير في وما هي للقرى قوم لوط اي هي
قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في اسفارهم فليعتبروا والى مدين اخاهم شعيبا اي وارسلنا
الى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان هذا
تقليل للتوحيد واختصاصه بالعبادة واهل مدين هم قوم شعيب ومدين اسم قريتهم سميت بمدين
بن ابراهيم وكانوا اهل تطفيف ونقص في الكيل والوزن فنهاهم عنه وقال اني اراكم بخير
بثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف او معناه اراكم بنعمة من الله حقها ان تقابل بالشكر
وبغير ما تفعلون او اراكم بخير فلا تزيلوه عنكم بما انتم عليه من الظلم واني اخاف عليكم عذاب
يوم محيط اي مهلك واصله من احاطة العدو وهو يوم القيمة ووصف اليوم بالاحاطة ابلغ
من وصف العذاب بها لان اليوم زمان يشتمل على الحوادث فاذا احاط بما فيه من العذاب فقد
اجتمع للمعذب جميع ما اشتمل عليه منه ويا قوم اوفوا المكيال والميزان نهاهم اولا
عن عين القبيح الذي كانوا عليه من نقص المكيال والميزان لان في التصريح بالقبيح تعييرا لفاعله
ليرتدع عنه ثم قال اوفوا فامرهم بالايفاء الذي هو حسن في العقول مصرحا بلفظ الامر لزيادة الترغيب
فيه وقال بالقسط اي بالعدل والتسوية لان ما جاوز العدل فضل ومندوب اليه
اشارة الى ان يتوخى بالوفاء القسط ولا تبخسوا الناس اشياءهم البخس هو النقص والظلم وكانوا يبخسون
من كل شيء يباع شيئا كما تفعل السماسرة او كانوا ينقصون من اثمان ما يشترون من الاشياء او كانوا
يمكسون الناس فنهوا عن ذلك قال ابن عباس انكم معشر الاعاجم قد وليتم امرين هلك بهما من
كان قبلكم من الامم المكيال والميزان وكان ابن عمر يمر بالبائع فيقول اتق الله واوف الكيل والوزن

المراد معروض

الموفي عليه ادرج
السمسار الذي يتوسط بين البايع والمشتري

ولا تعثوا في الارض مفسدين العثي اشد الفساد والعثي في الارض نحو السرقة والغارة وقطع
السبيل ويجوز ان يجعل التطفيف والبخس عيثا منهم في الارض بقية الله اي ما ابقى لكم
من الحلال بعد التنزه عما هو حرام عليكم خير لكم مما انتم عليه ان كنتم مؤمنين اي بشرط
ان تؤمنوا قال رضي الله عنه وشرط الايمان لظهور فائدتها معه من حصول الثواب مع
النجاة من العقاب والا فبقية الله خير للكفرة ايضا لانهم يسلمون معها من عذاب التطفيف
والبخس لكن فائدة البقية تعم في حكم المعدومة لانغماسهم في عذاب الكفر وفيه تنبيه على
عظم الايمان واضاف البقية الى الله من حيث انها رزقه الحلال الذي يجوز ان يضاف اليه واما
الحرام فلا يضاف الى الله ولا يسمى رزقا وقرئ تقية الله بالتاء اي تقواه وخوفه التي تصرف عن المعاصي
والقبائح وما انا عليكم بحفيظ اي وما بعثت لاحفظ عليكم اعمالكم واجازيكم عليها وانما
بعثت مبلغا ومنبها على الخير وناصحا وقد اعذرت حين انذرت قالوا يا شعيب اصلواتك
تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا او ان نفعل في اموالنا ما نشاء كان شعيب عليه السلام كثير الصلوات
وكان قومه اذا رأوه يصلي تغامزوا وتضاحكوا فقصدوا بقولهم اصلواتك تامرك الاستهزاء والهزء
والصلوة وان جاز ان تكون آمرة على طريق المجاز كما كانت ناهية في قوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء
والمنكر الا انهم ساقوا الكلام مساق الطنز والسخرية وجعلوا الصلوة آمرة على سبيل التهكم
وارادوا ان هذا الذي تامرنا به من ترك عبادة الاوثان باطل لا وجه لصحته وان مثله لا
يدعوك اليه داعي عقل ولا يامرك به آمر فطنة فلم يبق الا ان يامرك به آمر هذيان ووسوسة
شيطان وهو صلواتك التي تداوم عليها في ليلك ونهارك وعندهم انها من باب الجنون
ومما يولع به المجانين ومعنى تامرك ان نترك اي تامرك بتكليف ان نترك ما يعبد اباؤنا من الاوثان
فحذف المضاف الذي هو تكليف وهو مراد لان الانسان لا يؤمر بفعل غيره والمعنى تامرك ان
تكلفنا على ترك ما يعبد اباؤنا او على ترك ان نفعل في اموالنا ما نشاء بل نفعل الامر فيها على ارادتنا او
او ان تفعل في اموالنا ما تشاء بتاء الخطاب وهو ما كان يامرهم من ترك التطفيف والبخس والاقتصار
على الحلال القليل على الحرام الكثير وقيل كان ينهاهم عن حذف الدراهم والدنانير وتقطيعها واراد

بقولهم انك لانت الحليم الرشيد نسبته الى غاية السفه والجهل فعكسوا ليتهكموا به كما
يقال للشحيح عظيم البخل لو ابصرك حاتم لسجد لك وقيل معناه انك انت المتواصف بالحلم
والرشد في قومك يعنون ان ما امرتنا به لا يطابق حالك وما شهرت به من الحلم والرشد قال يا قوم
ارأيتم ان كنت على بينة من ربي اي بيان وحجة ورزقني منه اي من لدنه رزقا حسنا
اي حلالا طيبا وذلك انه كان كثير المال وقيل هو النبوة والحكمة وجواب ارأيتم محذوف ومعنى
الكلام يدل عليه والمعنى اخبروني ان كنت على حجة واضحة ويقين من ربي وكنت نبيا
على الحقيقة ايصح لي الا امركم بترك عبادة الاوثان والكف عن المعاصي والانبياء
لا يبعثون الا لذلك وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه اي لست انهاكم عن شيء
وادخل فيه وانما اختار لكم ما اختار لنفسي ان اريد الا الاصلاح اي ما اريد الا ان اصلحكم
بموعظتي ونصيحتي وامري بالمعروف ونهيي عن المنكر ما استطعت اي مدة استطاعتي
للاصلاح وما دمت متمكنا منه لا آلوه جهدا وما توفيقي الا بالله اي وما كوني موفقا
لاصابة الحق فيما آتي واذر ووقوعه موافقا لرضى الله الا بمعونته وتاييده والمعنى انه استوفق
ربه في امضاء الامر على سننه وطلب منه التاييد والاظهار على عدوه وفي ضمنه تهديد للكفار
وقطع لاطماعهم فيه عليه توكلت واليه انيب اي ارجع في المعاد ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي
اي لا يكسبنكم خلافي وعداوتي ان يصيبكم عذاب العاجلة مثل ما اصاب قوم نوح من
الغرق او قوم هود من الريح العقيم او قوم صالح من الرجفة والصيحة والمعنى لا
يكسبنكم عداوتي اصابة العذاب لكم مثل ما اصاب قوم هؤلاء كما اكسبت عداوتهم
لانبيائهم وقرأ ابن كثير لا يجرمنكم بضم الياء اي لا يجعلنكم شقاقي كاسبين اصابة عذاب
مثل ما اصاب هؤلاء قال رضي الله عنه والقراءتان مستويتان في المعنى لا تفاوت بينهما
الا ان المشهورة افصح وما قوم لوط منكم ببعيد يعني انهم اهلكوا في عهد قريب من عهدكم
ثم اقرب الهالكين منكم فاعتبروا واتعظوا او لا يبعدون منكم في الكفر والمساوي وما
يستحق به الهلاك فاحذروا امثال هلاكهم واستغفروا ربكم اي امنوا به ثم توبوا اليه

ودود

اي توصلوا اليه بالتوبة فانها لا تصح الا مع الايمان ثم رغبهم بقوله ان ربي رحيم باوليائه
اعظم الرحمة للتائبين فاعل بهم ما يفعل البليغ المودة بمن يوده من الاحسان والاجمال قالوا يا
شعيب ما نفقه اي ما نفهم كثيرا مما تقول من التوحيد والبعث وما امرتهم به من الزكاة
وترك البخس لانهم كانوا لا يلقون اليه اذهانهم رغبة عنه وكراهة له او كانوا
يفهمونه ولكنهم لم يقبلوه فكانهم لم يفهموه وقالوا ذلك على وجه الاستهانة كما يقول
الرجل لصاحبه اذا لم يعبأ بحديثه ما ادري ما تقول او جعلوا كلامه هذيانا وتخليطا
لا ينفعهم كثير منه وكيف لا يفهم كلامه وهو خطيب الانبياء وانا لنراك فينا ضعيفا لا قوة
لك ولا عز فيما بيننا ولا تقدر على الامتناع منا ان اردنا بك مكروها ولولا رهطك عشيرتك
والرهط من الثلاثة الى العشرة وقيل الى السبعة وانما قالوا ولولا رهطك احتراما لهم واعتدادا بهم
لانهم كانوا على ملتهم لا خوفا من شوكتهم وعزتهم لرجمناك لقتلناك شر قتلة وهي القتلة بالرجم وما
انت علينا بعزيز اي لا تعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن الرجم وانما يعز
علينا رهطك لانهم من اهل ديننا لم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا فهم النسب في مجالسنا
بنا قال يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله اي اهم اعظم حرمة وامنع عليكم من الله حتى تركتموني
لهم دون الله كانه يقول حفظكم اياي في الله اولى منه في رهطي وتتركون ان تعظموا الله وتخافوه
ان ربي بما تعملون محيط خبير قد احاط باعمالكم علما فلا يخفى عليه شيء منها ثم هددهم
فقال ويا قوم اعملوا على مكانتكم اي اعملوا قادرين على جهتكم التي انتم عليها من الشرك والشنآن
لي او اعملوا متمكنين من عداوتي مطيقين لها اني عامل على قدر ما يؤتيني الله من النصرة والتأييد
عليكم سوف تعلمون من يأتيه اي سوف تعلمون اينا يأتيه عذاب يخزيه اي يذله ويفضحه
ومن هو كاذب اي وانا هو كاذب او معناه سوف تعلمون الشقي الذي يأتيه عذاب يخزيه والذي
هو كاذب منا وارتقبوا اي وانتظروا العاقبة وما اقول لكم اني معكم رقيب اي منتظر والرقيب
بمعنى الراقب ولما جاء امرنا وهو انزال العذاب عليهم نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة
منا وهو توفيقهم للايمان واخذت الذين ظلموا الصيحة هي العذاب صاح بهم جبريل صيحة

هو

فزهق روح كل واحد منهم في مكانه فاصبحوا في ديارهم جاثمين الجاثم اللازم لمكانه لا يبرح كأن لم
يغنوا فيها اي كان لم يقيموا في ديارهم احياء مستعرضين مترددين الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود البعد الهلاك
والمعنى الا هلاكا لمدين كما هلكت ثمود وقرئ بعدت بضم العين والمعنى واحد وهو البعد الذي هو
نقيض القرب الا انهم ارادوا التفرقة بين البعد من جهة الهلاك وقيل معناه بعدا لهم من رحمة الله
كما بعدت ثمود منها ولقد ارسلنا موسى باياتنا يريد التوراة وما انزل فيها من الاحكام وسلطان مبين
يحتمل ان يراد ان هذه الايات فيها سلطان مبين لموسى على صدق نبوته وان يراد بالسلطان المبين العصا
لانها ابهرها الى فرعون وملئه اي اشراف قومه لان الرسالة تكون الى الاكابر المتبعين فاتبعوا امر
فرعون في ضلاله وكفره وما امر فرعون برشيد اي مرشد الى خير وهذا تجهيل لمتبعيه حيث تابعوه
على امره وهو ضلال مبين لا يخفى على من فيه ادنى مسكة من العقل وذلك انه ادعى الالهية وهو بشر
مثلهم وجاهر بالعسف والظلم والشر الذي لا ياتي الا من شيطان مارد فمثله بمعزل عن الالهية ذاتا
وافعالا فاتبعوه وسلموا له دعواه وتتابعوا على طاعته والامر الرشيد الذي فيه رشد اي وما في امره
رشد انما هو غي صريح وضلال ظاهر وانما يتبع العقلاء من يرشدهم ويهديهم لا من يضلهم ويغويهم يقدم
قومه يوم القيامة يقال قدمه بمعنى تقدمه اي كما كان قدوة لهم في الضلالة كذلك يتقدمهم الى
النار وهم يتبعونه فاوردهم النار اي ادخلهم وقال فاوردهم ولم يقل فيوردهم لما فيه من الدلالة
على انه كائن لا محالة لان الماضي يدل على امر موجود مقطوع به فكانه قيل يقدمهم فيوردهم النار لا
محالة وبئس الورد المورود الورد المورود والمورود الذي ورد وشبه فرعون بالفارط الذي يتقدم
الواردة الى الماء وشبه اتباعه بالواردة ثم قيل بئس الورد الذي يردونه النار لان الورد انما يراد
لتسكين العطش وتبريد الاكباد والنار ضد ذلك واتبعوا في هذه اللعنة اي يلعنون في
الدنيا ويوم القيامة اي ويلعنون في الاخرة بئس الرفد المرفود رفدهم اي بئس العون المعان كأنما
اعينوا به من اللعن وذلك ان اللعنة في الدنيا رفد للعذاب اي عانة له وزيادة فيه وقد رفدت
باللعنة في الاخرة وقيل بئس العطاء المعطى اي بئس ما اعطوا من اللعن لان الرفد معناه العطاء ذلك
نبأ ما تقدم من الخبر من انباء القرى اي من اخبار القرى المهلكة نقصه عليك اي نخبرك بها

اي ذلك الحديث بعض انباء القرى المهلكة مقصوص عليك بالوحي منها
قائم وحصيد الضمير للقرى اي بعضها قائم باق وبعضها عافي الاثر كالزرع القائم على ساقه
والذي قد حصد وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما به اهلكوا فما
اغنت عنهم الهتهم التي يدعون من دون الله من شيء اي فما قدرت الهتهم التي يعبدون من دون
الله ان ترد عنهم من عذاب الله من شيء لما جاء امر ربك وهو عذابه ونقمته وما زادوهم غير
تتبيب اي تخسير يقال تب اذا خسر وتببه غيره اذا اوقعه في الخسران والهلاك وكذلك اي ومثل
ذلك الاخذ اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة اي اخذها حال ظلم اهلها ان اخذه
اليم شديد اي شديد وجيع فيه غاية الشدة قال رضي الله عنه وهذا تحذير من وخامة
عاقبة الظلم لكل اهل قرية ظالمة من كفار مكة وغيرها بل لكل ظالم غيره او نفسه بذنب
يقترفه فعلى كل من اذنب ان يحذر اخذ ربه الاليم الشديد فيبادر التوبة ولا يغتر بالامهال
ان في ذلك اشارة الى ما قص الله من قصص الامم الهالكة بذنوبهم لآية اي لعبرة وموعظة
لمن خاف عذاب الآخرة لانه اذا رأى ما نزل بالمجرمين في الدنيا وما هو الا انموذج مما اعد لهم
في الآخرة اعتبر به عظم العذاب الموعود فيكون له عبرة وعظة ولطفا في زيادة التقوى والخشية
من الله ذلك يوم مجموع له الناس يعني يوم القيمة لما فيه من الحساب والثواب والعقاب وذلك
يوم مشهود اي يشهد فيه الخلائق الموقف لا يغيب عنه احد والمراد بالمشهود الذي كثر
شاهدوه لان الغرض وصف ذلك اليوم بالهول والعظم وتميزه من بين الايام فان جعلته مشهودا
في نفسه فسائر الايام كذلك مشهودات كلها ولكن لجعل مشهودا فيه حتى يحصل التميز
كما تميز يوم الجمعة عن ايام الاسبوع بكونه مشهودا فيه دونها ولا يجوز ان يكون مشهودا في نفسه
لان ايام الاسبوع مثله يشهدها كل من يشهده وما نؤخره الا لاجل معدود اي الا لانتهاء مدة
معلومة لان الغاية انما هو للمدة لا لغايتها ومنتهاها يوم يأتي يعني ذلك اليوم لا تكلم نفس الا باذنه
فلا يتكلمون من الكلام الا بالحق وهم ماذونون فيه فمنهم يعني اهل الموقف ولم يذكر لان ذلك معلوم
شقي وسعيد الشقي الذي وجبت له النار لاساءته والسعيد الذي وجبت له الجنة لاحسانه

الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق الزفير اخراج النفس والشهيق رده والمراد بهما
اصوات المكروبين المحزونين خالدين فيها ما دامت السموات والارض قيل المراد سموات الآخرة
وارضها وهي دائمة مخلوقة للابد بدليل قوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وقيل هذا عبارة
عن التابيد ونفي الانقطاع كقول العرب ما دام تعار وما لاح كوكب وغير ذلك من كلمات التابيد الا ما
شاء ربك هذا استثناء من الخلود في عذاب النار ومن الخلود في نعيم الجنة وذلك ان اهل النار
لا يخلدون في عذاب النار وحده بل يعذبون بالزمهرير وبانواع من العذاب سوى عذاب النار
وبما هو اغلظ منها كلها وهو سخط الله عليهم واهانته لهم كانه قيل الا وقت مشيئة ربك
لتعذيبهم بغير النار ان ربك فعال لما يريد اي يفعل باهل النار ما يريد من العذاب كما يعطي اهل
الجنة ما شاء من الثواب واما الذين سعدوا بالاحسان في اعمالهم كما شقي اولئك بالاساءة ففي
الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض هذا مثل الاول في التابيد ونفي الانقطاع الا ما
شاء ربك اي الا وقت مشيئة ربك ان يتفضل عليهم بنعيم سوى ثواب الجنة مما لا يعرف كنهه
ولا يعلم حقيقته الا الله وما هو اعظم من ذلك كله وهو رضوان الله عليهم ويحله لهم وتعظيمه
اياهم فهذا هو المراد بالاستثناء والدليل عليه قوله عطاء غير مجذوذ اي غير مقطوع ولكنه ممتد
الى غير نهاية كانه قيل الا ما شاء ربك من اعطائهم غير ذلك وقوله عطاء غير مجذوذ في مقابلة
قوله ان ربك فعال لما يريد بطل قول المجبرة ان المراد بالاستثناء خروج اهل النار بالشفاعة
فتامله فان القرآن يفسر بعضه بعضا فلا يخدعنك عنه قولهم معنى فعال لما يريد انه يفعل
باهل النار ما يريد من العذاب الذي لا انقطاع له كما يعطي اهل الجنة عطاءه الذي لا انقطاع
له قال رضي الله عنه وباطنك تقوم به ادلة كتاب الله لما روى لهم بعض الحشوية عن
عبد الله بن عمرو بن العاص ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه ابوابها ليس فيها احد وذلك بعدما
يلبثون فيها احقابا وقد بلغني ان من الضلال من اغتر بهذا الحديث فاعتقد ان الكفار
لا يخلدون في النار وهذا من الخذلان المبين زادنا الله هداية الى الحق ومعرفة بكتابه
وتنبيها على ان نغفل عنه ولئن صح هذا عن ابن العاص فمعناه انهم يخرجون من حر النار

يعني المجبرة

الى يزيد الدهور فذلك خلو جهنم وصفق ابوابها واقول اما كان لابن عمرو في سقيفته ومعناه
بما على الحطالت علم ماشغله عن تبيين هذا الحديث فلا تك في مرية مما يعبد هولاء لما قص الله
قصص عبدة الاوثان وذكر ما احل بهم من نقمه وما اعد لهم من عذابه قال فلا تك في مرية مما يعبد
هولاء اى فلا تشك بعد ما انزل اليك من هذه القصص في سوء عاقبة عبادتهم وتعرضهم بها لما
اصاب امثالهم قبلهم تسلية لرسول الله صلى الله عليه وعدة بالانتقام منهم ووعيدا لهم ثم قال ما
يعبدون الا كما يعبد اباؤهم من قبل يريد ان حالهم في الشرك مثل حال ابائهم من غير تفاوت بين
الحالين وقد بلغك ما نزل بابائهم فسينزل بهم مثله وانا لموفوهم نصيبهم اى حظهم من العذاب كما
وفينا اباءهم انصباءهم غير منقوص بل تاما وافيا ولقد اتينا موسى الكتاب وهو التوراة جملة
واحدة فاختلف فيه امن به قوم وكفر به قوم كما اختلف في القران ولولا كلمة سبقت من ربك
يعني كلمة الانظار الى يوم القيمة لقضي بينهم بين قوم موسى او قومك وهذا من جملة التسلية ايضا
وانهم لفي شك منه اى من القران مريب اى موقع للريبة وان كلا اى وان كلهم لما
ليوفينهم ربك اعمالهم من حسن وقبيح وايمان وجحود واللام في ليوفينهم جواب قسم محذوف واللام
لما موطئة للقسم وما مزيدة والمعنى وان جميعهم والله ليوفينهم ربك اعمالهم اى ليجزين لهم جزاء
البر والفاجر والمؤمن والكافر انه بما يعملون خبير فيجازيهم عليه فاستقم كما امرت اى
استقم استقامة مثل الاستقامة التي امرت بها على جادة الحق غير عادل عنها ومن تاب
معك يعني اصحابه اى وليستقيموا ايضا على ما امروا به ولا تطغوا اى لا تخرجوا عن حدود
الله وتواضعوا لله ولا تجبروا على احد انه بما تعملون بصير اى عالم فهو مجازيكم به قال
ابن عباس ما نزل على رسول الله صلى الله عليه في جميع القران اية اشد ولا اشق عليه من
هذه الاية ولهذا قال شيبتني هود والواقعة واخواتهما وروى ان اصحابه قالوا له لقد اسرع
فيك الشيب فقال صلى الله عليه شيبتني هود وعن بعضهم رايت رسول الله صلى الله عليه في
النوم فقلت له روي عنك انك قلت شيبتني هود فقال نعم فقلت ما الذي شيبك منها اقصص الانبياء
وهلاك الامم قال لا ولكن قوله فاستقم كما امرت وعن جعفر الصادق عليه فاستقم كما امرت اى

كما مر
ن
شيبتني

الى الله بصحة العزم ولا تركنوا الى الذين ظلموا اى لا تميلوا اليهم ولا ترضوا باعمالهم فتمسكم
النار اى فتصيبكم بلفحها قال رضي الله عنه والنهي متناول للانحطاط في هواهم والانقطاع
اليهم ومصاحبتهم ومجالستهم وزيارتهم ومداهنتهم والرضى باعمالهم والتشبه بهم والتزيي بزيهم
ومد العين الى زهرتهم وذكرهم بما فيه تعظيم لهم وتامل قوله ولا تركنوا فان الركون هو
الميل اليسير وقوله الى الذين ظلموا اى الى الذين وجد منهم الظلم ولم يقل الى الظالمين وحكي عن
بعضهم انه صلى خلف امام فقرا بهذه الاية فغشي عليه فلما افاق قيل له فقال هذا فيمن ركن الى من
ظلم فكيف بالظالم ولما خالط الزهري السلاطين كتب اليه اخ له في الدين عافانا الله واياك ابا بكر من
الفتن فقد اصبحت بحال ينبغي لمن عرفك ان يدعو لك الله ويرحمك اصبحت شيخا كبيرا وقد اثقلتك
نعم الله بما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه وليس كذلك اخذ الله الميثاق على العلماء
قال لتبيننه للناس ولا تكتمونه واعلم ان ايسر ما ارتكبت واخف ما احتملت انك انست وحشة
الظالم وسهلت سبيل الغي له بدنوك ممن لم يؤد حقا ولم يترك باطلا حين ادناك واتخذوك
قطبا تدور عليك رحى باطلهم وجسرا يعبرون عليك الى بلائهم وسلما يصعدون فيك الى ضلالهم
يدخلون الشك بك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهلاء فما ايسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا
عليك وما اكثر ما اخذوا منك فيما افسدوا عليك من دينك فما يؤمنك ان تكون ممن قال
الله فيهم فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا فانك
تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك فقد دخله سقم وهيئ زادك فقد حضر
السفر البعيد وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء والسلام وقال سفيان في جهنم واد لا
يسكنه الا القراء الزائرون للملوك وعن الاوزاعي ما من شيء ابغض الى الله من عالم يزور عاملا
وعن محمد بن مسلمة الذباب على العذرة احسن من قارئ على ابواب هؤلاء وقال صلى الله عليه من دعا
لظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله في ارضه وسئل سفيان عن ظالم اشرف على الهلاك في برية هل
يسقى شربة ماء فقال لا فقيل له يموت فقال دعه يموت وفي هذه الاية اعظم زاجر عن مخالطة الظلمة
واهل الجور وما لكم من الله من اوليا اى من انصار يقدرون على منعكم من عذابه لا يقدر على

ينفعكم شيء ثم لا تنصرون اي لا تنصركم هولائه وجب في حكمته تعذيبكم وترك الابقاء عليكم
واقم الصلوة طرفي النهار اي غدوة وعشية فصلوة الغدوة الفجر وصلاة العشي الظهر والعصر
لان ما بعد الزوال عشي وزلفا من الليل اي وساعات من الليل والزلف اول ساعات الليل
وصلوة الزلف المغرب والعشا فانهما من صلاة زلف الليل ان الحسنات يذهبن السيات اي
الصلوات الخمس يكفر ما بينها من الذنوب اذا اجتنبت الكبائر وقيل يراد تكفير الصغائر
بالطاعات وفي الحديث ان الصلوة الى الصلوة كفارة ما بينهما اذا اجتنبت الكبائر وقيل
ان الحسنات يذهبن السيات بان يكن لطفا في تركها كقوله ان الصلوة تنهى عن الفحشا
والمنكر وقيل نزلت في ابي اليسر عمرو بن غزية الانصاري كان يبيع التمر فاتته امراة فاعجبته
فقال لها ان في البيت اجود من هذا التمر فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت
له اتق الله فتركها وندم فاتى رسول الله صلى الله عليه فاخبره بما فعل فقال انتظر امر ربي
فلما صلى صلاة العصر نزلت فقال نعم اذهب فانها كفارة لما عملت وروي انه اتى ابا بكر فاخبره
فقال استر على نفسك وتب الى الله فاتى عمر فقال له مثل ذلك ثم اتى رسول الله صلى الله عليه فنزلت
فقال عمر اهذا له خاصة ام للناس عامة فقال بل للناس عامة وروي ان رسول الله
صلى الله عليه قال له توضأ وضوءا حسنا وصل ركعتين ان الحسنات يذهبن السيات ذلك
ذكرى اي هذه موعظة للذاكرين اي للمتعظين واصبر افرد الصبر بالذكر بعد
ما جاء بما هو خاتمة للتذكير لفضل خصوصيته ومزيته وتنبيه على مكان الصبر ومحله كانه قال وعليك
بما هو اهم مما ذكرت به واحق بالتوصية وهو الصبر على امتثال ما امرت به والانتهاء عما نهيت عنه فلا
تتم شيئا منه الا به فان الله لا يضيع اجر المحسنين اي ثوابهم في الاعمال جاء بما هو مشتمل على الاستقامة
واقامة الصلوات والانتهاء عن الطغيان والركون الى الظلمة والصبر وغير ذلك من الحسنات التي
يكون الانسان بها محسنا فلولا كان من القرون اي فهلا كان من الامم من قبلكم اولوا بقية اي اولو
فضل وخير وسمي الفضل والجودة بقية لان الرجل يستبقي مما يخرجه اجوده وافضله فصار مثلا
في الجودة والفضل ينهون عن الفساد في الارض اي عن الشرك والاعتداء في حقوق الله والمفسد

والفساد في الارض عام في القبائح والمنكرات والمعنى فهلا كان منهم ذوو ابقاء على انفسهم وصيانة
لها من سخط الله عز وجل وعقابه الا قليلا اي لكن قليلا ممن انجينا منهم وهم اتباع الانبياء اهل
الحق نهوا عن الفساد وسائرهم تاركون للنهي واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه اراد بالذين ظلموا
تاركي النهي عن المنكرات اي لم يهتموا بما هو ركن عظيم من اركان الدين وهو الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر وعقدوا هممهم بالشهوات واتبعوا اللذات على اعراضهم وركنوا الى الدنيا
والاموال وما اعطوا من النعم والترف وانهمكوا في حب الرياسة والثروة وطلب اسباب العيش الهني
ورفضوا ما وراء ذلك ونبذوه وراء ظهورهم وكانوا مجرمين اراد بالاجرام اغفالهم للشكر
لاتباع الشهوات مجرمين بالاثام وما كان ربك ليهلك القرى اي وما صح ولا استقام في الحكمة
ان يهلك اهل القرى بظلم اي بشرك واهلها مصلحون فيما بينهم اي ليس من سنة الكفار
اذا قصدوا الحق في المعاملة ان ينزل الله بهم عذاب الاستيصال كقوم لوط عذبوا باللواط
وقوم شعيب عذبوا ببخس المكيال وهذا لانه لتنزهه تعالى عن الظلم واعلام بان هلاك المصلحين من
الظلم والمعنى انه لا يهلك القرى بسبب شرك اهلها وهم مصلحون يتعاطون الحق فيما بينهم ولا
يضمون الى شركهم فسادا اخر ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة يعني لاضطرهم الى ان يكونوا
اهل ملة واحدة وهي ملة الاسلام وهذا الكلام يتضمن نفي الاضطرار وانه لم يضطرهم الى الاتفاق
على دين الحق ولكنه مكنهم من الاختيار الذي هو اساس التكليف فاختار بعضهم الحق وبعضهم الباطل
فاختلفوا فلذلك قال ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك اي الا ناسا هداهم الله ولطف
بهم فاتفقوا على دين الحق غير مختلفين فيه ولذلك خلقهم اي ولذلك التمكين والاختيار خلقهم ليثيب
مختار الحق بحسن اختياره ويعاقب مختار الباطل بسوء اختياره وتمت كلمة ربك وهي قوله
للملائكة لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين لعلمه بكثرة من يختار الباطل وكلا نقص
عليك اي وكل نبا نحدثك به بنزول الوحي عليك من انباء الرسل اي من اخبارهم ما نثبت به فوادك
معنى تثبيت فواده زيادة يقينه وما فيه طمانينة قلبه لان تكاثر الادلة اثبت للقلب وارسخ للعلم
وجاءك في هذه الحق اي في هذه السورة او في هذه الانباء المقتصة ما هو حق وموعظة

وذكرى للمؤمنين يتعظون اذا سمعوا هذه السور وما نزل بالامم لما كذبوا انبياءهم وقل يا محمد
للذين لا يؤمنون من اهل مكة وغيرهم اعملوا على مكانتكم اي على حالكم وجهتكم التي انتم عليها
من الشرك والتعرض لي بالعداوة انا عاملون وهذا امر تهديد اي اعملوا ما انتم عاملون وانتظروا
بنا الدوائر وما يعدكم الشيطان انا منتظرون ان ينزل بكم مثل ما انزل الله على اشباهكم
من النقم والعقوبات ولله غيب السموات والارض اي علم ما غاب من العباد فيهما لا يخفى عليه
خافية مما يجري فيهما فلا يخفى عليه اعمالكم واليه يرجع الامر كله اي الحكم في الآخرة يرجع
امر العباد كله فلا بد ان يرجع اليه امرهم وامرك فينتقم لك منهم حيث لا يكون لاحد سواه
امر فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك وحافظك وما ربك بغافل عما تعملون فيجزي المحسن باحسانه
والمسيء باساءته وقرئ يعملون بالتاء والياء على تغليب المخاطب اي انت وهم

سورة يوسف مكية وهي مائة واحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم الر تعديد للحروف على وجه
التحدي للكفار تلك آيات الكتاب المبين تلك اشارة الى آيات السورة والمراد بالكتاب
السورة والمبين بمعناه الظاهر امره في اعجاز العرب وتبكيتهم والمعنى ان الآيات التي انزلت اليك
في هذه السورة آيات السورة الظاهر امرها في اعجازهم وتبكيتهم او التي تبين لمن تدبرها
تدبرها انها من عند الله لا من عند البشر او الواضحة التي لا تشتبه على العرب معانيها لنزولها
بلسانهم او قد ابين فيها ما سألت عنه اليهود من قصة يوسف فقد روي ان علماء اليهود قالوا
لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف انا انزلناه
نحو الكتاب قرآنا عربيا اي بلغة العرب لعلكم تعقلون اي ارادة ان تفهموه وتحيطوا
بمعانيه ولا يلتبس عليكم لنزوله بلسانكم والقرآن وان كان العجم فيه مثل العرب في انهم
مخاطبون به ومكلفون بما فيه فنزوله بلسان العرب اولى لانه لسان المرسل به فهو احق بنزوله
على لسانه ولان لغة العرب افصح اللغات واشرفها نحن نقص عليك يا محمد احسن القصص
اي نبين لك احسن البيان بما اوحينا اليك هذا القرآن اي بايحائنا اليك هذه السورة والمفعول

بضم الياء وفتح الجيم مدني وحفص ومكي الباقون بفتح الياء وكسر الجيم

نحن نقص عليك احسن ما يقص من الاحاديث وانما كان احسن لما يتضمن من العبر والنكت
والحكم والعجائب التي ليست في غيرها وان كنت من قبله اي من قبل ايحائنا اليك لمن الغافلين اي لمن
الجاهلين به الغافلين عنه ما كان لك فيه علم قط ولا طرق سمعك طرف منه اذ قال يوسف
لابيه يعقوب يا ابت اني رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين رايت
من الرؤيا لا من الرؤية لان ما ذكر معلوم انه منام لان الشمس والقمر لو اجتمعا مع الكواكب ساجدة
ليوسف في حال اليقظة لكانت آية عظيمة ليعقوب عليه السلام ولما خفيت عليه وعلى الناس واما
اسماء الكواكب فروي جابر ان يهوديا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اخبرني عن النجوم التي
رآهن يوسف فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل جبريل عليه السلام فاخبره بذلك فقال النبي
صلى الله عليه وسلم لليهودي ان اخبرتك هل تسلم قال نعم فقال صلى الله عليه وسلم هي جريان والطارق
والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو
الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي اي والله
انها لاسماؤها وقيل الشمس والقمر ابواه وقيل ابوه وخالته والكواكب اخوته وعن وهب ان
يوسف رأى وهو ابن سبع سنين ان احدى عشرة عصا طوالا كانت مركوزة في الارض كهيئة
الدائرة واذا عصا صغيرة تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لابيه فقال اياك
ان تذكر هذا لاخوتك ثم رأى وهو ابن ثنتي عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له
فقصها على ابيه فقال له لا تقصها عليهم فيبغوا لك الغوائل وكان بين رؤيا يوسف ومصير
اخوته اليه اربعون سنة وقيل ثمانون قال رضي الله عنه وانما اخر الشمس والقمر لعطفهما على
الكواكب على طريق الاختصاص بيانا لفضلهما واستبدادهما بالمزية على غيرهما من الطوالع
كما اخر جبريل وميكائيل عن الملائكة ثم عطفهما عليها لذلك وتكرار رايت ليس بتكرار انما هو كلام مستأنف
على تقدير سؤال وقع جوابا له كأن يعقوب عليه السلام قال له عند قوله اني رايت احد عشر كوكبا
كيف رايتها سائلا عن حال رؤيتها فقال رايتهم لي ساجدين واجراها مجرى العقلاء في رايتهم
لي ساجدين لانه لما وصفها بما هو خاص للعقلاء وهو السجود اجرى عليها حكمهم كأنها عاقلة وهذا

قال يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا عرف يعقوب عليه السلام بدلالة الرؤيا
على ان يوسف يبلغه الله عز وجل مبلغا من الحكمة ويصطفيه للنبوة وينعم عليه بشرف الدارين
كما فعل بآبائه فخاف عليه حسد الاخوة وبغيهم فقال لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا
لك كيدا اي يحتالون في هلاكك لانهم يعلمون تأويلها ان الشيطان للانسان عدو مبين ظاهر
العداوة لما فعل بآدم وحوا فهو يحمل على الحسد والمكر وكل شر ليورطهم من حمله ولا يؤمن ان
يحملهم على مثله وكذلك يجتبيك ربك الاجتبا هو الاصطفا والاختيار اي ومثل ذلك الاجتبا
يجتبيك ربك يعني وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا العظيمة الدالة على شرف وعز وعظم شان كذلك
يجتبيك لامور عظام اي يختصك بها ويعلمك من تأويل الاحاديث الاحاديث هي الرؤيا
لان الرؤيا
اما حديث نفس او ملك او شيطان وتأويلها عبارتها وتفسيرها وكان يوسف عليه السلام اعبر
الناس للرؤيا واصحهم عبارة لها ويجوز ان يراد بتأويل الاحاديث معاني كتب الله تعالى
انا وسنن الانبيا وما غمض واشتبه على الناس من مقاصدها ودقائقها يفسرها لهم
ويشرحها ويدلهم على مودعات حكمها وسميت احاديث لانه يحدث بها عن الله ورسله
ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما اتمها على ابويك من قبل ابرهيم واسحق يعني اتمام النعمة عليهم
انه وصل لهم نعمة الدنيا بنعمة الآخرة بان جعلهم انبيا في الدنيا وملوكا ونقلهم عنها الى الدرجات
العلى في الجنة وقيل اتمها على ابرهيم بالخلة والانجا من النار ومن ذبح الولد وعلى اسحق بانجائه
من الذبح وفدائه بذبح عظيم وباخراج يعقوب والاسباط من صلبه وقيل علم يعقوب ان
يوسف عليه السلام يكون نبيا واخوته انبيا استدلالا بضوء الكواكب فلذلك قال وعلى آل يعقوب
وقيل لما بلغت الرؤيا اخوة يوسف حسدوه وقالوا ما رضي ان يسجد له اخوته حتى يسجد له ابواه
وقيل كان يعقوب يؤثره بزيادة المحبة والشفقة لصغره ولما يرى فيه من المخايل وكان اخوته
يحسدونه فلما رأى الرؤيا ضاعف له المحبة فكان يضمه كل ساعة الى صدره ولا يصبر عنه فتبالغ
فيهم الحسد وقيل لما قص رؤياه على يعقوب قال هذا امر مشتت يجمعه الله لك بعد دهر
طويل وآل يعقوب اهله وهم نسله وغيرهم واصل الآل الاهل الا انه لا يستعمل الا فيمن له خطر

يقال آل النبي وآل الملك ولا يقال آل الحائك ولا آل الحجام ولكن اهلهما واراد بالابوين جده اسحق وابا جده
وهو ابرهيم لانهما في حكم الاب في الامثاله ان ربك عليم يعلم من يحق له الاجتبا حكيم لا يتم نعمته الا على
من يستحقها لقد كان في يوسف واخوته اي في قصتهم وحديثهم آيات اي علامات ودلائل على قدرة الله
عز وجل وحكمته في كل شي للسائلين اي لمن سال عن قصتهم وعرفها وقيل آيات على نبوة محمد صلى الله عليه
للذين سالوه من اليهود عنها فاخبرهم بالصحة من غير سماع من احد ولا قراءة كتاب وقيل لما قص الله
على النبي صلى الله عليه خبر يوسف وبغي اخوته عليه لما راى من بغي قومه عليه ليتاسى به واسما اخوة يوسف
يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي وزبالون ويشجر ودينة ونفتالي وجاد واشر السبعة
الاولون من ليا بنت خالة يعقوب والاربعة الاخرون من سريتين زلفة وبلهة فلما توفيت ليا
تزوج اختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا
اللام في ليوسف لام الابتدا ودخلت لتحقيق محبته لهما يعني ان زيادة محبته لهما امر ثابت لا شبهة
فيه واخوه هو بنيامين وانما قال اخوه وهم جميعا اخوته لان امهما كانت واحدة ونحن عصبة يعني
انه يفضلهما في المحبة علينا وهما اثنان صغيران لا كفاية فيهما ولا منفعة ونحن جماعة عشرة
رجال كفاة نقوم بمرافقه فنحن احق بزيادة المحبة منهما لفضلنا بالكثرة والمنفعة عليهما ان ابانا لفي
ضلال مبين اي في ذهاب عن طريق الصواب في ذلك والعصبة والعصابة العشرة فصاعدا وقيل
الى الاربعين سموا بذلك لانهم جماعة يعصب بهم الامور ويستكفون النوائب اقتلوا يوسف هذا من جملة
ما حكي عنهم كانهم اطبقوا على قتله الا من قال لا تقتلوا يوسف وقيل الآمر بالقتل شمعون وقيل دان والباقون
كانوا راضين فجعلوا آمرين او اطرحوه ارضا اي ارضا مجهولة بعيدة من العمران بلا تعلم بقعته
يخل لكم وجه ابيكم اي يقبل عليكم اقباله واحدة لا يلتفت عنكم الى غيركم والمراد سلامة محبته
لكم ممن يشارككم فيها وينازعكم اياها فكان ذكر الوجه لتصوير معنى اقباله عليهم لان
الرجل اذا اقبل على الشي اقبل بوجهه ويجوز ان يراد بالوجه الذات كما قال ويبقى وجه ربك وقيل
يخل لكم يفرغ من الشغل بيوسف وتكونوا من بعده من بعد يوسف اي من بعد كفايته بالقتل او
التغريب قوما صالحين اي تائبين الى الله مما جنيتم على يوسف او يصلح ما بينكم وبين ابيكم

تعذرون بعده او تصلح دنياكم وينتظم اموركم بعده بخلو وجه ابيكم قال قائل منهم لا تقتلوا
يوسف هو يهوذا وكان احسنهم فيه رايا وهو الذي قال فلن ابرح الارض حتى يأذن لي ابي قال لهم القتل
عظيم والقوه في غيابت الجب في قعر البئر التي لم تطو وغايته اسفله او ما غاب منها عن
عين الناظر واظلم من اسفله وقرئ غيابه وغيبه وغيابات بالتشديد في المفرد والجمع يلتقطه
بعض السيارة اي بعض الاقوام الذين يسيرون في الطريق ان كنتم فاعلين اي ان كنتم عازمين
على ان تفعلوا ما تحصل به غرضكم فهذا هو الراي المفيد قالوا يا ابانا ما لك لا تأمنا على يوسف وانا
له لناصحون قرئ تأمننا باظهار النونين وبالادغام باشمام وبغير اشمام وتيمنا بكسر التاء
مع الادغام والمعنى لم تخافنا عليه ونحن نريد له الخير ونحبه ونشفق عليه وما وجدت منا
له خلاف النصيحة والمحبة ارادوا بذلك استنزال ابيهم عن رايه وعادته في حفظه منهم لما
لهم ما عزموا عليه من كيد يوسف واخذه من ابيه وفي هذا دليل على انه احس منهم بامر وحسد
ارادوا بانهم ارسله معنا غدا الى الصحراء يرتع ويلعب اي يسعى وينشط وقيل يتسع في اكل الفواكه
وغيرها واصل الرتعة الخصب والسعة قال رضي الله عنه وانما اجاز لهم يعقوب عليه السلام اللعب
لان المراد بلعبهم هو الاستباق ليعودوا انفسهم ما يحتاج اليه لقتال العدو ولان لعبهم للهو
قوله انا ذهبنا نستبق وانما سموه لعبا لانه في صورة اللعب وانا له لحافظون من كل ما يخاف عليه
قال اني ليحزنني ان تذهبوا به واخاف ان يأكله الذئب وانتم عنه غافلون اعتذر اليهم بشيئين احدهما
ان ذهابهم به ومفارقتهم اياه مما يحزنه لانه كان لا يصبر عنه ساعة واحدة والثاني خوفه عليه من اكل
الذئب اذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم او قلة اهتمامهم ولم يصرف بحفظه عنايتهم وذلك ان ارضهم
مذأبة وقيل راى في النوم ان الذئب قد شد على يوسف فكان يحذره من ثم قال ذلك فلقنهم العلة وفي امثالهم
البلاء موكل بالمنطق قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون اي حلفوا له لئن
كان ما خافه من خطفة الذئب اخاهم من بينهم وحالهم انهم عشرة رجال بمثلهم تعصب الامور
وتكفى الخطوب انهم اذا القوم خاسرون اي هالكون ضعفا وخورا او عجزا او مستحقون ان
يهلكوا لانه لا غناء عندهم ولا جدوى في حياتهم قال رضي الله عنه قد اعتذر اليهم يعقوب

فاجابوه عن احدهما وهو خوفه على يوسف وسكتوا عن الجواب عن حزنه لمفارقتهم لانه هو الذي
كان يغيظهم ويولمهم فسكتوا عنه واعاروه اذانا صما ولم يعبؤوا به فلما ذهبوا به اي اخذوه واسرعوا
ومضوا به واجمعوا ان يجعلوه اي وعزموا على ان يرموا به في غيابات الجب اي قعر ما غاب من
البئر واظلم قيل هو بئر بيت المقدس وقيل بين مصر ومدين وقيل على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب وجواب
لما محذوف لفظه فلما ذهبوا به واجمعوا فعلوا به ما فعلوا من الاذى فقد روي انهم لما برزوا
به الى البرية اظهروا له العداوة واخذوا يضربونه ويضربونه وكلما استغاث بواحد منهم لم
يغثه الا بالاهانة والضرب حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح يا ابتاه لو تعلم ما يصنع بابنك اولاد
الاماء فقال يهوذا اما اعطيتموني موثقا ان لا تقتلوه فلما ارادوا القاءه في الجب تعلق بثيابهم
فنزعوها من يديه فتعلق بحائط البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال يا اخوتاه ردوا علي
قميصي اتوارى به وانما نزعوه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على ابيهم فقالوا له ادع الشمس والقمر
والاحد عشر كوكبا يؤنسك ودلوه في البئر فلما بلغ نصفها القوه ليموت وكان في البئر ماء فسقط
فيه ثم اوى الى صخرة فقام عليها وهو يبكي فنادوه فظن انها رحمة ادركتهم فاجابهم فارادوا ان
يرضخوه ليقتلوه فمنعهم يهوذا وكان يأتيه بالطعام ويروى ان ابرهيم عليه السلام حين القي في النار
جرد عن ثيابه فاتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابرهيم الى اسحق واسحق
الى يعقوب فجعله يعقوب في تميمة علقها في عنق يوسف فجاء جبريل عليه السلام فاخرج القميص والبسه
يوسف واوحينا اليه قيل اوحى الله اليه في الصغر كما اوحى الى يحيى وعيسى وقيل كان اذ ذاك
مدركا وعن الحسن كان له سبع عشرة سنة لتنبئنهم بامرهم هذا وانما اوحي الى يوسف في البئر
ليؤنسه في الظلمة والوحشة ويبشره بما يؤول اليه امره ومعناه لتصدقن رؤياك ولتخلصن مما انت فيه
ولتحدثن اخوتك بما فعلوا بك وتصيغهم هذا بعد اليوم وهم لا يشعرون انك يوسف في وقت
اخبارك لهم لعلو شانك وكبرياء سلطانك وبعد حالك عن اوهامهم ولطول العهد المبدل
للهيئات والاشكال وذلك انهم حين دخلوا عليه ممتارين بعد ملكه بمصر فعرفهم
وهم له منكرون دعا بالصواع الذي يكال به وكان من فضة فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال

انه لتنبئنهم بامرهم هذا الخاتم انه كان لكم اخ حملكم تعاليه يوسف وكان للقبه دونكم وانكم انطلقتم به والقيتموه في غيابات الجب وقلتم لابيكم اكله الذئب وتعنوا بتمن بخس فهذا معنا انبابه لهم وهم لا يشعرون وجاءوا اباهم عشاء يبكون قال رضي الله عنه روي ان امراة حاكمت الى شريح فبكت فقال الشعبي يا ابا امية اما تراها تبكي فقال شريح قد جاء اخوة يوسف يبكون وهم ظلمة ولا ينبغي لاحد ان يقضي الا بما امر ان يقضي به من السنة المرضية وروي انه لما سمع اصواتهم فزع وقال ما لكم يا بني هل اصابكم في غنمكم شيء قالوا لا قال فما لكم واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق اي نتسابق في العدو او في الرمي وجاء في التفسير ننتضل وتركنا يوسف عند متاعنا اي ثيابنا وقيل بيننا غنمهم فاكله الذئب وما انت بمؤمن لنا اي بمصدق لنا ولو كنا صادقين اي ولو كنا عندك من اهل الصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وانت سيء الظن بنا غير واثق بقولنا وجاءوا على قميصه بدم كذب لانه لم يكن دمه انما كان دم سخلة روي انهم ذبحوا سخلة ولطخوا القميص بدمها وذهل عنهم ان يمزقوه وروي ان يعقوب لما سمع بخبر يوسف صاح باعلى صوته وقال اين القميص فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بالدم بدم القميص وقال تالله ما رايت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه وقيل كان في قميص يوسف ثلاث ايات كان دليلا ليعقوب على كذبهم والقاه على وجهه فارتد بصيرا ودليلا على براءة يوسف حين قد من دبره قال بل سولت لكم انفسكم امرا اي سهلت لكم انفسكم امرا عظيما ارتكبتموه من يوسف وهونته في اعينكم اشتراكا عليه فعلتم به ما كان تقرف من حسدكم له وشدة محبة ابيه له اي بلغتم كادوه والمعنى ان انفسكم زينت لكم اساءة بيوسف امرا غير ما تصفون فصبر جميل اي فامري صبر جميل وجاء في الحديث ان الصبر الجميل هو الذي لا شكوى فيه الى الخلق انما الشكوى الى الله قيل سقط حاجبا يعقوب عليه السلام على عينيه فكان يرفعهما بعصابة فقيل له ما هذا فقال طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله اليه يا يعقوب اتشكوني فقال يا رب خطيئة اخطاتها فاغفرها لي والله المستعان على ما تصفون اي استعين به على احتمال ما تقولون من هلاك يوسف والصبر على المصيبة به واساله المعونة على ما بي من هذا الحزن وجاءت سيارة اي رفقة

سيرهم من مدين الى مصر وذلك بعد ثلاثة ايام من القاء يوسف في الجب فاخطاوا الطريق فنزلوا قريبا منه وكان الجب في قفرة بعيدة من العمران لم يكن الا للرعاة وقيل كان ماؤه ملحا فعذب حين القي فيه يوسف عليه السلام فارسلوا واردهم رجلا كان يقال له مالك بن ذعر الخزاعي يطلب لهم الماء والوارد اسم للذي يرد الماء ليستقي للقوم فادلى دلوه اي ارسلها في البئر فتعلق يوسف عليه السلام بالحبل فاخرجه الوارد فاذا هو بغلام احسن ما يكون فلما راه قال يا بشرى اي يا فرحتاه هذا غلام قيل ذهب فلما دنا من اصحابه صاح بذلك يبشرهم به واسروه بضاعة اي اخفاه الوارد ومن كان معه من التجار وقيل لم يخفوه ولكن اخفوا وجدانهم له في الجب وقالوا لهم هذا دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وعن ابن عباس الضمير لاخوة يوسف وذلك انهم لما علموا باخذ السيارة له جاءوا فقالوا لهم هذا غلام لنا قد ابق فاشتروه منا وسكت يوسف عليه السلام مخافة ان يقتلوه والله عليم بما يعملون ليوسف لم يخف عليه اسرارهم او يكون هذا وعيدا للسيارة حيث استبضعوا ما ليس لهم او الله عليم بما فعل اخوة يوسف بابيهم واخيهم من سوء الصنيع وشروه اي باعوه بثمن بخس دراهم لا دنانير معدودة اي قليلة تعد عدا ولا توزن لانهم كانوا لا يزنون الا ما بلغ الاوقية وهي اربعون ويعدون ما دونها وقيل للقليل معدود لان الكثير يمتنع من عدها لكثرتها وعن ابن عباس كانت عشرين درهما وعن السدي اثنين وعشرين درهما وكانوا فيه اي اخوة يوسف من الزاهدين لم يعرفوا موضعه من الله ولا كرامته عليه فباعوه بما طف من الثمن لانهم التقطوه والملتقط للشيء متهاون به لا يبالي بما باعه ولانه يخاف ان يعرض له مستحق ينزعه من يده فيبيعه من اول مساوم باوكس ثمن ويجوز ان يكون معنى وشروه واشتروه يعني الرفقة من اخوته وكانوا فيه من الزاهدين لانهم اعتقدوا انه ابق فخافوا ان يخطروا بمالهم فيه ويروى ان اخوته اتبعوهم يقولون استوثقوا منه لا يابق وقال الذي اشتراه من مصر لامراته هو قطفير وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر والملك يومئذ الريان بن الوليد رجل من العماليق وقد امن بيوسف عليه السلام ومات في حياته واشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة واقام في منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره الريان

يعني باعوا للتجارة والبضاعة ما يستبضع من المال للتجارة

ابن الوليد وهو ابن سبع عشرة سنة وآتاه الله الحكم والعلم وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفي وهو
ابن مائة وعشرين سنة وقيل كان الملك في زمانه فرعون موسى عاش اربعمائة سنة وقيل فرعون
موسى من اولاد فرعون يوسف قيل اشتراه العزيز بعشرين دينارا وزوجي نعل وثوبين ابيضين وقيل
ادخلوه السوق يعرضونه فترافعوا في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا وورقا وحريرا فابتاعه
قطفير بهذا المبلغ وقال لامرأته راعيل وتسمى زليخا اكرمي مثواه اي اجعلي منزله ومقامه
عندنا كريما اي حسنا مرضيا والمراد تفقديه بالاحسان وتعهديه بحسن الملكة حتى
تكون نفسه طيبة في صحبتنا ساكنة في كنفنا عسى ان ينفعنا اي لعله اذا تدرب وراض
الامور وفهم مجاريها نستظهر به على بعض ما نحن بسبيله فينفعنا فيه بكفايته وامانته او نتخذه
ولدا نتبناه ونقيمه مقام الولد وكان قطفير عقيما لا يولد له وقيل لما اشتراه قال له
من انت قال يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم فاسترجع وقال [illegible]
ومن اهل بيت من الله عليهم فادع الله ان يحسن الي ولدا فدعا فاقبل الله عليه بعطفه فولدت له امراته
اثني عشر بطنا اربعة وعشرين ولدا وكذلك مكنا ليوسف في الارض اي كما انجيناه وعطفنا عليه
قلب العزيز كذلك مكنا له في ارض مصر وجعلناه ملكا يتصرف فيها بامره ونهيه ولنعلمه من تاويل الاحاديث
اي من تفاسير معاني كتب الله وسنن الانبيا والله غالب على امره اي على امر نفسه لا يمنع عما شا
ولا ينازع ما يريد او على امر يوسف يريد ان لا يكله الى غيره قد ارادوا اخوته به ما ارادوا ولم يكن الا ما
اراد الله ودبره ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كله بيد الله وان قدر الله غالب
ومشيته نافذة وقال اكثر الناس لان اهل العلم والايمان اقل الناس ولما بلغ يوسف اشده قيل
في الاشد ثماني عشرة سنة وعشرون سنة وثلاث وثلاثون واربعون وقيل اقصاه ثنتان وستون
آتيناه حكما وعلما الحكم الحكمة وهو العلم والعمل واجتناب ما يجهل فيه وقيل حكما بين الناس وفقها
وقيل عقلا وفهما وكذلك اي ومثل ما وصفنا من تعليم يوسف نجزي المحسنين الصابرين على
النوائب كما صبر يوسف وفي هذا تنبيه على انه عليه السلام كان محسنا في عمله متقيا في عنفوان امره وان الله
آتاه الحكم والعلم جزاء على احسانه وعن الحسن من احسن عبادة ربه في شبيبته آتاه الله الحكمة في اكتهاله

وراودته التي هو في بيتها عن نفسه يعني امراة العزيز والمراودة عبارة عن احتيالها عليه
لمواقعتها كان المعنى خادعته عن نفسه وفعلت ما يفعل المخادع لصاحبه وغلقت الابواب عليه
وعليها وقيل وكانت سبعة وقالت هيت لك اي هلم وتعال وقرئ هيت لك قال معاذ الله اي
اعوذ بالله معاذا اي اعتصم به انه ربي اي سيدي ومالكي يعني قطفير احسن مثواي اي انعم علي
باكرامي حتى قال لك اكرمي مثواه فما جزاؤه ان اخلفه في اهله سوء الخلافة واخونه فيهم
انه لا يفلح الظالمون الذين يجازون الحسن بالسيء وقيل اراد الزناة لانهم ظالمون انفسهم وقيل
اراد بقوله ربي الله تعالى لانه مسبب الاسباب ولقد همت به وهم بها هم بالامر اذا قصده وعزم عليه
والمعنى ولقد همت بمخالطته وهم بمخالطتها والمراد بالمخالطة توصلها الى حظها من قضا
شهوتها منه وتوصله الى حظه من قضا شهوته منها لولا ان راى برهان ربه اي حجته تعالى بتحريم
الزنا وقيل ما آتاه الله من العلم والحكمة وجواب لولا محذوف تقديره لولا ان راى برهان ربه لامضى
ما هم به كذلك اي اريناه البرهان لنصرف عنه السوء وهو خيانة صاحبه والفحشاء ركوب
الفاحشة انه من عبادنا المخلصين الذين اخلصوا دينهم لله وبفتح اللام المختارين للنبوة قال
رضي الله عنه ولا يجوز على نبي الله ان يكون منه هم بالمعصية ولا قصد اليها لكن المراد ان نفسه
مالت الى المخالطة ونازعت اليها عن شهوة الشباب وقرمه ميلا يشبه الهم به والقصد اليه
وكما تقتضيه صورة تلك الحال التي تكاد تذهب بالعقول والعزائم وهو يرد ما به من الشهوة
ويغلب هوى نفسه بالنظر في برهان الله المأخوذ على المكلفين من وجوب اجتناب المحارم
ولو لم يكن ذلك الميل الشديد المسمى هما لشدته لما كان صاحبه ممدوحا عند الله بالامتناع لان
استعظام الصبر على الابتلاء على حسب عظم الابتلاء وشدته ولو كان همه كهمها عن عزيمة لما
مدحه الله تعالى بانه من عباده المخلصين ويجوز ان يكون قوله وهم بها ابتدا الكلام ويحسن الوقف على
همت به ويبتدئ وهم بها لولا ان راى برهان ربه وفيه اشعار بالفرق بين الهمين اي الهم الذي هو
عبارة عن ميل الشهوة وميل النفس الى قضا شهوته وهمها حقيقي اي عزم وقصد الى قضا
شهوتها منه وقد فسر هم يوسف بانه حل الهميان وجلس منها مجلس المجامع وبانه حل تكة سراويله

وقعد بين شعبها الاربع وهي مستلقية على قفاها وفسر البرهان بانه سمع صوتا اياك واياها
فلم يكترث له فسمعه ثانيا فلم يعمل به فسمع ثالثا اعرض عنها فلم ينجع فيه حتى مثل له يعقوب عاضا
على انملته وقيل ضرب بيده في صدره فخرجت شهوته من انامله وقيل كل ولد يعقوب له اثنا عشر
ولدا الا يوسف فانه ولد له احد عشر ولدا من اجل ما نقص من شهوته حين هم وقيل صيح به يا يوسف
لا تكن كالطائر كان له ريش فلما زنا قعد لا ريش له وقيل بدت كف فيما بينهما ليس لها عضد ولا معصم
مكتوب عليها وان عليكم لحافظين كراما كاتبين فلم ينصرف ثم راى فيها ولا تقربوا الزنا
انه كان فاحشة وساء سبيلا فلم ينته ثم راى فيها واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فلم ينجع
فيه فقال الله لجبريل ادرك عبدي قبل ان يصيب الخطيئة فانحط جبريل وهو يقول يا يوسف
اتعمل عمل السفهاء وانت مكتوب في ديوان الانبياء وقيل راى تمثال العزيز وقيل قامت المراة الى صنم
كان هناك فسترته وقالت استحيي ان يرانا فقال يوسف استحييت ممن لا يسمع ولا يبصر ولا استحيي
من السميع البصير العليم بذات الصدور قال رضي الله عنه وهذا ونحوه مما يورده اهل
الحشو والجبر الذين دينهم بهت الله وانبيائه واهل العدل والتوحيد ليسوا من مقالاتهم
ورواياتهم بحمد الله بسبيل ولو وجدت من يوسف ادنى زلة لنعيت عليه وذكرت توبته واستغفاره
كما نعيت على ادم صلى الله عليه زلته وعلى نوح وعلى ايوب وعلى ذي النون وذكرت توبتهم واستغفارهم
كيف وقد اثني عليه وسمي مخلصا فعلم بالقطع انه ثبت في ذلك المقام الدحض وانه جاهد نفسه مجاهدة
اولي القوة والعزم ناظرا في دليل التحريم ووجه القبح حتى استحق من الله الثناء فيما انزل من كتب الاولين
ثم في القران الذي هو حجة على سائر كتبه ومصداق لها ولم يقتصر الا على استيفاء قصته و
ضرب سورة كاملة عليها ليجعل له لسان صدق في الاخرين كما جعله لجده الخليل ابرهيم وليقتدي به
الصالحون الى اخر الدهر في العفة وطيب الازار والتثبت في مواقف العثار فتبا له من مذهب ما
اخبثه ومن ضلال ما ابينه **واستبقا الباب** اي وتسابقا الى الباب وذلك ان يوسف علم
نفرحنها فاسرع يريد الباب ليخرج واسرعت وراءه لتمنعه الخروج وافرد الباب ههنا وقد جمعه في
قوله وغلقت الابواب لانه اراد الباب البراني الذي هو المخرج من الدار والمخلص من العار فقد ذكر

الله لما هرب يوسف منها جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج من الابواب **وقدت قميصه
من دبر** اي اجتذبته من خلفه فانقد حين هرب منها الى الباب وتبعته لتمنعه **والفيا سيدها
لدى الباب** اي وصادفا بعلها وهو قطفير عند الباب قيل الفياه مقبلا يريد ان يدخل وقيل
جالسا مع ابن عم للمراة فلما راته احالت الذنب على يوسف صلى الله عليه و **قالت ما جزاء من اراد
باهلك سوءا** تريد الزنا **الا ان يسجن** اي يحبس في السجن ويضيق عليه **او عذاب اليم** قيل هو الضرب
بالسياط قال رضي الله عنه ولم تصرح بذكر يوسف وانه اراد بها سوءا لانها قصدت العموم
وان كل من اراد باهلك سوءا فحقه ان يسجن او يعذب لان ذلك ابلغ فيما قصدته من تخويف
يوسف ولما اغرت به وكذبت عليه وعرضته للسجن والعذاب ووجب عليه الدفع عن نفسه
قال هي راودتني عن نفسي اي خادعتني وغالبتني وطالبتني قال رضي الله عنه ولولا ذلك
المدافعة لكتم عليها الكرامة وحلمه **وشهد شاهد من اهلها** قيل كان ابن عم لها وقيل ابن خالها
وانما القى الله الشهادة على لسان من هو اهلها لتكون اوجب للحجة واقطع للمعذرة واوثق
لبراءة يوسف وانفى للتهمة عنه وقيل هو الذي كان جالسا مع زوجها عند الباب وقيل كان ابن
خال لها صبيا في المهد وعن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم اربعة وهم صغار ابن ماشطة فرعون
وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى وسمي قوله شهادة لان القول فيه وشهد شاهد من اهلها
فقال **ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر
فكذبت وهو من الصادقين** قال رضي الله عنه دلالة قد قميصه من دبر على انها كاذبة دلالة
ظاهرة لما فيه من الاعلام بانه متبوع بتبعته واجتذبت قميصه اليها فقدته واما دلالة قده
من قبل على انها صادقة فمن وجهين احدهما انه اذا كان تابعها وهي دافعة عن نفسها
قدت قميصه من قدامه بالدفع والثاني ان يسرع خلفها ليلحقها فيتعثر في مقادم قميصه فيشقه
فلما راى قميصه قد من دبر يعني قطفير لما راى قميص يوسف قد من دبر وعلم براءة يوسف
وصدقه وكذبها **قال انه** يعني قولها ما جزاء من اراد باهلك سوءا او يريد طمعها في يوسف
من كيدكن اي من مكركن واحتيالكن يا نسا **ان كيدكن عظيم** قال رضي الله عنه

البوائق جمع بائقة وهي الدواهي [illegible]

الساع

انما استعظم كيدهن لانه وان كان في الرجال الا ان النساء الطف كيدا وانفذ حيلة ولهن في ذلك نيقة
ورفق وبذلك يغلبن الرجال ومنه قوله ومن شر النفاثات في العقد واعظم النساء احتيالا
والمعهن كيدا الساكنات في القصور لانهن ممن ما لشيخ غيرهن من البوائق وعن بعض
العلماء انا اخاف من النساء اكثر مما اخاف من الشيطان لان الله تعالى يقول ان كيد الشيطان
كان ضعيفا وقال للنساء ان كيدكن عظيم يوسف اي قال العزيز يا يوسف وحذف حرف النداء
لانه منادى قريب وفيه تقريب له وتلطيف لمحله اعرض عن هذا اي اترك هذا الامر واكتمه ولا تحدث
به واستغفري انت يا امرأة لذنبك وهو ما فعلت مع يوسف انك كنت من الخاطئين اي من
المتعمدين للذنب يقال خطئ اذا اذنب متعمدا وما كان العزيز الا رجلا حليما وروي انه كان قليل
الغيرة وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه المدينة مصر والنسوة
القائلات خمس نسوة امرأة الساقي وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب السجن
وامرأة الحاجب قد شغفها حبا اي دخل حبه شغاف قلبها وهو موضع الدم الذي
يكون داخل القلب انا لنراها في ضلال مبين اي في خطأ وبعد عن طريق الصواب بحبها اياه فلما
سمعت بمكرهن اي باغتيابهن لها وسوء قالتهن فيها وقولهن امرأة العزيز عشقت عبدها
الكنعاني وسمي الاغتياب مكرا لانه في خفية وحال غيبة كما يخفي الماكر مكره وقيل كانت استكتمتهن
سرها فافشينه عليها ارسلت اليهن دعتهن لتوقفهن فيما وقعت فيه قيل دعت اربعين امرأة
منهن الخمس المذكورات واعتدت لهن متكأ اي ما يتكئن عليه من نمارق ووسائد وقيل طعاما
يقطع بالسكين قيل هو الاترج وآتت اي واعطت كل واحدة منهن سكينا اي خنجرا لتقطع به
ما تأكل وقالت ليوسف اخرج عليهن فقدرت تلك الهيئة وهي قعودهن متكئات والسكاكين
في ايديهن ان يدهشن ويبهتن عند رؤيته ويشغلن عن نفوسهن فيقع ايديهن على ايديهن فيقطعنها
لان المتكئ اذا بهت لشيء وقعت احدى يديه على الاخرى قال رضي الله عنه ولا يبعد ان يقصد
الجمع بين المكر بهن فيقع في ايديهن ليقطعن ايديهن فيبكتهن بالحجة وليهول يوسف من مكرها
اذا خرج على اربعين امرأة مجتمعات في ايديهن الخناجر توهمه انهن يثبن عليه ويردن به سوءا فلما رأينه

الخناجر

يوسف

اكبرنه اعظمنه وهبن ذلك الحسن الرائع والجمال الفائق قيل كان فضل يوسف على الناس كفضل القمر
ليلة البدر على نجوم السماء وعن النبي صلى الله عليه وسلم مررت بيوسف ليلة اسري بي فقلت لجبريل من هذا
فقال يوسف فقيل يا رسول الله كيف رأيته قال كالقمر ليلة البدر وكان يوسف صلى الله عليه اذا سار
في ازقة مصر يرى تلألؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس من الماء عليها وقيل ما كان احد يستطيع
وصف يوسف وقالوا ورث الجمال من جدته سارة وقيل قسم الحسن نصفين نصف ليوسف وسارة ونصف بين
الناس وقيل اكبرن بمعنى حضن والهاء للسكت يقال اكبرت المرأة اذا حاضت وحقيقته دخلت
في الكبر لانها بالحيض تخرج من حد الصغر كانهن حضن من شدة شبقه لما رأين من حاله وحسن
صورته وكمال هيئته وكان ابا الطيب اخذ من هذا التفسير قوله خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فان
لحت حاضت في الخدور العواتق وقطعن ايديهن اي جرحنها بالسكاكين ولم يجدن الالم لشغل
قلوبهن بحسن يوسف وباهر جماله وقلن حاش لله اي تنزيها لله وتنزيها من صفات العجز ما هذا
بشرا نفين عنه البشرية لغرابة جماله واثبتن له الملكية وقطعن بها لما بهتهن من حاله والعقل
تخشع عن محاسن صور البشر ان هذا الا ملك كريم فلا تلومني على حبه ولما رأت امرأة العزيز فعل
النسوة بانفسهن وما فعلن من تقطيع الايدي قالت فذلكن الذي لمتنني فيه اي في حبه والشغف
به قال رضي الله عنه ولم يقل فهذا وهو حاضر رفعا لمنزلته في الحسن واستحقاق ان يحب ويفتتن به
وللدلالة على انه لعلو منزلته عن منازل البشر والمعنى انكن لم تصورنه حق صورته ولو تصورتنه بما
عاينتن منه لعذرتنني في الافتتان به ثم اقرت عندهن فقالت ولقد راودته عن نفسه فاستعصم
اي امتنع اشد الامتناع كانه في عصمة وهو يجتهد في طلب الزيادة منها قال رضي الله عنه وهذا بيان
لما كان من يوسف عليه السلام لا مزيد عليه وبرهان لا شيء انور منه على انه بريء مما اضاف اليه اهل الحشو وكذبوا
عليه مما فسروا به الهم والبرهان ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن هذا من كلام امرأة العزيز اي لئن لم
يفعل امرها في الذي تريد منه ليحبسن وليكونا من الصاغرين اي من اهل الصغار والاهانة وروي
انها لما قالت له هذا وامرته بطاعتها قلن له النساء انك الظالم وهي المظلومة فقال يوسف رب
السجن احب الي مما يدعونني اليه من معصيتك واسند الدعوة اليهن جميعا لانهن زين له مطاوعتها

سارة امرأة ابراهيم عليه السلام وهي ام اسحق عليه السلام وام اسمعيل عليه السلام هاجر وهي امة لسارة وهبتها لابراهيم عليه السلام [illegible]

وقلن له اياك والقا نفسك في السجن والصغار فقصد ذلك التجا الى ربه وقال رب نزول السجن احب الي من ركوب
المعصيه فجعل نزول السجن احب اليه مع ما فيه من المشقه الشديده على النفس وما دعونه اليه لذه عظيمه
لانه نظر في حسن الصبر على احتمال مشقه الحبس لوجه الله وفي قبح المعصيه ومتابعه الهوى واللذه
وعاقبه الاثم فلذلك اختار السجن وهذا هو النظر الثاقب فرب شهوه ساعه اورثت حزنا طويلا
ولم ينظر في مشتهى النفس ومكروهها وهذا هو يوسف صلى الله عليه وسلم فليقتد المقتدون المتقون ممن غلبه
على هواه عقله فقد نجا والا تصرف عني كيدهن هذا افزع منه عليه السلام الى الطاف الله وعصمته كعادة الانبيا
والصالحين ومعناه ان لا تسران من العصمه والاستعانه من الله فيما عزم عليه ووطن عليه نفسه من الصبر
لانه طلب من الله الاجبار على التعفف والالجا اليه اصب اليهن اي امل والصبو الميل الى الهوى
وقرى اصب اليهن من الصبابه وهي رقه الشوق واكن من الجاهلين اي من الذين لا يعملون بما يعلمون
لان من لا يعمل بعلمه فهو ومن لا يعلم سوا او من المذنبين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن بلطفه
وعصمته حتى لم يقع في شي مما طالبنه به انه هو السميع العليم باحوالهم وما يصلحهم ثم بدا لهم اي للعزيز
وامراته والمعنى بدا لهم بدا اي ظهر لهم راي من بعد ما راوا الايات وهي الشواهد الداله على براءه
يوسف من الاثم ليسجننه اللام فيه جواب قسم محذوف وتقديره وحلفوا ليسجننه حتى حين الى
زمان كانها طلبت ان يسجن زمانا حتى تبصر ما يكون منه او الى انقطاع القاله وذلك ان المراه قالت
ان هذا العبد قد فضحني في الناس يخبرهم اني راودته عن نفسه فاحبسه حتى ينقطع هذه القاله
قال رضي الله عنه وما كان ذلك الا باستيلا المراه لزوجها وبما لحقه وكان مطواعا لها
وجملا ذلولا زمامه في يدها حتى انساه ذلك ما عاين من الايات وعمل برايها في سجنه والحاق الصغار
به كما اوعدته به وذلك لما ايست من طاعته لها او لطمعها في ان يذلله السجن ويسخره لها ودخل
معه السجن فتيان اي عبدان للملك وهما خبازه وشرابيه رفع اليه ان صاحب طعامه يريد ان يسمه
وصاحب شرابه ساعده على ذلك فادخلهما السجن ساعه ادخل يوسف فرأياه يعبر الرؤيا قال احدهما
وهو الساقي اني اراني اي في المنام اعصر خمرا اي عنبا تسميه للعنب بما يؤول اليه وقال الاخر وهو صاحب
الطعام اني اراني احمل فوق راسي خبزا تاكل الطير منه نبئنا بتاويله اي بتعبيره انا نراك من المحسنين

اي من الذين يحسنون عبارة الرؤيا وتجويدها لانهما ابصراه يقص عليه بعض اهل السجن رؤيا فاحسن العباره
وجودها او من المحسنين الى اهل السجن فاحسن الينا بان تفرج عنا الغمه بتاويل ما راينا ان كانت
لك يد في تاويل الرؤيا روي انه كان اذا مرض رجل من اهل السجن قام عليه واذا ضاق وسع له واذا احتاج
جمع له وعن قتاده كان في السجن ناس قد انقطع رجاوهم وطال حزنهم فجعل يقول ابشروا واصبروا توجروا
ان لهذا لاجرا فقالوا بارك الله عليك ما احسن وجهك واحسن خلقك لقد بورك لنا في
جوارك فمن انت يا فتى فقال انا يوسف بن صفي الله يعقوب بن ذبيح الله اسحق بن خليل الله ابرهيم فقال
له عامل السجن لو استطعت خليت سبيلك ولكني احسن جوارك فكن في اي بيوت السجن شئت وروي
ان الفتيين قالا له انا لنحبك من حين رايناك فقال انشدكما بالله ان لا تحباني فوالله ما احبني احد قط
الا دخل علي من حبه بلا لقد احبتني عمتي فدخل علي من حبها بلا ثم احبني ابي فدخل علي من حبه بلا ثم
احبتني زوجه صاحبي فدخل علي من حبها بلا فلا تحباني بارك الله فيكما وعن الشعبي ان الفتيين
تحالما ليختبراه فقال الشرابي اني رايت كاني في بستان فاذا باصل حبله عليها ثلاثه عناقيد من عنب فقطفتها
وعصرتها في كاس الملك وسقيته وقال الخباز اني رايت كان فوق راسي ثلاث سلال فيها انواع الاطعمه
واذا سباع الطير تنهش منها قال لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نباتكما بتاويله قبل ان ياتيكما لما طلبا
الرؤيا وصفاه بالاحسان علم الفرصه في ذلك فوصف نفسه بما هو فوق علم العلما وهو الاخبار
بالغيب فقال لا ياتيكما طعام اي لا يحمل اليكما شي من الطعام الى السجن ترزقانه اي كلاه رزقا في المنام الا
اخبرتكما بتاويله اي بيان ماهيته وكيفيته قبل ان ياتيكما الى السجن يعني انه يصفهما ويقول
اليوم ياتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيجدانه كما اخبرهما وافتتح بهذا الكلام ليجعله مدخلا
الى ان يذكر لهما التوحيد ويعرض عليهما الايمان ويزينه لهما ويقبح اليهما الشرك بالله قال رضي الله عنه
وهذه طريقه على كل عالم ان يسلكها مع الجهال والفسقه اذا استفتاه واحدهم ان يقدم
الهدايه والارشاد والموعظه والنصيحه اولا ويدعوه الى ما هو اولى به واوجب عليه مما استفتى فيه
ثم يفتيه بعد ذلك وفيه دليل على ان العالم اذا جهلت منزلته في العلم فوصف نفسه بما هو بصدده من العلوم
وغرضه ان يقتبس منه وينتفع به في الدين لم يكن من باب التزكيه ثم وضع يوسف نفسه لله بانه عبد

نعلم فقال ذلكما مما علمني ربي اي ذلك التاويل والاخبار بالغيوب مما اوحى به الي ربي ولم اقله عن تكهن وتنجيم
كاسلوب اهل الكهانة والتنجيم ثم علل اهداه الى ذلك بما يرغب في الايمان فقال اني تركت ملة قوم
دين قوم لا يؤمنون بالله يعني اهل مصر ومن كان الفتيان على دينهم وهم بالآخرة اي بثوابها وعقابها
هم كافرون اي جاحدون وفائدة تكرير قوله هم للدلالة على انهم خصوصا كافرون بالآخرة وان غيرهم
قوم مؤمنون بها وهم الذين على ملة ابراهيم وفيه توكيد على لكفرهم بالجزاء واتبعت ملة آبائي ابراهيم
واسحق ويعقوب وذكر اباءه ليعلما انه من بيت النبوة بعد ان عرفهما انه نبي يوحى اليه بما
ذكر من اخباره بالغيوب ليقوي رغبتهما في الاستماع اليه واتباع قوله ما كان لنا ان نشرك بالله
من شيء اي ما صح لنا معشر الانبيا ان نشرك بالله اي شيء كان من ملك او جني او انسي فضلا ان نشرك
به صنما لا يسمع ولا يبصر ثم قال ذلك يعني التوحيد من فضل الله علينا وعلى الناس اي على الرسل
وعلى المرسل اليهم لانهم نبهوهم عليه وارشدوهم اليه ولكن اكثر الناس اي المبعوث اليهم لا
يشكرون فضل الله فيشركون ولا ينتبهون يا صاحبي السجن يريد يا صاحبي في السجن واضاف صحبة
الفتيين الى السجن لانهما صاحباه فيه والا فالمصحوب يوسف صلى الله عليه ارباب متفرقون خير ام
الله الواحد القهار يعني بالارباب الاصنام وبالتفرق تفرقها في العدد يقول ان يكون لكما ارباب
شتى يستعبدكما هذا ويستعبدكما هذا خير لكما ام ان يكون لكما رب واحد قهار لا يغالب ولا
يشارك في الربوبية بل هو القهار الغالب وهذا مثل ضربه لعبادة الله وحده ولعبادة الاصنام
ما تعبدون من دونه الخطاب لهما ولمن على دينهما من اهل مصر الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم يعني انكم سميتم
ما لا يستحق الالهية آلهة ثم طفقتم تعبدونها فكانكم لا تعبدون الا اسماء فارغة لا مسميات تحتها
ما انزل الله بها اي بتسميتها من سلطان اي من حجة ان الحكم اي ما الحكم في امر العبادة والدين الا
لله ثم بين ما حكم به فقال امر الا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم اي الثابت الذي دلت عليه البراهين
ولكن اكثر الناس لا يعلمون اي لا ينظرون ولا يستدلون اتباعا على اهوائهم فيشركون ويعبدون ما لا
يستحق العبادة يا صاحبي السجن لما فرغ من تقديم الهداية لهما اجاب عن سؤالهما فقال اما احدكما
يريد الشرابي فيسقي ربه خمرا يعني الملك واما الآخر يعني الخباز فيصلب اي يقتل فيصلب على

خبث فتاكل الطير من راسه بعد قتله روي انه قال للاول ما رايت من الكرمة وحسنها هو الملك
وحسن حالك عنده واما القضبان الثلاثة يعني العناقيد الثلاثة فانها ثلاثة ايام تمضي في السجن ثم
تخرج وتعود الى ما كنت عليه وقال للثاني ما رايت من السلال الثلاثة هي ثلاثة ايام ثم تخرج فتقتل قضي الامر
الذي فيه تستفتيان اي قطع وتم ما تستفتيان فيه من امركما وشانكما والمراد بالامر ما اتهما به من سم الملك
وما سجنا من اجله وقيل انهما جحدا وقالا ما راينا شيئا على ما روي انهما تحالما له فاخبرهما ان ذلك كائن
صدقتما ام كذبتما وقال يوسف للذي ظن اي علم انه ناج منهما وهو الساقي والظان يوسف على ان
كان تاويله بطريق الاجتهاد وان كان بطريق الوحي فالظان هو الشرابي او يكون الظن بمعنى اليقين اذكرني
عند ربك اي صفني عند الملك بصفتي وقص عليه قصتي وقل له ان في السجن غلاما محبوسا ظلما لعله
يرحمني فانساه الشيطان ذكر ربه اي فانسى الشيطان الشرابي ان يذكر يوسف لربه اي للملك
وقيل فانسى يوسف الشيطان ذكر ربه الله حين وكل امره اليه واوقع في قلبه الاستعانة بالملك فعوقب
فلبث في السجن بضع سنين البضع ما بين الثلاث الى التسع وقيل عشر وقيل سبع عشرة قال رضي الله عنه
والشيطان لا يقدر على الانسان ابدا ولا يقدر عليه الا بالله ولكن الشيطان يقدر على سبب الانسان ان
يوسوس الى العبد بما يشغله عن الشيء من اسباب النسيان حتى يذهب عنه ويزول عن قلبه ذكره وظاهر الاية
ان طول لبث يوسف في السجن ونسيان الشرابي كان بسبب قول يوسف له اذكرني عند ربك فابتلي بذلك
والفا سببية في قوله فانساه قال رضي الله عنه وقد انكر على يوسف عليه السلام الاستعانة بغير الله في كشف
ما كان فيه والتحقيق ان هذا الشيء لا يثبت وقد قال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وقال حكاية عن
عيسى عليه السلام من انصاري الى الله وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه والله في عون العبد ما دام العبد في عون
اخيه المسلم ومن فرج عن مؤمن كربة فرج الله عنه كربة من كرب الاخرة وعن عائشة ان رسول الله
صلى الله عليه لم ياخذ النوم ليلة من الليالي من الخوف وكان يطلب من يحرسه حتى جاء سعد بن ابي وقاص يحرسه
فسمع غطيطه والاستعانة بالغير والاستعانة به تجري مجرى التداوي بالادوية والتقوي بالاشربة والاطعمة
ولا خلاف ايضا في جواز الاستعانة بالكفار على دفع الظلم والغرق والحرق وسائر المضار ولكن الله
لما اصطفى الانبيا على سائر الخلق اصطفى لهم احسن الامور وافضلها واولاها فالاحسن والاولى

علي ج

بالله الالتجاء اليه اذا ابتلي ببلاء الا الى ربه ولا يعتضد الا به خصوصا اذا كان المستعان به كافرا لئلا يشمت به الكفار
ويقولوا لو كان هذا على الحق وكان له رب لغيثه لما استعان بنا وعن الحسن انه كان يبكي اذا قرأها ويقول نحن اذا
نزل بنا امر فزعنا الى الناس وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات
خضر واخر يابسات قال رضي الله عنه لما دنا فرج يوسف رأى ملك مصر الريان بن الوليد رؤيا عجيبة
هائلة رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان ورأى سبع
سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا اخر يابسات قد استحصدت وادركت فالتوت اليابسات على
الخضر حتى غلبن عليها فسأل عن ذلك ولم يجد في قومه من يحسن عبارتها وعجب من غلبة الضعاف للسمان
فقال يا ايها الملأ اراد الاعيان من العلماء والحكماء افتوني في رؤياي اي عبروها لي واخبروني بتأويلها
ان كنتم للرؤيا تعبرون اي تعبرون عبارتها قال رضي الله عنه وعبرت بالتخفيف هو الذي
اعتمده المحققون ورأيتهم ينكرون عبّرت بالتشديد والتعبير والمعبّر وقد عثرت على بيت انشده المبرد
في كتابه الكامل لبعض الاعراب رأيت رؤيا ثم عبرتها وكنت للاحلام عبّارا قالوا اضغاث احلام
اضغاث الاحلام تخاليطها واباطيلها وما يكون من حديث نفس او وسوسة شيطان وما نحن بتأويل
الاحلام بعالمين اعترفوا بقصور علمهم واقروا بالعجز عن تأويلها وانهم ليسوا في تأويلها بنحارير وقال
الذي نجا منهما وهو الشرابي لانه نجا من القتل وادكر بعد امة اي وتذكر امر يوسف وما شاهده
بعد امة اي بعد مدة طويلة وذلك انه حين استفتى الملك في رؤياه واعضل على الملأ تأويلها تذكر
الناجي من الفتيين يوسف وتأويله رؤياه ورؤيا صاحبه وطلب يوسف ان يذكره عند الملك فقال
انا انبئكم بتأويله اي انا اخبركم بتأويل ما رآه الملك عمن عنده علمه فارسلون اي فابعثوني اليه لاسأله
ومروني باستعباره وعن ابن عباس لم يكن السجن في المدينة والمعنى فارسلوه الى يوسف فاتاه فقال
يوسف ايها الصديق افتنا في سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر
واخر يابسات اي البليغ في الصدق انما قال له ذلك لانه ذاق احواله وعرف صدقه في تأويل رؤياه
ورؤيا صاحبه حيث جاء كما قال ولذلك كلمه كلام محترز فقال لعلي ارجع الى الناس يعني الملك والملأ
لعلهم يعلمون فضلك ومكانك من العلم فيطلبوك ويخلصوك من محنتك ومعنى لعلي انه لعله لانه

يوسف

ليس على يقين من الرجوع فربما اخترم دونه ولا من علمهم فربما لم يعلموا قال تزرعون هذا خبر في معنى الامر
وانما يخرج الامر في صورة الخبر للمبالغة في ايجاب ايجاد المأمور به والمعنى ازرعوا سبع سنين دأبا اي
متتابعة وهذه السبع تأويلات البقرات السمان فما حصدتم فذروه في سنبله اي في علاقته
لئلا يتسوس لانه ابقى له الا قليلا مما تأكلون فانكم تدرسونه للحاجة اليه ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد
اي مجدبات صعاب وهذه تأويلات البقرات العجاف يأكلن اي تفنين وتذهبن ما قدمتم لهن اي ما
ادخرتم لهن من الحب الذي هو في سنبله الا قليلا مما تحصنون اي الا قليلا مما تحرزون وتخبئون ثم
يأتي من بعد ذلك الزمان المجدب وهو السبع الشداد عام فيه يغاث الناس اي يمطرون ويخصبون
وفيه يعصرون اي يعصرون العنب والزيتون والسمسم ويستخرجون منها الخمر والزيت والدهن وقيل يحلبون
الضروع لان كثرة الحليب مع كثرة الخصب قال رضي الله عنه تأول البقرات السمان والسنبلات الخضر
بسنين مخاصيب والعجاف واليابسات بسنين مجدبات ثم بشرهم بعد الفراغ من تأويل الرؤيا
بان العام الثامن يجيء مباركا خصيبا كثير الخير غزير النعم وذلك كله من جهة الوحي وقال الملك ائتوني
به روي ان الرسول لما رجع بتأويل الرؤيا الى الملك عرف الملك ان ذلك تأويل صحيح فقال ائتوني بالذي عبر
رؤياي فجاء الرسول يوسف وقال اجب الملك فقال للرسول ارجع الى ربك يعني الملك فاسأله
ان يسأل ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن اي ما شأنهن وما السبب في تقطيع الايدي قال رضي
الله عنه انما تأبى يوسف وتثبت في اجابة الملك وقدم سؤال النسوة ليظهر براءة ساحته عما
قرف به وسجن فيه لئلا يتسلق به الحاسدون الى تقبيح امره عنده ويجعلوه سلما الى حط منزلته
لديه ولئلا يقولوا ما خلد في السجن الا لامر عظيم وكبير حوبة ان يسجن ويعذب ويستكف شره وفيه
دليل على ان الاجتهاد في نفي التهم واجب قال صلى الله عليه من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن
مواقف التهم ومنه قوله صلى الله عليه للمارين به في معتكفه وعنده بعض نسائه هي فلانة اتقاء للتهمة وعن
النبي صلى الله عليه لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف
والسمان ولو كنت مكانه ما اخبرتهم حتى اشترط ان يخرجوني ولقد عجبت منه حين اتاه الرسول فقال
ارجع الى ربك ولو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لاسرعت الاجابة وبادرتهم الى الباب واما قال يوسف

فلما جاءه الرسول قال

خرم

بل صح

للرسول سل الملك عن شان النسوة ولم يقل سله ان يفتش عن شانهن لان السؤال مما يهيج الانسان
ويحركه للبحث عما سئل عنه فاراد ان يورد عليه السؤال ليجد في التفتيش عن حقيقة القصة وقص
الحديث حتى يتبين له براءته بيانا مكشوفا يتميز فيه الحق عن الباطل وليعلم انه حبس ظلما وانه بريء من
ما قيل فيه قال رضي الله عنه ومن كرم يوسف وحسن ادبه انه لم يذكر سيدته مع ما صنعت به وتسببت
فيه من السجن والعذاب واقتصر على ذكر المقطعات ايديهن ان ربي بكيدهن عليم اراد انه كيد عظيم
لا يعلمه الا الله لبعد غوره او اراد الوعيد لهن اي هو عليم بكيدهن او بما فعلن فمجازيهن عليه
ولما رجع الرسول الى الملك برسالة يوسف دعا الملك النسوة وقال ما خطبكن اي ما شانكن وما شانكن
اذ راودتن يوسف عن نفسه جمعهن في المراودة لانه لم يعلم من كانت المراودة ومعناه هل وجدتن
منه ميلا اليكن قلن حاش لله تعجبا من عفته ونزاهته والمعنى تعظيم يوسف من ان يتهم به ما علمنا
عليه من سوء من زنا ولا ذنوب فاحشة فلما برأته النسوة قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق اي بان ووضح
وثبت واستقر وذلك انها خافت ان كذبت شهدت عليها النسوة فاقرت وقالت انا راودته
عن نفسه وانه لمن الصادقين في قوله هي راودتني عن نفسي قال رضي الله عنه ولا مزيد على شهادتهن
له بالبراءة والنزاهة واعترافهن على انفسهن بانه لم يتعلق بشيء مما قرفته به لانهن خصومه واذا
اعترف الخصم بان صاحبه على الحق وهو على الباطل لم يبق لاحد مقال وقالت المجسمة والحشوية
عن وقد بقي لنا مقال ولابد لنا من ان نلقى في فرقة من نفت نزاهته ذلك ليعلم من كلام يوسف اي ذلك
التثبت لظهور البراءة ليعلم العزيز اني لم اخنه في حرمته بالغيب اي في حال غيبته وان
الله لا يهدي كيد الخائنين اي لا ينفذ كيد من خان امانته بل يفتضح في العاقبة بحرمان الهداية
من الله عز وجل قال رضي الله عنه وفي هذا التعريض من يوسف بامرأة العزيز في خيانتها امانة زوجها
وبالعزيز في خيانته امانة الله حين ساعدها بعد ظهور الآيات على حبس يوسف ثم اراد يوسف
عليه السلام ان يتواضع لله ويهضم نفسه لئلا يكون لها مزكيا وبحالها في الامانة معجبا ومفتخرا
وليبين ان ما فيه من الامانة ليس به وحده وانما هو بتوفيق الله عز وجل ولطفه وعصمته فقال
وما ابرئ نفسي من الزلل وما اشهد لها بالبراءة الكلية ولا ازكيها ولا علوا ما ان يريد في هذه

العروة جلدة الراس
ا امرح صحاح الجوهري

يوسف

الحادثة لما ذكرناه من الهم الذي هو ميل النفس عن طريق الشهوة البشرية لا عن طريق القصد والعزم
واما ان يريد عموم الاحوال ان النفس لامارة بالسوء اي بالقبيح وما لا يحب الله واراد جنس النفوس اي ان
هذا الجنس يامر بالسوء ويحمل عليه بما فيه من الشهوات الا ما رحم ربي اي الا البعض الذي رحمه ربي بالعصمة
كالملائكة او الا وقت رحمة ربي يعني انها امارة بالسوء في كل وقت واوان الا وقت العصمة ان ربي غفور
لصغائر المعصومين رحيم ثم بعصمته لهم قال رضي الله عنه وقد قيل ان هذا من كلام امرأة
العزيز من قوله ذلك ليعلم اني لم اخنه اي ذلك الذي قلت ليعلم يوسف اني لم اخنه بالغيب ولم اكذب
عليه في حال الغيبة وجئت بالصحيح والصدق فيما سئلت عنه وما ابرئ نفسي اي مع ذلك من الخيانة فاني
قد خنته حين قرفته وقلت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن واودعته السجن تريد
الاعتذار مما كان منها ان كل نفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي اي الا نفسا رحمها الله بالعصمة
كنفس يوسف ان ربي غفور رحيم استغفرت ربها واسترحمته مما ارتكبت والصحيح ان هذا من كلام
يوسف لان المعنى يدل عليه وعن ابن جريج هذا من تقديم القران وتاخيره يعني ان قوله ذلك ليعلم
العزيز متصل بقوله فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن وقد لفقت المبطلة روايات مصنوعة
فزعموا ان يوسف حين قال اني لم اخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين هممت بها وقالت له امرأة
العزيز ولا حين حللت تكة سراويلك يا يوسف وذلك لتهالكهم على بهت الله ورسله وقال
الملك ائتوني به اي بيوسف استخلصه لنفسي اي اجعله خالصا لي لا يشركني فيه احد فلما كلمه
يوسف وشاهد منه ما لا يحتسب قال انك اليوم لدينا مكين اي ذو مكانة ومنزلة
امين مؤتمن على كل شيء قد عرفنا امانتك وبراءتك روي ان الرسول جاءه فقال اجب الملك فخرج من
السجن ودعا لاهله اللهم اعطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عليهم الاخبار فهم اعلم الناس
بالاخبار في الواقعات وكتب على باب السجن هذه منازل البلوى وقبور الاحياء وشماتة الاعداء
وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال
اللهم اني اسالك بخيرك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية
فقال ما هذا اللسان فقال لسان ابي وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلمه بها فاجابه

وقال ايها الصديق انى احب ان اسمع رؤياى منك شفاها فقال رايت بقرات ووصف عجفها وسمنها واحوالهن ومكان خروجهن ووصف السنابل وما كان منها على الهيئة التى رآها الملك لا تخرم منها حرفا وقال له من حقك ان تجمع الطعام فى الاهرا اى المخازن فيأتيك الخلق من النواحى يمتارون منك ويجتمع لك من الكنوز ما لم يجتمع لاحد قبلك ويأخذون منك حكمك فقال الملك ومن لى بهذا ومن يجمعه قال يوسف **اجعلنى على خزائن الارض** اى على حفظها واراد بالارض ارض مصر اى ولنى خزائن ارضك **انى حفيظ عليم** اى امين احفظ ما تستحفظنيه عالم بوجوه التصرف ووصف نفسه بالامانة والكفاية وهاتان الخصلتان هما طلبة الملوك ممن يولونه وانما قال ذلك ليتوصل الى امضاء احكام الله واقامة الحق وبسط العدل والتمكن مما لاجله بعث الله الانبياء الى العباد ولعلمه ان احدا غيره لا يقوم مقامه فى ذلك فطلب التولية ابتغاء وجه الله لا لحب الملك والدنيا وعن النبى صلى الله عليه وسلم رحم الله اخى يوسف لو لم يقل اجعلنى على خزائن الارض لاستعمله من ساعته ولكنه اخر ذلك سنة يعنى لاجل طلبه للولاية قال رضى الله عنه وانما جاز ان يتولى عملا من يد كافر ويكون تبعا له وتحت امره وطاعته لانه روى عن مجاهد ان الملك كان قد اسلم وعن قتادة ان طلب يوسف التولية دليل على انه يجوز ان يتولى الانسان عملا من يد سلطان جائر وقد كان السلف يتولون القضاء من جهة البغاة ويرونه واذا علم النبى او العالم انه لا سبيل الى الحكم بامر الله ودفع الظلم الا بتمكين الملك الكافر او الفاسق فله ان يستظهر به ومذهب ابائنا عليهم السلام جواز الاستعانة بالظالم على دفع الظلم واما تولى القضاء من جهة الظلمة ففيه خلاف ابائنا عليهم السلام وفرقوا فى دفع الظلم بالظالم بين الاستعانة به وبين معاونته فاجازوا الاستعانة به ومنعوا من معاونته على الدفع فانها لا تكون الا من بعض الظالم نفع له وقيل كان الملك يصدر عن راى يوسف ولا يعترض عليه فى كل ما راى فكان فى حكم التابع له والمطيع **وكذلك** اى ومثل ذلك التمكين الظاهر **مكنا ليوسف فى الارض** ارض مصر واقدرنا له فيها ما يريد ذكر انها كانت اربعين فرسخا فى اربعين **يتبوأ منها** اى ينزل من مواضعها **حيث يشاء** لا يمنع من ذلك اذا اراد كان احب ان يحدث منزلا ومتبوأ لم يمنع لاستيلائه على جميعها ودخولها تحت ملكته وسلطانه

جمع هرء وهو الموضع الذى يجمع فيه الطعام وغيره

فى اربعين ح

روى ان الملك توجه بتاجه وختمه بخاتمه ورداه بسيفه اى قلده به ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت وروى انه قال له اما السرير فاشد به ملكك واما الخاتم فادبر به امرك واما التاج فليس من لباسى ولا لباس ابائى فقال قد وضعته اجلالا لك واقرارا بفضلك فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض الملك اليه امره وعزل قطفير ثم مات قطفير بعد فزوجه الملك امراته فلما دخل عليها قال اليس هذا خيرا مما طلبت فوجدها عذراء فولدت له ولدين افرائيم وميشا واقام العدل بمصر واحبته الرجال والنساء واسلم على يديه الملك وكثير من الناس وباع من اهل مصر فى سنى القحط الطعام بالدنانير والدراهم فى السنة الاولى حتى لم يبق معهم شئ منها ثم بالحلى والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا فقالوا والله ما راينا كاليوم ملكا اجل ولا اعظم منه فقال للملك كيف رايت صنع الله بى فيما خولنى فما ترى قال الراى رايك قال فانى اشهد الله واشهدك انى اعتقت اهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم املاكهم وكان لا يبيع من احد من الممتارين اكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس واصاب ارض كنعان وبلاد الشام نحو ما اصاب ارض مصر فارسل يعقوب بنيه ليمتاروا واحتبس بنيامين ليستانس به بعد فراق يوسف **نصيب برحمتنا** بعطائنا فى الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم **من نشاء** من اقتضت الحكمة ان نشاء له ذلك **ولا نضيع اجر المحسنين** بل ناجرهم فى الدنيا **ولاجر الاخرة خير** اى ما يعطى الله من ثواب الاخرة خير **للذين امنوا وكانوا يتقون** قال سفيان بن عيينة المؤمن يثاب على حسناته فى الدنيا والاخرة والفاجر يعجل له الخير فى الدنيا وما له فى الاخرة من خلاق وتلا هذه الاية والمعنى ان ما يعطى الله يوسف فى الاخرة خير مما اعطاه فى الدنيا دخلت اعوام القحط على الناس واصاب اخوة يوسف المجاعة فاتوه ممتارين فلذلك قوله **وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون** لم يعرفوه لطول العهد ومفارقته اياهم فى سن الحداثة ولاعتقادهم انه قد هلك ولذهابه عن اوهامهم ولقلة فكرهم فيه واهتمامهم بشانه ولبعد حاله التى بلغها من الملك والسلطان عن حاله التى فارقوه عليها طريحا فى البئر مشريا بدراهم معدودة حتى لو تخيل لهم انه هو لكذبوا انفسهم وظنونهم ولان الملك مما يبدل الزى

ولبس صاحبه من الهيبة والاستعظام ما انكرله المعروف وقيل رأوه على زي فرعون عليه ثياب
الحرير جالسا على سرير في عنقه طوق من ذهب وعلى رأسه تاج فما خطر ببالهم انه هو وقيل ما رأوه
الا من بعيد بينهم وبينه مسافة وحجاب وما وقفوا الا حيث يقف طلاب الحوائج وانما عرفهم لانه فهمهم
كانوا معقولين بهم ولمعرفتهم فكان تامل وتفطن ولما جهزهم بجهازهم اي اصلحهم بعدتهم وعدة
السفر من الزاد وما يحتاج اليه المسافرون واوقر ركائبهم بما جاؤوا له من الميرة قال ائتوني
بأخ لكم من ابيكم يعني بنيامين قال رضي الله عنه لا بد من مقدمة سبقت له معهم حتى اجتر
القول هذه المسألة روي انه لما رأهم وكلموه بالعبرانية قال لهم اخبروني من انتم وما شأنكم
فاني انكرتكم قالوا نحن قوم من اهل الشام رعاة اصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم جئتم عيونا
تنظرون عورة بلادي قالوا معاذ الله نحن اخوة بنو اب واحد وهو شيخ صديق نبي من الانبياء
اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فهلك منا واحد فقال فكم انتم هنا قالوا
عشرة قال فاين الاخ الحادي عشر قالوا هو عند ابيه يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم
انكم لستم عيونا وان الذي تقولون حق قالوا انا ببلاد لا يعرفنا فيها احد فيشهد لنا قال
فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني باخيكم من ابيكم وهو يحمل رسالة من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا
بينهم فاصابت القرعة شمعون وكان احسنهم رأيا في يوسف فخلفوه عنده الا ترون
اني اوفي الكيل اي اتمه من غير بخس وانا خير المنزلين وذلك انه احسن انزالهم واحسن
وزاد في اكرامهم ثم اوعدهم على ترك الاتيان بالاخ بقوله فان لم تأتوني به يعني بنيامين
فلا كيل لكم عندي ولا تقربون اي لا اكيل لكم طعاما ولا تقربون بلادي قالوا سنراود عنه اباه
اي سنخادعه عنه ونجتهد ونحتال حتى ننتزعه من يده وانا لفاعلون اي وانا لقادرون
على ذلك او فاعلون لا محالة لا نفرط فيه ولا نتوانى وقال لفتيانه اي لغلمانه الكيالين
اجعلوا بضاعتهم يعني التي اتوا بها ثمن الميرة وكانت دراهم في رحالهم في اوعيتهم لعلهم يعرفونها
اي يعرفون حق ردها وحق التكرم باعطاء البدلين اذا انقلبوا الى اهلهم اي اذا رجعوا الى اهلهم
وفرغوا ظروفهم لعلهم يرجعون اي لعل معرفتهم بكرمنا عليهم برد البضاعة

مدعوم الله هو الامر
لاخوته بالعشر مكنا مل
وقوله افعلوا اوسع

يوسف

قال في صحاح الجوهري الأدم جمع اديم
كأفيق وأفق وقد يجمع على افعلة كرغيف
وارغفة

الى الرجوع وكانت بضاعتهم النعال والادم وقيل تخوف ان لا يكون عند ابيه من المتاع ما يرجعون به وقيل
لم ير من الكرم ان يأخذ من ابيه واخوته ثمنا وقيل علم ان ديانتهم تحملهم على رد البضاعة وانهم لا يستحلون
امساكها فيرجعون لاجلها فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل
اي حكم بمنعه بعد هذا ان لم نأت باخينا بنيامين لقول يوسف فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي فارسل معنا
اخانا نكتل اي حكم علينا منعه ان لم نأت بنيامين نرفع المانع من الكيل ونكتال من الطعام ما
نشاء وما نحتاج اليه وقرئ يكتل بالياء يعني يكتل اخونا فينضم اكتياله الى اكتيالنا او يكن سببا للاكتيال
فان امتناعه بسببه وانا له لحافظون حتى نرده اليك قال يعقوب هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على
اخيه من قبل يعني انكم قلتم في يوسف وانا له لحافظون كما تقولونه في اخيه ثم خنتم بضمانكم ولم تحفظوه فما
آمن من مثل ذلك الواقع على اخيه من قبل ثم قال فالله خير حافظا فتوكل على الله فيه ودفعه اليهم
وهو ارحم الراحمين فارجو ان ينعم علي بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين ولما فتحوا متاعهم اي ما
حملوا من مصر وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا ابانا ما نبغي ما للنفي اي ما ندعي في القول وما نزيد
فيما وصفنا لك من احسان الملك واكرامه وكانوا قالوا ليعقوب انا قدمنا على خير رجل انزلنا و
اكرمنا كرامة لو كان رجلا من آل يعقوب ما اكرمنا كرامته او بمعناه ما نبغي شيئا وراء ما
فعل بنا من الاحسان او هو استفهام بمعنى اي شيء نطلب الطعم هذا الاحسان وقد
وفي قراءة ابن مسعود ما تبغي بالتاء على خطابه يعقوب ومعناه اي شيء تطلب وراء هذا الاحسان وقيل
معناه ما نريد منك بضاعة اخرى نرد بها الى مصر هذه بضاعتنا ردت الينا مستأنفة موضحة لقوله ما نبغي ونمير
اهلنا عطف على الهم الطعام في رجوعنا الى الملك ونحفظ اخانا بنيامين فما نصيبه مما نخافه
ونزداد كيل بعير يريد حمل بعير اي نزداد باستصحاب اخينا وسق بعير زائد على اوساق اباعرنا فاي شيء
نبتغي وراء هذه المباغي التي نستصلح بها احوالنا ونطعم بها اهالينا او انا قالوا ونزداد كيل بعير لما
ذكر فامر انه كان لا يزيد للرجل على حمل بعير للتقسيط ذلك كيل يسير هذا من كلامهم اي ذلك المكيل
لنا مكيل قليل لا يكفينا يعني ما يكال لهم فارادوا ان يزدادوا اليه ما يكال لاخيهم او ارادوا
ان الذي يطلبون زيادته لاخيهم وهو شيء قليل يجيبهم اليه الملك ولا يضايقهم فيه ويجوز ان يكون من كلام

اي احفظوه
دكم فيه

التزيد في القول
الكذب

نفقتهن يعني ان حمل بعير شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد قال يعقوب لن ارسله معكم يعني بنيامين حتى تؤتون
موثقا من الله اي لن ارسله معكم وقد رأيت منكم في يوسف ما رأيت من التفريط حتى تؤتوني ما اتوثق به من عهد الله
اراد ان تحلفوا بالله لتأتنني به هذا جواب اليمين لان المعنى حتى تحلفوا بالله لتأتنني به الا ان يحاط بكم اي الا
ان تهلكوا او لا تطيقوا الاتيان به او الا ان تموتوا فلما آتوه موثقهم اي عهدهم على اخيهم قال يعقوب الله
على ما نقول وكيل اي مطلع رقيب على كل وفاء وخيانة ومجازي على ذلك فقد فوضت الامر اليه وتوكلت
عليه وقال يعقوب يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة نهاهم عن الدخول من
باب واحد من ابواب مصر لانهم كانوا ذوي بهاء وجمال في شارة حسنة وقد كانوا اشتهروا عند اهل
مصر بالقربة عند الملك والتكرمة الخاصة التي لم تكن لغيرهم فكانوا مظنة لطموح الابصار
اليهم من بين الوفود وان يشار اليهم بالاصابع ويقال هولاء اضياف الملك انظروا اليهم ما احسنهم
من فتيان وما احقهم بالاكرام ولامر ما اكرمهم وقربهم وفضلهم فخاف لذلك ان يدخلوا كوكبة
واحدة فيعانوا لجمالهم وجلالة امرهم في الصدور فيصيبهم ما يسوءهم ولذلك لم يوصهم بالتفرق
في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين مغمورين بين الناس قال رضي الله عنه وللاصابة بالعين
وجه تصح عليه لانه يجوز ان يحدث الله عز وجل عند النظر الى الشيء الكامل والاعجاب به نقصا
فيه وخللا من بعض الوجوه ويكون ذلك ابتلاء من الله وامتحانا للعباد به ليتميز المحققون من اهل
الحشو فيقول المحقق هذا فعل الله ويقول الحشوي هو اثر العين والمشهور من مذهب اهل السنة
والعلم ان العائن صائب وعن النبي صلى الله عليه ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر
وعنه صلى الله عليه انه كان يعوذ الحسن والحسين فيقول اعيذكما بكلمات الله التامة من كل هامة
ومن كل عين لامة وما اغني عنكم من الله من شيء يعني ان اراد الله بكم سوءا لم ينفعكم ولم يدفع
عنكم ما اشرت به عليكم من التفرق وهو مصيبكم لا محالة ان الحكم الا لله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد
عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون اي لا نتوكل ولا يتوكل الا عليه ولا نفوض احد امورنا الا اليه فانه
القادر على ما يريد من نفع وضر ثم قال ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم اي متفرقين ما كان يغني عنهم
من الله من شيء اي ما كان يغني رأي يعقوب ودخولهم متفرقين شيئا قط حيث اصابهم ما ساءهم مع

الشارة الحسنة

الهامة واحدة الهوام وهي ذوات السموم ... واللامة ... العين

من اضافة التسوية اليهم وافتضاحهم بذلك واخذ اخيهم بوجدان الصاع في رحله وتضاعفت المصيبة
على ابيهم الا حاجة في نفس يعقوب قضاها وهي شفقته عليهم واظهارها بما قاله لهم ووصاهم
به وانه لذو علم لما علمناه يعني قوله وما اغني عنكم وعلمه بان القدر لا يغني عنه الحذر ولكن اكثر
الناس لا يعلمون ان يعقوب بهذه الصفة ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه اي ضمه اليه وانزله
عند نفسه وهو بنيامين وروي انهم قالوا هذا اخونا قد جئناك به فقال لهم احسنتم واصبتم وستجدون
ذلك عندي فانزلهم واكرمهم ثم اضافهم واجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين وحده فبكى
وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال يوسف بقي اخوكم وحيدا فاجلسه معه على
مائدته وجعل يواكله وقال انتم عشرة فلينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لا ثاني له فيكون معي
فبات يوسف يضمه اليه ويشم رائحته حتى اصبح وسأله عن ولده فقال لي عشرة بنين اشتققت اسماءهم
من اسم اخ لي هلك فقال له يوسف اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك فقال من يجد اخا
مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام اليه وعانقه قال له اني انا اخوك
يوسف فلا تبتئس اي فلا تحزن ولا تغتم بما كانوا يعملون بنا فيما مضى من الحسد لنا وصرف وجه ابينا عنا
فان الله عز وجل قد احسن الينا وجمعنا على خير ولا تعلمهم بما اعلمتك وروي انه قال له فانا لا
افارقك فقال يوسف قد علمت اغتمام والدي بي فاذا حبستك ازداد غمه ولا سبيل الى ذلك الا
ان انسبك الى ما لا يجمل قال لا ابالي فافعل ما بدا لك قال يوسف فاني ادس صاعي في رحلك ثم انادي
عليك بانك سرقته ليتهيأ لي ردك بعد تسريحك معهم قال افعل فلما جهزهم بجهازهم يعني اوقر
جمالهم طعاما في الكرة الثانية جعل السقاية في رحل اخيه بنيامين والسقاية اناء من ذهب مرصع
بالجواهر وقيل مشربة كان يشرب بها الملك ثم جعلها يوسف صاعا يكال به ثم اذن مؤذن اي نادى
مناد ايتها العير انكم لسارقون العير الابل التي عليها الاحمال والمراد اصحاب العير وروي انهم
ارتحلوا وامهلهم يوسف حتى انطلقوا ثم امر بهم فادركوا وحبسوا ثم قيل لهم ذلك قالوا يعني اخوة
يوسف واقبلوا عليهم اي على المؤذن ومن معه من غلمان يوسف قائلين لهم ماذا تفقدون اي ما
الذي سرق منكم ففقدتموه قالوا نفقد صواع الملك يعنون السقاية ولمن جاء به حمل بعير من الطعام

له وهذا من كلام المؤذن وانا به زعيم اى كفيل ضامن اوديه الى من جاء به قالوا يعنى اخوة يوسف
تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض هذا قسم فيه معنى التعجب مما اضيف اليهم من السرقة وانما قالوا
لقد علمتم فاستشهدوا بعلمهم لما ثبت عندهم من دلائل دينهم وامانتهم في كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك
ولانهم دخلوا وافواه رواحلهم معكومة لئلا تتناول زرعا او طعاما لاحد من اهل السوق ولانهم
ردوا بضاعتهم التي وجدوها في رحالهم وما كنا سارقين اى وما كنا نوصف قط بالسرقة
وهي منافية لحالنا وليست من عادتنا قالوا يعنى غلمان يوسف فما جزاؤه الضمير للصواع
اى فما جزاء سرقته ان كنتم كاذبين في جحودكم وادعائكم البراءة منه قالوا يعنى اخوة يوسف جزاؤه
من وجد في رحله فهو جزاؤه اى جزاء سرقته اخذ من وجد في رحله وكان حكم السارق في آل يعقوب
ان يسترق سنة فلذلك استفتوا في جزائه وقولهم فهو جزاؤه تقرير للحكم اى فاخذ السارق نفسه
هو جزاؤه لا غير كذلك نجزي الظالمين اى اذا سرق سارق استرق فلما اقروا بهذا الحكم صرفوا
الى يوسف لتفتيش اوعيتهم امتعتهم فبدأ باوعيتهم وهي كل ما استودع شيئا من جراب وجوالق
ونحوه قبل وعاء اخيه قيل قال لهم من وكل بهم لا بد من تفتيش اوعيتكم فانصرف بهم الى يوسف فبدأ
بتفتيش اوعيتهم قبل وعاء بنيامين لنفي التهمة حتى بلغ وعاءه فقال ما اظن هذا اخذ شيئا
فقالوا والله لا نتركه حتى تنظر في وعائه فانه اطيب لنفسك وانفسنا فاستخرجوه منه
ثم استخرجها من وعاء اخيه يعنى السقاية من وعاء اخيه الذي هو بنيامين وذكر ضمير الصواع
انث لان يوسف كان يسميه سقاية وعبيده يسمونه صواعا فذكر في كلامهم وانث في كلام يوسف
كذلك كدنا ليوسف اى مثل ذلك الكيد العظيم الذى هو في الابتداء كدنا ليوسف يعنى علمناه اياه
واوحينا به اليه حتى ضممنا اليه اخاه بمعنى حيلة وحسن تدبير ما كان لياخذ اخاه في دين الملك
اى في حكمه وسيرته الا ان يشاء الله اى ما كان ياخذه الا بمشيئة الله واذنه وذلك ان حكم الملك
في السارق ان يغرم ضعفي ما سرق لا ان يلزم ويستعبد فلم يكن يتمكن يوسف من ضم اخيه اليه
الملك لولا ما كاد الله له تلطفا حتى وجد السبيل الى ذلك وهو ما جرى على السنة اخوته انه جزاء
الاسترقاق نرفع درجات من نشاء بضروب الكرامات وانواع العلوم كما رفعنا درجة

علم

يوسف على اخوته في كل شيء من العلم وغيره وفوق كل ذي علم عليم يكون هذا اعلم من هذا وهذا ارفع
درجة من هذا حتى ينتهى العلم الى الله قال رضى الله عنه ما اذن الله عز وجل فيه يجب ان يكون حسنا
فمن اى وجه حسن هذا الكيد من يوسف لاخوته وما هو الا بهتان وتسريق لمن لم يسرق وتكذيب
لمن لم يكذب واجاب بانه في صورة البهتان وليس ببهتان على الحقيقة لان قوله انكم لسارقون
تورية عما جرى مجرى السرقة من فعلهم بيوسف وقوله ان كنتم كاذبين فرض لانتفاء براءتهم وفرض
التكذيب لا يكون تكذيبا على انه لو صرح لهم بالتكذيب كما صرح لهم بالتسريق لكان له وجه لانهم كانوا
كاذبين في قولهم وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وحكم هذا الكيد حكم الحيل الشرعية
التي يتوصل بها الى مصالح ومنافع دينية كقوله تعالى لايوب وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث
وقول ابرهيم هي اختي لتسلم من الكافر وما الشرائع كلها الا مصالح وطرق الى التخلص من الوقوع
في المفاسد وقد علم الله تعالى في هذه الحيلة التي لقنها يوسف مصالح عظيمة فجعلها سلما وذريعة
اليها فكانت حسنة جميلة وانزاحت عنها وجوه القبح لما ذكرنا ولما اخرج الصواع
من رحل بنيامين قالوا ليوسف ان يسرق بنيامين الصواع فقد سرق اخ له من قبل يعنون
يوسف عليه السلام روى انهم لما استخرجوا الصواع من رحل بنيامين نكس اخوته رؤوسهم حياء واقبلوا
عليه وقالوا ما الذي صنعت فضحتنا وسودت وجوهنا يا بني راحيل ما يزال لنا منكم بلاء
فقال بنيامين بنو راحيل الذي لا يزال منكم عليهم البلاء ذهبتم باخي فاهلكتموه ووضع هذا الصاع
في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالكم واختلف فيما اضافوا الى يوسف من السرقة فقيل كان
اخذ صنما في صباه لجده ابي امه فكسره والقاه بين الجيف في الطريق وقيل دخل كنيسة فسرق تمثالا صغيرا من
ذهب كانوا يعبدونه فدفنه وقيل كانت في المنزل عناق او دجاجة فاعطاها السائل وقيل
كانت لابراهيم عليه السلام منطقة يتوارثونها الاكبر ولده فورثها اسحق ثم وقعت الى ابنته وكانت اكبر
اولاده فحضنت يوسف وهي عمته بعد وفاة امه وكانت لا تصبر عنه فلما شب اراد يعقوب ان
ينزعه منها فعمدت الى المنطقة فحزمتها على يوسف تحت ثيابه وقالت فقدت منطقة اسحق
فانظروا من اخذها فوجدوها محزومة على يوسف عليه السلام فقالت انه لي سلم اى مسلّم الى افعل

به ما نسب محلاه يعقوب عندها حتى ماتت فاسرها يوسف في نفسه اى اسر الكلمه التى كان
جواب قولهم هذا ولم يبدها لهم وهو انه قال في نفسه انتم شر مكانا ومعناه انتم شر منزلة في
السرق لانكم سارقون في الصحة لسرقتكم اخاكم من ابيكم او انتم شر مكانا عند الله مما صنعتم
من ظلم اخيكم وعقوق ابيكم والله اعلم بما تصفون اى يعلم الله انه لم يصح لي ولا لاخي سرقة وعلم
ان الذى يصفونه كذب فلما عزم يوسف على اخذ اخيه قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا
كبيرا استعطفوه باذكارهم اباه خوانهم يعقوب وانه شيخ كبير السن او كبير القدر وان
بنيامين احب اليه منهم وكانوا قد اخبروه بان ولدا له قد هلك وهو عليه ثكلان وانه
مستانس باخيه فخذ احدنا مكانه اى واحدا منا تستعبده بدل بنيامين انا نراك من المحسنين
الينا فاتمم احسانك او من عادتك الاحسان فاجر على عادتك ولا تغيرها قال يوسف
مجيبا لهم معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده اى نعوذ بالله من ان نظلم
بان ناخذ غير من وجدنا متاعنا عنده وهو الصاع انا اذا لظالمون اى ان اخذنا بدله ظلمنا
قال رضي الله عنه وهذا من يوسف عليه السلام كلام موجه ظاهره انه وجب على قضية فتواكم
اخذ من وجد الصواع في رحله واستعباده فلو اخذنا غيره كان ذلك ظلما في مذهبكم فلم تطلبون
ما عرفتم انه ظلم وباطنه ان الله امرني واوحى الي باخذ بنيامين واحتباسه لمصلحة او لمصالح
جمة علمها في ذلك فلو اخذت غيره بغير ما امرني به كنت ظالما وعاملا على خلاف الوحي فلما استيأسوا
منه اى لما استيأسوا من سماحه و [illegible] خلصوا نجيا اى اعتزلوا وانفردوا عن الناس
خالصين لا يخالطهم سواهم متناجين في تدبير امرهم وعلى اى صفة يذهبون وما ذا يقولون لابيهم
في شان اخيهم كقوم دهمهم خطب فاحتاجوا الى التشاور في تعيين المخلص منه قال كبيرهم
وهو روبيل وكان اكبرهم سنا هذا في قول قتادة والسدي وقال مجاهد هو شمعون وكان اكبرهم
في العقل والعلم وقال عطا والكلبي ومقاتل هو يهوذا ولم يكن اكبرهم سنا ولكن كان اكبرهم
في صحة الراي الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله في حفظ بنيامين ورده
اليه ومن قبل ما فرطتم في يوسف اى قصرتم في حفظه وخنتموه فيه وما زائده فلن ابرح الارض

اى فلن افارق ارض مصر حتى ياذن لي ابي في الانصراف اليه او يبعث الي ان ائتيه او يحكم الله لي
اى يقضي في امري شيئا او يحكم لي بالخروج منها او بالانتصاف ممن اخذ اخي او بخلاصه من يده
بسبب من الاسباب وهو خير الحاكمين اى اعدلهم لانه لا يحكم ابدا الا بالعدل والحق
ولما طال كلامهم في هذا واشتدت مشورتهم قال روبيل لاخوته ارجعوا الى ابيكم فقولوا
يا ابانا ان ابنك سرق يعنون في ظاهر الامر وقرئ سُرِّق اى نسب الى السرقة وما شهدنا
الا بما علمنا من سرقته وتيقناه لان الصاع استخرج من وعائه ونحن ننظر ولا علم لنا باكثر من هذا
وما كنا للغيب حافظين اى ما كنا نحفظه اذا غاب عنا وما علمنا انه سيسرق حتى اعطيناك
الموثق او ما علمنا انك تصاب به كما اصبت بيوسف ومن قرا سُرِّق فمعناه وما شهدنا الا
بقدر ما علمنا من التسريق وما كنا للغيب اى للامر الخفي حافظين اسرق بالصحة ام دس
الصاع في رحله ولم يشعر واسأل القرية التي كنا فيها هي مصر اى ارسل الى اهلها فاسألهم عن
حقيقة القصة والعير التي اقبلنا فيها اى واسال اصحاب العير وكانوا قوما من
كنعان من جيران يعقوب عليه السلام وقيل من اهل صنعاء وانا لصادقون فيما وصفنا لك
ولما رجعوا الى ابيهم يعقوب واخبروه بما قال لهم اخوهم روبيل قال بل سولت لكم انفسكم
امرا اى سهلت لكم امرا اردتموه والا فما ادرى ملك مصر ان السارق يؤخذ بسرقته لولا
فتواكم وتعليمكم فصبر جميل اى اجمل لي فاعتمده وهو الذي لا شكوى فيه الى احد عسى الله
ان ياتيني بهم جميعا اى بيوسف واخيه وبكبيرهم انه هو العليم بحالي في الحزن والاسف
الحكيم الذي لم يبتلني بذلك الا لحكمة ومصلحة وقال يا اسفى على يوسف وقوله يا اسفى
اضاف الاسف الى نفسه والالف بدل من الياء والاسف اشد الحزن والحسرة اى يا طول حزني عليه
وعن النبي صلى الله عليه وسلم لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا امة محمد
صلى الله عليه وسلم الا ترى الى يعقوب حين اصابه ما اصابه لم يسترجع وانما قال يا اسفا قال رضي الله
عنه وتاسف يعقوب على يوسف دون اخيه ودون الثالث مع ان الرزء الاحدث اشد على النفس
واظهر اثرا دليل على تمادي اسفه على يوسف وانه لم يقع فائت عنده موقعه وان الرزء فيه

6

وان تقادم عهده كان غضا عنده طريا وما احسن قوله ولم تنسني أوفى المصيبات بعده ولكن
نكأ القرح بالقرح أوجع ولان الرزء في يوسف كان قاعدة مصيباته التي ترتبت عليها الرزايا
في ولده فكان الاسف عليه اسفا على من لحق به وابيضت عيناه اي انقلبتا الى حال البياض
فلم يبصر بهما من الحزن وقيل اذا كثر الاستعبار محقت العبرة سواد العين وقلبته الى بياض
كدر والحزن كان سبب البكاء الذي حدث منه البياض فكانه حدث من الحزن قيل ما جفت عينا يعقوب
من وقت فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين سنة وما على وجه الارض اكرم من يعقوب
على الله عز وجل قيل كان قد عمي بصره وعن النبي صلى الله عليه انه سال جبريل ما بلغ من وجد يعقوب
على يوسف قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من الاجر قال اجر مائة شهيد وما ساء ظنه
بالله عز وجل ساعة قط فان قلت رضي الله عنه كيف جاز لنبي الله ان يبلغ به الجزع ذلك المبلغ قلت
الانسان مجبول على ان لا يملك نفسه عند الشدائد من الحزن ولذلك حمد صبره وان يضبط
نفسه حتى لا يخرج الى ما لا يحسن ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه على ولده ابرهيم وقال
القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابرهيم لمحزونون وانما
الجزع المذموم ما يقع من الجهلة من الصياح والنياحة ولطم الصدور والوجوه وتمزيق الثياب
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه بكى على ولد بعض بناته وهو يجود بنفسه فقيل يا رسول الله
تبكي وقد نهيتنا عن البكاء فقال ما نهيتكم عن البكاء وانما نهيتكم عن صوتين احمقين صوت عند
الفرح وصوت عند الترح وعن الحسن رحمه الله انه بكى على ولد او غيره فقيل له في ذلك
فقال ما رايت الله جعل الحزن عارا على يعقوب فهو كظيم اي مملوء غموم مكروب لا يظهر
حزنه بجزع او شكوى قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف فانه قسم والقسم [illegible] معنى النفي
كانهم تعجبوا منه وانكروا عليه كثرة ذكره ليوسف والمعنى لا تزال تذكره وعن مجاهد لا تفتر
حتى تكون حرضا اي مشفيا على الهلاك ومقاربا للوقوع فيه او تكون من الهالكين اي
لا تزال تذكره بالحزن والبكاء عليه حتى تصير بذلك الى مرض لا تنتفع بنفسك بعده او تموت
فلما اغلظوا له القول قال انما اشكو بثي وحزني الى الله البث اصعب الهم الذي لا يصبر عليه

صاحبه فيبثه الى الناس اي ينشره اليهم والمعنى اني لا اشكو الى احد منكم ومن غيركم وانما اشكو
الى ربي داعيا له وملتجيا اليه فخلوني وشكايتي وهذا معنى توليه عنهم اي فتولى عنهم الى الله والشكاية
اليه وقيل دخل على يعقوب جار له فقال يا يعقوب قد تهشمت وفنيت وما بلغت من السن ما بلغ ابوك
فقال هشمني وافناني ما ابتلاني الله به من هم يوسف فاوحى الله عز وجل اليه يا يعقوب اتشكوني الى
خلقي فقال يا رب خطيئة اخطاتها فاغفر لي فغفر له فكان بعد ذلك اذا سئل قال انما اشكو بثي
وحزني الى الله وروي انه اوحى الى يعقوب انما وجدت عليكم لانكم ذبحتم شاة فقام ببابكم
مسكين فلم تطعموه وان احب خلقي الي الانبياء ثم المساكين فاصنع طعاما وادعهم
عليه وقيل اشترى جارية مع ولدها فباع ولدها فبكت حتى عميت واعلم من الله ما لا تعلمون
اعلم من صنعه ورحمته وحسن ظني به انه ياتيني بالفرج من حيث لا احتسب وروي انه راى ملك الموت
في منامه فساله هل قبضت روح يوسف فقال لا والله هو حي فاطلبه من ههنا واشار الى ناحية
مصر فلذلك قال فتحسسوا من يوسف واخيه اي تعرفوا منهما وتطلبوا خبرهما وا
عنهما ولا تياسوا من روح الله اي من فرجه وتنفيسه وقرئ من روح الله بالضم اي من رحمته
التي يحيى بها العباد انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون يريد ان المؤمن
يرجو الله في الشدائد والكافر ليس كذلك فخرجوا الى مصر طالبين ليوسف واخيه بنيامين فلما
دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر اي الهزال من الشدة والجوع وجئنا
ببضاعة مزجاة اي كاسدة مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها احتقارا لها قيل كانت
من متاع الاعراب صوفا وسمنا وقيل دراهم زيوفا لا توخذ الا بوضيعة فاوف لنا الكيل الذي
هو حقنا وقيل سالوه مسامحتهم في النقد واعطاءهم بدراهمهم الزيوف مثل ما يعطى بغيرها
من الجياد وتصدق علينا عائدا بكرمك او تفضل علينا بقبول المسامحة والاغماض عن رداءتها
او تفضل علينا بالزيادة على حقنا فسموا الزيادة صدقة لكونها غير لازمة وليس المراد حقيقة
الصدقة لان الصدقات محظورات على الانبياء وقيل كانت تحل لغير نبينا صلعم والظاهر
انهم تمسكنوا له وطلبوا ان يتصدق عليهم فلذلك رق لهم وملكته الرحمة عليهم فلم يتمالك

يا بني اذهبوا الى مصر

ان تمنيهم بنفسه وقوله **ان الله يجزي المتصدقين** دليل على انه اراد حقيقة الصدقة لاجل
ذكر الله وذكر جزائه لان الصدقة هي العطية التي تطلب بها الثواب من الله ولذلك قال الحسن
لمن سمعه يقول اللهم تصدق علي ان الله تعالى لا يتصدق انما يتصدق الذي يبغي الثواب اي
الانتفاع عن صدقته وذلك لا يجوز على الله تعالى ولكن قل اللهم اعطني او تفضل علي
او ارحمني ولما قالوا له ذلك ادركته الرقة ودمعت عيناه و**قال** توبيخا لهم وتعظيما لما فعلوا
هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اتاهم من جهة الدين وكان حليما موفقا فكلمهم مستفهما عن
معرفة وجه القبح الذي يجب على التائب ان يهتم به اراد نصيحتهم بالتوبة الى الله لتفريطهم
في حق الله فقال هل علمتم قبح ما فعلتم بيوسف واخيه **اذ انتم جاهلون** اي وقت انتم جاهلون
لا تعلمون قبحه فلذلك اقدمتم عليه والمعنى هل علمتم قبحه فتتوبوا الى الله منه لان علم القبح يدعو
الى الاستقباح والاستقباح يجر الى التوبة فكان كلامه شفقة عليهم ونصحا لهم في الدين
لا معاتبة وتوبيخا ايثارا لحق الله على حق نفسه في ذلك المقام الذي يتنفس فيه المكروب
وينفث المصدور ويشتفي المغيظ المحنق ويدرك ثاره الموتور فلله اخلاق الانبياء ما اوطاها
واسجحها ولله حصى عقولهم ما ازرنها وارجحها وقيل لم يرد نفي العلم عنهم لانهم كانوا
علماء ولكنهم لما لم يعملوا بعلمهم سماهم جاهلين لاقدامهم على فعل لا يقدم عليه الا جاهل
وقيل ادوا اليه كتاب يعقوب وفيه من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم
خليل الله الى عزيز مصر اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلاء اما جدي فشدت يداه ورجلاه
ورمي به في النار ليحرق فنجاه الله وجعلت النار عليه بردا وسلاما واما ابي فوضع السكين
على قفاه ليقتل ففداه الله واما انا فكان لي ابن احب اولادي الي فذهب به اخوته الى البرية
ثم اتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد اكله الذئب فذهبت عيناي من بكائي عليه ثم كان لي
ابن وكان اخاه من امه وكنت اتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته
لذلك وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته علي والا دعوت عليك دعوة تدرك
السابع من ولدك والسلام فلما قرا يوسف عليه السلام الكتاب لم يتمالك وفاضت عيناه فقال لهم

هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه فاما فعلهم بيوسف فظاهر وفعلهم باخيه تعريضهم اياه للغم والحزن بافراده
عن اخيه لابيه وامه وجفاؤهم به حتى كان لا يستطيع ان يكلم احدا منهم الا كلام الذليل للعزيز وايذاؤهم
له بانواع الاذى ولما قال لهم هذه المقالة ورفع الحجاب **قالوا ائنك لانت يوسف قال انا يوسف** الذي
ظلمتم به ما فعلتم **وهذا اخي** المظلوم من جهتكم **قد من الله علينا** بالجمع بيننا بعد ما فرقتم قال رضي الله عنه
عرفوه لانهم راوا في روائه وشمائله حين كلمهم بذلك ما شعروا به انه هو مع علمهم بان الذي خاطبهم
به لا يصدر مثله الا عن حنيف من سنخ ابراهيم لا عن بعض اعزاء مصر وقيل تبسم عند ذلك فعرفوه
بثناياه وكانت كاللؤلؤ المنظوم وقيل ما عرفوه حتى رفع التاج عن راسه فنظروا الى علامة بقرنه
كانت ليعقوب وسارة مثلها تشبه الشامة البيضاء قال رضي الله عنه وسالوه عن نفسه
فاجابهم عنها وعن اخيه مع ان اخاه معلوما لهم لانه كان في ذكر اخيه بيان لما سالوه عنه
انه من يتق اي يخاف الله وعقابه **ويصبر** على المصائب او على الطاعات او عن المعاصي **فان الله**
لا يضيع اجر المحسنين اي من كان هذه حاله **قالوا تالله لقد آثرك الله علينا** اي فضلك الله علينا بالتقوى
والصبر والعلم والعقل والفضل والحسن وسيرة المحسنين **وان كنا لخاطئين** اي وان شاننا
وحالنا انا كنا متعمدين للاثم في امرك لم نتق ولم نصبر لاجرم ان الله اعزك بالملك واذلنا بالتمسكن
بين يديك فلما سمع ذلك منهم **قال لا تثريب عليكم اليوم** اي لا تانيب عليكم ولا تعيير لكم بعد هذا
اليوم ثم ابدا فقال **يغفر الله لكم** ودعا لهم بمغفرة ما فرط منهم **وهو ارحم الراحمين** ويروى ان اخوته
لما عرفوه ارسلوا اليه انك تدعونا الى طعامك بكرة وعشيا ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك
فقال يوسف ان اهل مصر وان ملكت فيهم فانهم ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون سبحان
من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت الان بكم وعظمت في العيون حين علم الناس
انكم اخوتي واني من حفدة ابراهيم ثم سالهم عن ابيه وعن حاله فقالوا ذهبت عيناه من البكاء عليك
فقال **اذهبوا بقميصي هذا** قيل هو القميص المتوارث الذي كان في تميمة يوسف وكان من الجنة امره
جبريل ان يرسل به اليه فان فيه ريح الجنة لا تقع على مبتلى ولا سقيم الا عوفي **فالقوه على وجه ابي**
يات بصيرا اي يرجع بصيرا **واتوني باهلكم اجمعين** اي يا بني اي وياتني اهله جميعا لا يتخلف

منهم اخذ ولما فصلت العير اي خرجت من مصر متوجه الى كنعان حاملين قميص يوسف الى يعقوب
والحامل له يهوذا قال انا احزنته بحمل القميص ملطوخا بالدم اليه فافرحه كما احزنته قيل حمله
حاف القدم مكشوف الراس من مصر الى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا ولما خرجت العير
من مصر قال ابوهم اي قال يعقوب لولد ولده ومن حوله من قومه اني لاجد ريح يوسف او جده الله ريح
القميص حين اقبل من مسيرة ثمان وذلك انه هاجت الريح فحملت ريح القميص واتصلت بيعقوب فوجد
ريح الجنة فعلم انه ليس في الدنيا من ريح الجنة الا ما كان من ذلك القميص لولا ان تفندون التفنيد
النسبة الى الفند وهو الخرف وانكار العقل من الهرم يقال شيخ مفند ولا يقال عجوز مفندة لانها
لم تكن في شبيبتها ذات راي فتفند في كبرها والمعنى لولا تفنيدكم اياي لصدقتموني قالوا
تالله انك لفي ضلالك القديم اي لفي ذهابك عن الصواب قدما في افراط محبتك ليوسف ولهجك بذكره ورجائك
للقائه وكان عندهم انه قد مات فلما ان جاء البشير وهو يهوذا القاه على وجهه اي طرح
البشير القميص على وجه يعقوب او القاه يعقوب على وجهه فارتد بصيرا اي عاد ورجع
قال الم اقل لكم يعني قوله اني لاجد ريح يوسف او قوله ولا تياسوا من روح الله وقوله اني اعلم من
الله ما لا تعلمون كلام مبتدا لم يقع عليه القول اخبرهم بانه يعلم من الله ما لا علم لهم به اي اعلم ما لا
تعلمون من اجابة الله لريح القميص او من رحمته وفرجه روي انه سال البشير كيف يوسف قال
هو ملك مصر فقال ما اصنع بالملك ولكن على اي دين تركته قال على دين الاسلام قال الان تمت النعمة
قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا اي اشفع لنا ان يغفر لنا ذنوبنا وفعلنا القبيح الى يوسف انا كنا
خاطئين اي متعمدين للاثم فيما فعلنا وهذا اعتراف منهم وندم على ما فعلوا والتزام توبة والمانع
ذلك لاسيم قال سوف استغفر لكم ربي قيل اخر الاستغفار الى وقت السحر وقيل الى ليلة الجمعة
ليتحرى به وقت الاجابة وقيل ليتعرف حالهم في صدق التوبة واخلاصها وقيل اراد الدوام على
الاستغفار لهم فقد روي انه كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة وقيل قام الى
الصلاة وقت السحر فلما فرغ رفع يديه وقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عنه
واغفر لولدي ما اتوا الى اخيهم فاوحى اليه ان الله قد غفر لك ولهم اجمعين وروي انهم قالوا الله

علمهم الكآبة ما لا يغني عنا عفوكما ان لم يعف عنا ربنا فان لم يوح اليك بالعفو فلا قرت لنا عين
ابدا فاستقبل يعقوب القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين
عشرين سنة حتى بلغ جهدهم وظنوا انها الهلكة فنزل جبريل فقال ان الله قد اجاب دعوتك
في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة انه هو الغفور الرحيم فلا يرد دعوى لكم فاخلصوا
التوبة فلما دخلوا على يوسف روي ان يوسف عليه السلام وجه الى ابيه جهازا ومائتي راحلة ليتجهز اليه
بمن معه وخرج يوسف والملك في اربعة آلاف من الجند والعظماء واهل مصر باجمعهم فتلقوا يعقوب
وهو يمشي يتوكا على يهوذا فنظر الى الخيل والناس فقال يا يهوذا اهذا فرعون مصر قال لا هذا
ولدك يوسف يا ابه فلما لقيه قال يعقوب السلام عليك يا مذهب الاحزان فقال يوسف
يا ابه بكيت علي حتى ذهب بصرك الم تعلم ان القيامة تجمعنا قال بلى ولكني خشيت ان تسلب دينك
فيحال بيني وبينك قيل دخل يعقوب وولده مصر وهم اثنان وسبعون ما بين رجل وامراة وخرجوا
منها مع موسى والمقاتلون ستمائة الف وخمسمائة وبضعة وسبعون رجلا سوى الذرية والهرمى
وكانت الذرية الف الف ومائتي الف آوى اليه ابويه اي ضمهما اليه واعتنقهما قيل كانت امه
وقيل هما ابوه وخالته امراة ابيه وكانت امه قد ماتت في نفاسها بابن يامين فجعل الخالة
الاب احد الابوين لان الرابة تدعى اما ولقيامها مقام الام او لان الخالة ام كما ان العم اب وقال
ادخلوا مصر يعني دخولهم عليه قبل دخولهم مصر انه حين استقبلهم نزل لهم في مضرب او بيت فدخلوا
عليه وضم اليه ابويه ثم قال لهم ادخلوا مصر ويجوز ان يكون قد خرج في قبة من قباب الملوك التي
تحمل على البغال فامر ان يرفع اليه ابواه فدخلا عليه القبة فآواهما اليه بالضم والاعتناق وقربهما
منه ثم قال بعد ذلك ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين قيل كانوا قبل ذلك يخافون دخول مصر
الا بجواز من الملوك وقيل امرهم بدخول مصر آمنين على جهة الدعاء لهم بالامن والسلامة
كانه قيل اسلموا وامنوا في دخولكم ان شاء الله ورفع ابويه على العرش اي لما دخل مصر وجلس
في مجلسه مستويا على سريره واجتمعوا اليه اكرم ابويه فرفعهما على السرير وخروا له سجدا
يعني الاخوة الاحد عشر والابوين سجدا اي كرموه بالسجود له على جباههم قال رضي الله عنه

نعم

اي جمع مصر وبه

وجاز لهم ان يسجدوا لغير الله لان السجود كان عندهم جاريا مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد ونحوها مما جرت عليه عادة الناس من افعال شهرت في التعظيم والتوقير وقيل ما كانت الا انحناء دون تعفير الجباه والظاهر خلافه **وقال يوسف يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل** اي هذا الواقع من سجودكم لي هو عبارة رؤياي التي رايتها قبل سجود الكواكب له سجود اخوته وسجود الشمس سجود امه وسجود القمر سجود ابيه **قد جعلها ربي حقا** اي صادقة وقد وقعت حذف ملك **وقد احسن بي** اي الي يقال احسن به واليه **اذ اخرجني من السجن وجاء بكم من البدو** اي البادية لانهم كانوا اهل عمد واصحاب مواش ينتقلون الى المياه والمراعي **من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي** اي افسد واغرى بالحسد والبغضاء **ان ربي لطيف لما يشاء** اي لطيف التدبير لاجل ما يشاء يدبره احسن تدبير حتى جاء على وجه الحكمة والصواب والمعنى ان الله قد احسن تدبير خلاصي والجمع بيني وبينكم على احسن حال وامن بال **انه هو العليم** بعواقب الامور وكيفية تدبيرها **الحكيم** الذي لا يفعل الا الحكمة والصواب وروي ان يوسف عليه السلام اخذ بيد يعقوب فطاف به في خزائنه فادخله خزائن الذهب والفضة وخزائن الحلي وخزائن الثياب وخزائن السلاح وغير ذلك فلما ادخله خزائن القراطيس قال يا بني ما اعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الي على ثمان مراحل فقال يوسف امرني جبريل قال او ما تسأله قال انت ابسط اليه مني فسأله فقال جبريل الله امرني بذلك لقولك اخاف ان ياكله الذئب قال يعقوب فهلا خفتني اي خفت عقوبتي بتغافلك عني وروي ان يعقوب عليه السلام اقام مع يوسف اربعا وعشرين سنة ثم مات واوصى ان يدفنه بالشام الى جنب ابيه اسحق عليه السلام فمضى به يوسف بنفسه ودفنه هنالك ثم عاد الى مصر وعاش بعد ابيه ثلاثا وعشرين سنة فلما تم امره وعلم انه لا يدوم له طلبت نفسه الملك الدائم وتاقت اليه فتمنى الموت فقال **رب قد آتيتني من الملك** اي بعض الملك وهو ملك مصر والمراد بعضه لانه لم يؤت الا بعض ملك مصر **وعلمتني من تاويل الاحاديث** اي بعض تفسير الكتب والسنن لانه لم يعلم كل تاويل في كل حديث وقيل يريد تفسير الاحلام **فاطر السموات والارض**

او بعض ملك مصر ح

الملك ح

انت وليي في الدنيا والآخرة اي انت الذي تتولاني بالنعمة في الدارين وتوصل الملك الفاني بالملك الباقي **توفني مسلما** اي اقبضني على الاسلام **والحقني بالصالحين** من آبائي ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والمعنى ارفعني الى درجاتهم قيل لما عني الموت نبي قبل يوسف ولا بعده فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر وتشاحوا في دفنه كل يحب ان يدفن في محلتهم حتى هموا بالقتال فراوا من الراي ان عملوا له صندوقا من رخام وجعلوه فيه ودفنوه في النيل بمكان يمر عليه الماء ثم يصل الماء الى مصر ليكونوا كلهم فيه شرعا واحدا وولد له افرائيم وميشا وولد لافرائيم نون ولنون يوشع فتى موسى ولقد توارث الفراعنة من العماليق بعده مصر ولم يزل بنو اسرائيل تحت ايديهم على بقايا دين يوسف وآبائه عليهم السلام الى ان بعث الله محمدا صلى الله عليه [وسلم] **ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك** ذلك اشارة الى ما سمع من حديث يوسف والخطاب لرسول الله صلى الله عليه [وسلم] **وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم** اي هذا النبا غيب لم يحصل لك يا محمد الا من جهة الوحي لانك لم تحضر بني يعقوب حين اجمعوا على امرهم اي حين عزموا على القائه في البئر **وهم يمكرون** المكر الكيد اي وهم يكيدون يوسف ويبغون له الغوائل قال رضي الله عنه وهذا تهكم بقريش ومن كذب النبي صلعم عليه لانه لم يخف على احد من المكذبين انه لم يكن من اهل هذا الحديث وانه لم يكن من علم قومه ولا سمعه من احد فاذا اخبر به وقصه هذا القصص العجيب الذي اعجز حملته ورواته لم تقع شبهة في انه ليس منه وانه من جهة الوحي فاذا انكروه استهزئ بهم لمكابرتهم عقولهم **وما اكثر الناس** يريد العموم وقال ابن عباس اراد اهل مكة **ولو حرصت بمؤمنين** اي وما هم بمؤمنين ولو حرصت وبالغت على ايمانهم لتصميمهم على الكفر وعنادهم **وما تسالهم عليه من اجر** اي وما تطلبهم على ما تحدثهم به من القرآن وتذكرهم ان ينيلوك منفعة وجدوى كما يعطى حملة الاحاديث والاخبار **ان هو الا ذكر** اي ما هو الا عظة من الله **للعالمين** عامة من الجن والانس وحثا لهم على طلب النجاة على لسان رسول من رسله **وكاين من آية** كاين للتكثير اي وكم من علامة ودلالة على الخالق وصفاته وتوحيده **في السموات والارض** من الشمس والقمر والنجوم والجبال وغيرها **يمرون عليها** اي يتجاوزون

بالنصب

غير متفكرين ولا معتبرين وهم عنها معرضون لا يعتبرون بها وقرئ والأرضُ بالرفع على الابتدا
ويمرون عليها خبره وقرأ السدي والأرضَ بتقدير ويطوفون الأرض يمرون عليها وفي مصحف ابن
مسعود والأرض يمشون عليها برفع الأرض والمراد ما يرون من آثار الأمم الهالكة وغير ذلك
من العبر وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون أي ما يؤمن في إقراره بالله وبأنه خلقه
وخلق السموات والأرض إلا وهو مشرك بعبادته الوثن وعن الحسن هم أهل الكتاب معهم شرك
وإيمان وعن ابن عباس هم الذين يشبهون الله بخلقه أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله
هذا إنكار عليهم في أمنهم إتيان الغاشية وهي النقمة التي تغشاهم وقيل ما يغمرهم من العذاب
أو تأتيهم الساعة بغتة أي على غفلة بغتتهم وهم لا يشعرون أي لا يعلمون بأن الوقت
الذي أنت فيه هو وقت حدوثها لإتيانها على غفلة والناس غير مستعدين لحدوثها
قل لهم يا محمد هذه الطريقة التي أنا عليها سبيلي طريقي وسنتي ومنهاجي ثم فسر سبيله
بقوله أدعو إلى الله على بصيرة أي أدعو إلى دينه مع حجة وأصحح غير عميا أنا ومن اتبعني
تأكيد أدعو إليها أنا ويدعو من اتبعني ويجوز أن يكون أنا مبتدأ وعلى بصيرة خبرًا مقدمًا ومن
اتبعني عطفًا على أنا إخبارًا مبتدأ بأنه ومن اتبعه على حجة وبرهان لا على هوى وسبحان
الله أي وقل سبحان الله تنزيهًا له عما أشركوا وما أنا من المشركين الذين اتخذوا مع الله
ندًا وما أرسلنا من قبلك يا محمد إلا رجالا يوحى إليهم رد لأنه لم يبعث قبلك نبيًا إلا رجلًا لا ملكًا ولا امرأة
لأنهم كانوا يقولون لو شاء ربنا لأنزل ملائكة وعن ابن عباس يريد ليست فيهم امرأة من أهل
القرى يعني من أهل الأمصار لأنهم أعلم وأحلم وأهل البوادي فيهم الجهل والجفاء والقسوة قيل
لم يبعث نبيًا من بادية والمعنى أن الرسل من قبلك كانوا على مثل حالك ومن قبلهم من الأمم كانوا على
مثل حالهم فأهلكناهم أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم
هذا إنكار عليهم في تركهم السير للنظر والاعتبار والمعنى أفلم يسيروا فينظروا إلى مصارع
الأمم المكذبة فيعتبروا بهم ولدار الآخرة يعني الجنة خير للذين اتقوا أي خافوا الله فلم
يشركوا به ولم يعصوه أفلا تعقلون معناه اختاروا من الشرك والمعاصي على التوحيد والطاعة

الطريق يعني العلم بها

بالبعث والنشور

فلا تعقلون أي كأنكم لا تعقلون لكم لاختيارهم الفاني على الباقي حتى إذا استيأس الرسل حتى
متعلقة بمحذوف دل عليه الكلام الأول كأنه قيل وما أرسلنا قبلك إلا رجالا فتراخى نصرهم
حتى إذا استيأسوا عن النصر أي استيأسوا من قومهم أن يؤمنوا وظنوا أنهم قد كذبوا أي أيقنوا أن قومهم
قد كذبوهم جاءهم نصرنا فنجي من نشاء وهم المؤمنون أتباع الأنبياء لأنهم الذين يستأهلون أن
ينجيهم وقد بين ذلك بقوله ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين أي ولا يرد عذابنا وإهلاكنا
عن القوم المذنبين لقد كان في قصصهم يعني في قصص إخوة يوسف أو قصص الرسل عبرة
أي تذكرة وتدبر لأولي الألباب وذلك أن من قدر على إعزاز يوسف وتمليكه مصر بعد أن كان
عبدًا لبعض أهلها قادر على أن يعز محمدًا وينصره ما كان حديثًا يفترى أي كان هذا القرآن حديثًا
كذبًا ويتقوله بشر ولكن تصديق الذي بين يديه أي ولكن كان تصديقًا لما قبله من الكتب السماوية
وتفصيل كل شيء يحتاج إليه من أمور الدين لأنه القانون الذي تستند إليه السنة والإجماع
والقياس وهدى أي بيانًا ورحمة لقوم يؤمنون يصدقون بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم

سورة الرعد مختلف فيها وهي خمس وأربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم المر تعديد للحروف على طريق
التحدي لهم عن معارضته تلك آيات الكتاب تلك إشارة إلى آيات السورة والمراد
بالكتاب السورة والذي أنزل إليك من ربك الحق يعني القرآن كله هو الحق الذي لا مزيد
عليه لا كما يقوله المشركون إنك تأتي به من نفسك ولكن أكثر الناس يعني كفار مكة لا يؤمنون
لا يصدقون بأنه حق مع ظهور الحجة وقيام الدليل وهو عجزهم عن الإتيان بمثل أقصر سورة
من سوره والإعلام بالغيوب الله الذي رفع السموات بغير عمد يعني أمسكها بقدرته
لا كما يرفع الشيء بعمد وهو ما يرفع به الخيام وسقف البيت فإنها لا ترفع إلا بشيء يرفعها من عود
أو نحوه وقوله ترونها كلام مستأنف استشهاد برؤيتهم لها كذلك أي ترونها أنتم كذلك مرفوعة
بغير عماد ثم استوى على العرش العرش سرير الملك والاستواء عليه كناية عن الملك الكامل
وأصله استوى الملك على سريره وثم تدل على حدوث العرش وسخر الشمس والقمر أي ذللهما لما يراد منهما

اى الى وقت معلوم وهو فنا الدنيا لان حركتهما لا
من منافع العباد كل يجري لاجل مسمى
تنقطع الى يوم القيمة يدبر الامر يقضي بحكمته ويدبر امر ملكوته وربوبيته يفصل الايات
يبين الدلالات التي تدل على التوحيد والبعث او يفصل اياته في كتبه المنزلة لعلكم بلقا
ربكم توقنون اى لكي توقنوا يا اهل مكة بالبعث والجزا وبان هذا المدبر والمفصل لابد لكم
من الرجوع اليه وهو الذي مد الارض اى بسطها ووسعها وجعل فيها رواسي
اى جبالا تثبتها وتسكنها من الاضطراب لانها كانت تضطرب قبل الجبال فسكنها
بها من الاضطراب وانهارا جارية كانه قال جعل رواسي مرتفعة وانهارا منخفضة
ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين اى خلق فيها من جميع انواع الثمرات صنفين
صنفين حين مدها ثم تكاثرت بعد ذلك وتنوعت وقيل اراد بالزوجين الاسود والابيض
والحلو والحامض والصغير والكبير وما اشبه ذلك من الاصناف المختلفة يغشي الليل
النهار اى يلبسه مكانه فيصير اسود مظلما بعدما كان ابيض منيرا وقرئ يغشي بالتشديد
ان في ذلك اى في هذه الافعال العظيمة لايات لدلائل على عظم القدرة وباهر الحكمة
لقوم يتفكرون اى ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون وفي الارض قطع متجاورات
اى بقاع مختلفة مع كونها متجاورة متلاصقة طيبة الى سبخة وكريمة الى زهيدة وصلبة
الى رخوة وصالحة للزرع لا للشجر الى اخرى على عكسها مع انتظامها جميعا في
الارضية وذلك دليل على قادر مدبر موقع لافعاله على وجه دون وجه وجنات اى
بساتين من اعناب وزرع ونخيل يعني وكذلك الكروم والزروع والنخيل النابتة في هذه
القطع مختلفة الاجناس والانواع صنوان وغير صنوان الصنوان جمع صنو وهي
النخلة لها راسان واصلهما واحد وغير الصنوان هي المتفرقة واحدة واحدة تسقى
بماء واحد اى تسقى هذه القطع والجنات والنخيل بماء واحد وتراها متغايرة في الصور والا
والطعوم والروائح ونفضل بعضها على بعض في الاكل يعني في الثمر فمنه حلو
وحامض ومعتدل وجيد ورديء ان في ذلك لايات لقوم يعقلون اى يعقلون المقتضي

حلو

التي تقل ريعها

عقولهم بالتفكر في معنى ذلك لان من لا يتفكر ولا يتامل لا يقتضي عقله فهو في حكم من لا عقل
له وان تعجب يا محمد من عبادتهم ما لا يضر ولا ينفع وتكذيبهم بعد البيان فعجب اعظم من انكارهم
البعث وهو معنى قوله فعجب قولهم ءاذا كنا ترابا ءانا لفي خلق جديد اى وان تعجب يا محمد
من قولهم في انكار البعث فقولهم عجيب حقيق بان يتعجب منه لان من قدر على انشا ما عدد من
الفطر العظيمة ولم يعي بخلقهن كانت الاعادة اهون شي عليه وايسره فكان انكارهم
اعجوبة من الاعاجيب اولئك الذين كفروا بربهم اى اولئك الكاملون المتمادون في
كفرهم واولئك الاغلال في اعناقهم هي جمع غل وهو طوق تغل به اليد الى العنق وهذا
وصف لهم بالاصرار كانهم ممنوعون عن قبول الاسلام واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة اى بالنقمة قبل العافية والاحسان اليهم
بالامهال وذلك انهم سالوا رسول الله صلى الله عليه ان ياتيهم بالعذاب استهزاء منهم بانذاره
وقد خلت من قبلهم المثلات اى مضت من قبلهم عقوبات امثالهم من المكذبين
فما لهم لم يعتبروا بها ولم يتركوا الاستهزا والمثلة العقوبة وان ربك لذو مغفرة للناس
على ظلمهم اى مع ظلمهم انفسهم بالذنوب يعني يتجاوز عن المشركين اذا امنوا والمعنى انه
يغفر الصغاير المكفرة لمجتنب الكباير او يغفر الكباير بشرط التوبة او اراد بالمغفرة الستر
والامهال وروي ان هذه الاية لما نزلت قال النبي صلى الله عليه لولا عفو الله وتجاوزه ما هنا
احدا العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد وان ربك لشديد العقاب يعني لمن اصر
على الكفر او الكباير ويقول الذين كفروا من اهل مكة لولا انزل عليه اية من ربه لم
يعتدوا بما انزل على رسول الله صلى الله عليه من الايات الباهرة بل كابروا وعاندوا فطلبوا
نحو ايات موسى وعيسى من انقلاب العصا حية واحيا الموتى فقيل له انما انت منذر اى انما انت
رجل ارسلت منذرا مخوفا لهم من سوء العاقبة وناصحا كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان
بما تصح به انك رسول منذر وصحة ذلك حاصلة باي اية كانت والايات كلها سوى في حصول
صحة الدعوى بها لا تفاوت بينها والله تعالى يعطي كل نبي اية على حسب ما اقتضاه علمه بالمصالح

ولكل قوم من الامم هاد من الانبيا يهديهم الى الدين ويدعوهم الى الله بوجه من الهداية
وبآية خص بها ولم يجعل الانبيا سوا في جميع الآيات ويجوز ان يكون المعنى انهم يجحدون
كون ما انزل عليك آيات ويعاندون فلا يهمنك ذلك انما انت منذر فما عليك الا الانذار
لا ان تثبت الايمان في صدورهم ولست بقادر عليه او لكل قوم هاد قادر على هدايتهم
بالالجا وهو الله تعالى الله يعلم ما تحمل كل انثى اي ما تحمله من الولد على اي حال هو من ذكورة
وانوثة وتمام وخداج وحسن وقبح وطول وقصر وغير ذلك من الاحوال الحاضرة والمستقبلة
وما تغيض الارحام وما تزداد اي وتعلم ما تنقصه الارحام وما تزداد اي ما تحمله زائدا
مما تنقصه الرحم وتزداد عدد الولد فانها تشتمل على واحد وقد تشتمل على اثنين وثلاثة واربعة
ويروى ان شريكا كان رابع اربعة في بطن امه ومنه جسد الولد تاما ومخدجا ومنه مدة
ولادته فانها تكون اقل من تسعة اشهر وازيد عليها الى سنتين عند ابي حنيفة والى اربع
عند الشافعي والى خمس عند بعض مالك ومذهب آبائنا عليهم السلم هو ما ذهب اليه
وروى الامام ابو طالب ان النفس الزكية بقي في بطن امه اربع سنين والشعبي ولد لسنتين
وجرير لمثلها وعبد الملك بن مروان لستة اشهر والضحاك بن مزاحم لستة عشر
شهرا وشعبة لسنتين ومحمد بن عجلان اكثر من ثلاث سنين ومالك بن انس اكثر من سنتين وقال
الواقدي سمعت نساء الحجاف من ولد زيد بن الخطاب يقلن ما حملت امراة منا
اقل من ثلاثين شهرا وقيل ان الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حيان بقي في بطن امه
اربع سنين ولذلك سمي هرما ومنه الدم فانه يقل ويكثر وعن الحسن الغيض
ان تضع لثمانية اشهر او اقل والازدياد ان تزيد على تسعة اشهر وعنه الغيض
يكون سقط الغير تام والازدياد ما ولد لتمام وكل شيء عنده بمقدار اي بقدر وحد لا
يجاوزه ولا ينقص عنه عالم الغيب والشهادة وهو ما غاب عن الخلق والشهادة ما
الخلق الكبير العظيم الشان الذي كل شيء دونه المتعال المستعلي على كل شيء بقدرته او
الذي كبر عن صفات المخلوقين وتعالى عنها سواء منكم من اسر القول ومن جهر به

الخداج القا الولد قبل التمام

ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار السارب الذاهب في طريقه يقال سرب في الارض سروبا
اذا ذهب والمعنى ان المضمر في نفسه والجاهر بنطقه والمستخفي في الظلمات والظاهر في الطرقات
علم الله سبحانه فيهم سوا والمستخفي المختفي والسارب الظاهر المار على وجهه له
اي للانسان ومن جهر ومن استخفى ومن سرب معقبات من بين يديه ومن خلفه اي جماعات من الملائكة
تعقب في حفظه وكلاءته ويتعاقبون في النزول الى الارض بعضهم بالليل وبعضهم بالنهار
من بين يدي الانسان ومن خلفه يحفظونه من امر الله اي بامره مما لم يقدر فاذا جاء القدر خلوا بينه
وبينه او يحفظونه من اجل امر الله اي من اجل ان الله امرهم بحفظه ويدل عليه قراءة علي
عليه السلم وابن عباس وزيد بن علي وجعفر الصادق وعكرمة يحفظونه بامر الله او يحفظونه
من بأس الله ونقمته اذا اذنب بدعائهم له ومسألتهم ربهم ان يمهله رجاء ان يتوب وينيب ان
الله لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة حتى يغيروا ما بانفسهم من الحال الجميلة بكثرة
المعاصي واذا اراد الله بقوم سوءا اي بلاء وعذابا ينزله عليهم فلا مرد له اي فلا يقدر
احد ان يرده وما لهم من دونه من وال اي من يلي امرهم ويمنع العذاب عنهم هو الذي يريكم
البرق خوفا وطمعا اي يخافه قوم ويطمع فيه آخرون وقيل معنى الخوف والطمع ان وقوع
الصواعق يخاف عند لمع البروق ويطمع في الغيث وقيل يخاف المطر من له فيه ضرر كالمسافر
ومن في جرينه التمر والزبيب ومن له بيت لا يكنه ومن البلاد ما لا ينتفع اهله بالمطر كاهل
مصر ويطمع فيه من له فيه نفع ويحيى به وينشئ السحاب الثقال بحمل الماء ويسبح الرعد بحمده اي
ويسبح سامعو الرعد من العباد الراجين للمطر اي يقولون سبحان الله والحمد لله وعن النبي صلى الله عليه
انه كان يقول سبحان من يسبح الرعد بحمده وعن علي عليه السلم انه كان يقول سبحان من سبحت له
واذا اشتد الرعد قال النبي صلى الله عليه لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل
ذلك وعن ابن عباس ان اليهود سالت النبي صلى الله عليه عن الرعد ما هو فقال ملك من الملائكة موكل
بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب وعن الحسن هو خلق من خلق الله ليس بملك
والملائكة من خيفته اي ويسبح الملائكة من هيبته واجلاله وخشيته ويرسل الصواعق وهي التي

تحرق من برق السحاب وتنتشر على الارض ضوؤها فيصيب بها من يشاء اي من شاء اصابته ممن قصر العلم
ان اصابته مصلحة قال رضي الله عنه ذكر الله تعالى علمه النافذ في كل شيء وذكر اشتوا الظاهر
والخفي عنده وما دل على قدرته الباهرة ووحدانيته الظاهرة ثم قال وهم يعني الذين كفروا وكذبوا
يجادلون في الله اي يخاصمون فيه حيث يشركون ونحلوا رسول
رسول الله صلى الله عليه وانكروا ايانه واعادة الخلائق بقولهم من يحيي العظام وهي رميم ويشركون
ما يصفه به من القدرة على البعث واعادة الخلائق بقولهم من يحيي العظام الملائكة بنات
الوحدانية باتخاذ الشركا والانداد ويجعلونه بعض الاجسام المتوالد بقولهم
الله فهذا جدالهم بالباطل وهو شديد المحال اي القوة والمحال المماحلة وهي شدة المماكرة
والمكايد والمعنى انه شديد المكر والكيد لاعدائه باتيهم بالهلاك من حيث لا يحتسبون وقيل
الواو للحال في قوله وهم يجادلون اي فيصيب بالصواعق من يشا في حال جدالهم وذلك ان اربد
ربيعة العامري سال النبي صلى الله عليه عن ربنا امن نحاس هو ام من حديد
فارسل الله عليه صاعقة فاحرقته له دعوة الحق اي لله من خلقه الدعوة الحق وهي
كلمة التوحيد لا اله الا الله والذين يدعون من دونه اي والالهة الذين يدعونهم الكفار
دون الله لا يستجيبون لهم بشيء من طلباتهم ولا جماد دعوا الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه اي
الا كاستجابة الذي يبسط كفيه يشير الى الماء ويدعو اليه وما هو ببالغه اي وما الماء ببالغ
فاه لدعوته قيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لالهتهم بمن اراد ان يغرف الماء بيديه ليشربه فبسطهما
ناشر الاصابعه فلم يلق كفاه منه شيئا ولم يبلغ طلبته من شربه فكذلك الاوثان لا نفعا ولا ضر
وما دعا الكافرين لاصنامهم الا في ضلال اي في هلاك وضياع لا منفعة فيه لانهم ان دعوا
الله لم يجبهم وان دعوا الالهة لم تستطع اجابتهم ولله يسجد من في السموات والارض
الملكة والمكلفين طوعا وكرها اي ينقادون لاحداث ما اراده فيهم من افعاله شاووا او
لا يقدرون ان يمتنعوا عليه وقيل ما يراد من الامور الدالة على انه مقهور وظلالهم اي ويسجد
ظلالهم حيث تنصرف على مشيئته في الامتداد والتقلص والفي والزوال وقيل ظلال الساجدين وقيل
الخضوع تظهر في ظله بالانحطاط والارتفاع بالغدو والاصال اي غدوة وعشية قل

للمشركين من رب السموات والارض مالكهما وخالقهما ومدبرهما قل الله هذا حكاية لاعترافهم
وتلقيه عليهم لانه اذا قال لهم ذلك لم يكن لهم بد من ان يقولوا الله قل افاتخذتم من دونه اولياء اي
ابعد ان علمتموه رب السموات والارض اتخذتم من دونه اربابا فجعلتم ما كان يجب ان يكون سبب التوحيد
من علمكم واقراركم سبب الاشراك لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا اي لا يستطيعون لانفسهم
ان ينفعوها او يدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعونه لغيرهم وقد اثرتموهم على الخالق الرازق
المثيب المعاقب فما ابين ضلالتكم واظهر جهالتكم ثم ضرب مثلا للذي يعبدها والذي يعبد الله
فقال قل هل يستوي الاعمى والبصير اي المشرك والمؤمن والمعنى كما لا يستويان كذلك لا يستوي
الكافر والمؤمن ام هل تستوي الظلمات والنور اي الضلالة والجهل والعلم والهدى ام جعلوا
لله شركاء معنى الهمزة الانكار يعني اجعلوا لله شركا خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم يعني
انهم لم يتخذوا لله شركا خالقين قد خلقوا امثال خلق الله فتشابه عليهم خلق الله وخلقهم حتى يقولوا
قدر هؤلاء على الخلق كما قدر الله عليه فاستحقوا العبادة فيتخذهم له شركا ولكنهم اتخذوا
عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا ان يقدروا على ما يقدر عليه الخالق قل الله خالق كل شيء لا خالق
غيره ولا يستقيم ان يكون له شريك في الخلق فلا يكون له شريك في العبادة وهو الواحد اي المتوحد في
الالوهية القهار الذي لا يغالب وما عداه مربوب ومقهور ثم ضرب تعالى مثلا للحق والباطل
فقال تعالى انزل من السماء ماء يعني المطر فسالت اودية اي جرت بقدرها اي بمقدارها
الذي عرف الله انه نافع للممطور عليهم غير ضار فاحتمل السيل زبدا وهو الخبث الذي يعلو الماء
رابيا اي مرتفعا فوق الماء شبه الحق والاسلام بالماء النافع الباقي والباطل بالزبد الذاهب وقيل
هو مثل لاعمال المؤمنين والكفار ثم ذكر المثل الاخر فقال تعالى ومما يوقدون عليه في النار اي ومن
ما اذاب من المعادن ابتغاء حلية كالذهب والفضة او متاع ينتفع به كالاواني والالات من
الحديد والنحاس والرصاص زبد مثله اي مثل زبد السيل كذلك يضرب الله الحق والباطل
اي مثلهما فاما الزبد يعني الخارج من الماء والمعادن فيذهب جفاء اي باطلا لا ينتفع به يجفاه
السيل ويرمي به واما ما ينفع الناس من الماء والجواهر فيمكث في الارض اي يبقى فيها وينتفع به

بضرب الامثال قال رضي الله عنه هذا
كذلك يضرب الله الامثال اى يبين الحق والباطل ويعقب بضرب الامثال من السماء فتسيل
مثل ضربه الله للحق واهله والباطل وحزبه فمثل الحق واهله بالماء الذى ينزل من السماء فتسيل
به اوديه الناس فيحيون به وينتفعون به انواع المنافع وبالفلز الذى ينتفعون به فى صوغ الحلى
منه واتخاذ الاوانى والالات المختلفه ولو لم يكن الا الحديد الذى فيه الباس الشديد لكفى به
وان ذلك ماكث فى الارض باق بقاءا ظاهرا يثبت الماء فى منافعه وتبقى اثاره فى العيون والبار
والحبوب والثمار وكذلك الجواهر تبقى ازمنه متطاوله وشبه الباطل فى سرعه اضمحلاله
وقرب زواله وانسلاخه عن المنفعه بزبد السيل الذى يرمى به وبزبد الفلز الذى يطفو فوقه
اذا اذيب للذين استجابوا لربهم اى اجابوا الى ما دعاهم اليه الحسنى اى الجنه والذين لم
يستجيبوا له لو ان لهم ما فى الارض جميعا من الاموال وسائر ما ينتفع به ومثله
معه لافتدوا به اى جعلوه فدا انفسهم من العذاب قال رضي الله عنه اللام فى قوله للذين
متعلقه بيضرب اى كذلك يضرب الله الامثال للمومنين الذين استجابوا وللكافرين الذين لم يستجيبوا
وقيل قد تم الكلام عند قوله كذلك يضرب الله الامثال وما بعده كلام مبتدا والحسنى مبتدا
خبره للذين استجابوا والمعنى لهم المثوبه الحسنى وهى الجنه والذين لم يستجيبوا مبتدا خبره
لو مع ما بعدها اولئك لهم سوء الحساب وهو المناقشه وقيل هو ان لا يقبل منهم حسنه
ولا يتجاوز عن سيئه وعن النخعى هو ان يحاسب الرجل بذنبه كله لا يغفر منه شئ ومأويهم
جهنم اى مصيرهم ومستقرهم وبئس المهاد اى بئس الفراش المهاد افمن يعلم انما انزل اليك
من ربك الحق هذا استفهام انكار اى ليس هو كمن هو اعمى اى لا يعلم فهو بمنزله الاعمى
فلا يستويان فى الثواب قال رضي الله عنه دخلت همزه الانكار على الفاء فى قوله افمن يعلم لانكار
ان تقع شبهه بعدما ضرب من المثل فى ان حال من علم انما انزل اليك من ربك الحق فاستجاب
بمعزل من حال الجاهل الذى لم يستبصر فيستجيب كبعد ما بين الزبد والماء والخبث والابريز انما يتذكر
اولوا الالباب اى الذين عملوا بمقتضى عقولهم فنظروا واستبصروا الذين يوفون بعهد الله
عهد الله ما عقدوه على انفسهم من الشهاده بربوبيته وقيل كلما الزم العبد عقلا وسمعا ولا

لفلز ما اذيب من جواهر الارضيه وهى الذهب والفضه والنحاس والزيبق والصفر

الابريز الذهب الخالص

ينقضون الميثاق كل ما وثقوه على انفسهم وقبلوه من الايمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين
الله وبين العباد فهو تعميم بعد تخصيص والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل من الارحام
والقرابات ويدخل فيه وصل قرابه رسول الله صلى الله عليه وقرابه المومنين الثابته بسبب
الايمان بالاحسان اليهم على حسب الطاقه ونصرتهم والذب عنهم والشفقه عليهم والنصيحه لهم
وطرح التفرقه بينهم وبين انفسهم وافشاء السلام عليهم وعياده مرضاهم وشهود جنائزهم
ومنه مراعاه حق الاصحاب والخدم والجيران والرفقاء فى السفر وكل ما تعلق
منهم بسبب حتى الهره والدجاجه وعن الفضيل بن عياض ان جماعه دخلوا عليه بمكه فقال من
اين انتم قالوا من اهل خراسان قال اتقوا الله وكونوا من حيث شئتم واعلموا ان العبد لو
احسن الاحسان كله وكانت له دجاجه فاساء اليها لم يكن من المحسنين ويخشون ربهم
اى يخشون وعيده كله ويخافون سوء الحساب خصوصا فيحاسبون انفسهم قبل ان
يحاسبوا والذين صبروا مطلق فيما يصبر عليه من المصائب فى النفوس والاموال ومشاق
التكليف ابتغاء وجه ربهم لا ليقال ما اصبره واحمله للنوازل واوقره عند الزلازل
ولا لئلا يعاب بالجزع ولئلا يشمت به الاعداء بل لحسن الصبر عند الله قال رضي الله عنه وكل
عمل له وجوه يعمل عليها فعلى المومن ان ينوى منها ما به كان حسنا عند الله والا لم يستحق به
ثوابا وكان فعلا كلا فعل واقاموا الصلاه ادوها كامله على ما فرض وانفقوا مما رزقناهم
من الحلال لان الحرام لا يكون رزقا ولا يسند الى الله سرا وعلانيه يتناول النوافل
لانها فى السر افضل والفرائض لوجوب المجاهره بها نفيا للتهمه ويدرؤن بالحسنه
السيئه عن ابن عباس يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سيء غيرهم وعن الحسن اذا
حرموا اعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا وعن ابن كيسان اذا اذنبوا تابوا وقيل اذا
راوا منكرا امروا بتغييره اولئك لهم عقبى الدار اى عاقبه الدنيا وهى الجنه لانها
التى اراد الله ان تكون عاقبه الدنيا ومرجع اهلها جنات عدن يدخلونها ومن
صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم هذا نص فى انفاق الصالحين من الانساب والازواج

وتجلدى للشامتين اريهم انى لريب الدهر لا اتضعضع

في الجنة ولكن شرط الصلاح في الدين لان الانسان لا ينفع اذا عري من الاعمال الصالحة
وقيل من صدق بما صدقوا به وان لم يعمل مثل اعمالهم يلحقهم كرامة لهم والملئكة يدخلون
عليهم من كل باب بالتحية من الله والهدايا سلام عليكم اي يقولون سلام عليكم والمعنى يسلمكم
الله من العذاب بما صبرتم اي هذا الثواب الذي صرتم فيه بسبب صبركم في الدنيا على تحمل
او بدل ما احتملتم من مشاق الصبر ومتاعبه هذه الملاذ والنعم والمعنى لان تعبتم في الدنيا لقد
استرحتم الساعة فنعم عقبى الدار اي فنعم العقبى عقبى الدار داركم التي عملتم فيها ما اعقبكم
هذا الذي انتم فيه وعن النبي صلى الله عليه انه كان ياتي قبور الشهداء على راس كل حول فيقول
السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه يعني من بعد
ما اوثقوه به من الاعتراف والقبول ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض
مع افسادهم ظلمهم فيها ومعاصيهم عقب الله الذين سعدوا باحسانهم بالذين شقوا باساتهم
اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار اللعنة غضب الله والبعد من رحمته وسوء الدار عذاب ان يراد
سوء عاقبة دار الدنيا لانه في مقابلة عقبى الدار ويجوز ان يراد بالدار جهنم وسوءها عذابها
الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اي الله وحده هو يبسط الرزق ويقدره دون غيره
وهو الذي بسط رزق اهل مكة ووسعه عليهم وفرحوا بالحياة الدنيا بما بسط لهم منها فرح
بطر واشر لا فرح سرور بفضل الله وانعامه عليهم ولم يقابلوه بالشكر حتى يستوجبوا نعيم الاخرة
وما الحياة الدنيا في الاخرة الا متاع اي وخفي عليهم ان نعيم الدنيا في جنب نعيم الاخرة ليس الا شيئا
نزرا يتمتع به كعجالة الراكب وهي ما يتعجله من تميرات او شربة سويق او نحو ذلك ويقول الذين
كفروا لولا انزل عليه اية من ربه اي معجزة ظاهرة وهذه نزلت في مشركي مكة حين
طالبوا رسول الله صلى الله عليه بالايات قل لهم يا محمد ان الله يضل من يشاء قال رضي الله عنه
هذا كلام يجري مجرى التعجب من قولهم وذلك ان الايات الباهرة المتكاثرة التي اوتيها رسول الله
لم يؤتها نبي قبله وكفى بالقران وحده اية وراء الاية فاذا جحدوها ولم يعتدوا بها وجعلوه كان اية
لم تنزل عليه قط كان موضعا للتعجب والاستنكار وكانه قيل لهم ما اعظم عنادكم وما اشد تصميمكم

على كفركم ان الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم من التصميم وشدة الشكيمة في الكفر فلا سبيل
الى اهتدائهم وان انزلت كل اية ويهدي اليه من اناب اي من كان على خلاف صفتكم ومعنى اناب
اقبل الى الحق ورجع اليه الذين امنوا بدل من قوله من اناب وتطمئن قلوبهم اي تسكن بذكر
الله اي بذكر رحمته ومغفرته بعد القلق والاضطراب من خشيته او تطمئن بذكر دلائله الدالة
على وحدانيته او تطمئن بالقران لانه معجزة بينة تسكن القلوب وتثبت اليقين فيها الا بذكر
الله تطمئن القلوب تزيد قلوب المؤمنين الذين امنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم
قيل فرح لهم وقرة عين وفي الحديث انها شجرة غرسها الرحمن بيده في الجنة وقيل معنى طوبى
لك اي اصبت خيرا وطيبا واللام في لهم للبيان من نسب اليه الطيب وحسن ماب اي مرجع
والمعنى انهم ظفروا في الاخرة باعظم خير واطيبه واحسن مرجع رجعوا من الدنيا اليه
وهو الجنة ونعيمها كذلك ارسلناك اي مثل ما ارسلنا الانبياء قبلك ارسلناك
والمعنى ارسلناك ارسالا له شان وفضل على سائر الارسالات ثم فسر كيف ارسله فقال
في امة قد خلت من قبلها امم اي ارسلناك في امة قد تقدمتها امم كثيرة فهي اخر الامم وانت
خاتم الانبياء لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك اي لتقرا عليهم الكتاب العظيم الذي اوحينا اليك
وهم يكفرون اي وحال هؤلاء انهم يكفرون بالرحمن اي بالبليغ الرحمة الذي وسعت رحمته
كل شيء وما بهم من نعمة فمنه فكفروا بنعمته في ارسال مثلك اليهم وانزال هذا القران المعجز المصدق
لسائر الكتب عليهم قل هو ربي لا اله الا هو الواحد المتعالي عن الشركاء عليه توكلت في نصرتي
عليكم واليه متاب اي واليه اتوب من خطيئتي السابقة فيثيبني على مصابرتكم ومجاهدتكم
ولو ان قرانا سيرت به الجبال عن مقارها وزعزعت عن مضاجعها او قطعت به الارض
حتى تتصدع وتتزايل قطعا او كلم به الموتى فتسمع وتجيب لكان هذا القران لكونه غاية
في التذكير ونهاية في الانذار والتخويف كما قال لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا
من خشية الله قال رضي الله عنه وهذا المعنى يقترن به قوله لتتلو عليهم الذي اوحينا
اليك من ان يقطعها او حكاية رسول الله عليه من القران وقيل معناه ولو ان قرانا وقع به

سيرت الجبال وتقطع الارض وتكلم الموتى وتنبيههم لما امنوا به ولما تنبهوا عليه وقيل ان ابا جهل
لعنه الله قال لرسول الله صلى الله عليه سير بقرانك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها
البساتين والقطائع كما سخرت لداود ان كنت نبيا كما تزعم فلست باهون على الله من داود
وسخر لنا به الريح لنركبها ونتجر الى الشام ثم نرجع في يومنا فقد شق علينا قطع المسافة البعيدة
كما سخرت لسليمان او ابعث لنا به رجلين او ثلاثة ممن قد مات من ابائنا منهم قصي بن كلاب فنزلت
بل لله الامر جميعا اى بل لله القدرة على كل شيء وهو قادر على الايات التي اقترحوها الا ان علمه
بان اظهارها مفسدة يصرفهم او معناه بل لله ان يلجئهم الى الايمان وهو قادر على الالجاء
الا انه بنى امر التكليف على الاختيار ويعضده قوله افلم ييئس الذين امنوا ان لو يشاء الله
مشيئة الالجاء والقسر لهدى الناس جميعا من غير ظهور الايات ومعنى افلم ييئس افلم يعلم
ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة من كفرهم وسوء اعمالهم قارعة
داهية تقرعهم بما يصيبهم الله في كل وقت من صنوف البلايا والمصائب في نفوسهم واولادهم
واموالهم او تحل القارعة قريبا من دارهم فيفزعون منها ويضطربون ويتطاير اليهم
شرارها ويتعدى اليهم شرورها حتى ياتي وعد الله وهو موتهم او القيامة وقيل ولا يزال
كفار مكة تصيبهم بما صنعوا برسول الله صلى الله عليه من العداوة والتكذيب قارعة لان رسول الله
صلى الله عليه كان لا يزال يبعث السرايا فيغير حول مكة ويختطف منهم ويصيب من مواشيهم او تحل
انت يا محمد قريبا من دارهم بجيشك كما حل بالحديبية حتى ياتي وعد الله وهو فتح مكة وكان
الله قد وعد ذلك ان الله لا يخلف الميعاد اى لا يخلف ما وعدهم به من اصابة القارعة
وحلولها قريبا منهم او لا يخلف ما وعدك به يا محمد من النصرة وفتح مكة ولقد استهزئ برسل
من قبلك اى اوذي وكذب وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه في استهزائهم به فامليت
للذين كفروا اى امهلتهم ليتوبوا ولم اعجل عليهم او اطلت لهم المدة بتاخير العقوبة
ليتمادوا في المعصية ثم اخذتهم بالعقوبة لما اصروا فكيف كان عقاب اى كيف رايت ما صنعت
بمن استهزا برسلي كذلك اصنع بمشركي مكة وهذا وعيد لهم وجواب عن اقتراحهم الايات

القطايع
ع قطيعة وهي
ض التي تزرع

رسول الله صلى الله عليه استهزاء به افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت هذا احتجاج
على المشركين في اشراكهم بالله والمعنى افالله الذي هو قائم اى رقيب ومطلع على كل نفس صالحة
او طالحة بما كسبت يعلم خير الكسب وشره ويعد لكل جزاءه كمن ليس كذلك من الاصنام التي لا
تضر ولا تنفع وجعلوا لله شركاء اى وجعلوا لله شركاء في الربوبية مع كونها جمادا لا تشاركه في
قدرته ولا من ربوبيته ويجوز ان يقدر محذوف قبل قوله وجعلوا تقديره افمن هو قائم
على كل نفس لم يوحدوه وجعلوا له شركاء وهو الله الذي يستحق العبادة وحده قل سموهم
اى جعلتم له شركاء فسموهم له من هم ونبئوه باسمائهم ثم قال ام تنبئونه بما لا يعلم في الارض اى
اتخبرون الله بشركاء لا يعلمهم في الارض وهو العالم بما في السموات والارض فاذا لم يعلمهم علم
انهم ليسوا بشيء يتعلق به العلم والمراد نفي ان يكون له شركاء لانهم لو كانوا لعلمهم ونحوه قل اتنبئون
الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض ام بظاهر من القول يعني ام تسمونهم شركاء بظاهر من القول
وباطلا لا حقيقة له في الباطن كقوله ذلك قولهم بافواههم قال رضي الله عنه وهذا الاحتجاج
واساليبه العجيبة التي ورد عليها مناد على نفسه بلسان طلق ذلق انه ليس من كلام البشر
لمن عرف وانصف من نفسه فتبارك الله احسن الخالقين بل زين للذين كفروا مكرهم
اى كيدهم للاسلام بشركهم والمزين لهم الشيطان وصدوا عن السبيل قرئ بالحركات الثلاث
اى صدوا غيرهم بشركهم عن طريق الحق او صدوا اعرضوا عن طريق الحق والتوحيد ومن
يضلل الله يخذله لعلمه انه لا يهتدي ولا يقبل اللطف فما له من هاد اى من احد يقدر
على هدايته لهم عذاب في الحياة الدنيا وهو ما ينالهم من القتل والاسر وسائر المحن
ولا يلحقهم الا عقوبة لهم على الكفر ولذلك سماه عذابا ولعذاب الاخرة اشق اى اشد واغلظ
وما لهم من الله من واق اى من حافظ يقيهم عذاب الله ولا يمنعهم مثل الجنة التي وعد
المتقون اى صفتها التي هي في غاية الحسن الغريب الذي يضرب به المثل وارتفاعه بالابتداء
والخبر محذوف اى فيما قصصنا عليكم مثل الجنة ثم فسر المثل بقوله تجري من تحتها الانهار
اكلها دائم اى طعام اهلها يتزايد ثمارها لا ينقطع كثمار الدنيا دائم لا يزول ولا ينسخه

وظلها

النبش كما يسعى في الدنيا تلك يعني الجنة الموصوفة عقبى الذين اتقوا ربهم وعقبى الكافرين النار
والذين آتيناهم الكتاب يريد من اسلم من اليهود كعبد الله بن سلام وكعب واصحابهما ومن اسلم من النصارى
وهم ثمانون رجلا يفرحون بما انزل اليك وذلك انهم لما اسلموا ساءهم قلة ذكر الرحمن في القرآن مع كثرة
ذكره في التوراة فانزل الله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ففرحوا بذلك مؤمنوا اهل الكتاب وكفر المشركون
بالرحمن وقالوا ما نعرف الرحمن الا مسيلمة فنزلت هذه ومن الاحزاب يعني كفارهم الذين تحزبوا
على رسول الله صلى الله عليه بالعداوة نحو كعب بن الاشرف واصحابه والسيد والعاقب اسقفي نجران
واشياعهما من ينكر بعضه لانهم كانوا لا ينكرون ما هو نعت للاسلام ونعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم وينكرون ما بدلوه من الشرائع ونحوه قل لهم يا محمد انما امرت ان اعبد الله وحده ولا اشرك به
العباد ولا اضيفه بالشرك اليه ادعو خصوصا لا ادعو الى غيره واليه مآب اي مرجعي
لا الى غيره قال رضي الله عنه واتصل هذا بما قبله لانه جواب للمنكرين والمعنى قل انما امرت فيما انزل
الي بان اعبد الله ولا اشرك به فانكاركم له انكار لعبادة الله وتوحيده فانظروا ماذا تنكرون مع ادعائكم
وجوب عبادة الله وان لا يشرك به وانتم تقولون مثل ذلك فلا معنى لانكاركم وكذلك انزلناه اي مثل
ذلك الانزال انزلناه مامورا فيه بعبادة الله وتوحيده والدعوة الى دينه والانذار بدار الجزاء حكما
عربيا اي حكمة عربية مترجمة بلسان العرب وسمي حكما لانه يحكم بما فيه ولئن اتبعت اهواءهم بعد ما جاءك
من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق قال رضي الله عنه كانوا يدعون رسول الله صلى الله عليه
الى امور يوافقهم عليها منها ان يصلي الى قبلتهم بعد ما حوله الله عنها فقيل له لئن تابعتهم على دين
ما هو الا اهواء وشبه بعد ثبوت العلم عندك بالبراهين والحجج القاطعة خذلك الله فلا ينصرك ناصر
واهلكك فلا يقيك منه واق قال رضي الله عنه وهذا من باب الالهاب والتهييج والبعث للسامعين
على الثبات في الدين والتصلب فيه وان لا يزل زال عند الشبهة بعد استمساكه بالحجة والا فكان رسول الله
صلى الله عليه من شدة الشكيمة بمكان ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية اولادا
انسلوهم وذلك ان اليهود عيروا رسول الله صلى الله عليه بكثرة النساء وقالوا ما له همة الا النساء
وما كان لرسول ان يأتي بآية الا باذن الله قال رضي الله عنه كانوا يعيبونه بالازواج والاولاد كما عابوه

بانه الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق وكانوا يقترحون عليه الآيات وينكرون النسخ فقيل لهم كان
الرسل قبله بشرا امثاله ذوي ازواج وذرية وما كان لهم ان يأتوا بآيات برأيهم ولا يأتون بما يقترح عليهم
والشرائع مصالح تختلف باختلاف الاحوال والاوقات لكل اجل كتاب اي لكل وقت حكم يكتب
على العباد ويفرض عليهم ما يقتضيه استصلاحهم وهذا جواب للذين سألوه ان يوسع لهم مكة يمحو
الله ما يشاء اي ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت بدله ما يرى المصلحة في اثباته او يتركه غير
منسوخ وقيل يمحو من ديوان الحفظة ما ليس بحسنة ولا سيئة لانهم مامورون بكتبة كل قول وفعل
ويثبت غيره وقيل يمحو كفر التائبين ومعاصيهم بالتوبة ويثبت ايمانهم وطاعاتهم وقيل في الآجال والارزاق
والكلام في هذا واسع المجال وعنده ام الكتاب اي اصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ
لان كل كائن مكتوب فيه وقرئ يثبت ويثبت بالتخفيف والتشديد وإما نرينك يا محمد بعض الذي
نعدهم من انتصارك عليهم وظفرك بهم وابطال دينهم وانت حي او نتوفينك فتتم الموعود لانك ان
اريناك ما نعدهم من انزال العذاب عليهم فانت تراه وتشتفي برؤيته مصادرهم او توفاك قبل ذلك
فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب يعني فما عليك الا تبليغ الرسالة فحسب وعلينا لا عليك حسابهم
وجزاؤهم على اعمالهم فلا يهمنك اعراضهم ولا تستعجل بعذابهم اولم يروا انا نأتي الارض ارض الكفر
ننقصها من اطرافها بما نفتح على المسلمين من بلادهم فننقص دار الحرب ونزيد في دار الاسلام
وذلك من آيات النصرة والغلبة والمعنى اولم يروا اهل مكة انا نفتح لمحمد ما حولها من القرى افلا يخافون
ان ننالهم يا محمد والله يحكم ما يشاء لا معقب لحكمه اي لا راد لحكمه ولا احد يتتبع ما حكم به فيغيره
والمعنى انه لا ناقض لحكمه ولا راد له والله حكم للاسلام بالغلبة والاقبال وعلى الكفر بالادبار والانتكاس
وهو سريع الحساب اي المجازاة فعما قليل يحاسبهم في الآخرة بعد عذاب الدنيا لان حسابه في
وقت آت وكل آت قريب وقد مكر الذين من قبلهم يعني كفار الامم الخالية مكروا بانبيائهم والمؤمنين
ثم جعل مكرهم كلا مكر بالاضافة الى مكره فقال فلله المكر جميعا يعني ان الله هو القادر
على ابطال ما جاؤوا به وهو يبطل مكر هؤلاء ويبطل مكر الماكرين وقال ابو علي بن يزدان ما يفعله الله بهم
الجزاء ثم فسر ذلك بقوله يعلم ما تكسب كل نفس من المكر والخير وان جميع

الاکتساب معلوم له وسیعلم الکافر لمن عقبى الدار ای لمن العاقبة بالجنة لمن من علم ما تکسب
کل نفس واعد لها جزاءها فهو المکر کله لانه یاتیهم من حیث لا یعلمون وهم فی غفلة عما اریدبهم ویقول
الذین کفروا لست مرسلا ما جئت به ای لست بنبی فادعواک انک نبی مرسل غیر ملتفتین الی ما
قل کفى بالله شهیدا بینی وبینکم ظهر لک واحتج به بما یکفی فی نصب نفسک
اسمه من الایات الباهرة التی واحتج بها ای کفى شهادة الله لی بالرسالة بما اظهر من الادلة على رسالتی ومن عنده علم الکتاب ای والذی
عنده علم القرآن وعلم ما الف علیه من النظم المعجز الفائت لقوى البشر والمعنى ان من علم ذلک
واعترف به شهد لی بالرسالة للعلم بانه من الله وقیل اراد علماء اهل الکتاب الذین اسلموا لانهم
یشهدون بنعته فی کتبهم وقیل هو الله عز وجل والکتاب اللوح المحفوظ وعن الحسن لا والله ما
یعنی الا الله والمعنى کفى بالذی یستحق العبادة وبالذی لا یعلم علم ما فی اللوح الا هو شهیدا
بینی وبینکم وبعضهم قرأه ومن عنده علم الکتاب ای ومن لدنه علم الکتاب لان علم من علمه
من فضله ولطفه

سورة ابراهیم علیه السلام مکیة وهی احدى وخمسون

آیة

بسم الله الرحمن الرحیم

الر کتاب ای هذا کتاب یعنی القرآن انزلناه الیک لتخرج الناس من الظلمات الى النور ای من الشرک
الى الایمان والظلمات والنور استعارتان للضلال والهدى باذن ربهم بتسهیله وتیسیره لانه
لا یهتدی مهتد الا باذنه مستعار من الاذن الذی هو تسهیل للحجاب وذلک بما یمنحهم من اللطف والتوفیق
ثم بین ما ذلک النور فقال الى صراط العزیز الحمید ای الى طریق الذی هو حق وما عداها باطل الله
الذی له ما فی السموات وما فی الارض من العباد والاموال وسائر المخلوقات یعنی انه خالقهما
ومالک للتصرف فیهما لا شریک فیما له فیها وویل للکافرین من عذاب شدید الویل اسم معنى وهو
الهلاک نقیض الوأل وهو النجاة ولما ذکر الخارجین من ظلمات الکفر الى نور الایمان توعد الکافرین
بالویل الذین یستحبون الحیوة الدنیا على الآخرة ای یؤثرونها بالمحبة ویختارونها على الآخرة لان
المؤثر للشیء على غیره کانه یطلب من نفسه ان یکون احب الیها وافضل عندها من الآخر ویصدون عن
سبیل الله ای یمنعون الناس عن دین الاسلام الذی هو طریق النجاة ویبغونها عوجا ای

یطلبون لها زیغا واعوجاجا ویصفونها بالمیل عن الحق وان یدلوا الناس على انها سبیل ناکبة عن الحق
غیر مستویة والاصل ویبغون لها فحذف الجار واوصل الفعل اولئک فی ضلال بعید ای بعدوا عن
الصواب والمعنى انهم ضلوا عن طریق الحق ووقفوا دونه بمسافات ومراحل ووصف الضلال
بالبعد مجاز والبعد فی الحقیقة للضال لانه هو الذی یتباعد عن الطریق فوصف به فعله وما
ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ای الا متکلما بلغتهم لیبین لهم ای لیفهموا عنه ما یدعوهم
الیه فلا یکون لهم حجة على الله ولا یقولوا لم نفهم ما خوطبنا به کما قال ولو جعلناه قرآنا اعجمیا لقالوا
لولا فصلت آیاته فان قلت لم یبعث رسول الله صلى الله علیه وسلم الى العرب وحدهم وانما بعث الى
الناس وهم على السنة مختلفة فان لم یکن للعرب حجة فلغیرهم الحجة واجاب بانه لا یخلو اما ان ینزل
القرآن بجمیع الالسنة او بواحد منها فلا حاجة الى نزوله بجمیعها لان الترجمة تکفی وتغنی
عن التطویل فبقی ان ینزل بلسان واحد فکان اولى الالسنة لسان قوم رسول الله صلى الله علیه وسلم لانهم اقرب الیه
فاذا فهموا عنه وتبینوه وتنوقل عنهم وانتشر قامت التراجم ببیانه وتفهیمه کما ترى الحال وتشاهدها
من نیابة التراجم فی کل امة من امم العجم مع ما فی ذلک من اتفاق اهل البلاد المتباعدة والاقطار المتنازحة
والامم المختلفة على کتاب واحد واجتهادهم فی تعلم لفظه وتفهم معانیه وما یتشعب من ذلک
من جلائل الفوائد وما یتکاثر فی اتعاب النفوس وکد القرائح فیه من القرب والطاعات المفضیة
الى جزیل الثواب ولانه ابعد من التحریف والتبدیل واسلم من التنازع والاختلاف
ولانه لو نزل بالسنة الثقلین کلها مع کثرتها واختلافها وکان معجزا فی کل واحد منها
وکلم الرسول العربی کل امة بلسانها کما کلم امته التی هو منها لکان ذلک امرا قریبا من الالجاء فی
هذا التفضیل للنبی صلى الله علیه وسلم فیضل الله من یشاء ویهدی من یشاء ای یضل من یعلم انه لن یؤمن
ویهدی من یعلم انه یؤمن والمراد بالاضلال التخلیة ومنع الالطاف وبالهدایة التوفیق واللطف فکان ذلک کنایة
عن الکفر والایمان وهو العزیز فلا یغلب على مشیئته الحکیم فلا یخذل الا اهل الخذلان ولا یلطف
الا باهل اللطف ولقد ارسلنا موسى بآیاتنا ای بالمعجزات المصدقة له نحو العصا والید ان
اخرج قومک من الظلمات الى النور هذا تفسیر لمعنى ارسلنا کانه قیل ارسلناه وقلنا له اخرج

قومك بني اسرائيل من ظلمات الكفر الى نور الايمان وذكرهم بايام الله اي انذرهم بوقائعه التي وقعت
على الامم قبلهم قوم نوح وعاد وثمود ومنه ايام العرب لحروبها المشهورة وملاحمها كيوم ذي قار ويوم
الفجار هذا هو التفسير الظاهر وعن ابن عباس ايام الله نعماؤه وبلاؤه فاما نعماؤه فانه ظلل عليهم
الغمام وانزل عليهم المن والسلوى وفلق لهم البحر واما بلاؤه فاهلاك القرون ان في ذلك لايات لكل
صبار شكور يصبر على بلاء الله ويشكر نعماءه فاذا سمع بما انزل الله من البلاء على الامم وافاض عليهم من النعم
تنبه على ما يجب عليه من الصبر والشكر واعتبر وقيل اراد لكل مومن لان الصبر والشكر من سجاياهم
واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من ال فرعون اي اذكروا انعامه
عليكم ذلك الوقت والمراد بذكر النعمة القيام بشكرها والنعمة بمعنى الانعام يسومونكم سوء
العذاب اي يبغونكم اشد العذاب وافظعه ويذبحون ابناءكم روي ان كاهنا قال لفرعون يولد مولود
في بني اسرائيل يكون ذهاب ملكك على يديه فقيل انه ذبح في طلب موسى تسعين الف وليد ويستحيون نساءكم
يطلبون حياتهن فلا يذبحوهن ليستخدموهن في الاعمال الشاقة قال رضي الله عنه في سورة البقرة
يذبحون بغير واو وهنا بالواو والفرق بينهما ان الذبح حيث طرح الواو جعل تفسيرا للعذاب
وبيانا له فلم يعطف وحيث اثبت جعل الذبح كانه جنس اخر غير العذاب اشد منه لانه زاد على جنس
العذاب زيادة ظاهرة وفي ذلكم يعني فعل فرعون بكم بلاء من ربكم اي ابتلاء منه عظيم اي سبيل
قال رضي الله عنه جعل فعل ال فرعون بهم بلاء من الله لانه مكنهم وامهلهم حتى فعلوا ما فعلوا او ابتليهم
وامهالهم ابتلاء من الله ووجه اخر وهو ان ذلكم اشارة الى الانجاء وهو بلاء عظيم والبلاء يكون ابتلاء بالنعمة
والمحنة جميعا قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة والمعنى ليختبر الانسان على النعمة بالشكر كما يختبر على
المحنة بالصبر واذ تاذن ربكم من جملة كلام موسى لقومه كانه قال اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين
تاذن ربكم ومعنى تاذن اذن اي اعلم من الايذان وهو الاعلام وفي تاذن زيادة معنى ليس في اذن كان
توعد ابلغ من اوعد كانه قيل واذ اذن ربكم ايذانا بليغا اي اعلم اعلاما بليغا تنتفي عنده الشكوك وتزاح
الشبه فقال لئن شكرتم اي لئن شكرتم يا بني اسرائيل ما خولتكم من نعمة الانجاء وغيرها من النعم بالايمان
الخالص والعمل الصالح لازيدنكم نعمة الى النعمة ولاضاعفن لكم ما اثبتكم ولئن كفرتم جحدتم حقي

وغمطتم ما انعمت به عليكم ان عذابي لشديد لمن كفر نعمتي وتهديد بالعذاب على كفران النعمة
وقال موسى ان تكفروا انتم يا بني اسرائيل ومن في الارض جميعا اي والناس كلهم فان الله لغني حميد
فانما ضررتم انفسكم وحرمتموها الخير الذي لا بد لكم منه وانتم اليه محاويج والله غني عن شكركم حميد
مستوجب للحمد بكثرة النعم واياديه وان لم يحمده الحامدون الم ياتكم نبؤا الذين من قبلكم قوم نوح
وعاد وثمود هذا التقرير لمن سمع منهم بحديث الذين من قبلهم من هذه الامم ويحذرهم من مثل عاقبتهم التي
اصابتهم على تكذيب انبيائهم كقوم نوح وعاد قوم هود وثمود قوم صالح والذين من بعدهم اي من بعد
هولاء الذين اهلكهم الله لا يعلمهم الا الله لكثرتهم وهذا فاصل بين الكلام الاول والذي بعده والمعنى
انهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم الا الله وعن ابن عباس بين عدنان واسمعيل ثلثون ابا لا يعرفون
وكان ابن مسعود اذا قرأ هذه الاية قال كذب النسابون يعني انهم يدعون علم الانساب وقد نفى الله
علمها من العباد جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم في افواههم اي ايديهم في افواههم فعضوها
غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم الانامل من الغيظ او ضحكا واستهزاء كمن
غلبه الضحك فوضع يده على فيه او اشاروا بايديهم الى السنتهم وما نطقت به من قولهم وقالوا انا كفرنا بما
ارسلتم به اي هذا جوابنا لكم ليس عندنا غيره اقناطا لهم من التصديق اي ايأسهم منه وهذا
قول قوي لما تبعه ما بعده وهو قولهم انا كفرنا بما ارسلتم به او معناه وضعوا الايدي على افواههم يقولون
للانبياء اسكتوا وامنعوهم من الكلام وقيل الايدي جمع يد وهي النعمة بمعنى الايادي اي ردوا نعم الانبياء
التي هي اجل النعم من مواعظهم ونصائحهم وما اوحي اليهم من الشرائع والايات في افواههم اي في افواه
الانبياء لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكانهم ردوها في افواههم ورجعوها الى حيث جاءت على طريق
المثل وقالوا انا لفي شك مما تدعوننا اليه من الايمان بالله مريب موقع في الريبة وهي التهمة وقلق
النفس نقيض الطمانينة او هي شكوك النفس الى الشيء قالت رسلهم بمعنى الانبياء افي الله شك هذا انكار
عليهم في شكهم في الله اي في صحة الايمان به والدعاء الى دينه وتوحيده والمعنى لا شك في ذلكم ووصف
نفسه بما دل على وحدانيته وهو قوله فاطر السموات والارض اي خالقهما ومنشيهما يدعوكم
الى طاعته بالرسل والكتب ليغفر لكم من ذنوبكم اي بعض ذنوبكم قال رضي الله عنه ما علمت البعض

جا الا في خطاب الكافرين كقوله واتقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم وقوله يا قومنا اجيبوا داعي
الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم وكان ذلك للتفرقة بين الخطابين ولئلا يسوى بين الفريقين في
الميعاد وقيل اراد به انه يغفر لهم ما بينهم وبين الله بخلاف ما بينهم وبين العباد من المظالم ونحوها
ويؤخركم الى اجل مسمى اي الى وقت قد سماه وبين مقداره يبلغكموه ان آمنتم والا عاجلكم بالهلاك
قبل ذلك الوقت قالوا يعني الكفار للرسل ان انتم اي ما انتم الا بشر مثلنا لا فضل بيننا وبينكم
ولا فضل لكم علينا فلم تختصون بالنبوة دوننا ولو ارسل الله الى البشر رسلا لجعلهم من جنس افضل
منكم وهم الملائكة تريدون ان تصدونا اي تمنعونا عما كان يعبد آباؤنا من الاوثان فأتونا على صحة
ما تدعوننا اليه بسلطان مبين اي بحجة بينة وقد جاءتهم رسلهم بالبينات والحجج وانما ارادوا
بالسلطان المبين آية قد طلبوها تعنتا ولجاجا ومكابرة للحق قالت لهم رسلهم ان نحن
الا بشر مثلكم هذا تسليم لقولهم وانهم بشر مثلهم يعنون انهم مثلهم في البشرية وحدها فاما ما وراء
ذلك فما كانوا مثلهم ولكنهم لم يذكروا فضلهم تواضعا منهم واقتصروا على قولهم ولكن الله يمن على من
يشاء من عباده بالنبوة لانه قد علم انه لا يختصهم بتلك الكرامة الا وهم اهل لاختصاصهم بها
لخصائص فيهم قد استأثروا بها على ابناء جنسهم وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان اي الآية
التي طلبتموها تعنتا الا باذن الله ارادوا ان الاتيان بالآية التي طلبوها ليس الينا ولا في
وسعنا وما هو الا امر يتعلق بمشيئة الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون هذا امر منهم للمؤمنين كافة بالتوكل
وقصدوا به انفسهم قصدا اوليا وامروها به كانهم قالوا ومن حقنا ان نتوكل على الله في الصبر على معاندتكم
ومعاداتكم وما يجري علينا منكم ولذلك قالوا وما لنا الا نتوكل على الله معناه واي عذر لنا
في ان لا نتوكل عليه وقد هدانا سبلنا اي وقد فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه وهو التوفيق لهداية كل
واحد منا سبيله الذي يجب عليه سلوكه في الدين ولنصبرن على ما آذيتمونا اي على اذاكم لنا
في الدين لانهم كانوا يؤذونهم بانواع الاذى من الاهانة والضرب والتكذيب والقتل وعلى الله فليتوكل
المتوكلون اي فليثبتوا على ما احدثوه من التوكل قال رضي الله عنه كرر الامر بالتوكل لان الاول
امر باحداث التوكل والثاني امر بالثبات عليه والدوام وقصدوا بذلك انفسهم كما تقدم في الاول

الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا هذا جواب قسم اي
قالوا لرسلهم والله ليكونن احد الامرين لا محالة اما اخراجكم عن ارضنا واما عودكم في ملتنا فان قال
نبي الله عنه ولم يكونوا على ملتهم حتى يعودوا فيها لانهم معصومون ولكن العود بمعنى الصيرورة
وهو كثير في كلام العرب كثرة فاشية لا تكاد تسمعهم يستعملون صار ولكن عاد فاوحى اليهم ربهم لنهلكن
الظالمين اي الكافرين الظالمين لانفسهم بالكفر والتكذيب والمعنى مكذبي الرسل اي فلعوا
واهنوا وانوكلوا اعلى ولنسكننكم الارض من بعدهم المراد بالارض ارض الظالمين وديارهم
وعن النبي صلى الله عليه وسلم من اذى جاره ورثه الله داره قال رضي الله عنه ولقد عاينت هذا في مدة قريبة
كان لي خال يظلمه عظيم القرية التي انا فيها ويؤذيني فيه فمات ذلك العظيم وملكني الله ضيعته
فنظرت يوما الى ابناء خالي يترددون فيها ويدخلون في دورها ويخرجون ويأمرون وينهون فذكرت
قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثتهم به وسجدنا شكرا لله تعالى ذلك اشارة الى ما قضى الله من اهلاك
الظالمين واسكان المؤمنين ديارهم اي ذلك الامر حق لمن خاف مقامي اي موقفي وهو موقف الحساب
لانه موقف الله الذي يقف فيه عباده يوم القيامة والمعنى لمن خاف مقامه بين يدي وقيل خاف مقامي عليه
وحفظي لاعماله وخاف وعيد اي وخاف وعيدي للكفار والعصاة او ما اوعدتهم في الآخرة من العذاب
والمعنى ان ذلك حق للمتقين واستفتحوا يعني الانبياء اي استنصروا الله على اعدائهم
او سألوا الحكم والقضاء بينهم من الفتاحة وهي الحكومة وهذا معطوف على اوحى اليهم ربهم وقرئ
واستفتحوا بلفظ الامر وعطفه على لنهلكن اي اوحى اليهم ربهم وقال لهم لنهلكن وقال لهم
استفتحوا وخاب كل جبار عنيد معناه فنصروا وافلحوا وخاب كل جبار عنيد وهم
قومهم ومعنى خاب لم يظفر بمطلوبه وقيل المعنى واستفتح الكفار على الانبياء ظنا منهم بانهم على الحق
والرسل على الباطل وخاب كل جبار عنيد منهم ولم يفلح باستفتاحه ثم وصف حال الجبار
بقوله من ورائه جهنم اي من بين يديه في الدنيا او حين يبعث لانه موعد بها فكأنها بين يديه
وهو مشرف عليها او على شفيرها ويسقى من ماء صديد هذا عطف على محذوف تقديره من ورائه
جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى من ماء صديد كأنه اشد عذابها فخصص بالذكر مع قوله وما بينه

الامواه كثيرة

الموت من كل مكان وما هو بميت وصديد عطف بيان لما لانه مبهم والامواه كثيرة فبينه بقوله
صديد وهو ما يسيل من جلود اهل النار يتجرعه اي يتكلف جرعه ولا يكاد يسيغه دخل
كاد للمبالغة اي لا يقارب ان يسيغه فكيف يكون الاساغة كقوله لم يكد يراها اي لم يقرب
من رؤيتها فكيف يراها ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت كان اسباب الموت اصنافها
كلها وقد اجتمعت عليه واحاطت به من جميع الجهات تفظيعا لما يصيبه من الآلام وتهويلا لما يراه
من الكرب العظام وقيل من كل مكان من جسده حتى من ابهام رجله وقيل من اصل كل شعرة ومن
ورائه اي ومن بين يديه وامامه عذاب غليظ اي في كل وقت يستقبله يتلقى عذابا اشد مما
قبله واغلظ وعن الفضيل هو قطع الانفاس وحبسها في الاجساد مثل الذين كفروا بربهم
اي مثل اعمالهم المحبطة بالكفر وقيل كفرهم كرماد اشتدت به الريح عند هبوبها في يوم
عاصف اي ذي ريح عاصف جعل العصف لليوم وهو لما فيه وهو الريح والرياح وقرئ
يوم عاصف بالاضافة لا يقدرون مما كسبوا على شيء اي لا يحصلون من اعمالهم التي كانوا
يعملون على نفع وقيل قوله اعمالهم كرماد جملة مستأنفة على تقدير سؤال سائل قال كيف مثلهم فقيل
اعمالهم كرماد قال رضي الله عنه واعمال الكفرة هي المكارم التي كانت لهم من صلة الارحام
وعتق الرقاب وفداء الاسارى وعقر الابل للاضياف واغاثة الملهوف والاجارة وغير ذلك من
صنائعهم شبهها في حبوطها وذهابها هباء منثورا لبنائها على غير اساس من معرفة الله والايمان
به وكونها لوجهه برماد طيرته الريح العاصف لا يقدرون يوم القيمة مما كسبوا من اعمالهم على
شيء اي لا يرون له اثرا من ثواب كما لا يقدر من الرماد المطير في الريح على شيء ذلك هو الضلال البعيد
اشارة الى بعد ضلالهم عن طريق الحق او عن الثواب الم تر يا محمد ان الله خلق السموات والارض
بالحق بالحكمة والغرض الصحيح والامر العظيم ولم يخلقها عبثا ولا شهوة ان يشأ يذهبكم
ويأت بخلق جديد اي هو قادر على ان يعدم الناس ويخلق مكانهم خلقا اخر على شكلهم
او على خلاف شكلهم اعلاما منه باقتداره على اعدام الموجود وايجاد المعدوم وعلى انه يقدر على
الشيء وجنس ضده وما ذلك على الله بعزيز اي بمتعذر بل هو هين عليه يسير لانه قادر الذات

اعمالهم

ابرهم

لا اختصاص له بمقدور دون مقدور فاذا اخلص له الداعي اليه وانتفى الصارف تكون من غير توقف
كتحريك الانسان لاصبعه اذا دعاه اليه داع ولم يعترض دونه صارف قال رضي الله عنه
وهذه الآية بيان لابعادهم في الضلال وعظم خطابهم في الكفر بالله لوضوح اياته الشاهدة له الاله
على قدرته الباهرة وحكمته البالغة وانه هو الحقيق بان يعبد ويخاف عقابه ويرجى ثوابه في
دار الجزاء وبرزوا لله جميعا اي ويبرزون يوم القيمة وانما جيء به بلفظ الماضي لان ما اخبر
به عز وجل لصدقه كانه قد كان ووجد فاخبر بوجوده لانه كائن لا محالة ومعنى بروزهم
لله والله تعالى لا يتوارى عنه شيء حتى يبرز له انهم كانوا يستترون عن العيون عند ارتكاب الفواحش
ويظنون ان ذلك خاف على الله فاذا كان يوم القيمة انكشفوا لله عند انفسهم وعلموا ان الله
لا يخفى عليه خافية او خرجوا من قبورهم فبرزوا لحساب الله وحكمه فقال الضعفاء
وهم الاتباع والعوام للذين استكبروا عن عبادة الله وهم سادتهم وكبراؤهم وهم
الذين استتبعوهم واستغووهم وصدوهم عن الاستماع الى الانبياء واتباعهم انا كنا
في الدنيا لكم تبعا تابعين على وجه التقليد فهل انتم مغنون عنا اي دافعون عنا
من عذاب الله من شيء اي بعض الشيء الذي هو عذاب الله ان لم تقدروا على كله وغرضهم
توبيخهم على اغوائهم وعلى تعريضهم للعذاب قالوا اي القادة والاكابر لو هدانا الله
لهديناكم قال رضي الله عنه ووبخوهم وبكتوهم بقولهم فهل انتم مغنون عنا لانهم
قد علموا انهم لا يقدرون على الاغناء عنهم اجابوهم معتذرين عما كان منهم اليهم بان الله لو
هداهم الى الايمان لهدوهم اليه ولم يضلوهم اما موركين الذنب في ضلالهم واضلالهم على
الله كما حكى الله عز وجل عنهم في قوله ولو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا وقوله لو شاء الله ما
عبدنا من دونه من شيء يقولون ذلك في الاخرة كما يقولونه في الدنيا ويدل عليه قوله حكاية عن
المنافقين يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شيء واما ان
يكون المعنى لو كنا من اهل اللطف فلطف بنا ربنا واهتدينا لهديناكم الى الايمان وقيل معناه
لو هدانا الله طريق النجاة لهديناكم طريق النجاة كما سلكنا بكم طريق الهلكة سواء علينا اجزعنا ام صبرنا

خطاءهم ن

لما عاب الضعفاء الذين استكبروا على اغوائهم صح

من العذاب لهديناكم اي لاغنيناكم وسلكنا بكم طريق النجاة صح

أي مستوٍ علينا الجزع والصبر والهمزة وأم للتسوية والجزع نقيض الصبر روي أنهم يقولون تعالوا
نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء
علينا أجزعنا أم صبرنا قال رضي الله عنه ووجه اتصال هذا بما قبله أن عتابهم كان جزعاً
مما هم فيه فقال الرؤساء للضعفاء سواء علينا أجزعنا أم صبرنا يعنون أنفسهم والضعفاء لاختصاصهم عنهم
في عقاب الضلالة التي كانوا مجتمعين فيها كأنهم يقولون ما هذا الجزع والتوبيخ ولا فائدة في الجزع
ويجوز أن يكون من كلام الضعفاء والمستكبرين جميعاً كأنه قيل قالوا جميعاً سواء علينا
أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص أي منجا ومهرب وقال الشيطان لما قضي الأمر أي لما فرغ منه وهو
الحساب وتصادر الفريقين ودخول أحدهما الجنة ودخول الآخر النار روي أن الشيطان يقوم عند
ذلك خطيباً في الأشقياء من الجن والإنس فيقول إن الله وعدكم وعد الحق وهو البعث والجزاء
على الأعمال فوفى لكم بما وعدكم ووعدتكم خلاف ذلك فأخلفتكم كذبتكم وما كان لي عليكم من
سلطان أي من تسلط وقهر فأقهركم على الكفر والمعاصي وألجئكم إليها إلا أن دعوتكم
أي إلا دعائي إياكم إلى الضلالة بوسوستي وتزييني فاستجبتم لي أي أجبتم إلى طاعتي ولم تطيعوا
ربكم فلا تلوموني ولوموا أنفسكم حيث اغتررتم بي وأطعتموني إذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم
إذ دعاكم لما يسعدكم قال رضي الله عنه وهذا دليل على أن الإنسان هو الذي يختار السعادة
والشقاوة ويحصلها لنفسه وليس من الله إلا التمكين ولا من الشيطان إلا التزيين ولو كان
الأمر كما تزعم المجبرة لقال فلا تلوموني ولا أنفسكم فإن الله قضى عليكم الكفر وأجبركم عليه
ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخيّ أي لا ينجي بعضنا بعضاً من عذاب الله ولا يغيثه والإصراخ الإغاثة
إني كفرت بما أشركتمون من قبل أي إني كفرت اليوم بإشراككم إياي وما مصدرية ومن قبل
متعلق بأشركتموني مع الله في الطاعة من قبل هذا اليوم أي في الدنيا ومعنى كفره بإشراكهم إياه بالله
تبرؤه منه واستنكاره له وقيل قوله من قبل يتعلق بكفرت وما موصولة أي كفرت من قبل
حين أبيت السجود لآدم عليه السلام بالذي أشركتمونيه وهو الله عز وجل ومعنى أشركتموني أطعتموني الشيطان
فيما كان يوسوسه لهم من عبادة الأوثان وغيرها وهذا آخر قول إبليس وقوله إن الظالمين

لهم عذاب أليم قول الله عز وجل ويحتمل أن يكون من جملة كلام إبليس وإنما حكى الله تعالى
ما سيقوله في ذلك الوقت ليكون لطفاً للسامعين في النظر لعاقبتهم والاستعداد لما لا بد لهم
من الوصول إليه وأن يتصوروا في أنفسهم ذلك المقام الذي يقول فيه الشيطان ما يقول فيخافوا ويعملوا
ما يخلصهم منه وينجيهم من مكايده وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها
الأنهار خالدين فيها بإذن ربهم أي أدخلتهم الملائكة الجنة بإذن الله وأمره تحيتهم فيها
سلام أي يحييهم الملائكة أو يحيي بعضهم بعضاً بالسلام والسلام كلمة جامعة لكل خير وقيل معناه
التمني بدوام السلامة وقرئ وأدخلُ بالرفع على أنه فعل المتكلم أي وأدخل أنا وفيه دليل على أن قوله
إن الظالمين من قول الله لا من قول إبليس لعنه الله قال رضي الله عنه وعلى هذه القراءة لا يستقيم وأدخلهم
بإذن ربهم بما بعده أي تحيتهم فيها سلام بإذن ربهم يعني أن الملائكة يحيونهم بالسلام ثم فسره فقال كلمة
طيبة يريد شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله وقيل ما أمر تعالى به وقيل المؤمن كشجرة طيبة هي النخلة
لما جاء حديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه قال ذات يوم إن الله ضرب مثل المؤمن شجرة فأخبروني
ما هي فوقع الناس في شجر البوادي وكنت صبياً فوقع في قلبي أنها النخلة فهبت رسول الله صلى الله عليه أن
أقولها وأنا أصغر القوم وروي فمنعني مكان عمر واستحييت فقال النبي صلى الله عليه ألا إنها النخلة فقال
عمر يا بني لو كنت قلتها لكانت أحب إليّ من حمر النعم وقيل كل شجرة مثمرة طيبة الثمار كشجر التين
والعنب والرمان وعن ابن عباس شجرة في الجنة أصلها ثابت مستقر في الأرض وفرعها في السماء
أي جهة العلو والصعود ولم يرد السماء المظلة لكن كما تقول في الجبل هو طويل في السماء يريد ارتفاعه
وشموخه تؤتي أكلها كل حين أي تعطي ثمرها كل وقت وقته الله لإثمارها بإذن ربها
أي بتيسير خالقها وتكوينه ويضرب الله الأمثال للناس يريد أهل مكة لعلهم يتذكرون أي
لكي يتعظوا لأن في ضرب الأمثال زيادة إفهام وتذكير وتصوير للمعاني قيل إن النخلة تعطي ثمرها
جميع السنة ستة أشهر طلع رخص وستة أشهر رطب طيب فالانتفاع بها دائم في جميع السنة
كذلك الإيمان ثابت في قلب المؤمن وعمله وقوله وتسبيحه عال مرتفع إلى السماء ارتفاع فروع النخلة
وما يكتسبه من بركة الإيمان وثوابه كما ينال من ثمرة النخلة في أوقات السنة كلها من الرطب والتمر

والثمر وذكر الكلمة وارادة المتمسك بها قيل شبه كلمة الدين بقرار الشجر وما يحصل من الرفعة
بالدين والظهور بفروعها في السماء وما يحصل من الثواب الدائم بالثمر والغرض ان يحفظ المكلف دينه
كما يحفظ الشجر صاحبها ومثل كلمة خبيثة وهي الشرك او كل كلمة قبيحة وقيل الكافر
كشجرة خبيثة وهي كل شجر لا يطيب ثمرها كشجر الحنظل والكشوث اجتثت اي قلعت واستوصلت
والاجتثاث اخذ الجثة كلها من فوق الارض اي لم ترسخ فيها ولم تضرب بعروق ما لها من
قرار اي من استقرار في الارض يريد ان الشرك لا ينتفع به صاحبه ولم له حجة ولا ثبات كهذه
الشجرة قال رضي الله عنه شبه بها القول الذي لم يعضد بحجة فهو داحض غير ثابت والذي
لا يبقى سريع الزوال لبطلانه كالشيء الذي لا اصل له ثابت وعن قتادة انه قيل لبعض العلماء ما تقول في
كلمة خبيثة فقال ما اعلم لها في الارض مستقرا ولا في السماء مصعدا الا ان يلزم عنق صاحبها حتى يوافي
بها يوم القيمة يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة القول الثابت
هو الذي ثبت بالحجة والبرهان في قلب صاحبه وتمكن فيه فاعتقده واطمانت اليه نفسه وتثبيتهم
في الدنيا انهم اذا فتنوا في دينهم لم يزلوا كما ثبت الذين فتنهم اصحاب الاخدود والذين اكرهوا
على الخروج من دينهم والذين نشروا بالمناشير ومشطت لحومهم بامشاط الحديد وتثبيتهم
في الاخرة انهم اذا سئلوا عند تواقف الاشهاد عن معتقدهم ودينهم لم يتلعثموا ولم يبهتوا ولم تحيرهم
اهوال الحشر وقيل معناه الثبات عند سؤال القبر وعن البراء بن عازب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر
قبض روح المؤمن فقال ثم يعاد روحه في جسده فياتيه ملكان فيجلسانه في قبره ويقولان
له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد فينادي مناد من السماء ان
صدق عبدي فذلك قوله يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت ويضل الله الظالمين الذين لم يتمسكوا
بحجة في دينهم وانما اقتصروا على تقليد كبارهم وشيوخهم كما قلد المشركون اباءهم فقالوا انا وجدنا اباءنا على
امة واضلالهم في الدنيا انهم لا يثبتون في مواقف الفتن وتزل اقدامهم اول شيء وهم في الاخرة اضل واذل
وذلك انهم اذا سئلوا في قبورهم قالوا لا ندري ويفعل الله ما يشاء اي ما توجبه الحكمة لان مشيئة الله تعالى
تابعة للحكمة من تثبيت المؤمنين وتاييدهم وعصمتهم عند ثباتهم وعزمهم ومن اضلال الظالمين وخذلانهم والتخلية بينهم

الكشوث ما يلتوي على الشجرة ولا اصل له في الارض ولا له ورق
قال الشاعر هي الكشوث فلا اصل ولا ورق ولا نسيم ولا ظل ولا ثمر

وبين شانهم عند زلل قدمهم الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا اي شكر نعمة الله لان شكرها
الذي وجب عليهم وضعوا مكانه كفرا فكانهم غيروا الشكر الى الكفر وبدلوه تبديلا ونحوه
وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اي شكر رزقكم حيث وضعتم التكذيب موضعه ووجه اخر وهو انهم
بدلوا نفس النعمة كفرا على انهم لما كفروها سلبوها فبقوا مسلوبي النعمة موصوفين بالكفر حاصلا
لهم الكفر بدل النعمة قال رضي الله عنه وهم اهل مكة اسكنهم الله حرمه وجعلهم قوام
بيته واكرمهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا نعمة الله بدل ما لزمهم من الشكر العظيم او اصابهم الله
بالنعمة في الرخاء والسعة لايلافهم الرحلتين في الشتاء والصيف لانهم كانوا يرحلون في الشتاء الى اليمن
وفي الصيف الى الشام فيمتارون ويتجرون امنين والناس من حولهم يتخطفون فكفروا النعمة فضربهم
بالقحط سبع سنين فحصل لهم الكفر بدل النعمة وكذلك حين اسروا وقتلوا يوم بدر فقد ذهبت عنهم
النعمة وبقي الكفر طوقا في اعناقهم وعن عمر هم الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية فاما بنو المغيرة
فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فمتعوا الى حين واحلوا قومهم اي من تابعهم على الكفر دار
البوار اي الهلاك جهنم عطف بيان لدار البوار يصلونها اي يدخلونها ومنه قولهم شاة
مصلية وهي التي تدس في الجمر وبئس القرار اي المستقر وجعلوا لله اندادا يعني الاصنام ليضلوا
عن سبيله اي عن طريق الحق قال رضي الله عنه ولم يكن غرضهم في اتخاذ الانداد الاضلال
والضلال ولكن اتخاذ الانداد سبب في ذلك فدخلت اللام في قوله ليضلوا لانه نتيجة اتخاذ الانداد
لا غرضه كقوله فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا لان التقاطهم سبب لمرتبة العداوة
والحزن والمعنى ان الضلال عن الدين كان عاقبتهم وقرئ ليضلوا بضم اليا قل تمتعوا اي انتفعوا بمنافع
دنياكم الخاصة قال رضي الله عنه وهذا اشعار بانهم لا يشغلهم منافع الدنيا واعراضهم
وعلقهم عن الاخرة بحيث ان ليس لهم فيها ما هم مؤثرون فكانهم امرهم امر مطاع لا يسعهم ان يخالفوه ولا
يملكون لانفسهم امرا دونه وهو امر الشهوة والمعنى ان دعهم على ما هم عليه من الامتثال لامر
الشهوة فان مصيركم الى النار ويجوز ان يراد الخذلان والتخلية ونحوه قل تمتع بكفرك قليلا
انك من اصحاب النار قل يا محمد لعبادي الذين امنوا يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم

اى انفاق سر وانفاق علانية والمعنى اخفاء المتطوع به من الصدقات والاعلان بالواجب من قبل
ان ياتى يوم لا بيع فيه اى لا فدا بنيل ولا خلال الخلال المخالة وهى الموالاة والمواخاة والمصادقة
والمعنى ان الناس فى الدنيا يخرجون اموالهم فى عقودهم المعاوضات فيعطون بدلا ليأخذوا
مثله وفى المكارمات ومهاداة الاصدقاء ليستجروا بهداياهم امثالها او خيرا منها واما الانفاق
لوجه الله خالصا فلا يفعله الا المؤمنون الخلص فبعثوا على الانفاق لوجه الله خالصا
ليأخذوا بدله فى يوم لا بيع فيه ولا خلال وهو يوم القيمة اى لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة ولا
بما ينفقون فيه اموالهم من المعاوضات والمكارمات وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله ثم
نبّه على عظائم نعمته وعجائب قدرته وشيّع ظلم الانسان بقوله الله الذى خلق السموات والارض
يعنى لمنافع العباد وانزل من السماء ماء وهو المطر فاخرج به من الثمرات رزقا لكم
يعنى الاشجار والحبوب وغيرها اى الغرض بذلك رزقكم فيعلم انه لم ينفع انفاقا وان الغرض
الانعام به ليشكروا عليه وسخر لكم الفلك وهى السفن لتجرى فى البحر بامره اى بارادته وقدرته
وبقوله كن وسخر لكم الشمس والقمر دائبين دائمين بلا انقطاع فى سيرهما وانارتهما ودفعهما الظلمة
واصلاحهما ما يصلحان من الارض والابدان والنبات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان ويكونان
لمعاشكم ونومكم ومعنى تسخير هذه الاشياء تصريفها فى منافع العباد على حسب ارادته
كالمسخر المتمثل لما يؤمر به لا يقدر على المخالفة وآتاكم من كل ما سألتموه من للتبعيض اى آتاكم
بعض جميع ما سألتموه نظرا فى مصالحكم وقرئ من كلٍّ بالتنوين وما سألتموه نفى اى آتاكم من جميع ذلك
غير سائليه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها اى لا تحصروها ولا تطيقوا عدّها وبلوغ
آخرها هذا اذا ارادوا ان يعدوها على الاجمال واما التفصيل فلا يقدر عليه ولا يعلمه الا الله
ان الانسان لظلوم يظلم النعمة باغفال شكرها كفار شديد الكفران لها وقيل ظلوم فى
الشدة يشكو ويجزع كفار فى النعمة يجمع ويمنع واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا البلد يعنى
البلد الحرام مكة ذا امن اذ هو الله امنا وكفاها كل باغ واجاب فيها دعوة خليله ابرهيم صلى الله عليه آمنا
اى صاحب امن كانه قال هو بلد مخوف فاجعله آمنا واجنبنى اى جنبنى وبنى اراد بنيه من صلبه

وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى

ان نعبد الاصنام اى ثبتنا وادمنا على اجتناب عبادتها وسئل ابن عيينة كيف عبدت
العرب الاصنام وهم من ولد اسمعيل فقال ما عبد احد من ولد ابرهيم صنما واحتج بقوله
وقال انما كانت انصاب حجارة وهى الاوثان لكل قوم وثن قالوا البيت حجر فحيث نصبنا حجرا فهو بمنزلة
البيت فكانوا يدورون بذلك الحجر ويسمونه الدوار قال رضى الله عنهم فاستحب فى الشرع
ان يقال طاف بالبيت ولا يقال دار بالبيت فاما الاصنام فهى التماثيل المصورة من ذهب ونحاس
ونحو ذلك وهى التى قيل لم يعبدها احد من ولد ابرهيم اجابة لدعوته والوثن ما ليس كذلك وقيل انما
كانت الدعوة للانبياء منهم والمؤمنين رب انهن اضللن كثيرا من الناس اى ضلوا بسببهن فاعوذ
بك ان تعصمنى وبنى من ذلك وجعلن مضلات لان الناس ضلوا بسببهن فكانهن اضللنهم فمن تبعنى
على ملتى وكان حنيفا مسلما مثلى فانه منى اى هو بعضى لفرط اختصاصه بى وملابسته لى ومن
عصانى فانك غفور رحيم تغفر له ما سلف منه من عصيانه اذا رجع عنه واستحدث الطاعة
وقيل معناه ومن عصانى فيما دون الشرك ربنا انى اسكنت من ذريتى اى بعض اولادى وهم
اسمعيل ومن ولد معه منه بلا خلاف بواد هو وادى مكة غير ذى زرع اى لا يكون فيه شئ
من زرع قط عند بيتك المحرم قيل للبيت المحرم لان الله حرم التعرض له والتهاون به وجعل
ما حوله حرما لمكانه او لانه لم يزل ممتنعا عن تعرض الجبابرة كالشئ المحرم الذى حقه ان
يجتنب او لانه محترم عظيم الحرمة لا يحل انتهاكها او لانه حرم على الطوفان اى منع منه كما
سمى عتيقا لانه اعتق منه وعن مجاهد ان ابرهيم خرج من الشام وخرج معه بابنه اسمعيل وامه
هاجر واسمعيل طفل يرضع وحملوا على البراق ومعه جبريل حتى قدم مكة وبها اذ ذاك عضاه
من سلم وسمر وبها اناس يقال لهم العماليق خارجا من مكة والبيت يومئذ ربوة حمراء مدرة فقال
ابرهيم لجبريل اههنا امرت ان اضعهما قال نعم فعمد بهما الى موضع الحجر فانزلهما فيه وامر
هاجر ان تتخذ فيه عريشا ثم قال ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم يعنى
الذى حدث فى هذا الوادى لان اسكان الخليل ابرهيم اسمعيل بمكة كان قبل بناء البيت ربنا
ليقيموا الصلاة اللام متعلقة باسكنت اى ما اسكنتهم بهذا الوادى الخلاء البلقع من كل مرتفق

ومن لم يرزق الا ليقيموا الصلاة عند بيتك المحرم ويعمروه بذكرك وعبادتك وما تعمر به مساجدك
ومتعبداتك متبركين بالبقعة التي شرفتها على البقاع مستسعدين بجوار بيتك الكريم متقربين
اليك بالعكوف عند بيتك والطواف والركوع والسجود حوله مستنزلين الرحمة التي اثرت بها
سكان حرمك **فاجعل افئدة من الناس** اي قلوب جماعة منهم يحنون اليهم ويعجلون نحوهم
ومن للتبعيض ويدل عليه ما روي عن مجاهد لو قال افئدة الناس لزحمتكم عليه فارس والروم
وقيل لو لم يقل من لازدحموا عليه حتى الروم والترك والهند **تهوي اليهم** اي تسرع اليهم وتطير نحوهم
شوقا ونزاعا **وارزقهم من الثمرات** مع سكناهم واديا ما فيه شيء منها بان تجلب اليهم
من البلاد البعيدة والاقطار النائية **لعلهم يشكرون** النعمة في ان يرزقوا انواع الثمرات
حاضرة في واد يباب ليس فيه نجم ولا ماء قال رضي الله عنه ولقد اجاب الله دعوة خليله
ابرهيم فجعله حرما امنا تجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنه ثم فضله في وجود اصناف
الثمار فيه على كل ريف وعلى اخصب البلاد واكثرها ثمارا فلا ترى في بلد من بلاد الشرق والغرب
اعجوبة كالاعجوبة التي يريكها الله بواد غير ذي زرع وهي اجتماع البواكير والفواكه المختلفة
الازمان من الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد وليس ذلك من اياته بعجيب متعنا الله
بسكنى حرمه ووفقنا لشكر نعمه وادام لنا التشرف بالدخول تحت دعوة ابرهيم ورزقنا طرفا
من سلامة ذلك القلب السليم **ربنا انك تعلم ما نخفي** من الوجد لما وقع بيننا من الفرقة **وما
نعلن** من البكاء والدعاء وقيل ما نخفي من كآبة الافتراق وما نعلن يريد ما جرى بينه وبين هاجر حين قالت
له عند الوداع الى من تكلنا قال الى الله اكلكم قالت الله امرك بهذا قال نعم قالت اذا لا نخشى
تركتنا الى كاف واف وقيل ما نخفي من الوجد باسمعيل وما نعلن من جفوته والمعنى انك اعلم
بما يصلحنا وما يفسدنا وانت ارحم بنا وانصح لنا منا بانفسنا ولها فلا حاجة الى الدعاء
والطلب وانما ندعوك اظهارا للعبودية وتخشعا لعظمتك وتذللا لعزتك وافتقارا الى ما عندك
واستعجالا لنيل اياديك وولها الى رحمتك وكما يتملق العبد بين يدي سيده رغبة في اصابة معروفه
مع توفر السيد على حسن الملكة **وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء** قيل هو من كلام

اليباب الخراب
اي خراب
الريف الارض ذات الخصب والزرع
البواكير اول الفاكهة وجمعها باكورة

فلا تخفى عليه لقاله ابرهيم عليه السلام وقيل من كلام ابرهيم يعني وما يخفى على الله الذي هو عالم الغيب
من شيء في كل مكان **الحمد لله الذي وهب لي على الكبر** اي مع الكبر والمعنى وهب لي وانا كبير في حال الكبر
اسمعيل واسحق روي ان اسمعيل ولد له وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن مائة
واثنتي عشرة سنة وقد روي انه ولد له اسمعيل لاربع وستين واسحق لسبعين وعن سعيد بن جبير
لم يولد لابرهيم الا بعد مائة وسبع عشرة سنة قال رضي الله عنه وانما ذكر ابرهيم عليه السلام حال
الكبر لان المنة بهبة الولد فيها اعظم من حيث انها حال وقوع الياس من الولادة في تلك السن
العالية كانت اية لابرهيم عليه السلام **ان ربي لسميع الدعاء** اي قابله ومجيبه وكان قد دعا ربه وساله
الولد فقال رب هب لي من الصالحين فشكر لله ما اكرمه به من اجابته **رب اجعلني مقيم الصلوة
ومن ذريتي** اي الطف لنا حتى نقيمها ونتمسك بالدين قال رضي الله عنه وانما بعض لانه علم
باعلام الله انه يكون في ذريته كفار ظلمة وذلك قوله لا ينال عهدي الظالمين فعلم بهذا ان من
ذريته من يظلم نفسه بالكفر والظلم **ربنا وتقبل دعاء** اي عبادتي وعملي والمعنى اجبه واعطه
ربنا اغفر لي دعا لنفسه بما علم كونه قطعا وقيل اراد ربنا ان الفضل **ولوالدي** في قراة ابي لابوي
قبل الحسن على علمه حتم ولولدي يعني اسمعيل واسحق وقرا سعيد بن جبير ولوالدي على الافراد
يعني اباه قيل كان هذا قبل موت ابيه قال رضي الله عنه وجاز له ان يستغفر لوالديه وهما كافران
لانه من جوازات العقل ولا يعلم امتناع جوازه الا بالتوقيف فلعله دعا على مقتضى العقل حتى
نهي وقيل اراد ادم وحوى **وللمومنين يوم يقوم الحساب** اي يثبت مستعار من قيام القائم
على الرجل وقيل معناه يوم يقوم اهل الحساب مثل واسئل القرية وعن مجاهد قد استجاب
الله لابرهيم فيما سال فلم يعبد احد من ولده صنما بعد دعوته وجعل البلد امنا ورزق اهله
وجعله اماما وجعل في ذريته من يقيم الصلوة واراه مناسكه وتاب عليه وعن ابن عباس انه
قال كانت الطائف من ارض فلسطين فلما قال ابرهيم ربنا اني اسكنت الاية رفعها الله و
وضعها رزقا للحرم **ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون** الله تعالى عن
السهو والغفلة ورسول الله صلى الله عليه اعلم الناس بذلك ولا يجوز عليه ان يحسب الله غافلا

ابرهيم
علي
٤٥
والظفر بالحاجة على عقب الياس من اجل النعم
واجلها في نفس الطالب
ولان الولادة
ظ
واعطه

ولكن فان خطابه بذلك التثبيت له على ما كان عليه من انه لا يحسب الله غافلا كقوله ولا تكونن من
المشركين ولا تدع مع الله الها اخر وكما جاء في الامر يا ايها الذين امنوا امنوا بالله ورسوله
اي اثبتوا على الايمان او يكون المراد بالنهي عن حسبانه غافلا الاخبار بانه عالم بما يعمل الظالمون
لا يخفى عليه منه شيء وانه معاقبهم على قليله وكثيره على سبيل الوعيد والتهديد او تكون معناه ولا
تحسبن الله يعاملهم معاملة الغافل عما يعملون ولكن معاملة الرقيب عليهم المحاسب على النقير
والقطمير هذا اذا كان خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم وان كان لغيره ممن يجوز ان يحسبه غافلا لجهله
بصفاته فلا سؤال فيه وعن ابن عيينة هو تسلية للمظلوم وتهديد للظالم انما يؤخرهم ليوم تشخص
فيه الابصار اي ابصارهم يعني انها لا تقر في اماكنها من هول ما ترى وقيل ابصار الخلائق
لانها تذهب شاخصة الى الهوى دهشا وحيرة قيل عند خروجهم من القبور وقيل انها لا
تغمض لما من شدة ما ترى مهطعين اي مسرعين الى الداعي وهو جبريل واسرافيل عليهما السلام
وقيل المهطع الدائم النظر الى الشيء لا يطرف مقنعي رؤوسهم اي رافعيها وقيل ناكسيها
لا يرتد اليهم طرفهم اي لا يرجع اليهم ان يطرفوا بعيونهم والمعنى لا يطرفون ولكن عيونهم مفتوحة
ممدودة من غير تحريك الاجفان يقال طرف عينه طرفا اذا حركت او معناه لا يرجع اليهم
طرفهم نظرهم فينظروا الى انفسهم وافئدتهم هواء اي قلوبهم خالية عن العقول مما ذهلوا
من الخوف والفزع وعن ابن جريج افئدتهم هواء اي صفر من الخير خالية منه وقيل جوف
لا عقول لهم وهواء جمع اجوف اي خالي الباطن وانذر الناس وهم اهل مكة بالقران يوم
يأتيهم العذاب وهو يوم القيامة او عند الموت فيقول الذين ظلموا اي اشركوا ربنا اخرنا
الى اجل قريب اي ردنا الى الدنيا وامهلنا الى امد وحد من الزمان قريب نتدارك ما فرطنا
منا من اجابة دعوتك نجب دعوتك ونتبع الرسل نتدارك ما فرط منا من اجابة دعوتك
واتباع رسلك فيقال لهم اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال اي حلفتم في الدنيا انكم باقون
فيها وانكم لا تزالون بالموت والفناء وانكم لا تبعثون ولا تنتقلون الى الاخرة يعني كفرهم بالبعث
وهو قوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت وسكنتم يعني في الدنيا في مساكن

والطرف تحريك الاجفان

الذين ظلموا انفسهم يعني الامم الكافرة والمعنى انكم سكنتم في ديارهم طيبي النفوس بما كانوا عليه سايرين سيرتهم
في الظلم والفساد لا تحدثون انفسكم بما لقي الاولون من وقائع الله ولا تنظرون كيف كان عاقبة
ظلمهم فتعتبروا وترتدعوا وتبين لكم بالاخبار والمشاهدة كيف فعلنا بهم اي كيف اهلكناهم وانتقمنا
منهم بسبب ظلمهم فلم تنزجروا وضربنا لكم الامثال في القران فلم تعتبروا وقد مكروا مكرهم اي مكرهم
العظيم الذي استفرغوا فيه جهدهم وهو مكرهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وما هموا به من قتله او نفيه وعند
الله مكرهم اي ومكتوب عنده مكرهم فهو مجازيهم عليه بمكر هو اعظم منه او معناه وعند الله جزاء مكرهم
الذي يمكرهم به وهو عذابهم الذي يستحقونه يأتيهم به من حيث لا يشعرون وان كان مكرهم لتزول
منه الجبال اي وان عظم مكرهم وتبالغ في الشدة فضرب زوال الجبال منه مثلا لشدته وعظمه اي وان كان
مكرهم مسوى لازالة الجبال وقد جعلت ان نافية واللام في لتزول مؤكدة للنفي يعني وما كان مكرهم لتزول
منه الجبال اي ومحال ان تزول الجبال بمكرهم على ان الجبال مثل لايات الله وشرائعه لانها بمنزلة
الجبال الراسية ثباتا وتمكنا ويعضده قراءة ابن مسعود وما كان مكرهم فلا تحسبن الله مخلف
وعده رسله اي لا تظن ايها السامع اخلافه ما وعد الله رسله من النصر والفتح قال رضي الله عنه
ولم يقل مخلف رسله وعده لكن قدم الوعد ليعلم انه لا يخلف الوعد ثم قال رسله ليعلم انه اذا لم يخلف
وعده احدا فاولى ان لا يخلف رسله الذين هم خيرته وصفوته ان الله عزيز غالب لا يماكر ذو انتقام
لاوليائه من اعدائه يوم تبدل الارض غير الارض والسماوات اي يغير عما كانت عليه وعن علي
رضي الله عنه تبدل الارض بارض كالفضة البيضاء نقية يحشر الناس عليها والسماوات سماوات من ذهب وقيل
تبدل اوصافها فتسير عن الارض جبالها وتفجر بحارها وتستوي فلا ترى فيها عوجا ولا امتا وتبدل السماء
بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها ابوابا وعن ابن مسعود
يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطئ عليها احد خطيئة وبرزوا لله الواحد القهار اي خرجوا
من قبورهم الى ظهر الارض لحكم الله وحسابه والمجازاة على الاعمال وترى المجرمين يومئذ مقرنين
قرن بعضهم مع بعض ومع الشياطين يقرن كل كافر مع شيطانه في غل من حديد في الاصفاد وهي
القيود والسلاسل سرابيلهم من قطران السرابيل القمص والقطران ما يتحلب من شجر الابهل فيطبخ فيطلى به

الابل الجربى فيحرق الجرب بحره وحدته ويحرق الجلد وقد تبلغ حرارته الى الجوف ومن صفته ان تسرع فيه اشتعال

النار وقد يستسرج به وهو اسود اللون منتن الريح فيطلى به جلود اهل النار حتى يكون لهم كالقميص ليجتمع عليهم

الاربع لذع القطران وحرقته واسراع النار في جلودهم واللون الوحش ونتن الريح قال

رضي الله عنه على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين اي بين قطر اي الدنيا والآخرة

كأس نارهما وكل ما وعد الله او اوعد به فانه حق فيه وبين ما شاهد من جنسه ما لا ندركه

قدره ولا يبلغه ظن متصور وكانه ما عندنا منه الا الاسامي والمسميات ثمة فكيف بما لا يشبه

نعوذ من سخطه ونسأل الله التوفيق فيما يخلصنا من عذابه **وتغشى وجوههم النار** اي تعلوها

وتلفحها وهذا كقوله افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة يسحبون في النار على وجوههم لان

الوجه اعز موضع في ظاهر البدن واشرفه كالقلب في باطنه ولذلك قال تطلع على الافئدة **ليجزي الله**

كل نفس ما كسبت اي يفعل بالمجرمين ما يفعل ليجزي كل نفس مجرمة ما كسبت او كل نفس من مجرمة ومطيعة

لانه تعالى اذا عاقب المجرمين لجرائمهم علم انه يثيب المطيعين لطاعتهم **ان الله سريع الحساب**

يحاسب الكل في اسرع من طرفة عين **هذا** القرآن **بلاغ للناس** اي كفاية لهم في التذكير والموعظة

وقيل يعني بهذا ما وصفه من قوله ولا تحسبن الله الى قوله سريع الحساب **ولينذروا به** اي لينذروا

انت يا محمد بهذا البلاغ وقرئ ولينذروا به بفتح الياء من نذر به اذا علمه واستعد له **وليعلموا انما**

هو اله واحد لانهم اذا خافوا ما انذروا به دعتهم المخافة الى النظر حتى يتوصلوا الى التوحيد لان

الخشية ام الخير كله **وليذكر اولو الالباب** اي وليتعظ اهل اللب والعقل والتبصر

سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم **الر تلك آيات الكتاب وقرآن**

مبين تلك اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والمراد بالكتاب والقرآن المبين السورة وتنكير القرآن

للتفخيم والمعنى تلك آيات الكتاب الكامل في كونه كتابا واي قرآن مبين كانه قيل الكتاب الجامع للكمال

والغرابة في البيان **ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين** انزلت في شأن الكفار الاسلام قال رضي الله

عنه ودادتهم تكون عند الموت او يوم القيامة اذا عاينوا حالهم وحال المسلمين وقيل اذا رأوا المسلمين

يخرجون من النار وهذا على قول المرجئة فاما جماهير ائمتنا عليهم السلام والمحققون من الزيدية والمعتزلة

فيقولون ان فساق اهل القبلة مخلدون في النار لا محالة ومعنى التقليل ان اهوال ذلك اليوم تدهشهم

فلا يودون فان حانت منهم افاقة في بعض الاوقات من سكرتهم تمنوا فلذلك قلل **ذرهم** دعهم اتركهم

اهدا خطوطهم من دنياهم ودعهم عن النهي عما هم عليه من الغفلة عن الحق ولا تعرض لهم بموعظة ولا

نصيحة تخليهم **يأكلوا** كما تأكل البهائم **ويتمتعوا** بدنياهم وبقضاء شهواتهم **ويلههم الامل** اي ويشغلهم املهم

ويوهمهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال وانهم لا يلقون في العاقبة الآخرة **فسوف يعلمون**

في الآخرة سوء صنيعهم والغرض الاعلام لهم بانهم من اهل الخذلان وانه لا يجي منهم الا ما هم فيه وانه لا

زاجر لهم ولا واعظ الا معاينة ما ينذرون به حين لا ينفعهم الوعظ ولا طريق الى اتعاظهم فامر رسوله

الله عليهم وان بالغ في تخليتهم حتى يأمرهم بما لا يزيدهم الا ندما في العاقبة وفيه الزام للحجة ومبالغة

في الانذار والاعذار فيه قال رضي الله عنه وفي هذا تنبيه على ان ايثار التلذذ في الدنيا والسعي

لما يودي اليه طول الامل ليس من اخلاق المؤمنين وعن علي عليه السلام اكثر الناس وعن بعضهم التمرغ في الدنيا

من اخلاق الهالكين **وما اهلكنا من قرية** اي اهلها **الا ولها كتاب معلوم** اي اجل مكتوب

والمعنى ان لا هل قرية اجله موقتا لا يهلكهم حتى يبلغوه **ما تسبق من امة اجلها** اي ما تقدم

الذي وقت لها ومن قبله **وما يستأخرون** عنه **وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر** هو القرآن

يعني هذا القول منهم على وجه الاستهزاء **انك لمجنون** اي زائل العقل واما قالوا اقرارا وكيف يقرون

بنزول الذكر عليه وينسبونه الى الجنون والمعنى انك لتقول قول المجانين حين تدعي ان الله نزل عليك

الذكر **لو ما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين** اي هلا تأتينا بالملائكة يشهدون

لصدقك ويعضدونك على انذارك كقوله لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا او هلا تأتينا بالملائكة

للعقاب على تكذيبنا لك ان كنت صادقا كما كانت تأتي الامم المكذبة برسلها قال الله تعالى

ما ننزل الملائكة الا بالحق اي بالحكمة والمصلحة ولا حكمة في ان نأتيكم عيانا تشاهدونهم ويشهدون لكم

بصدق النبي صلى الله عليه لانكم حينئذ مصدقون عن اضطرار وقيل الحق الوحي او العذاب **وما كانوا**

اذا منظرين اي لو نزلت الملائكة لم ينظروا ولم يمهلوا **انا نحن نزلنا الذكر** وهو القرآن **وانا**

لَهُ لَحافِظُونَ هذا رد لإنكارهم واستهزائهم في قولهم يا أيها الذي نزل عليه الذكر ولذلك قال إنا نحن
فأكد عليهم أنه هو المنزل على القطع والبتات وأنه هو الذي بعث به جبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم ومن بين يديه
ومن خلفه رصدا أي حفظه من الملائكة حتى نزل وبلغ محفوظا من الشياطين وهو حافظه في كل وقت
من كل زيادة ونقصان وتحريف وتبديل بخلاف الكتب المتقدمة فإنه لم يتول حفظها وإنما استحفظها
الربانيين والأحبار فاختلفوا فيما بينهم بغيا فكان التحريف ولم يكل القرآن إلى غير حفظه وقيل
الضمير في له لرسول الله صلى الله عليه وسلم وَلَقَدْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ أي رسلا فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ أي في فرقهم
وطوائفهم والشيعة الفرقة إذا اتفقوا على مذهب وطريقة ومعنى أرسلنا فيهم أوحينا إليهم وجعلناهم
رسولا فيما بينهم وَما يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ أي يسخرون به ويكذبونه كما فعل بك هؤلاء
وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وإخبار له بأن استهزاء الكفار برسلهم عادة قديمة فلا يكسرها
كَذلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ يقال سلكت الخيط في الإبرة إذا أدخلته فيها والضمير للذكر
أي مثل ذلك السلك نسلك الذكر في قلوب المجرمين على أنه يلقيه في قلوبهم مكذبا مستهزأ به
غير مقبول وقيل الضمير للاستهزاء ومعنى كذلك نسلكه أي كما فعلوا أدخل الاستهزاء والشرك
والضلال في قلوبهم ثم بين أي شيء أدخل في قلوبهم فقال لا يُؤْمِنُونَ بِهِ أي بالرسول وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ
الْأَوَّلِينَ أي طريقتهم التي سنها الله في إهلاكهم حين كذبوا برسلهم وبالذكر المنزل عليهم
وهؤلاء المشركون يقتفون آثارهم في الكفر والتكذيب وهذا وعيد لأهل مكة على تكذيبهم وَلَوْ
فَتَحْنا عَلَيْهِمْ أي على أهل مكة باباً مِنَ السَّماءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ أي يصعدون فيه إليها لَقالُوا إِنَّما سُكِّرَتْ
أَبْصارُنا أي حيرت من الإبصار مأخوذ من السكر وهو ما يسكر به الماء أي حبست كما يحبس النهر
عن الجري والمعنى أن هؤلاء المشركين بلغ من غلوهم في العناد والمكابرة أن لو فتح لهم باب من أبواب السماء ويسر
لهم معراج يصعدون فيه إليها بالنهار لقالوا هو شيء نتخايله لا حقيقة له بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ
ولقالوا قد سحرنا محمد بذلك فلا نبصر وقيل الضمير في فيه للملائكة أي لو أراهم الملائكة يصعدون في السماء
عيانا لقالوا ذلك وذكر الظلول ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون لأن ظل للنهار
كبات لليل وَلَقَدْ جَعَلْنا فِي السَّماءِ بُرُوجاً يعني منازل الشمس والقمر وهي اثنا عشر برجا

معنى ج



لِلنَّاظِرِينَ أي للمعتبرين والمستدلين على توحيد صانعها وَحَفِظْناها مِنْ كُلِّ
شَيْطانٍ رَجِيمٍ أي مرمي بالنجوم إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ أي إلا من حاول أخذ مسموع بغير الخطفة اليسيرة
فَأَتْبَعَهُ أي فلحقه وأدركه شِهابٌ مُبِينٌ أي ظاهر للمبصرين وعن قتادة الذي ترجم به الشيطان
ينفصل من نار الكواكب وهم يترجمون بالكواكب أنفسها وإنما تقبس يؤخذ منها وهي باقية مكانها
وعن ابن عباس أنهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سماوات فلما ولد محمد
صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها وَالْأَرْضَ مَدَدْناها بسطناها على وجه الماء وَأَلْقَيْنا فِيها
رَواسِيَ أي جبالا ثابتة كيلا تتحرك بأهلها وتضطرب وَأَنْبَتْنا فِيها في الجبال وقيل في الأرض مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ
وزن بميزان الحكمة وقدر بمقدار تقتضيه لا تصلح فيه زيادة ولا نقصان أو معناه له وزن وقدر
في أبواب النعمة والمنفعة وقيل ما يوزن نحو الذهب والفضة والنحاس والحديد وَجَعَلْنا لَكُمْ
فِيها مَعايِشَ من الثمار والحبوب والنبات والمعيشة فيه يتوصل إلى أسباب عيشهم بها والأحر
فيها ما بالتجارات وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرازِقِينَ يعني العيال والمماليك والخدم الذين تحسبون أنكم
ترزقونهم وقد أخطأوا فإن الله هو الرزاق يرزقهم وإياكم وهو عطف على معايش والتقدير
وجعلنا لكم فيها معايش وعبيدا وإماء ودواب يرزقهم ولا ترزقونهم أو وجعلنا لكم فيها
معايش ولمن لستم له برازقين وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنا خَزائِنُهُ أي وما من شيء إلا ونحن قادرون على
إيجاده وقيل هو المطر لأنه في السماء وذكر الخزائن تمثيل والمعنى وما من شيء ينتفع به العباد
إلا ونحن قادرون على إيجاده وتكوينه والإنعام به وَأَرْسَلْنَا الرِّياحَ لَواقِحَ بمعنى ملقحات
للسحاب لما تمر لا يتولى الماء فيه وقيل لواقح حوامل لأنها تحمل الماء والتراب والسحاب والخير
والنفع ولا تمر إلا أصلحته فَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَسْقَيْناكُمُوهُ جعلناه سقيا لكم
للشرب وتروى عنكم وَما أَنْتُمْ لَهُ بِخازِنِينَ أي بحافظين والمعنى لستم بحافظيه عندكم بل نحن
نحفظه ما الله لنفسه في قوله وإن من شيء إلا عندنا خزائنه كأنه قال نحن الخازنون للماء والقادرون
على خلقه في السماء وإنزاله منها وما أنتم عليه بقادرين دلالة على عظيم قدرته وإظهار العجز هم
وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ أي نحيي الخلق ونكلفهم ثم نميتهم للبعث وقيل نحيي الأرض بالنبات ونميتها

بالحرب ونحن الوارثون اي الباقون بعد هلاك الخلق كله ولقد علمنا المستقدمين منكم
ولقد علمنا المستاخرين اي من استقدم ولادة وموتا ومن تاخر من الاولين والاخرين او
خرج من اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد او من تقدم في الاسلام وسبق الى الطاعة ومن تاخر وقيل
المستقدمين في صفوف الجماعة والمستاخرين فيها وروي ان امراة حسناء كانت في المصليات
خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان بعض القوم يستقدم لئلا ينظر اليها وبعض يستاخر ليبصرها
فنزلت وان ربك هو يحشرهم اي هو القادر على حشرهم والعالم بحصرهم مع كثرتهم وتباعد
اطراف عددهم انه حكيم عليم باهر الحكمة واسع العلم يفعل كل ما يفعل على مقتضى الحكمة والصواب
وقد احاط علما بكل شيء ولقد خلقنا الانسان هو ادم عليه السلام من صلصال وهو الطين اليابس الذي
يصلصل وهو غير مطبوخ واذا طبخ فهو فخار وقيل هو المنتن من حما مسنون الحما الطين
الاسود المتغير والمسنون المصور من سنة الوجه وقيل المسنون المنتن من سننت الحجر على
الحجر اذا حككته به فالذي يسيل بينهما سنين ولا يكون الا منتنا والجان خلقناه من قبل
اي من قبل خلق ادم صلوات الله عليه والجان ابو الجن كادم للناس وقيل هو ابليس من نار السموم اي
من نار الحر الشديد النافذ في المسام قيل هذه السموم جزء من سبعين جزءا من سموم النار التي خلق
الله منها الجان واذ قال ربك للملئكة اني خالق بشرا يعني ادم من صلصال من حما
مسنون فاذا سويته اي عدلت خلقته واكملتها ونفخت فيه من روحي اي احييته قال
رضي الله عنه وليس ثم نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لتحصيل ما يحيى به واضافه اليه تشريفا
فقعوا له ساجدين اي خروا له ساجدين سجود تحية واكرام فسجد الملئكة كلهم
اجمعون هذا تاكيد على تاكيد قال المبرد كلهم يدل على انهم اجتمعوا في السجود واجمعون
دليل على سجودهم في حالة واحدة الا ابليس لم يكن منهم لان صفته ليست من صفتهم فانهم لا ياكلون ولا
يتناسلون وخلقوا من غير ما خلق منه لانهم من ريح ووصفوا بانهم لا يعصون وانما استثني من الملائكة
لانه كان بينهم مامورا معهم بالسجود فغلب عليه اسم الملائكة ثم استثني بعد التغليب ابى اي امتنع
ان يكون مع الساجدين اي مع الملائكة الذين سجدوا لادم قال الله يا ابليس مالك الا

تكون مع الساجدين تقديره مالك في ان لا تكون معهم يعني اي غرض لك في ابائك السجود واي
داع لك اليه قال لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حما مسنون اي لا يصح مني وينافي حالي
يستحيل ان اسجد لبشر انا خير منه لانك خلقتني من نار وخلقته من طين قلت هذا بعد ما زوي
ان ابليس عبد الله في الارض الفي الفي عام وكانت السجدة الواجبة له في الارض الف عام فنعوذ بالله
من سوء الخاتمة وذلك الشقا قال فاخرج منها اي من الجنة او من السما فانك رجيم اي
شيطان من الذين يرجمون بالشهب او مطرود من رحمة الله لان المطرود يرجم بالحجارة ومعناه
ملعون لان اللعن هو الطرد من الرحمة والابعاد منها وان عليك اللعنة الى يوم الدين
اي يوم الجزاء والحساب وهو يوم القيمة والمعنى انك مذموم مدعو عليك باللعنة في السموات
والارض الى يوم الدين من غير ان تعذب فاذا جا ذلك اليوم عذبت بما تنسى اللعن معه قال رب
فانظرني الى يوم يبعثون قيل انما سال الانظار الى يوم البعث لئلا يموت ابدا كانه طلب الخلود
لانه لا يموت يوم البعث احد فلم يجب الى ذلك وانظر الى اخر ايام التكليف لا غير وهو المراد
بهذا القول بقوله قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم اي الذي علمه الله وحده
قال رضي الله عنه ويوم الدين ويوم يبعثون ويوم الوقت المعلوم في معنى واحد ولكن خولف بين
العبارات سلوكا بالكلام طريق البلاغة وانظار الله تعالى لابليس حين الهلاك لما فيه من الابتلا
للعباد وما هو في مخالفته من الثواب قال رب بما اغويتني لازينن لهم في الارض الباء في
بما اغويتني للقسم والمعنى اقسم باغوائك اياي لازينن لهم القبائح والمعاصي في الدنيا التي هي دار الغرور
ولاوسوسن اليهم بما يكون فيه هلاكهم قال رضي الله عنه ومعنى اغوائه اياه تسببه لغيه
بان امره بالسجود لادم عليه السلام فافضى ذلك الى غيه وما الامر بالسجود الا حسن وتعريض للثواب
بالتواضع والخضوع لامر الله ولكن ابليس اختار الابا والاستكبار فهلك والله بري من
غيه ومن ارادته والرضى به وانما اراد بذكرها الارض الاشارة الى انه قادر على التزيين لادم في الاكل من
الشجرة وهو في السما التي هي مكان المطيعين من الملائكة فهو على التزيين لاولاده في الارض اقدر
او اراد لاجعلن مكان التزيين عندهم الارض ولاوقعن تزييني فيها اي لازينها في اعينهم

ولاخدعنهم بان الزينة في الدنيا وحدها حتى يستحبوها على الآخرة ويطمئنوا اليها دون نعيمها ولاربن لهم في الارض وزينها في اعينهم وابدلكم بقوله اجمعين الدال على الاجماع الى

قال ولاغوينهم اجمعين يعني بايثار الدنيا على الآخرة واكد ذلك بقوله اجمعين الدال على

الاجتماع الا عبادك منهم المخلصين اى المؤمنين الذين اخلصوا دينهم قال رضي الله عنه

استثنى المخلصين لانه علم ان كيده لا يعمل فيهم ولا يقبلون منه قال هذا صراط علي مستقيم

ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين اي هذا طريق حق علي ان

اثبته وهو ان لا يكون لك سلطان على عبادي الا من اختار اتباعك منهم لغوايته به ومولاه ان

عبادي ليس لك عليهم سلطان تفسير لما قبله واراد بالسلطان التسلط والقدرة وان

جهنم لموعدهم اجمعين اي لموعد الغاوين عن الحق والصواب لها سبعة ابواب اطباق

النار اطباقها وادراكها فاعلاها للموحدين والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع

للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين وعن ابن عباس ان جهنم لمن ادعى الربوبية والسابع للمنافقين

لظى للنار والحطمة لعبدة الاصنام وسقر لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصابئين

والهاوية للموحدين وهم الفساق والعصاة ممن يشهد لله بالوحدانية ولا يعمل بمقتضى شهادته

لكل باب منهم اي من اتباع ابليس جزء مقسوم ان المتقين في جنات وعيون المتقي

على الاطلاق من يتقي ما يجب اتقاؤه مما نهي عنه وعن ابن عباس هم الذين اتقوا الكفر والفواحش

ولهم ذنوب تكفرها الصلوات وغيرها والجنات البساتين والعيون عيون الماء والخمر

تقال لهم ادخلوها بسلام اي سالمين او مسلما عليكم تسلم عليكم الملائكة آمنين من سخط

الله وعذابه ونزعنا ما في صدورهم من غل هو الحقد الكامن في القلب اي ان كان لاحدهم في

الدنيا غل على آخر نزع الله ذلك من قلوبهم وطيب نفوسهم وعن علي رضي الله عنه ارجو ان اكون انا

وعثمان وطلحة والزبير منهم فقال له قائل كلا الله اعدل من ان يجمعك وطلحة في مكان

واحد فقال فلمن هذه الآية لا ام لك وقيل معناه طهر الله قلوبهم من ان يتحاسدوا على الدرجات

في الجنة ونزع منها كل غل والقى فيها التوادد والتحاب اخوانا اي متواخين على سرر

متقابلين اي متواجهين وهو حال لا يرى بعضهم قفا بعض قيل تدور بهم الاسرة حيثما داروا

متقابلين في جميع احوالهم لا يمسهم فيها نصب اي لا يصيبهم فيها عناء ولا تعب وما هم منها بمخرجين

يعني بل هم خالدون ابدا نبئ عبادي اي اخبرهم يا محمد اني انا الغفور الرحيم

وان عذابي هو العذاب الاليم لمن عصاني قال رضي الله عنه لما ذكر الوعد والوعيد

اتبعه بهذا التحقيق ما ذكره وتمكينه في النفوس وعن ابن عباس غفور لمن تاب وعذابه لمن لم يتب

ونبئهم عن ضيف ابراهيم يعني الملائكة الذين اتوه في صورة الاضياف قال رضي الله عنه عطف هذا

على نبئ عبادي ليتخذوا ما انزل الله من العذاب على قوم لوط عبرة يعتبرون بها سخط الله

وانتقامه من المجرمين ويتحققوا عنده ان عذابه هو العذاب الاليم اذ دخلوا عليه

فقالوا سلاما اي نسلم عليك سلاما او سلمت سلاما قال انا منكم وجلون اي خائفون

فزعون وكان خوفه لامتناعهم من الاكل من العجل الحنيذ وقيل لانهم دخلوا بغير اذن وفي غير وقت

قالوا لا توجل اي لا تفزع انا نبشرك بغلام عليم اي يولد ويكون عالما وقيل بشروه بنبوته قال

ابشرتموني على ان مسني الكبر يعني ابشرتموني على حالة الكبر بان يولد لي والمعنى ان الولادة

امر عجيب مستنكر في العادة مع الكبر فبم تبشرون هذا استفهام تعجب كانه عجب من الولد على

كبره واستبعد حصوله او اراد انكم تبشرونني بما هو غير متصور في العادة فباي شيء تبشرون يعني

لا تبشروني في الحقيقة بشيء لان البشارة بمثل هذا بشارة بغير شيء قالوا بشرناك بالحق

اي باليقين الذي لا لبس فيه او بطريقة هي حق وهي قول الله ووعده وانه قادر على ان يوجد ولدا

من غير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر فلا تكن من القانطين اي الآيسين من رحمة الله

قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون اي المخطئون طريق الصواب يعني لم

استنكر ذلك قنوطا من رحمته ولكن استبعادا له في العادة التي اجراها الله تعالى قال

فما خطبكم ايها المرسلون اي ما شانكم وما مطلبكم قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين

يعنون قوم لوط الا آل لوط اي اتباعه الذين كانوا على دينه وهم اهله واهل دينه انا

لمنجوهم اجمعين يعني من العذاب النازل بقوم لوط الا امرأته قدرنا اي علمنا وكتبنا

انها لمن الغابرين اي الباقين في العذاب او الهالكين الذين غبروا اي بقوا في ديارهم

فيها فهلكوا او المعنى انا علمنا انها تخلف وتبقى مع من بقي منهم حتى تهلك لانها كانت كافرة موالية
لاهل سدوم فلما جاء آل لوط المرسلون يعني الملائكة قال انكم قوم منكرون اي تنكركم نفسي
وتنفر منكم فاخاف ان تصيبوني بشر وقيل رآهم في صورة حسنة وزي حسن فانكرهم قالوا بل جئناك
بما كانوا فيه يمترون اي ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما فيه سرورك وتشفيك من
عدوك وهو العذاب الذي كنت تتوعدهم بنزوله عليهم فيمترون فيه اي يشكون فيه ويكذبونك
وآتيناك بالحق اي بالامر المتيقن الذي لا شك فيه من عذابهم وانا لصادقون في الاخبار بنزوله
عليهم فاسر باهلك بقطع من الليل امر من السرى بالولادة في آخر الليل والقطع طائفة آخر الليل
وقيل هو بعد ما يمضي شيء صالح من الليل واتبع ادبارهم اي امش على اثر بناتك واهلك لئلا يتخلف
منهم احد ولا يلتفت منكم احد لئلا يرى عظيم ما ينزل بهم من العذاب قال رضي الله عنه وجه
امرهم باتباع ادبارهم ونهيهم عن الالتفات ان الله تعالى لما بعث الهلاك على قومه ونجاه واهله
اجابة لدعوته عليهم وخرج مهاجرا فلم يكن له بد من الاجتهاد في شكر الله وادامة ذكره وتفريغ
باله لذلك فامر بان يقدمهم لئلا يشتغل بمن خلفه قلبه وليكون مطلعا عليهم ولا تفرط منهم
التفاتة في تلك الحال التي هي حال شكر وليحتشموا امنه فلا يبقى منهم التفات وليكون مسيره مسير
الهارب الذي يقدم اهله من بين يديه ويفوت عن الالتفات لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا
لهم وليوطنوا انفسهم على المهاجرة ويطيبوها عن مساكنهم ويمضوا غير ملتفتين الى ما
وراءهم لئلا يكونوا كالذي يتحسر على مفارقة وطنه فلا يزال يلوي اليه اخادعه او جعل النهي عن الالتفات
كناية عن مواصلة السير وترك التواني والتوقف لان من يلتفت لا بد له في ذلك من ادنى وقفة
وامضوا حيث تؤمرون اي حيث يقول لكم جبريل وهو مصر الذي امرتم بالمهاجرة اليه وقضينا
اليه اي اوحينا واخبرناه ذلك الامر يعني الذي اخبرت به الملائكة امرهم من عذاب قومه
وهو ان دابر هؤلاء يعني آخر من بقي منهم مقطوع مصبحين يعني يستأصلون
عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد ومعنى مصبحين داخلين في وقت الصباح يريد انهم يهلكون
هلاك الاستئصال في ذلك الوقت وجاء اهل المدينة هي سدوم الى [illegible]

يستبشرون اي يفرحون طمعا منهم في ركوب الفاحشة حين اخبروا ان في بيت لوط قوما
مردا احسان الوجوه قال لهم لوط ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون عندهم بالاقدام عليهم فيعلموا انه
ليس لي عندكم قدر او تفضحوني كما ياتيهم بما يكون عارا علي او لا تفضحوني بفضيحة ضيفي لان من اتى
الى ضيفه او جاره فقد اتى اليه كما ان من اكرم من يتصل به فقد اكرمه واتقوا الله فيما نهى عنه واتقوا
ولا تخزون اي ولا تذلون بالاذلال ضيفي من الخزي وهو الهوان او لا تفعلوا ما تنالني به الخجل
والخجالة قالوا اولم ننهك عن العالمين اي عن ان تجير منهم احدا او تدفع عنهم او تمنع بيننا وبينهم
ان نضيفهم لانا نريد منهم الفاحشة وكانوا يتعرضون لمن يقصدهم بالغرباء وكان عليه السلام يقوم
بالنهي عن المنكر والمنع بينهم وبين من يتعرضون له بالفاحشة فاوعدوه فلما قالوا ذلك ولم
يجد بدا فعلهم به قال هؤلاء بناتي فانكحوهن وخلوا اضيافي فلا تتعرضوا لهم ان كنتم فاعلين [illegible]
فيما احل الله وقضاء الوطر تقول عليكم بتزوجهن واراد ان يقي اضيافه ببناته لعمرك اي قالت الملائكة
للوط عليه السلام لعمرك اي بحياتك وعمرك انهم لفي سكرتهم اي في غوايتهم التي اذهبت عقولهم وتمييزهم
بين الخطأ الذي هم عليه وبين الصواب الذي تشير به عليهم من ترك البنين الى البنات
يعمهون اي يتحيرون فكيف يقبلون قولك ويصغون الى نصيحتك وقيل الخطاب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وان الله اقسم بحياته وما اقسم بحياة احد قط كرامة له والعمر والعمر واحد الا انهم
خصوا القسم بالمفتوح لايثار الاخف فاخذتهم الصيحة هي صيحة جبريل صاح بهم فهلكوا مشرقين
داخلين في شروق الشمس وهو طلوعها فجعلنا عاليها سافلها اي قرى قوم لوط منها
مدينة سدوم قيل كانت خمس مدائن حملها جبريل على جناحه في اسفلها ثم رفعها حتى
سمع اهل السماء صياح الديكة ونباح الكلاب ثم قلبها عليهم واتبعوا الرمي بالحجارة من فوقهم كالمطر
المطر فلذلك قال وامطرنا عليهم حجارة من سجيل اي من طين عليه كتاب يشتق من السجل
وهو الكتاب المكتوب فيه والمعنى من طين مكتوب فيه اسم من يرمى بها دليل قوله حجارة من طين
مسومة عند ربك اي معلمة بكتاب ان في ذلك يعني المذكور من قصتهم لآيات اي لدلائل
للمتوسمين اي للمتفرسين المتاملين المتثبتين في النظر حتى يعرفوا حقيقة سمة الشيء

وانها يعني اثار قرى قوم لوط لبسبيل مقيم اي على طريق قومك الى الشام وهو طريق لم يندرس
ولا يخفى وهذا تنبيه لقريش كقوله وانكم لتمرون عليهم مصبحين ان في ذلك لاية للمؤمنين اي لعبرة
للمصدقين وان كان اصحاب الايكة لظالمين يعني قوم شعيب وكانوا اصحاب غياض واشجار ملتفة
والمغيضة وقد كان اصحاب الشجر الملتف قيل كانوا اكثر الشجر ياكلون في الصيف الفواكه الرطبة وفي
الشتاء اليابسة وهم قوم شعيب بالاجماع فانتقمنا منهم اي انتصرنا منهم وجازيناهم على جنايتهم
سلط الله عليهم الحر سبعة ايام ثم بعث الله سحابة فاستظلوا تحتها فامطرت عليهم نارا
فاحترقوا وانهما يعني قرى قوم لوط والايكة لبامام مبين اي لبطريق واضح حتى تراهما كل احد
فاحذروا امثالها نوايبهم ولقد كذب اصحاب الحجر يعني قوم ثمود والحجر اسم واديهم وهو بين المدينة والشام
المرسلين يعني صالحا وذلك ان من كذب نبيا فكانما كذب جميع الرسل او ارادوا صالحا
ومن معه من المومنين وعن جابر قال مررنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر فقال لنا لا تدخلوا مساكن
الذين ظلموا انفسهم الا ان تكونوا باكين حذرا ان يصيبكم مثل ما اصاب هولاء ثم زجر رسول الله صلى الله عليه وسلم
راحلته فاسرع حتى خلفها وآتيناهم آياتنا يعني ما اظهر لهم من الايات في الناقة فكانوا عنها
معرضين اي عن تدبر نفعها مع وضوحها وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا لقوتهم ولطول
اعمارهم وامتدادها لهم ولطول مدتهم كان لا تبقى لهم السقوف فاتخذوا الكهوف في الجبال آمنين
من ان تنهدم ويبلغ بنيانها ومن نقب اللصوص والاعداء وحوادث الدهر او آمنين من عذاب الله
يحسبون ان الجبال تحميهم منه فاخذتهم الصيحة صيحة العذاب مصبحين اي حين دخول
وقت الصبح فما اغنى عنهم اي ما نفعهم ولا دفع ما نزل بهم ما كانوا يكسبون من الاموال والانعام او
ما اتخذوا من البيوت الوثيقة والاموال والعدد وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا
اي بالحكمة لا باطلا وعبثا او بسبب العدل والانصاف يوم الجزاء على الاعمال او للثواب والعقاب
اثيب من آمن بي وصدق رسلي واعاقب من كفر بي وكذبهم والموعد لذلك الساعة وهو قوله
وان الساعة لآتية يعني ان القيمة تاتي فيجازى المشركون بقبح اعمالهم وسيقع لك فيها
اعدائك ويجازيك واياهم على حسناتك وسيئاتهم فانه ما خلق السموات والارض وما بينهما الا لذلك

فاصفح الصفح الجميل اي اعرض عنهم واحتمل ما تلقى منهم اعراضا جميلا بغير فحش ولا جزع وهذا
منسوخ باية السيف ويجوز ان يراد به المخالقة فلا يكون منسوخا ان ربك هو الخلاق الذي
خلقك وخلقهم وهو العليم بحالك وحالهم فلا يخفى عليه ما يجري بينكم وهو يحكم بينكم او ان ربك
هو الذي خلقكم وعلم ما هو الاصلح لكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح الى ان يكون السيف اصلح ولقد
آتيناك سبعا من المثاني يعني الفاتحة وهي سبع آيات وتثنى في كل صلاة امتن الله على رسوله بهذا
النوع كما امتن عليه بجميع القرآن حيث قال والقرآن العظيم اي العظيم القدر لا تمدن عينيك
الى ما متعنا به نهى رسول الله صلى الله عليه عن الرغبة في الدنيا وحظر قلبه ان يمد عينيه الى ما متعنا
به ازواجا منهم اي اصنافا من الكفار كاليهود وغيرهم يقول لا تنظر الى ما متعناهم به من الدنيا
ولا تنظر اليه نظر راغب فيه متمن له فقد اوتيت اعظم النعم التي كل نعمة في جنبها حقيرة
وهي نعمة القرآن فعليك ان تستغني به ولا تمد عينيك الى متاع الدنيا ومنه الحديث ليس منا من
لم يتغن بالقرآن اي من لم يستغن به عن غيره وفي حديث ابي بكر من اوتي القرآن فرأى ان احدا اوتي
من الدنيا افضل مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وقيل جاءت قوافل لبني قريظة والنضير
فيها انواع البز والطيب والجواهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا
بها وانفقناها في سبيل الله فقال لهم الله تعالى لقد اعطيتكم سبع آيات هي خير من هذه
القوافل السبع ولا تحزن عليهم يعني لا تتمن اموالهم ولا تحزن عليهم حيث لم يومنوا فيتقوى
بهم الاسلام والمومنون واخفض جناحك للمومنين اي تواضع لمن معك من فقراء المومنين
وضعفائهم وطب نفسا عن ايمان الاغنياء والاقوياء وقل لهم اني انا النذير المبين انذركم
عذاب الله وابين لكم ما تفرق بكم الله كما انزلنا اي عذابا على المقتسمين وهم الذين اقتسموا طرق
مكة يصدون الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى بهم خزيا فماتوا اشر ميتة الذين جعلوا
القرآن عضين اي جزوه اجزاء حيث قالوا بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل
مخالف لهما فقسموه الى حق وباطل وعضوه وقيل كانوا يستهزئون به فيقول بعضهم سورة
البقرة لي ويقول الآخر سورة آل عمران لي وقالوا السحر وقالوا اساطير الاولين وقالوا مفترى

الله تعالى ان يكونوا الرسول له مقتسمين فكانوا اعلبه قريش وان جعلوا القران عضات جعلو عضين اى يفترون من القول في القران والمعنى لنسالنهم **فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون** عن خلتين عما كانوا يعبدون وماذا اجابوا سوال توبيخ وتقريع وعن ابى العالية يسئل العباد عن خلتين عما كانوا يعبدون وماذا اجابوا المرسلين **فاصدع بما تؤمر** اى اظهر ما تؤمر به واجهر بامرك **واعرض عن المشركين** لا تبال بهم ولم يزل النبي صلى الله عليه وسلم مستخفيا حتى نزلت هذه الاية وقيل فاصدع فافرق بين الحق والباطل بما تؤمر والمعنى بما تؤمر به من الشرائع **انا كفيناك المستهزئين** كانوا خمسة نفر ذوو اسنان وشرف في قريش الوليد بن المغيرة والعاصي بن وائل والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب والحارث بن الطلاطلة ماتوا كلهم قبل بدر قال جبريل للرسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اكفيكهم فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تكبرا فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات واومى الى اخمص العاصي بن وائل فدخلت فيها شوكة فقال لدغت لدغت فانتفخت رجله حتى مات واشار الى عيني الاسود بن المطلب فعمي واشار الى انف الحارث بن قيس فامتخط قيحا فمات واشار الى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح راسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات وكفى الله تعالى نبيه شرهم **الذين يجعلون مع الله الها اخر** هذا بيان لحالهم وانهم مشركون يعبدون الاوثان ويسمونها الهة **فسوف يعلمون** ما يحل بهم **ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون** من الطعن فيك وفي القران وما يستهزؤن بك **فسبح بحمد ربك** اى قل سبحان الله وبحمده وقيل افزع فيما نابك الى الله والفزع هو الذكر الدائم وكثرة السجود يكفك ويكشف عنك الغم **وكن من الساجدين** اى المصلين الدائمين على الصلاة **واعبد ربك** اى دم على عبادته **حتى ياتيك اليقين** اى الموت والمعنى ما دمت حيا فلا تخل بالعبادة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا حزبه امر اى الجاه واضطره فزع الى الصلاة واستعان بالصبر والصلاة

سورة النحل وهي مائة وثمان وعشرون اية وتسمى سورة النعم مكية غير ثلاث ايات وهي وان عاقبتم الى اخرها

بسم الله الرحمن الرحيم **اتى امر الله** اى عذابه كانوا يستعجلون ما وعدوا من قيام الساعة او نزول العذاب بهم يوم بدر استهزاء وتكذيبا بالوعد فقيل لهم اتى امر الله اى هو بمنزلة الاتي الواقع وان كان منتظرا لقرب وقوعه **فلا تستعجلوه** فانه نازل لا محالة وروي انها لما نزلت اقتربت الساعة قال الكفار فيما بينهم ان هذا يزعم ان القيامة قد قربت فامسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما تاخرت قالوا ما نرى شيا فنزلت اقترب للناس حسابهم فاشفقوا وانتظروا وقربها فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيا مما تخوفنا به فنزلت اتى امر الله فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه فاطمانوا **سبحانه وتعالى عما يشركون** اى تنزه وتقدس عن ان يكون له شريك او ان تكون الهتهم له شركاء **ينزل الملائكة بالروح من امره** اى بما يحيي القلوب الميتة بالجهل من وحيه لان حياة القلوب بالشرائع كالحيوة للقلوب التي اماتها الجهل او اراد بما يقوم في الدين مقام الروح في الجسد من امره اى من امر الله **على من يشاء من عباده** اى على من يختصه بنيل الوحي من العباد وهم الانبياء عليهم السلام لانهم اصلح الناس لذلك كما خص محمدا صلى الله عليه وسلم من بين قريش لانه اشرفهم **ان انذروا** بدل من الروح اى اعلموا اهل الكفر **انه لا اله الا انا** والمعنى يقول لهم اعلموا الناس قولي لا اله الا انا **فاتقون** بالتوحيد والطاعة ثم دل على وحدانيته وانه لا اله الا هو بما لا يقدر عليه غيره من خلق السموات والارض وخلق الانسان وما يصلحه وما لا بد له منه من خلق البهائم لاكله وركوبه وجر اثقاله وسائر حاجاته فقال **خلق السموات والارض بالحق** بالحكمة لتنتفعوا بها في الدين والدنيا **تعالى عما يشركون** اى عن شرك الاصنام ثم **خلق الانسان من نطفة** هي ماء الرجل والمراة والماء القليل يسمى نطفة اى من جماد لا حياة به ولا حركة **فاذا هو خصيم مبين** اى منطيق مجادل عن نفسه مكافح للخصوم مبين للحجة بعد ما كان نطفة من مني لا حس به ولا حركة دلالة على قدرته ومعناه فاذا هو خصيم لربه منكر على خالقه قائلا من يحي العظام وهي رميم وهذه نزلت في ابي بن خلف الجمحي حين جاء بالعظم الرميم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اترى الله يحيي هذا بعد ما قد رم قال رضي الله عنه وهذا وصف للانسان بالافراط في الوقاحة والجهل والتمادي في كفران النعمة **والانعام خلقها** هي الازواج الثمانية من الابل والبقر والضان والمعز والله اعلم

تطلق الانعام على الابل لكم فيها دفء يعني ما تستدفئون به من الاكسية ومن اللباس المعمول
من اصوافها واشعارها واوبارها ومنافع هي نسلها ودرها وركوبها وغير ذلك ومنها تأكلون
قال رضي الله عنه خصها بالاكل وقد يؤكل من غيرها من الدجاج والبط وصيد البر والبحر
فهو كغير المعتد به وكالجاري مجرى التفكه ويحتمل انه اراد ان تعيشكم وطعمتكم منها لانكم
تحرثون بالبقر فالحب والثمار التي تأكلونها منها وتكتسبون باكراء الابل وتبيعون نتاجها والبانها
باثمانها ما تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون اي حين تردونها الى مراحها بالعشي وحين
تسرحون اي تخرجونها الى المرعى بالغداة قال رضي الله عنه من الله علينا بالتجمل بها كما من
بها لانه من اغراض اصحاب المواشي بل هو من معاظمها لان الرعيان اذا روحوها بالعشي
وسرحوها بالغداة تزينت باراحتها وتسريحها الافنية وتجاوب فيها الثغاء والرغاء
انست اهلها وفرحت اربابها واجلتهم في عيون الناظرين اليها وكسبتهم الجاه والحرمة عند الناس
وقدمت الاراحة على التسريح لان الجمال في الاراحة اظهر اذا اقبلت ملأى البطون حافلة
الضروع ثم اوت الى الحظائر حاضرة لاهلها وتحمل اثقالكم اي امتعتكم الثقال الى بلد
لم تكونوا بالغيه اي الى بلد قد علمتم انكم لا تبلغونه بانفسكم من غير حمل لشيء قال ابن عباس يريد من مكة
الى اليمن والى الشام والى مصر والمراد كل بلد لو تكلفتم بلوغه على غير الابل لشق عليكم وخص
ابن عباس هذه البلاد لان متاجر اهل مكة كانت الى هذه الوجوه الا بشق الانفس اي الا بكلفة
ومشقة فضلا ان تحملوا على ظهوركم اثقالكم اليه ويجوز ان يكون المعنى لم تكونوا بالغيه
بها الا بشق الانفس وعن عكرمة البلد مكة ان ربكم لرءوف رحيم حيث رحمكم بحمل اثقالكم
عليها وتيسير هذه المصالح ومن عليكم بهذه المرافق والخيل والبغال والحمير لتركبوها
وزينة اي وخلقها للركوب والزينة قال رضي الله عنه وقد احتج على تحريم اكل لحومهن بان الله
خلقها للركوب والزينة ولم يذكر الاكل بعدما ذكره في الانعام وهذا الاحتجاج قوي
[illegible] ما كولة اللحم على مذهبهم خلا ان بعضهم اشار الى
اكل لحوم الحمر الوحشية اخذا من هذه الاية لانها لا تركب في العادة ولا تقتنى للزينة

ويخلق ما لا تعلمون اي ما لم يعرفه الله وقيل ما خلق في الجنة والنار مما لم يبلغه وهم احد ولا خطر على قلب
ويجوز ان يخبرنا بان له من الخلائق ما لا علم لنا به ليزيدنا دلالة على اقتداره بالاخبار بذلك وان طوى
عنا علمه لحكمة له في طيه وعن ابن عباس ان عن يمين العرش نهرا من نور مثل السموات السبع والارضين
السبع والبحار السبع يدخل فيه جبريل كل سحر فيغتسل فيه فيزداد نورا الى نوره وجمالا
الى جماله ثم ينتفض فيخلق الله عز وجل من كل قطرة تقع من ريشه كذا وكذا الف ملك يدخل منهم كل
يوم سبعون الفا البيت المعمور وفي الكعبة سبعون الفا لا يعودون اليه الى ان تقوم الساعة
رواه الواحدي وعلى الله قصد السبيل السبيل الاسلام اي على الله بيان الضلال من الهدى
والمعنى ان هداية الطريق الموصل الى الحق واجبة عليه كقوله ان علينا للهدى ومنها اي
ومن السبيل جائر مائل عن الحق خارج منه قيل يعني اليهودية والنصرانية والمجوسية واهل
الاهواء والبدع قال رضي الله عنه غير اسلوب الكلام في قوله ومنها جائر ولم يقل وعليه جائرها
ليعلم ما يجوز اضافته اليه من السبيلين وما لا يجوز ولو كان الامر كما زعمت المجبرة من اضافة القبيح
الى الله لقيل وعلى الله قصد السبيل وعليه جائرها او ومنه الجائر او وعليه الجائر وفي قراءة ابن
مسعود ومنكم جائر يعني ومنكم جائر عن القصد بسوء اختياره والله بريء منه ولو شاء لهداكم
اجمعين يعني قسرا والجاء لا يختلفوا في الدين ولكنه بنى التكليف على الاختيار دون القهر
والاضطرار هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب يعني ما تشربون ومنه شجر يعني الذي ترعاه
المواشي وبه قوام الحيوان وفي الحديث لا تأكلوا ثمن الشجر فانه سحت يعني الكلأ فيه تسيمون ترعون
انعامكم ومواشيكم ينبت لكم به الزرع وهو ما يزرع الناس لا قوام لهم الا به واقوات دوابهم
والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات انما قال ومن بعض كل الثمرات لانه لا يكون الا
الكل والثمار في الارض بعض من كلها للتذكرة ان في ذلك لاية اي دلالة واضحة لقوم يتفكرون
اي ينظرون فيستدلون بها عليه وعلى قدرته الباهرة وحكمته البالغة وسخر لكم الليل والنهار
والشمس والقمر والنجوم معنى تسخير هذه الاشياء للناس تصييرها نافعة لهم حيث يسكنون بالليل
ويبتغون من فضله بالنهار ويعلمون عدد السنين والحساب بسير الشمس والقمر ويهتدون بالنجوم

قيل ونفعكم بها في حال كونها **مسخرات** لما خلقن له **بامره** بارادته ومشيئته وقرئ بنصب الليل والنهار وحدها ورفع ما بعدها على الابتداء او الخبر وقرئ والنجوم مسخرات بالرفع وما قبلها بالنصب **ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون** قال رضي الله عنه جمع الاية ها هنا وذكر العقل لان الاثار العلوية اظهر دلالة على القدرة الباهرة وابين شهادة للكبرياء والعظمة فلذلك افرد الاية الاولى وجمعها ها هنا **وما ذرأ لكم في الارض** هذا معطوف على الليل والنهار اي وسخر لكم ما ذرأ يعني ما خلق في الارض من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك **ان في ذلك لآية لقوم يذكرون** اي يتفكرون ويستدلون بها على قدرته ونعمته **وهو الذي سخر البحر** اي ذلله للركوب فيه والغوص **لتأكلوا منه لحما طريا** هو السمك والحيتان ووصفه بالطراوة لان الفساد والتغير يسرع اليه فيسارع في اكله خيفة الفساد عليه وذكر الفقهاء ان الرجل اذا حلف لا ياكل لحما فاكل سمكا لم يحنث وهو مذهب ابينا عليهم السلام مع ان الله سماه لحما لان مبنى الايمان على العرف والعادة وعادة الناس اذا ذكر اللحم لم يفهم منه السمك ومثاله ان الله تعالى سمى الكافر دابة فلو حلف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث **وتستخرجوا منه حلية تلبسونها** هي اللؤلؤ والمرجان والمراد بلبسهم لباس نسائهم لانهن من جملتهم ولانهن انما يتزين بها من اجلهم فكانها زينتهم ولباسهم **وترى الفلك** وهي السفن **مواخر فيه** اي شواق للماء تدفعه بصدرها والمخر شق الماء بصدر السفينة وقيل هو صوت جريها بالرياح **ولتبتغوا من فضله** اي لتركبوا السفن فتطلبوا الربح من فضل الله **ولعلكم تشكرون** اي لكي تشكروا على هذه النعم **والقى في الارض رواسي** اي جبالا ثابتة **ان تميد بكم** اي كراهة ان تميل بكم وتضطرب قيل خلق الله الارض فجعلت تمور وتتحرك فقالت الملائكة هذه مقر لا حد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال لم تدر الملائكة مم خلقت **وانهارا** اي وجعل فيها انهارا كالنيل والفرات ودجلة **وسبلا** اي طرقا الى كل بلد **لعلكم تهتدون** اي لكي تهتدون الى مقاصدكم من البلاد فلا تضلوا **وعلامات** يعني الجبال وهي علامات الطرق بالنهار وقيل هي معالم الطرق وكل ما يستدل به من جبل ومنهل وغير ذلك **وبالنجم هم يهتدون** يعني الى الطرق بالليل في البر والبحر قال رضي الله عنه قدم النجم ليفيد الاختصاص كانه

فكانه

كلمة العلامة اي علامة ومنها طرق ... [illegible]

قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون لانه اراد قريشا كان لهم اهتداء بالنجوم في مسايرهم وكان لهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم فكان الشكر اوجب عليهم والاعتبار الزم لهم فخصصوا لذلك **افمن يخلق كمن لا يخلق** المراد بمن يخلق هو الله عز وجل وبمن لا يخلق الهتهم وهي الاوثان والمعنى انهم سووا عندكم حتى سووا بينهما في العبادة **افلا تذكرون** اي افلا تتعظون كالمتعظ الموسوس **وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها** اي لا تضبطوا عددها ولا تبلغه طاقتكم **ان الله لغفور رحيم** حيث يتجاوز عن تقصيركم في اداء شكر نعمه ولا يقطعها عنكم لتفريطكم ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها **والله يعلم ما تسرون وما تعلنون** من اعمالكم فيجازيكم بحسبه **والذين تدعون من دون الله** يعني الالهة الذين يدعوهم الكفار من دونه **لا يخلقون شيئا وهم يخلقون اموات غير احياء** نفى عنهم خصائص الالهية لعدم كونهم خالقين وعدم كونهم احياء لا يموتون ولكونهم لا يعلمون وقت البعث واثبت لهم صفات الخلق بانهم مخلوقون وانهم اموات وانهم جاهلون بالبعث ومعنى اموات غير احياء انهم لو كانوا الهة على الحقيقة لكانوا احياء غير اموات اي غير جائز عليها الموت كالحي الذي لا يموت **وما يشعرون ايان يبعثون** اي لا يشعر الاصنام متى يبعث عبدتهم وفيه تهكم بالمشركين وان الهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف يكون لهم جزاء منهم على عبادتهم وفيه دلالة على ان البعث من لوازم التكليف قال رضي الله عنه ويجوز ان يراد بالذين يدعون الملائكة وكان من الناس من يعبدهم وانهم اموات اي لا بد لهم من الموت غير احياء اي غير باقية حياتهم وما يشعرون اي ولا علم لهم بوقت بعثهم **الهكم اله واحد** ذكر الله تعالى دلائل وحدانيته واخبر انه اله واحد انكر الكفار له فقال **فالذين لا يؤمنون بالاخرة قلوبهم منكرة** للحق جاحدة غير عارفة **وهم مستكبرون** ممتنعون عن قبول الحق مع معرفته وعدم الريب بتحقيقه **لا جرم** اي حقا **ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون** فيجازيهم لذلك **انه لا يحب المستكبرين** اي لا يرحمهم ولا يثني عليهم بل يبغضهم اشد البغض ولا يريد اثابتهم ولا الرضى عنهم **واذا قيل لهم** اي للمشركين **ماذا انزل ربكم** يعني اي شيء انزل ربكم **قالوا اساطير الاولين** كان هذا

قول المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا سالهم
وفود الحاج عما انزل الله على رسوله قالوا احاديث الاولين المسطورة واباطيلهم والمعنى
انه ليس بوحي ليحملوا اوزارهم هذه لام العاقبة لان قولهم في القران انه اساطير الاولين
اداهم الى ان ضلوا وحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة لم يكفر منها شي بنكبة اصابتهم
في الدنيا ومن اوزار الذين يضلونهم اي وبعض اوزار من ضل بضلالهم وهو وزر الاضلال
لانهم كانوا دعاة الضلالة فعليهم مثل اوزار الذين اتبعهم ولان الضال والمضل شريكان
هذا يضله وهذا يطاوعه على اضلاله فيتحاملان الوزر بغير علم اي يضلون من لا يعلم انهم
ضلال وانما وصف بالضلال واحتمال الوزر من اضلوه وان لم يعلم لانه كان عليه ان يبحث وينظر
بعقله حتى يميز بين المحق والمبطل ثم ختم بقوله الا ساء ما يزرون اي بئس شيا يحملونه
من الاوزار وزر ضلالهم واضلالهم قد مكر الذين من قبلهم اي الذين من قبل قريش قيل هو نمرود
بن كنعان حين بنى الصرح ببابل طوله خمسة الاف ذراع وقيل فرسخان ليصعد منه الى
السما فيقاتل اهلها فاتى الله اي امر الله وهو الريح والزلزلة بنيانهم اي بناهم من القواعد
اي من جهة القواعد وهي اساطين البنا التي تعمده وذلك ان الزلزلة خلخلت فيها حتى تحركت
فهدمته وهو قوله فخر عليهم السقف من فوقهم يعني وهو تحته وقيل اهب الله الريح فخر عليه
وعلى قومه فهلكوا قال رضي الله عنه وهذا تمثيل يعني انهم سووا منصوبات ليمكروا بها
الله ورسله فجعل الله هلاكهم في تلك المنصوبات كحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين فاتى
البنيان من جهة تلك الاساطين بان ضعضعت فسقط عليهم السقف فهلكوا ونحوه من حفر
لاخيه جبا وقع فيه منكبا واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون اي من حيث لا يحتسبون ولا [illegible]
او من حيث ظنوا انهم في امان منه ثم يوم القيمة يخزيهم ويقول اين شركاي [illegible]
هم شركاي ابن هم ليدفعوا العذاب عنكم واضافهم تعالى الى نفسه حكاية لاضافتهم ليوبخهم
على طريق الاستهزاء بهم الذين كنتم تشاقون فيهم اي تعادون وتخاصمون المؤمنين في شانهم ومعناه
وقراة نافع بكسر النون يعني تشاقونني لان مشاقة المؤمنين كانها مشاقة الله عز وجل قال الذين

اي بل هم بعد الخزي يعني هذا الخزي في الدنيا ثم العذاب السرمدي في الاخرة صح

اوتوا العلم هم الانبيا والعلما من اممهم الذين كانوا يدعونهم الى الايمان ويعظونهم فلا يلتفتون اليهم ويتكبرون
عليهم ان الخزي اليوم والسو على الكافرين يقولون ذلك شماتة بهم وحكى الله تعالى ذلك من قولهم
ليكون لطفا لمن سمعه وقيل هم الملائكة الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي انفسهم وصفهم بان الملائكة
تقبض ارواحهم في حال ظلمهم انفسهم بالكفر والمعاصي والى هاهنا حكاية كلام العلما فالقوا
السلم اي سالموا وانقادوا واستسلموا عند الموت وجاوا بخلاف ما كانوا عليه في الدنيا من الشقاق
والكبر وقالوا ما كنا نعمل من سو اي من قبح ولا شرك جحدوا اما وجد منهم من الكفر والعدوان فرد
عليهم العلما بقولهم بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون من الشرك والتكذيب فهو مجازيكم عليه
وهذا ايضا من الشماتة وكذلك قولهم فادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين
اي هي بئس منزل المتعظمين عن قبول الحق وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم قيل كان هذا
ايام الموسم ياتي الرجل مكة فيسال المشركين عما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم فيقول المشركون اساطير الاولين
فيسال المسلمين عن ذلك فيقولون خيرا اي ثوابا ومنفعة لمن امن بالله ثم فسر ذلك الخير فقال قالوا
للذين احسنوا في هذه الدنيا اي اطاعوا الله تعالى ووحدوه حسنة اي ثواب مضاعف واجر عظيم
ولدار الاخرة وهي الجنة خير من الدنيا وما فيها ولنعم دار المتقين دار الاخرة جنات عدن
يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاون اي ما يريدون ويشتهون
من كل مطلوب ومحبوب كذلك اي مثل ذلك الجزا العظيم يجزي الله المتقين الذين تتوفاهم
الملائكة طيبين اي طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصي لانه في مقابلة ظالمي انفسهم يقولون
سلام عليكم قيل اذا اشرف العبد المومن على الموت جاه ملك الموت فقال السلام عليك يا ولي
الله الله يقرا عليك السلام ويبشره بالجنة ويقول له ادخلوا الجنة التي حصلت لكم وقيل يقولون
ذلك لهم عند خروجهم من قبورهم بما كنتم تعملون اي جزا اعمالكم هل ينظرون اي هل
ينتظر المشركون او هل ينتظرون بايمانهم الا ان تاتيهم الملائكة لقبض ارواحهم او ياتي امر
ربك وهو العذاب المستاصل بالقتل والمغنم هل يكون منهم اقامتهم على الكفر الا مقدار [illegible]
الى ان يموتوا او يقتلوا كذلك اي مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب فعل الذين من قبلهم

من كفار الامم الخاليه وما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون لانهم فعلوا ما
استوجبوا به التدمير فاصابهم سيئات ما عملوا اى جزاء سيئات اعمالهم وهذا موخر فى اللفظ
ومعناه التقديم لان التقدير كذلك فعل الذين من قبلهم فاصابهم الايه ثم قوله وما ظلمهم الله
الايه وحاق بهم اى احاط بهم ما كانوا به يستهزءون اى عقاب استهزائهم بالرسول وما
جاءوا به وقال الذين اشركوا يعنى اهل مكه لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا اباؤنا
اى ما اشركنا ولكنه شاء لنا ولا حرمنا من دونه من شيء يريدون ما حرموا من البحيره والسائبه
قال رضى الله عنه هذا من جمله ما عدد الله تعالى من اصناف كفر اهل مكه وعنادهم
وتكذيبهم الرسول وشقاقهم واستكبارهم عن قبول الحق والمعنى انهم اشركوا بالله وحرموا ما احل
من البحيره والسائبه وغيرهما ثم نسبوا فعلهم الى الله تعالى وقالوا لو شاء لم نفعل وهذا مذهب
المجبره بعينه كذلك فعل الذين من قبلهم من الامم اى اشركوا بالله وحرموا احلال الله فلما
نبهوا على قبح فعلهم نسبوه الى الله تعالى والى مشيئته فهل على الرسل الا البلاغ المبين اى
الا ان يبلغوا الحق وان الله لا يشاء الشرك والمعاصى ويطلعوا على بطلان الشرك وقبحه وبراءة
الله من افعال العباد وانهم فاعلوها بقصدهم واختيارهم والله عز وجل باعثهم على جميلها
وموفقهم له وزاجرهم عن قبيحها وموعدهم عليه ولقد بعثنا فى كل امه رسولا
يامرهم بالخير الذى هو الايمان وعبادة الله ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت
وباجتناب الشر الذى هو طاعه الطاغوت فمنهم من هدى الله اى ارشده ولطف به لانه عرفه من
اهل اللطف ومنهم من حقت عليه الضلاله اى ثبت عليه الخذلان والترك من اللطف لانه عرفه
مصمما على الكفر لا ياتى منه خير فسيروا فى الارض معتبرين بما فات الامم المكذبه قبلكم فانظروا
كيف كان عاقبة المكذبين اى ما فعلت بهم حتى لا يبقى لكم شبهه فى انى لا اقدر الشر ولا اشاء
خبثا فعلها افعل بالاشرار ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدى من يضل قال رضى
الله عنه ذكر الله عناد قريش وحرص رسول الله صلى الله عليه على ايمانهم وعرفه انهم من جمله من حق
عليهم الضلاله والمعنى ان تحرص يا محمد على هدى قريش فان الله لا يهدى من يضل اى لا يلطف بمن خذله

عنه لطفه وقوله وما لهم من ناصرين دليل على ان المراد بالاضلال الخذلان الذى هو
نقيض النصر واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت هذا معطوف على قوله
والذين اشركوا والمعنى انهم كفروا كفرتين عظيمتين هما حقيقتان بان تحكيا وتدونا احداهما نسبتهم
ذنوبهم على مشيئة الله والاخرى انكارهم البعث مقسمين عليه بلى اثبات لما نفوه ورد وتكذيب لهم اى بلى
يبعثهم وعدا عليه حقا يعنى ان الوفاء بهذا الموعد حق واجب عليه فى الحكمه ولكن اكثر الناس لا
يعلمون انهم يبعثون او انه وعد واجب على الله لانهم يقولون لا يجب على الله شيء لا ثواب عامل ولا غيره من
مواجب الحكمه ليبين لهم الذى يختلفون فيه اى يبعثهم ليبين لهم والذى اختلفوا فيه هو البعث
وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين فى قولهم لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء وفى قولهم لا يبعث الله من
يموت انما قولنا لشيء اذا اردناه اى اذا اردنا وجود شيء او اذا اردنا ان نبعث من يموت فليس الا ان
نقول له كن فيكون اى احدث فيحدث بغير توقف وذلك انه لا توقف قال رضى الله عنه وهذا مثل لان مرادا
لا يمتنع عليه وان وجوده عند ارادته غير متوقف كوجود المامور به عند امر الامر المطاع
اذا ورد على المامور المطيع الممتثل ولا قول ثم والمعنى ان ايجاد كل مقدور على الله تعالى بهذه السهوله
فكيف يمتنع عليه البعث الذى هو من شق المقدورات والذين هاجروا اى خرجوا من اوطانهم
فى الله اى فى حقه ولوجهه وهم رسول الله صلى الله عليه واصحابه رضى الله عنهم من بعد ما ظلموا اى من
بعد ان ظلمهم اهل مكه ففروا بدينهم الى الله منهم من هاجر الى الحبشه ثم الى المدينه فجمع بين الهجرتين
ومنهم من هاجر الى المدينه وقيل هم الذين كانوا محبوسين معذبين بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه
وكلما خرجوا من مكه تبعوهم فردوهم منهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعن صهيب انه قال لهم انا رجل كبير
ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فافتدى منهم بماله وهاجر فلما راه ابو بكر قال ربح
البيع يا صهيب يعنى فيما ادى به بماله وقال له عمر نعم الرجل لو لم يخف الله لم يعصه وهو ثناء
عظيم يريد لو لم يخلق الله نارا لاطاعه فكيف وقد خلق لنبوئنهم فى الدنيا حسنه اى نبوءه حسنه
والمعنى لنسكننهم منها مسكنا حسنه فى حياه طيبه وفى قراءه على لنثوينهم اى لنقيمنهم فيها
اقامه حسنه وقيل لنبوئنهم فى الدنيا مباءه حسنه وهى الغلبه على اهل مكه الذين ظلموهم وعلى

العرب قاطبة وعلى اهل المشرق والمغرب وعن عمر انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاءه
قال خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ذخر لك في الآخرة اكثر وقيل لنبوئنهم
مباءة حسنة وهي المدينة حيث آواهم اليها ونصرهم اهلها ولاجر الآخرة اكبر اي ولثواب الآخرة
لهم اجل واعظم مما وعدوا به في الدنيا لو كانوا يعلمون اي لو علم الكفار ان الله يجمع لهؤلاء المستضعفين
في ايديهم خير الدنيا والآخرة لرغبوا في دينهم او لو كان المهاجرون يعلمون ذلك لزادوا في اجتهادهم
واختيارهم ثم قال الذين صبروا على جهة المدح لهم بالصبر على العذاب وعلى مفارقة الوطن
الذي هو حرم الله المحبب في كل قلب فكيف بقلوب قوم هو مسقط رؤوسهم وعلى المجاهدة وبذل الارواح
في سبيل الله وعلى ربهم يتوكلون اي لا يفوضون امورهم الا اليه غير ملتفتين الى اوطانهم
ومصالحها وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم هذا رد على قريش لانهم قالوا الله
اعظم من ان يكون رسوله بشرا يريدون بل ملكا فقيل لهم وما ارسلنا من قبلك يا محمد الا رجالا
يوحى اليهم على السنة الملائكة فاسئلوا اهل الذكر يعني اهل التوراة ليعلموكم ان الله لم يبعث
الى الامم السالفة الا بشرا ان كنتم لا تعلمون بان الرسل بشر لا ملائكة وقيل الكتاب الذكر لانه
موعظة وتنبيه للغافلين بالبينات اي بالحجج الواضحة والزبر الكتب وهذا متعلق بقوله
يوحى اليهم اي يوحى اليهم بالبينات والزبر وقوله فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون فاصل
للتأكيد وانزلنا اليك الذكر اي القرآن لتبين للناس ما نزل اليهم في الذكر من الحلال والحرام
والوعد والوعيد ولعلهم يتفكرون في ذلك فيعتبرون وارادة ان يصغوا الى تنبيهاته فيتنبهوا
ويتأملوا افامن الذين مكروا السيئات اي المكرات السيئات وهم اهل مكة وما مكروا به رسول
الله صلى الله عليه وهذا انكار عليهم في امنهم من عذاب الله على مكرهم برسوله صلى الله عليه والمعنى افامن الذين
مكروا السيئات اي القبيحات ان يخسف الله بهم الارض اي يطبقها عليهم ويغيبهم تحتها
كما خسف بقارون او يمكر بهم مكرا اعظم من مكرهم او يأتيهم العذاب اي عذاب الله الشديد من
حيث لا يشعرون اي على غرة من حيث لا يحتسبون او يأخذهم في تقلبهم اي في حال كونهم متقلبين
في مسايرهم ومتاجرهم واسباب دنياهم والتقلب يعم انواع التصرف فما هم بمعجزين له اي لا يعجزونه

اهل الذكر هم اهل البيت عليهم السلام الذين اصطفاهم الله وطهرهم وآتاهم علم الكتاب وفصل الخطاب

ولا يعاجلهم او يأخذهم على تخوف اي متخوفين وهو ان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأخذهم
بالعذاب وهم متخوفون متوقعون وهذا خلاف قوله من حيث لا يشعرون وقيل معناه على تنقص
من قولك تخوفته وتخونته اذا تنقصته اي يأخذهم على ان ينقصهم شيئا بعد شيء في انفسهم واموالهم
حتى يهلكوا وعن عمر انه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه
لغتنا التخوف التنقص فان ربكم لرؤف رحيم حيث يحلم عنكم ولا يعاجلكم مع استحقاقكم
اولم يروا الى ما خلق الله من شيء له ظل من جبل وشجر وبناء يتفيؤا ظلاله اي يتميل ويدور ويتحول
لدوران الشمس عن اليمين والشمائل يعني في اول النهار عن اليمين وفي آخره عن الشمائل اذا كنت متوجها
الى القبلة وللجسم ظل لازم لا يقدر على الامتناع سجدا لله اي خاضعة منقادة قال
المفسرون مثل ميلانها سجودها هذا القول وظلالهم بالغدو والاصال وهم داخرون اي
صاغرون يفعلون ما يراد منهم يعني هذه الاشياء التي ذكرها انها تسجد لله قال رضي الله عنه وجمع
بالواو والنون لان الدخور من اوصاف العقلاء او لان في جملة ذلك من يعقل فغلب والمعنى الم تروا الى
ما خلق الله من الاجرام التي لها ظل متفيئة عن ايمانها وشمائلها اي عن جانبي كل واحد منها استعارة
من يمين الانسان وشماله اي ترجع الظلال من جانب الى جانب منقادة لله غير ممتنعة عليه فيما سخرها له
من التفيؤ والاجرام في انفسها داخرة ايضا صاغرة منقادة لافعال الله فيها لا تمتنع ولله
يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة المراد بالسجود الانقياد كما في سجود الظلال وجيء
بما دون من لانه مختصة بالعقلاء وما للعموم فلذلك اختيرت على من والمراد سجود المكلفين
طاعتهم وعبادتهم وسجود غيرهم انقيادا لارادة الله تعالى وان الاشياء كلها غير ممتنعة عليه
فلفظ السجود يجمعهما معنى الانقياد ولم يختلفا والملائكة افردهم بالذكر تخصيصا وتشريفا
لانهم اطوع الخلق واعبدهم وقيل لخروجهم مما يدب لكونهم ذوي اجنحة وهم لا يستكبرون
عن عبادة الله يعني الملائكة يخافون ربهم من فوقهم قال رضي الله عنه ان علقته بيخافون
فمعناه يخافونه ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم وان علقته بربهم حالا منه فمعناه يخافون
ربهم غالبا عاليا لهم قاهرا لقوله وهو القاهر فوق عباده وانا فوقهم قاهرون وفيه دليل على

ان الملائكة مكلفون يعني الملائكة هم فوق ما في الارض من دابة ومع ذلك يخافون الله فلأن يخاف
من دونهم اولى ويفعلون ما يؤمرون يعني الملائكة وصفهم بالتحرز والامتثال وقال الله لا

سجده

تتخذوا الهين اثنين اي لا تتصفوا بالشرك وقيل نزلت لما قالوا الله كانوا لا يدعوا الى اله واليه
لا يدعوا الى الهين الله والرحمن انما هو اله واحد وهو الخالق المنعم ولو كانوا اثنين لفسدت السموات
والارض فاياي فارهبون اي خافوا عقابي فلا تصغوا الى ما يدعون قال رضي الله عنه ونقل الكلام
من الغيبة الى التكلم لانه ابلغ في الترهيب من قوله واياه فارهبوه وله ما في السموات والارض
خلقا وملكا وله الدين واصبا اي الطاعة دائما ويجوز ان يراد بالدين الجزاء اي الجزاء
له الجزاء دائما ثابتا لا يزول يعني الثواب والعقاب وقيل الواصب الواجب والمعنى له الطاعة
واجبة لان كل نعمة منه فالطاعة واجبة له على كل منعم عليه ثم انكر عليه بقوله افغير الله
تتقون اي افغير الله الموصوف بهذه الصفات العظيمة تتقون اي تخشونه بالعقوق والعصيان
والمراد الاصنام وما بكم من نعمة فمن الله يعني اي شيء حل بكم او اتصل بكم من نعمة جسم او سعة رزق
او امتاع بمال او ولد فهو من الله ثم اذا مسكم الضر اي ثم اذا ازال عنكم المرض عنكم والبلاء الذي
حاق بكم اليه لزواله واستغثتم لكشفه اذا فريق منكم بربهم يشركون اي يعرضون عن ربهم
الكشف ويقارنون الكشف بالاشراك لا يوخرونه عن الكشف عنه واحد بل يضعون المبادرة
بالكفر موضع المبادرة بالشكر وقوله منكم للبيان لا للتبعيض كأنه قال فاذا فريق كافر وهم انتم
ليكفروا بما آتيناهم من نعمة الكشف عنهم كانهم جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة فتمتعوا
اي فانتفعوا بما في دنياكم الحقيقية الفانية فسوف تعلمون سوء عاقبة ما انتم عليه وهذا
تغليظ ووعيد فالتغليظ قوله فتمتعوا والوعيد قوله فسوف تعلمون ويجعلون يعني المشركين
لما لا يعلمون يعني الاوثان التي لا علم لها نصيبا مما رزقناهم يعني ما ذكر في قوله وهذا
لشركائنا ومعنى انها لا تعلم اي لا تشعر اجعلوا لها نصيبا في انعامهم وزروعهم ام لا وكانوا
يجعلون ذلك لهم تقربا اليهم فقال تعالى تالله لتسألن سؤال توبيخ عما كنتم تفترون
الافك في زعمكم انها آلهة وانها اهل للتقرب اليها وان الله امركم بذلك ويجعلون لله البنات

كانت كنانة وخزاعة يقولون الملائكة بنات الله سبحانه هو تنزيه لذاته من نسبة الولد اليه او تعجب من
قولهم ولهم ما يشتهون يعني البنين واذا بشر احدهم بالانثى اي اخبر بولادة انثى له ظل
اي صار وجهه مسودا متغيرا اي تغير تغير مغتم ضيق وهو كظيم مملو غيظا وغما
اي ممتلئ حنقا على المرأة يتوارى من القوم اي يستخفي منهم ويغيب من سوء ما بشر به اي من اجل
سوء المبشر به ومن اجل تعييرهم ويحدث نفسه وينظر ايمسكه اي ايمسك ما بشر به على
هون اي على هوان وذل ام يدسه في التراب يعني ام يئده ويدفنه وهو حي وقرئ ايمسكها
على هون ام يدسها على التانيث الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون الولد الذي هذا محله عندهم
لله ويجعلون لانفسهم من هو على عكس هذا الوصف للذين لا يؤمنون بالآخرة يعني الكفار
الذين وصفوا الله تعالى بالولد مثل السوء اي صفة السوء وهي الحاجة الى الاولاد الذكور وكراهم
الاناث وقتلهن خشية الاملاق واقرارهم على انفسهم بالشح البالغ ولله المثل الاعلى وهو الغني
عن العالمين والنزاهة عن صفات المخلوقين وهو الجواد الكريم وهو العزيز الحكيم الذي لا
يعجزه شيء في صنعه وتدبيره ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم اي بكفرهم ومعاصيهم ما
ترك عليها اي على الارض من دابة قط ولاهلكها كلها بشوم ظلم الظالمين وعن ابي هريرة
انه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بلى والله حتى ان الحبارى لتموت في وكرها
بظلم الظالم وعن ابن مسعود كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم او ما من دابة ظالمة ولكن
يؤخرهم الى اجل مسمى اي الى وقت قد سماه وضربه حدا لموتهم فاذا جاء اجلهم اي اجل موتهم
الذي سماه لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ثم حكى تعالى عنهم كفرا آخر فقال
ويجعلون لله ما يكرهون لانفسهم من البنات اي يحكمون له به ويجعلون له ارذل اموالهم
ولاصنامهم اكرمها وتصف السنتهم الكذب اي تقوله وتنطق به ثم فسر ذلك الكذب
بقوله ان لهم الحسنى اي الجنة والمعنى يصفون ان لهم مع قبح قولهم الجنة وعن بعضهم
انه قال لرجل من ذوي اليسار كيف تكون يوم القيامة اذا قال الله تعالى للملائكة هاتوا ما دفع هذا
الرجل الى السلاطين واعوانهم فيؤتى بالدواب والثياب وانواع الاموال الفاخرة واذا قال هاتوا

انما خصها بالذكر لان الحبارى ابعد الطير نجعة

ما دفع الى فيونى بالكسر والخزي وما له تعذيبه اما تستخفي من ذلك الموقف وقرا اهل الآية

ويجعلون لله ما يكرهون لا جرم اي حقا ان لهم النار وانهم مفرطون اي مكثرون في

المعاصي وقرئ بفتح الراء ومكسورها مخففا ومشددا فالمفتوح مع التخفيف والتشديد بمعنى

مقدمون الى النار معجلون اليها من افرطت فلانا وفرطته في طلب الماء اذا قدمته وقيل منسيون

متروكون من افرطت فلانا خلفي اذا خلفته ونسيته والمكسور المخفف وهي قراءة نافع من الافراط

في المعاصي والمشدد من التفريط في الطاعة وما يلزمهم تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين

لهم الشيطان اعمالهم الخبيثة فهو وليهم اليوم يعني يوم القيامة واطلق اسم اليوم

ومعنى وليهم قرينهم وبئس القرين او ناصرهم ومتولي امورهم ولهم عذاب اليم وما انزلنا عليك

الكتاب يعني القرآن الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه اي من الشرك ما ذهبوا فيه

تذهب اليه المسلمون ... والذي اختلفوا فيه البعث لانه كان فيهم

من يؤمن به ... من التحريم والتحليل والانكار والاقرار وقوله وهدى ورحمة لقوم

يؤمنون اي الهداية والرحمة للمؤمنين والله انزل من السماء ماء فاحيا به الارض

اي احياها بما وقع فيها من الخصب والنبات بعد موتها بالجدب ان في ذلك لآية لقوم

يسمعون يعني سماع تدبر وانصاف لان من لم يسمع بقلبه فكانه اصم لا يسمع وان لكم في

الانعام لعبرة اي لدلالة على قدرة الله ووحدانيته نسقيكم مما في بطونه يعني بطون دواب

اللبن وهو جواب سؤال مقدر كانه قيل كيف العبرة فقيل نسقيكم من بين فرث ودم

خلق الله اللبن وسيطا بين الفرث والدم ... لا قدرة الله تعالى

يبقى احدهما عليه بلون ولا طعم ولا رائحة بل هو خالص من ذلك كله قيل اذا اكلت البهيمة العلف

فاستقر في كرشها طبخته فكان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما والكبد مسلط على

هذه الاصناف الثلاثة تقسمها فيجري الدم في العروق واللبن في الضرع ويبقى الفرث في الكرش

فسبحان الله ما اعظم قدرته والطف حكمته لمن تفكر وتامل ...

... لبنا خالصا من الفرث والدم

علنه م

حلاوه م

سائغا للشاربين اي سهل المرور في حلوقهم ويقال لم يغص احد باللبن قط ... وقد احتج بعض من

يرى ان المني طاهر على من جعله نجسا لجريه في مسلك البول انه ليس بمستنكر ان يسلك مسلك البول وهو

طاهر كما خرج اللبن من بين فرث ودم طاهرا وهذا مذهب الشافعي وهو خلاف مذهب ابي حنيفة

ومن ثمرات النخيل والاعناب تقدير الكلام ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب اي من عصيرها

وحذف لدلالة نسقيكم عليه تتخذون منه سكرا وهو الخمر وفيه وجهان احدهما ان يكون

ومن قال بتسميتها الشعبي والنخعي والثاني ... وقيل السكر النبيذ وهو عصير

العنب والزبيب والتمر اذا طبخ حتى يذهب ثلثاه وهو حلال عند ابي حنيفة بشرط ان لا يبلغ حد السكر

... بهذه الآية وهذا مذهب ... خلافه وان ما اسكر كثيره فقليله حرام ورزقا

حسنا وهو الخل والرب والتمر والزبيب ... ان في ذلك لآية لقوم يعقلون اي ينظرون

... واوحى ربك الى النحل اي الهمها الهاما والقذف في قلوبها وتعليمها على وجه هو اعلم

به لا سبيل لاحد الى الوقوف عليه ... في صنعها ولطفها في تدبير امرها

... كانها اولى العقول ... ان اتخذي

من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون اي اجعلي بيوتك من بعض الجبال ومن بعض الشجر

ومن بعض ما يعرشون اي مما يعرش الناس ... وقيل ما يبنون للنحل

... الجبال والشجر والبيوت ... ثم كلي من كل الثمرات

... من كل الثمرات التي تعتاد اكلها ... فاذا اكلتها

فاسلكي سبل ربك اي الطرق التي الهمك وافهمك في عمل العسل او فاسلكي ما اكلت في سبل

ربك اي مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا من اجوافك او معناه اذا اكلت الثمار في

المواضع البعيدة من بيوتك الى بيوتك راجعة سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تضلين فيها

... فربما اجدب عليها ما حولها فتسافر الى البلد البعيد في طلب النجعة او

... كلي من كل الثمرات فاسلكي في طلبها سبل ربك ذللا اي وانت ذلل

... يخرج من بطونها شراب يريد العسل لانه مما يشرب مختلف

حسن الصنعه

الوانه منه ابيض واصفر واحمر واسود فيه شفا للناس لانه من جملة الاشفية والادوية المشهورة
النافعة وقل معجون من المعاجين لم يذكر الاطبا فيه العسل قال رضي الله عنه وليس الغرض انه شفا
لكل مريض كما ان كل دوا كذلك بل لما يختص به من الادوا واشار الى ذلك بقوله شفا ولم يقل
الشفا اراد بعض الشفا او اراد تعظيم الشفا الذي فيه وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا جا اليه فقال
ان اخي يشتكي بطنه فقال اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب واسقه
عسلا فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه الله فبرا كانما انشط من عقال وعن ابن مسعود
العسل شفا من كل دا والقران شفا لما في الصدور فعليكم بالشفاءين القران والعسل ان في ذلك
يعني الايحا الى النحل وتعليمها لما تفعلها لاية اي لعبرة ودليله على قدرة الله تعالى لقوم يتفكرون اي
ينظرون بعقولهم والله خلقكم اي اوجدكم ولم تكونوا شيا ثم يتوفاكم اي يميتكم في اجالكم عند
انقضائها [illegible] منكم من لا يبلغ ارذل العمر وهو الاكثر لان معترك المنايا ما بين
الستين الى السبعين ومنكم من يرد الى ارذل العمر اى الى اخسه واحقره وهو خمس وتسعون سنة عن
علي وتسعون سنة عن قتادة لانه لا عمر اسوا حالا من عمر الهرم لكي لا يعلم من بعد علم شيا اي
ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفولة في النسيان وهي ان يعلم شيا ثم يسرع في نسيانه فلا يعلمه ان سيل عنه
وقيل لئلا يعقل من بعد عقله الاول شيا وقيل لئلا يعلم زيادة علم على علمه ان الله عليم بكل معلوم قدير على
ما يريد والله فضل بعضكم على بعض في الرزق اي جعلكم متفاوتين في الرزق فرزقكم افضل
مما رزق مماليككم وهم بشر مثلكم واخوانكم فكان ينبغي ان تردوا فضل ما رزقتموه عليهم حتى تتساووا
في الملبس والمطعم كما يحكى عن ابي ذر رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما هم اخوانكم
فاكسوهم مما تلبسون واطعموهم مما تطعمون فما روي عبده بعد ذلك الا ورداؤه رداؤه وازاره ازاره
من غير تفاوت فما الذين فضلوا وهم المالكون برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم اي بجاعلي
رزقهم لعبيدهم حتى يكونوا عبيدهم معهم فيه سوا وقوله فهم فيه سوا من جملة المنفي اي برادي
رزقهم عليهم ليستووا وافبما رزقهم الله وقوله افبنعمة الله يجحدون انكار عليهم واشعار بان
تركهم التسوية من جملة جحود النعمة وقيل هو مثل ضربه الله للذين جعلوا له شركا فقال لهم لا تسوون

بين عبيدكم فيما انعمت به عليكم ولا تجعلونهم فيه شركا ولا ترضون ذلك لانفسكم فكيف رضيتم ان
تجعلوا عبيدي لي شركا وقيل المعنى ان الموالي والمماليك انا رازقهم جميعا فهم في رزقي سوا فلا يحسبن
الموالي انهم يردون على مماليكهم من عندهم شيا من الرزق فانما ذلك رزقي اجريه اليهم على ايديهم وهذا
مطابق لمذهب ابي ذر اما ما علمنا ان الاسلام فانه لا يجب للمماليك الا ما سد الجوعة وستر العورة على وجه
يسعهم بها احوالهم من اي طعام كان وما يقيهم البرد والحر من اللباس والحديث محمول على الندب
والله جعل لكم من انفسكم اي من جنسكم ازواجا يعني النسا وقيل هو خلق حوا من ضلع ادم
من نفسه وفي جعل ازواجهم من انفسهم زيادة نعمة لان الانسان مع جنسه انس واقر عين وجعل لكم
من ازواجكم بنين وحفدة الحفدة جمع حافد وهو الذي يحفد اي يسرع في الطاعة والخدمة
والخلف فيهم فقيل هم اولاد الاولاد وقيل ازواج البنات وقيل اولاد المراة من الزوج الاول وقيل المعنى
وجعل لكم حفدة اي خدما يحفدون في مصالحكم ويعينونكم ويجوز ان يراد بالحفدة البنون
انفسهم كانه قيل وجعل لكم من ازواجكم اولادا هم بنون وهم حافدون اي خادمون لكم فهم جامعون
بين الامرين ورزقكم من الطيبات يعني بعضها لان كل الطيبات في الجنة وما طيبات الدنيا
الا انموذج منها وهي انواع الثمار والحبوب والحيوان افبالباطل يومنون يعني الاصنام وما يعتقدونه
من منفعتها وبركتها وشفاعتها وما هو الا وهم باطل لم يتوصلوا اليه بدليل ولا امارة فليس لهم
ايمان الا به كانه شي معلوم مستيقن وبنعمة الله هم يكفرون اي يجحدون التوحيد وبنعمة الله المشاهدة
التي لا شبهة فيها للعاقل هم كافرون بها منكرون لها كما ينكر المحال الذي لا تتصوره العقول
وقيل الباطل ما يسول لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسايبة وغيرهما وبنعمة الله ما احل لهم
ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا يعني الاصنام لا تملك لمن عبدها رزقا
من السموات والارض يعني لا ترزق من السموات مطرا ولا من الارض نباتا وقوله شيا بدل من
رزقا اي لا يملك لهم شيا لا قليلا ولا كثيرا او يقدرون ويعبدون ما لا يملك ان يرزقهم شيا ولا يستطيعون
يعني الاصنام بمعنى لا يملكون ان يرزقوا والاستطاعة منفية عنهم لانهم جمادات او يراد انهم لا
يملكون الرزق ولا يمكنهم ان يملكوه لتعذر ذلك منهم فلا تضربوا لله الامثال اي لا تشبهوا

خلقه لان ضرب المثل انما هو تشبيه ذات بذات او وصف بوصف وتعالى الله عن ذلك **ان الله يعلم**
حقيقة شرككم وهو معاقبكم عليه بما يوازنه في العظم لان العقاب على مقدار الاثم **وانتم لا**
تعلمون حقيقته فتح فعلكم ومقدار ما تستحقون عليه من العقاب وذلك هو الذي جركم اليه
وجرأكم عليه وعون ان تزاد فلا تضربوا لله الامثال ودلكم ان الله يعلم كيف تضرب الامثال وانتم
لا تعلمون ثم علمهم كيف تضرب الامثال فقال **ضرب الله مثلا** اي بين شبها فيه بيان للمقصود
ثم ذكر ذلك فقال **عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا** اي مثلكم
في اشراككم بالله الاوثان مثل من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين حر مالك قد رزقه
الله مالا **فهو ينفق منه سرا وجهرا** اي يتصرف فيه وينفق منه كيف يشا واراد بقوله ومن رزقناه
الحر لان اسم العبد يقع عليهما جميعا لانهما من عباد الله وفائدة قوله لا يقدر على شيء الاعلام بانه
غير مكاتب ولا مأذون لانهما يقدران على التصرف واختلفوا في العبد هل يصح له ملك ويعتد مالك واحد
انه يملك وابو حنيفة انه لا يصح له ملك وهو مذهب اباهما علمهم للسلم وهو ظاهر الاية **هل يستوون**
الاحرار والعبيد وهذا مثل ضربه الله لنفسه ولمن عبد دونه يقول ان العبد العاجز الذي لا يقدر ان
ينفق والمالك المقتدر على الانفاق لا يستويان فكيف تسوون بين الحجارة التي لا تتحرك وبين الله الذي
هو على كل شيء قدير وهو رازق جميع خلقه ثم بين انه المستحق للحمد دون ما يعبدون من دونه فقال **الحمد**
لله اي المدح كله والثناء وحده لانه منعم **بل اكثرهم لا يعلمون** يقول هؤلاء المشركون لا يعلمون
ان الحمد لي لان جميع النعم مني والمراد بالاكثر هاهنا الجميع ثم ضرب مثلا للمومن والكافر
فقال **وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم لا يقدر على شيء** الابكم الذي ولد اخرس فلا يفهم
ولا يفهم **وهو كل** اي ثقل ووبال **على مولاه** على صاحبه وقريبه الذي يلي امره ونحوه **اينما يوجهه** اي
يرسله ويصرفه في مطلب حاجة او كفاية مهم **لا يأت بخير** اي لا ينفع ولا يأتي بنجح لانه عاجز لا يفهم
ما يقال له ولا يفهم عنه **هل يستوي هو** اي هذا الابكم **ومن يامر بالعدل** اي ومن هو سليم الحواس
نفاع ذو كفايات مع رشد وديانة فهو يامر الناس بالعدل والخير **وهو** في نفسه **على صراط مستقيم**
اي على سيرة صالحة ودين قويم قال يعني الله نفسه وهذا مثل ضربه الله تعالى لنفسه وللاصنام

بان انشاهم من اناث رحمة والطافه ونعمه الدينية والدنيوية وللاصنام التي هي اموات لا تنفع ولا
تضر **ولله غيب السموات والارض** اي يختص بعلم ما غاب فيهما عن العباد وخفي عليهم علمه او
اراد بغيب السموات والارض يوم القيمة لان علمه غائب عن اهل السموات والارض لم يطلع عليه احد **وما**
امر الساعة يعني القيمة **الا كلمح البصر** اي كالنظر بسرعة **او هو اقرب** من ذلك اذا اراد اي هو
عند الله وان تراخى كما يقولون انتم في الشيء الذي تستقربونه هو كلمح البصر او هو اقرب يريد انه يأتيها
اسرع من لمح البصر اذا اراد وقيل المعنى ان اقامة الساعة واماتة الاحياء واحياء الاموات من الاولين
والاخرين يكون في اقرب وقت واوحاه **ان الله على كل شيء قدير** فهو يقدر على ان يقيم الساعة ويبعث
الخلق لانه بعض المقدورات ثم دل على قدرته على البعث فقال **والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا**
تعلمون شيئا اي غير عالمين شيئا من حق المنعم الذي خلقكم في البطون وصوركم ثم اخرجكم من
الضيق الى السعة **وجعل لكم السمع والابصار والافئدة** معناه وما ركب فيكم هذه الاشياء الا
لازالة الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه
والترقي الى ما يسعدكم في العاقبة ومعنى قوله **لعلكم تشكرون** اي اراد ان تشكروا نعمه
بتحصيل العلم **الم يروا الى الطير مسخرات** مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة
والاسباب المواتية لذلك **في جو السماء** يعني الهواء وذلك يدل على مسخر سخرها ومدبر مكنها من
التصرف **ما يمسكهن** في قبضهن وبسطهن ووقوفهن **الا الله** بقدرته الباهرة **ان في ذلك لايات**
دلالة على قدرة الله تعالى **لقوم يومنون** اي يصدقون ويعترفون **والله جعل لكم من بيوتكم سكنا**
موضعا تسكنون فيه تستتر عوراتكم وحرمكم وذلك انه خلق الخشب والمدر والالة التي يمكن بها
تسقيف البيوت **وجعل لكم من جلود الانعام** يعني الانطاع والادم **بيوتا** يعني القباب والخيام
تستخفونها يوم ظعنكم اي يخف عليكم حملها في اسفاركم وترونها خفيفة المحمل في الضرب
والنقض والنقل يوم ظعنكم **ويوم اقامتكم** اي يوم ترحلون يخف عليكم حملها ونقلها ويوم تنزلون
وتقيمون وكان لا يثقل عليكم ضربها او هي خفيفة عليكم في اوقات السفر والحضر **ومن اصوافها**
يعني الضان **واوبارها** يعني الابل **واشعارها** يعني المعز **اثاثا** وهو ما يتمتع به متاع المنزل

والبسط والاكسية ومتاعا اي شيئا ينتفع به الى حين اي الى ان تقضوا منه اوطاركم او الى
ان يبلى ويفنى او الى ان تموتوا والله جعل لكم مما خلق من البيوت والشجر والغمام ظلالا تستظلون
به من الحر وجعل لكم من الجبال اكنانا جمع كن وهو ما يستكن به من البيوت المنحوتة في
الجبال نحو الغيران والكهوف والاسراب وجعل لكم سرابيل هي القمصان والثياب من الصوف
والكتان والقطن تقيكم الحر اي تقيكم الحر والبرد ولم يذكر البرد لان ما وقى الحر وقى البرد وهو
معلوم وقيل ان الوقاية من الحر كانت اهم عندهم وقلما يهمهم البرد وسرابيل تقيكم بأسكم يريد الدروع
والجواشن لانها تمنع من شدة الطعن والضرب والرمي والسربال عام على ما كان من حديد وغيره كذلك
يعني مثلها خلق هذه الاشياء لكم يتم نعمته عليكم يعني نعمة الدنيا والخطاب لاهل مكة لعلكم تسلمون
اي تنظرون في نعمه الفاضلة فتؤمنون به وتنقادون له وقرئ تسلمون من السلامة اي تشكرون فتسلمون
من العذاب وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع فان تولوا اي اعرضوا عن الايمان بعد البيان
فانما عليك البلاغ المبين وليس عليك من كفرهم وجحودهم شيء يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها
يعني الكفار يقرون بانها كلها من نعم الله ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم هي من الله
ولكنها بشفاعة الصنم وقيل انكارهم قولهم ورثناها من آبائنا واكثرهم الكافرون اي الجاحدون
غير المعترفين وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يعرفونها ثم ينكرونها عنادا واكثرهم الجاحدون
المنكرون بقلوبهم ويوم نبعث من كل امة شهيدا يعني الانبياء يشهدون على الامم بالايمان
والتصديق والكفر والتكذيب ثم لا يؤذن للذين كفروا في الكلام والاعتذار والمعنى لا حجة لهم
وذلك يترك الاذن على ان لا حجة لهم ولا عذر ولا هم يستعتبون اي ولا هم يسترضون بمعنى لا يقال
لهم ارضوا ربكم لان الآخرة ليست بدار عمل فلا يطلب منهم ان يرجعوا الى ما يرضي الله قال رضي الله عنه
ومعنى ثم هاهنا تعظيم ما بعدها وبعد بابه وبين ما قبلها والمعنى انهم يبلون بعد شهادة الانبياء عليهم
بما هو اطم منها وهو انهم يمنعون الكلام فلا يؤذن لهم في القاء معذرة ولا ادلاء بحجة واذا راى الذين
ظلموا العذاب يعني جهنم وثقل عليهم فلا يخفف عنهم ما يثقل عليهم منه ولا هم ينظرون اي لا يمهلون
بل يأتيهم بغتة فتبهتهم واذا راى الذين اشركوا شركاءهم يعني آلهتهم واوثانهم التي عبدوها من دون الله

لكونه يسيرا مخيم

الجوشن الدرع ايضا

قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا اراد بالشركاء آلهتهم ومعنى شركاؤنا الهتنا التي دعوناها شركاء لك في
الالهية وان ارادوا الشياطين فلانهم شركاؤهم في الكفر وقرناؤهم في الغي وذلك ان الله يبعثها
مع عبدتها لتوردهم النار فاذا راوها عرفوها فقالوا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك
اي نعبد فالقوا اليهم القول اي اجابوهم وقالوا لهم انكم لكاذبون وذلك انها كانت جمادا
لا تعرف عبادة عابديها فتظهر عند ذلك فضيحتهم حيث عبدوا من لم يشعر بالعبادة وهذا
كقوله تعالى سيكفرون بعبادتهم وقال رضي الله عنه كذبوهم وكانوا صادقين لانهم كانوا
يريد اضيف بعبادتهم فكان عبادتهم لم تكن عبادة بدليل قول الملائكة كانوا يعبدون الجن
يعنون ان الجن كانوا راضين بعبادتهم لهم فهم المعبودون دوننا او كذبوهم في تسميتهم
شركاء والهة تنزيها لله من الشرك وان اريد بالشركاء الشياطين جاز ان يكونوا كاذبين في قولهم
انكم لكاذبون كما يقول الشيطان اني كفرت بما اشركتمون من قبل والقوا يعني الذين ظلموا الى
الله يومئذ السلم اي الاستسلام والانقياد لامر الله وحكمه بعد الاباء والاستكبار
في الدنيا وضل عنهم اي بطل عنهم ما كانوا يفترون اي يكذبون من ان لله شركاء وانهم ينصرونهم
ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤوا منهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اي
الذين كفروا في انفسهم وحملوا غيرهم على الكفر بان منعوهم عن سبيل الله اي عن طريق الحق
زدناهم عذابا فوق العذاب اي ضاعفنا عقابهم كما ضاعفوا كفرهم وقيل في زيادة عذابهم
حيات امثال البخت وعقارب امثال البغال تلسع احداهن اللسعة فيجد صاحبها حمتها
اربعين خريفا وقيل يخرجون من النار الى الزمهرير فيبادرون من شدة برده الى النار بما كانوا
يفسدون اي بكونهم مفسدين الناس بصدهم عن سبيل الله ويوم نبعث في كل امة شهيدا
عليهم من انفسهم يعني نبيهم لانه كان يبعث انبياء الامم فيهم منهم يشهد لهم وعليهم وجئنا بك يا محمد
شهيدا على هؤلاء اي على امتك وقدم الكلام هاهنا ثم قال ونزلنا عليك الكتاب يعني
القرآن تبيانا لكل شيء اي بيانا بليغا فيما الهوية ونحو عنيه والمعنى انه بين كل شيء من امور الدين
حيث كان نصا على بعضها واحالة على السنة حيث امر فيه باتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاعته

وحث على الاجماع في قوله ويتبع غير سبيل المؤمنين وقد رضي رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته اتباع
الصحابه فاصحابه والاقتدا باثارهم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطاوا طرق القياس والاجتهاد
فكانت السنه والاجماع والقياس والاجتهاد مستنده الى تبيان الكتاب فمن ثم كان تبيانا لكل شيء
وهدى ورحمة اي دلالة موصلة ونعمة وبشرى للمسلمين بالفوز ان عملوا به ان الله يأمر
بالعدل والاحسان العدل هو الواجب لان الله عز وجل عدل فيه على عباده فجعل ما فرضه عليهم
واقعا تحت طاقتهم والاحسان الندب وانما علق امره بهما جميعا لان الفرض لا بد ان يقع فيه
تفريط فيجبره الندب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لمن علمه الفرائض فقال والله لا ازيد فيها ولا انقص
افلح ان صدق فعقد الفلاح بشرط الصدق والسلامة من التفريط وقال صلى الله عليه وسلم استقيموا
ولن تحصوا فما ينبغي ان يترك ما يجبر كسر التفريط من النوافل وايتاء ذي القربى يعني صلة الرحم
فتوني ذا قرابتك من فضل ما رزقك الله وقيل اراد قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وينهى عن
الفحشاء والمنكر والبغي الفحش الزنا وما جاوز حدود الله والمنكر ما تنكره العقول والبغي
الاستطالة على الناس بالظلم يعظكم الله اي ينهاكم عن هذا كله ويأمركم بما امركم به وهي هذه
الاية لعلكم تذكرون اي كي تتعظوا قال رضي الله عنه وحين اسقطت من الخطب لعنة
اللاعنين على امير المؤمنين اقيمت هذه الاية مقامها ولعمري انها كانت فاحشة ومنكرا وبغيا
ضاعف الله لمن سنها غضبا وخزيا ونكالا اجابة لدعوة نبيه صلى الله عليه وسلم وعاد من عاداه واوفوا بعهد الله
اذا عاهدتم يعني كل عهد حسن في الشرع بعهد الوفاء به وقيل عهد الله هي البيعة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم على الاسلام ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها اي لا تحنثوا فيها بعد ما
وكدتموها بالعزم او بعد توثيقها باسم الله وقد جعلتم الله عليكم كفيلا اي شاهدا ورقيبا
بالوفاء حيث حلفتم لان الكفيل مراع لحال المكفول به مهيمن عليه ان الله يعلم ما تفعلون من
النقض والوفاء فيجازيكم عليه ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها اي افسدته من بعد قوة
اي من بعد احكامه وفتله وابرامه انكاثا اي جعلته انكاثا جمع نكث وهو ما ينكث فتله
نقض قيل هي ريطة بنت سعد بن تيم من قريش وكانت حمقاء اتخذت مغزلا قدر ذراع وفلكة

مثلها فكانت تغزل هي وجواريها من الغداة الى الظهر ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن وقدم الكلام
هاهنا قال تتخذون ايمانكم دخلا بينكم اي غشا وخديعة والمعنى لا تنقضوا ايمانكم
متخذين لها دخلا بينكم اي مفسدة ودغلا ان تكون امة اي بسبب ان تكون لان تكون امة
يعني جماعة قريش هي اربى من امة اي ازيد عددا واوفر مالا من المؤمنين لسطرانكم تستكون لحلف
الوفا بعهد الله وما عقدتم على انفسكم وكدتم من ايمان البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ام
تعودون لكثرة قريش وثروتهم وقوتهم وقلة المؤمنين وفقرهم وضعفهم وليبينن لكم يوم القيمة اي
يوم الجزاء اي اعمال ما كنتم فيه تختلفون من دين الحق وهذا انذار وتحذير من مخالفة
ملة الاسلام ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة اي حنيفة مسلمة على طريق الالجاء والاضطرار
ولكن الحكمة اقتضت ان يضل من يشاء اي يخذل من علم انه يختار الكفر ويصمم عليه ويهدي
من يشاء اي يلطف بمن علم انه يقبل اللطف ويختار الايمان يعني انه بنا امر التكليف على الاختيار
لا على ما يستحق به اللطف والخذلان والثواب والعقاب ولو بناه على الاجبار لم يستحق
شيء من ذلك وحقق هذا المعنى بقوله ولتسألن عما كنتم تعملون اي عن عملكم خيره وشره
ولو كان تعالى هو المضطر لهم الى الضلال والاهتداء لما اثبت لهم عملا يسالون عنه ثم كرر النهي
عن اتخاذ الايمان الخديعة والمكر فقال ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها
وتذوقوا السوء اي العذاب في الدنيا بما صددتم عن سبيل الله اي بصدكم وخروجكم من الدين
او بصدكم غيركم لانهم لو نقضوا ايمان البيعة وارتدوا لاتخذوا نقضها سنة لغيرهم
يستنون بها فكانهم صدوا غيرهم ولكم عذاب عظيم في الاخرة روي ان السبب في هذه الاية ان قوما
ممن اسلم بمكة زين لهم الشيطان بجزعهم مما راوا من غلبة قريش واستضعافهم المسلمين وايذائهم
لهم ولما كانوا يعدونهم ان رجعوا من المواعيد ان ينقضوا ما بايعوا عليه رسول الله صلى الله عليه
وسلم فثبتهم الله بما ذكرهم به ولا تشتروا اي لا تستبدلوا بعهد الله وبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثمنا قليلا اي عرضا من الدنيا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدونهم ويمنونهم ان رجعوا انما عند الله
من اظهاركم عليهم وتغنيمكم اياهم ومن ثواب الاخرة هو خير لكم مما يعدونكم ان كنتم تعلمون

اى ان كنتم ممن يعلم ما هو خير له وعاقبة وفيه تفضيل لهم على ما يعلم الا ما زينه الشيطان لهم ما
عندكم من اعراض الدنيا ومنافعها ينفد يفنى وينقطع يعنى الدنيا وما عند الله من خزائن رحمته
باق دائم لا ينفد ولا ينقطع ولنجزين الذين صبروا على دينهم وعلى اذى المشركين ومشاق الاسلام
اجرهم باحسن ما كانوا يعملون يعنى من الطاعات وصبرهم عليها من عمل صالحا اى طاعة
من الطاعات من ذكر او انثى وهو مؤمن اى كامل الايمان بمجانبة الكبائر وقيل اراد ان العمل
الصالح لا يستحق به الثواب الا بشرط الايمان والمعرفة فلنحيينه حيوة طيبة يعنى فى الدنيا وهو
وذلك ان المؤمن مع العمل الصالح موسرا كان او معسرا يعيش عيشا طيبا ان كان موسرا
فلا مقال فيه وان كان معسرا فمعه ما يطيب عيشه وهو القناعة والرضى بقسمة الله عز وجل
واما الفاجر فامره على العكس ان كان معسرا فلا اشكال فى امره وان كان موسرا فالحرص لا يدعه
ان يتهنا بعيشه وعن ابن عباس الحياة الطيبة الرزق الحلال وعن الحسن القناعة وعن قتادة
يعنى فى الجنة وقيل هى حلاوة الطاعة والتوفيق فى قلبه ولنجزينهم اجرهم يعنى فى الاخرة باحسن ما
كانوا يعملون كرر هذا تاكيدا وقيل الاول للصابرين على الوفاء بالعهود والثانى على الطاعات ولما
ذكر العمل الصالح ووعد عليه وصل به قوله فاذا قرات القران فاستعذ بالله اعلاما بان الاستعاذة
من جملة الاعمال الصالحة التى يجزل الله عليها الثواب والمعنى فاذا اردت قراءة القران فاستعذ بالله
اى فاسال الله ان يعيذك ويمنعك من الشيطان الرجيم وعن عبد الله بن مسعود قرات على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اعوذ بالله من الشيطان الرجيم فقال لى يا ابن ام عبد قل اعوذ بالله
من الشيطان الرجيم هكذا اقرانيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ انه ليس له سلطان اى
تسلط وولاية على الذين امنوا اى على اولياء الله والمعنى ليس له عليهم حجة فى الدعوا الى المعاصى
ولا يطيعونه فيما يريد منهم من اتباع خطواته وعلى ربهم يتوكلون اى يثقون به انما سلطانه على الذين
يتولونه اى على من يتولاه ويطيعه وقيل الى قوله باتباع امره والقبول منه والذين هم به اى بسببه
وطاعته فيما يدعوهم اليه مشركون بالله واذا بدلنا اية مكان اية تبديل الاية مكان الاية هو النسخ
والله تعالى ينسخ الشرائع بالشرائع لانها مصالح وما كان مصلحة امس يجوز ان يكون مفسدة اليوم

وخلافه مصلحة والله اعلم بما ينزل اى عالم بالمصالح والمفاسد فيثبت ما يشاء وينسخ ما يشاء لحكمة قالوا
يعنى الكفار انما انت مفتر اى كذاب تقوله من عندك وجدوا مدخلا للطعن فطعنوا وذلك لجهلهم
وبعدهم عن العلم بالناسخ والمنسوخ ولذلك رد عليهم بقوله بل اكثرهم لا يعلمون يعنى انهم
جهلة لا يعلمون ان النسخ لحكمة ومصلحة فلذلك قالوا ما قالوا وكانوا يقولون ان محمدا يسخر باصحابه
يامرهم اليوم بامر وينهاهم عنه غدا فياتيهم بما هو اهون قال رضى الله عنه ولقد افتروا فقد كان
ينسخ الاشق بالاهون والاهون بالاشق والاهون بالاهون والاشق بالاشق لان الغرض المصلحة
لا الهوان والمشقة وفى قوله اية مكان اية دليل على ان القران ينسخ بمثله وليس فيه نفى نسخه بغيره
السنة المتواترة مثل القران عند اصحاب العلم ونسخ القران بها كنسخه بمثله واما الاجماع والقياس
والسنة غير المقطوع بها فلا يصح نسخ القران بها قل نزله اى نزل القران منزلا مفرقا على
حسب الحوادث لحدوثه واحد روح القدس هو جبريل عليه السلام اضيف الى القدس وهو الطهر
والمراد الروح المقدس اى المطهر من الماثم من ربك بالحق اى بالحكمة الصائبة يعنى ان النسخ من جملة
الحق ليثبت الذين امنوا اى ليختبرهم بالنسخ حتى اذا قالوا فيه هو الحق من ربنا والحكمة حكم لهم
بثبات القدم وصحة اليقين وطمانينة القلوب على ان الله حكيم فلا يفعل الا ما هو حكمة وصواب
وهدى وبشرى للمسلمين اى تثبيتا لهم وارشادا وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد هذه الخصال
لغيرهم لاعراضهم عنه والا فهو اعظم شعائره وابلغ نعمه على كل مكلف اقبل اليه ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه
القران بشر ارادوا بالبشر غلاما كان لحويطب بن عبد العزى قد اسلم وحسن اسلامه اسمه عايش
وقيل عبدان جبر ويسار كانا يصنعان السيوف بمكة ويقران التوراة والانجيل وكان النبى عليه السلام
يقف عليهما ويسمع ما يقران فقالوا انهما يعلمانه فقيل لاحدهما فقال بل هو يعلمنى وقيل
هو سلمان الفارسى لسان الذى يلحدون اليه اى لغة الرجل الذى يميلون القول اليه ويزعمون
انه يعلمه اعجمى لا يفصح ولا يتكلم بالعربية وهذا يعنى القران لسان عربى مبين اى ذو بيان
وفصاحة وهذا رد لقولهم وابطال لطعنهم ان الذين لا يؤمنون بايات الله اى يعلم الله منهم
انهم لا يؤمنون لا يهديهم الله اى لا يلطف بهم لانهم من اهل الخذلان فى الدنيا ولهم عذاب اليم

في الآخرة إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله هذا رد لقولهم إنما أنت مفتر يعني إنما
يليق افتراء الكذب بمن لا يؤمن لأنه لا يترقب عقابا عليه وأولئك يعني قريشا هم الكاذبون أي
هم الذين لا يؤمنون فهم الكاذبون المفترون من كفر بالله من بعد إيمانه هذا ابتداء الكلام وخبره
في قوله فعليهم غضب من الله ثم استثنى المكره على الكفر فقال إلا من أكره أي على التلفظ بكلمة الكفر
وقلبه مطمئن بالإيمان أي طيبة ساكن إليه مختار له ولكن من شرح بالكفر صدرا أي طابت به
نفسا وفتحه ووسعه لقبوله فعليهم غضب من الله على كفرهم بعد إيمانهم ومعنى غضب الله إرادته
العقاب للعصاة ولهم مع الغضب عذاب عظيم والسبب في هذه الآية أن ناسا من أهل مكة فتنوا
فارتدوا عن الإسلام بعد دخولهم فيه وكان فيهم من أكره فأجرى كلمة الكفر على لسانه وهو معتقد
للإيمان منهم عمار وأبواه ياسر وسمية وصهيب وبلال وخباب وسالم عذبوا فأما سمية فربطت بين
بعيرين ووجئ في قبلها بحربة وقالوا إنك أسلمت من أجل الرجال فقتلت وقتل ياسر وهما أول قتيلين في الإسلام
وأما عمار فأعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرها فقالوا يا رسول الله إن عمارا كفر فقال كلا إن عمارا
ملئ إيمانا من قرنه إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه فأتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال ما لك إن عادوا لك فعد لهم بما قلت قال رضي الله عنه
وفعل أبوي عمار أفضل من فعله لأن في ترك التقية والصبر على القتل إعزازا للإسلام وقد روي
أن مسيلمة الكذاب أخذ رجلين فقال لأحدهما ما تقول في محمد فقال رسول الله قال فما تقول في فقال
أنت أيضا فخلاه وقال للآخر ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في قال أنا أصم فأعاد عليه
ثلاثا فأعاد جوابه بالكذاب فقتله فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أما الأول فقد أخذ برخصة
الله وأما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئا له ذلك إشارة إلى الوعيد وأن الغضب والعذاب يلحقانهم
بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة أي بسبب استحبابهم الدنيا على الآخرة واختيارهم لها وأن الله
لا يهدي القوم الكافرين أي لا يرشدهم لأنهم بسبب استحقاقهم خذلان الله لكفرهم حتى صارت
قلوبهم كالمطبوع عليها فلا يدخل الإيمان فيها أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم يعني أنهم لا يتفكرون ولا يعقلون
ولا يسمعون الحق ولا يبصرونه سماع إنصاف وبصر تبصر فصارت حواسهم كالمطبوع عليها

الغافلون أي الكاملون في الغفلة الذين لا أحد أغفل منهم لأن الغفلة عن تدبر العواقب
هي غاية الغفلة ومنتهاها لا جرم أي حقا أنهم في الآخرة هم الخاسرون أي الكاملون في الخسران
لاستحبابهم الدنيا على الآخرة واستبدالهم الفانية بالباقية ثم إن ربك للذين هاجروا يعني
المستضعفين الذين كانوا بمكة من بعد ما فتنوا أي عذبوا وأوذوا حتى تلفظوا بما يرضيهم ثم
جاهدوا مع النبي صلى الله عليه وسلم وصبروا على الدين والجهاد إن ربك من بعدها أي من بعد تلك الفتنة
التي أصابتهم أو من بعد هذه الأفعال وهي الهجرة والجهاد والصبر لغفور رحيم يغفر لهم ما تلفظوا
به من الكفر تقية ويرحمهم يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها أي اذكر لهم يا محمد ذلك اليوم
وهو يوم القيامة كل أحد يهمه إلا نفسه فهو يخاصم عنها ويحتج لها حتى إن إبراهيم [illegible]
قال رضي الله عنه النفس الأولى هي الجملة والثانية عينها وذاتها فكأنه قيل يوم يأتي كل إنسان يجادل
عن ذاته لا يهمه شأن غيره كل يقول نفسي نفسي ومعنى المجادلة عنها الاعتذار عنها كقول
الأتباع هؤلاء أضلونا وقول المتبوعين نحن صددناكم عن الهدى ونحو ذلك وتوفى كل نفس ما
عملت أي توفر عليها جزاء ما عملت من خير وشر وهم لا يظلمون أي لا ينقصون شيئا من جزاء أعمالهم
نزل في أهل مكة وما امتحنوا به من القحط والجوع قوله وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة أي ذات
أمن لا يغار على أهلها مطمئنة قارة بأهلها لا يحتاجون إلى الانتقال عنها لخوف أو ضيق
ولا يمسها خوف يأتيها رزقها رغدا أي واسعا كثيرا من كل مكان أي تجلب الثمار من كل بلد كما قال
يجبى إليه ثمرات كل شيء فكفرت بأنعم الله حتى كذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذاقها الله لباس الجوع
فعاقبهم الله بالجوع سبع سنين والخوف من سرايا النبي صلى الله عليه وسلم التي كان يبعثهم إليها فيطوفون
بها وإنما ذكر اللباس لأنه يظهر عليهم من سوء الحال ما هو كاللباس والذوق يطلق على ما ينال الإنسان
من مكروه ومحبوب قيل لما ابتلاهم الله بالجوع وبعث عليهم النبي صلى الله عليه وسلم الغارات قالوا له هب أنك
عاديت الرجال فما بال الصبيان والنساء فأذن صلى الله عليه وسلم في حمل الميرة إليهم وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال
اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف فقحطهم الله بالسنين حتى
أكلوا العلهز والعظام المحرقة بما كانوا يصنعون من تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم وإخراجه من مكة

ولقد جاءهم يعني اهل مكة رسول منهم يعني من جنسهم يعرفونه باصله ونسبه فكذبوه فاخذهم
العذاب يعني الجوع والخوف وهم ظالمون لانفسهم بالكفر والتكذيب او في حال ظلمهم للرسول
حتى قابلوا نعمه بالكفر والاصرار ولما وعظهم بما ذكر من حال القرية وما اوتيت به من كفرها
وسوء صنيعها وصل ذلك بقوله فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا اراد امرهم باتباع
ما احل الله لهم ونهيهم عما حرم عليهم وعما كان عليه الجاهلية من التحليل والتحريم بغير دليل الا اتباع
اهوائهم والمعنى كلوا من رزق الله الذي رزقكم وقوله حلالا طيبا بدل من رزق الله
لانه لا يكون الا كذلك بخلاف ما لم يحل فانه حرام خبيث واشكروا نعمة الله اي انعامه عليكم
برزقه ان كنتم اياه تعبدون اي تطيعون او ان صح زعمكم انكم تعبدون الله بعبادة
الالهة لانها شفعاؤكم عنده ثم عدد عليهم محرمات الله فقال انما حرم عليكم الميتة وهي
التي تموت بغير ذكاة والدم لانهم كانوا يفصدون من الانعام ويشربون الدم ويأكلونه وهو
حرام ولحم الخنزير وشحمه وهو دون الشاة مثل ولد الاتان وما اهل اي ما رفع به الصوت
عند الذبح لغير الله به يعني تسميتهم عند الذبح باسم الهتهم فمن اضطر اي فمن الجاته ضرورة
جوع يخشى معها التلف فلا حرج عليه في الاكل من هذه المحرمات غير باغ اي غير طالب له
بغيا على مضطر مثله فيستاثر باخذه عليه ويترك هو اشاته ولا عاد اي ولا متعد قدر حاجته
مثل ان ياخذ مقدار سد فاقته وما يقيم به روحه وهذا مقتضى مذهب ابينا علمائنا رحمهم الله
الحاكم له ان يشبع ومثله في تفسير الثعلبي عن الشافعي قال اخذ قوليه قدر ما يمسك رمقه والاخر
يشبع فان الله غفور رحيم يغفر له ويرحمه ولا يؤاخذه بذلك ولا تقولوا لما تصف السنتكم
الكذب اراد بهذا نهيهم عن تحليلهم وتحريمهم باهوائهم من غير اتباع شرع بعثه الله على لسان
انبيائه والمعنى لا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم هذا حلال وهذا حرام يعني ما كانوا يحلونه
ويحرمونه من الحرث والانعام وقوله لما تصف السنتكم الكذب من فصيح الكلام وبليغه جعل قولهم
كانه عين الكذب ومحضه فاذا نطقت به السنتهم فقد حلت الكذب بحليته وصورته بصورته
كقولهم وجهها يصف الحسن وعينها تصف السحر لتفتروا على الله الكذب بمثله ذلك التعليل

والعزيم اليه ثم اوعد المفترين فقال ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون اي
لا يظفرون متاع قليل اي لهم في الدنيا متاع قليل ولهم عذاب اليم يعني عذاب عظيم في
الاخرة وعلى الذين هادوا يعني اليهود حرمنا ما قصصنا عليك من قبل يعني قوله في
سورة الانعام وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر وما ظلمناهم بتحريم ما حرمنا عليهم
ولكن كانوا انفسهم يظلمون بانواع المعاصي وارتكابها ثم ان ربك للذين عملوا السوء
بجهالة اي عملوا السوء جاهلين غير عارفين بالله وبعقابه او غير متدبرين للعاقبة لغلبة
الشهوة عليهم وقيل جهالة الشباب وغلبة الشهوة ثم تابوا من بعد ذلك اي ندموا على
فعلهم وامنوا وصدقوا واصلحوا الاعمال بعد التوبة وثبتوا عليها وقاموا لله بفرائضه وانتهوا
عن معاصيه ان ربك من بعدها اي من بعد التوبة او من بعد تلك الجهالة لغفور رحيم
يغفر الذنوب ويرحم من تاب عنها ان ابراهيم كان امة يعني كان وحده امة من الامم لكماله
في جميع صفات الخير وقيل كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار او يكون امة بمعنى مأموم يعني يؤمه
الناس لياخذوا منه الخير وعن ابن مسعود انه قال ان معاذا كان امة قانتا لله فقيل له غلطت
انما هو ابراهيم عليه السلام فقال الامة الذي يعلم الناس الخير والقانت المطيع لله ولرسوله وكان معاذ
كذلك قانتا لله اي مطيعا له حنيفا اي مائلا عن كل دين الى ملة الاسلام وعن عمر
رضي الله عنه انه قال حين قيل له الا تستخلف احدا فقال لو كان ابو عبيدة حيا لاستخلفته ولو كان معاذ حيا لا
ستخلفته ولو كان سالم حيا لاستخلفته فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول ابو عبيدة امين
هذه الامة ومعاذ امة لله قانت ليس بينه وبين الله يوم القيمة الا المرسلون وسالم شديد
الحب لله لو كان لا يخاف الله لم يعصه والمعنى ان ابراهيم عليه السلام كان اماما في الدين لان
الناس تعلموا الخير ولم يك من المشركين نفى عنه الشرك تكذيبا لكفار قريش في زعمهم انهم على
ملة ابيهم ابراهيم ولانه اختتن وقام بمناسك الحج شاكرا لانعمه اي لنعم الله روي انه
كان لا يتغدى الا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فاخر غداءه فاذا هو بفوج من الملائكة في صورة
البشر فدعاهم الى الطعام فخيلوا له ان بهم جذاما فقال الان وجبت مواكلتكم شكرا لله

مولى ابي حذيفة

على الله قانتا وابتلاكم اجتباه اى اختصه واصطفاه للنبوة وهداه الى صراط مستقيم اى الى
ملة الاسلام واتيناه في الدنيا حسنة قيل هي تنويه الله بذكره اى رفع ذكره وصيته حتى ليس من
اهل دين الا وهم يتولونه وقيل هي الاموال والاولاد وقيل قول المصلي منا كما صليت على ابرهيم
وانه في الاخرة لمن الصالحين اى لمن اهل الجنة ثم اوحينا اليك يا محمد ان اتبع ملة ابرهيم
حنيفا معنى ثم التراخي والبعد بين ما قبلها وما بعدها وهي هاهنا دالة على تعظيم منزلة
رسول الله صلى الله عليه وسلم واجلال محله وتوذنه بان اشرف ما اوتي خليل الله ابرهيم عليه السلام من الكرامة
واجل ما اولي من النعمة اتباع سيد البشر لملته من حيث انها دلت على تباعد هذا النعت في المرتبة من بين
سائر النعوت التي اثنى الله بها على خليله وما كان من المشركين يعني ابرهيم وانما جاز اتباع
الافضل للمفضول لان المفضول سبق الى القول بالحق والعمل به من غير تقصير انما جعل السبت تعالى
سبت اليهود اذا عظمت تسبتها او المعنى انما جعل وبال السبت وهو المسخ لهم على الذين اختلفوا
فيه وهم اليهود واختلافهم فيه انهم احلوا الصيد فيه تارة وحرموه تارة وكان الواجب عليهم ان
يتفقوا في تحريمه على كلمة واحدة بعدما فرض الله عليهم من تعظيمه وتحريم الصيد فيه فلا
رضي الله عنه والمعنى في ذكر هذا نحو المعنى في ضرب القرية التي كفرت بانعم الله مثلا وهو الانذار
العصاة المخالفين لامره والخالعين ربقة طاعته من مثل عقاب من خالف قبلهم وتعرض لسخط
الله وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون بمعنى الحكم بينهم انه يجازيهم جزاء اختلافهم
فعلهم في كونهم محلين تارة ومحرمين اخرى وقيل ان موسى عليه السلام امرهم ان يجعلوا في الاسبوع
يوما للعبادة وان يكون يوم الجمعة فابوا عليه وقالوا نريد اليوم الذي فرغ الله فيه من
خلق السموات والارض وهو السبت الا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة فهذا اختلافهم في السبت
فاذن الله لهم في السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فيه فاطاع امر الله الراضون بالجمعة فكانوا لا
يصيدون والباقون لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله دون اولئك وهو يحكم بينهم يوم القيامة
فيجازي كل واحد من الفريقين بما يستوجبه ومعنى جعل السبت اي فرض عليهم تعظيمه
وترك الاصطياد فيه ادع الى سبيل ربك اي الى الاسلام بالحكمة اي بالمقالة

الحكمة الصحيحة وهي الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة والموعظة الحسنة وهي التي يعرفون
بها تنصحهم ولا يخفى عليهم انك تقصد ما ينفعهم فيها ويجوز ان يريد القران اى ادعهم بالكتاب
الذي هو حكمة وموعظة حسنة وجادلهم بالتي هي احسن اي بالطريقة التي هي احسن طرق
المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله
وهو اعلم بالمهتدين اي هو اعلم بالفريقين فهو يامرك فيهما بما هو الصلاح فمن كان فيه
خير كفاه الوعظ القليل والنصيحة اليسيرة ومن لا خير فيه عجزت عنه الحيل وكانك تضرب
منه في حديد بارد وكان هذا قبل الامر بالقتال وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به
روي ان المشركين قتلوا المسلمين يوم احد بقروا بطونهم اي شقوها وقطعوا مذاكيرهم
ما تركوا احدا غير ممثول به الا حنظلة بن الراهب فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمزة
وقد مثل به وشق بطنه فقال اما والذي احلف به لئن اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين مكانك
فنزلت هذه الاية فكفر صلى الله عليه وسلم عن يمينه وكف عما اراده ومنه يوخذ ان الاضراب عن فعل
ما حلف على فعله يوجب الكفارة وان كون الحنث اصلح من البر لا يغني عن وجوب الكفارة
وهو صريح مذهب اصحابنا رحمهم الله ولا خلاف في تحريم المثلة وقد وردت الاخبار بالنهي عنها
حتى بالكلب العقور والمعنى ان صنع بكم صنيع سوء من قتل او نحوه فقابلوه بمثله ولا تزيدوا
عليه ولئن صبرتم عن المجازاة بالمثل لهو اي الصبر خير للصابرين ثم امره بالصبر
عزما فقال واصبر يا محمد وما صبرك الا بالله اي بتوفيقه وتثبيته وربطه على قلبك
ولا تحزن عليهم اي على الكافرين بان اعرضوا عنك او على المؤمنين وما فعل بهم المشركون ولا
تك في ضيق مما يمكرون اي لا يضيقن صدرك من مكرهم والضيق تخفيف الضيق اي في امر ضيق
ان الله مع الذين اتقوا اي هو ولي الذين اتقوا اجتنبوا المعاصي والذين هم محسنون
اي هو ولي الذين هم محسنون في اعمالهم وعن هرم بن حيان انه حين حضرته الوفاة قيل له اوص
فقال انما الوصية من المال ولا مال لي ولكني اوصيكم بخواتيم سورة النحل قيل هي قوله ان ابرهيم
كان امة قانتا الى اخرها

سورة بني اسرائيل مكية

البيت
واذا تشاغرت القلوب على الهوى
فالخلف تضرب في حديد بارد

المثلة قطع عضو او تسويد وجه

عزم عليه اي امره وقطع عليه بالعزم

لا تكن

وهي مائة وعشر آيات

بسم الله الرحمن الرحيم **سبحان** اسم علم للتسبيح

ويقدر اسبح الله سبحان اي تسبيحا ثم نزل سبحان منزلة التسبيح فسد مسده فلا يذكر

معه اسبح ومعنى سبحان الله تنزيه فهو دال على تنزيه الله التنزيه البليغ من جميع القبائح

الذي تضيفها اليه أعداؤه **الذي اسرى بعبده ليلا** اسرى وسرى لغتان بمعنى واحد

قال رضي الله عنه وفائدة قوله ليلا والاسرى لا يكون الا بالليل تقليل مدة الاسرى وانه

اسرى به في بعض من الليل من مكة الى الشام مسيرة اربعين ليلة لان التنكير قد دل على معنى البعضية

من المسجد الحرام وهو مكة **الى المسجد الاقصى** وهو بيت المقدس وسمي الاقصى لبعد المسافة

بينه وبين المسجد الحرام ولانه لم يكن وراءه مسجد وقد اختلف في المكان الذي اسرى منه فقيل

هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال بينا انا في المسجد الحرام

في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ اتاني جبرئيل بالبراق وقيل اسري به من دار ام هانئ

بنت ابي طالب والمراد بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد وقيل الحرم كله مسجد وروي انه

كان نائما في بيت ام هانئ بعد صلاة العشاء فاسري به ورجع من ليلته وقص القصة على ام هانئ وقال

مثل لي النبيون فصليت بهم وقام ليخرج الى المسجد فتشبثت ام هانئ بثوبه فقال ما لك قالت

اخشى ان يكذبك قومك ان اخبرتهم قال وان كذبوني فخرج فجلس اليه ابو جهل فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم

بحديث الاسرى فقال ابو جهل يا معشر بني كعب بن لؤي هلم فحدثهم فمن بين مصفق وواضع

يده على رأسه تعجبا وانكارا وارتد ناس ممن كان آمن به وسعى رجال الى ابي بكر فقال ان كان قال

ذلك لقد صدق قالوا اتصدقه على ذلك قال اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق

وقصة الاسرى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اتاني جبرئيل بمكة فقال قم

فخرجت الى الباب فاذا هو وميكائيل ومعهما البراق وهو دابة فوق الحمار ودون البغل خده

كخد الانسان وذنبه كذنب البعير وعرفه كعرف الفرس وقوائمه كقوائم الابل عليه رحل

وله جناحان في فخذيه خطوه منتهى طرفه فقال لي جبرئيل اركب فركبت ووصف ما اتى

فلما انتهيت الى بيت المقدس اذا ملائكة نزلت بالبشارة والكرامة من رب العالمين العزة

وصليت في بيت المقدس بالانبياء ثم اخذ جبرئيل بيدي فصعد بي الصخرة واذا معراج لم ار مثله حسنا وجمالا

فصعدت الى سماء الدنيا فرأيت عجائبها وملكوتها وملائكتها يسلمون علي وفيها آدم صلى الله عليه وسلم ثم الثانية وفيها

عيسى ويحيى ثم الثالثة وفيها يوسف ثم الرابعة وفيها ادريس ثم الخامسة وفيها هارون ثم السادسة وفيها

موسى ثم السابعة وفيها ابراهيم قال ثم جاوزنا هاهنا فصعدنا الى اعلى عليين ووصف ما هنالك

وكلمته ورأيت الجنة والنار وما فيهما والعرش وسدرة المنتهى ثم رجعت الى مكة فلما

اصبحت حدثت الناس فكذبني ابو جهل والمشركون وقال مطعم بن عدي اتزعم انك سرت مسيرة شهرين

في بعض ليلة ثم قالوا اخبرنا عن عير لنا قال مررت بعير بني فلان وقد اضلوا بعيرا لهم وهم في طلبه

وفي رحالهم قدح ماء فشربت منه فسألوهم فقالوا نعم فقالوا هذه آية واخرى قال ومررت بعير بني

فلان وفلان فكسرت فسألوهم فقالوا هذه اخرى فقالوا فاخبرنا عن عيرنا قال مررت بها

بالتنعيم وبين لهم اجمالها وهيئتها وقال يقدمها جمل اورق عليه غرارتان مخيطتان تطلع

عليكم عند طلوع الشمس فقالوا هذه آية اخرى فخرجوا يشتدون نحو العقبة وهم يقولون لقد

قص محمد شيئا وبينه وجلسوا ينتظرون متى تطلع الشمس فيكذبوه فقال قائل منهم هذه والله الشمس

قد طلعت فقال آخر وهذه والله العير قد اقبلت يقدمها جمل اورق كما قال محمد ثم لم يؤمنوا

وقالوا ما هذا الا سحر مبين وكان الاسرى من مكة الى بيت المقدس وكان العروج به الى السماء

من بيت المقدس ورجع من السماء الى مكة وكان ذلك قبل الهجرة بسنة وعن انس والحسن انه كان قبل البعث

واختلف في انه كان في اليقظة ام في النوم فقالت عائشة ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن

عرج بروحه وعن معاوية مثله وعن الحسن كان في المنام رؤيا رآها واكثر الاقاويل بخلاف ذلك

الى المسجد الاقصى **الذي باركنا حوله** اي جعلنا البركة في جوانبه وهي كثرة الخير

المنافع او بركات الدين والدنيا لانه متعبد الانبياء من وقت موسى عليه السلام ومهبط الوحي وهو محفوف

بالانهار الجارية والاشجار المثمرة **لنريه من آياتنا** اي عجائب ... وهي ما رأى في تلك الليلة

من العجائب الدالة على قدرة الله تعالى وقرأ الحسن ليريه بالياء قال رضي الله عنه ولقد تصرف الكلام

على لفظ الغائب والمتكلم فقيل أسرى ثم باركنا ثم لنريه على قراءة الحسن ثم من آياتنا ثم إنه هو السميع وهي طريقة
الالتفات التي هي من طرق البلاغة إنه هو السميع لأقوال محمد البصير بأفعاله العالم بتهذيبها
وخلوصها فيكرمه ويقربه على حسب ذلك ثم ذكر أنه أكرم موسى قبله بالكتاب فقال وآتينا موسى
الكتاب يعني التوراة وجعلناه هدى لبني إسرائيل أي دللناه وبيانا دللناهم به على الهدى ألا تتخذوا
أي فقلنا لا تتخذوا وأن زائدة والمعنى لا تتوكلوا على غيري ولا تتخذوا من دوني وكيلا أي ربا
تكلون إليه أموركم ذرية أي قلنا لهم لا تتخذوا من دوني وكيلا يا ذرية من حملنا مع نوح يعني
بني إسرائيل وكان من ذريتهم من كان في السفينة لأن الناس كلهم من أولاد نوح بعد الطوفان وفي هذا
تذكير بالنعمة إذ أنجى آباءهم من الغرق ثم أثنى على نوح فقال إنه كان عبدا شكورا قيل كان إذا
أكل قال الحمد لله الذي أطعمني ولو شاء أجاعني وإذا لبس قال الحمد لله الذي كساني ولو شاء
أعرى أي وإذا احتذى قال الحمد لله الذي حذاني ولو شاء أحفاني وإذا قضى حاجته قال الحمد لله الذي
أخرج عني أذاه في عافية ولو شاء حبسه وروي أنه كان إذا أراد الإفطار عرض طعامه على من آمن به فإن
وجده محتاجا آثره به قال رضي الله عنه وجه اتصال هذا بما قبله أن البعد ترغيب لا تتخذوا من دوني
وكيلا ولا تشركوا أي لأن نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا وأنتم ذرية من آمن به وحمل معه فاقتدوا به
استوثقكم كما اقتدى به آباؤكم وجعلوا استوثقهم وقضينا إلى بني إسرائيل أي أوحينا إليهم وأعلمناهم في التوراة
لتفسدن في الأرض مرتين أي أوحينا إليهم وحيا مقطوعا مبتوتا بأنهم يفسدون في الأرض لا محالة
بكثرة المعاصي وخلاف أحكام التوراة ولتعلن علوا كبيرا أي يتعظمون ويعلون فإذا جاء وعد
أولاهما يعني أولى مرتي الفساد وكانت أولاهما قتل زكريا عليه السلام وحبس أرميا حين أنذرهم سخط
الله والآخرة قتل يحيى بن زكريا وقصد قتل عيسى عليهم بعثنا عليكم يعني أرسلنا عليكم وسلطنا
لنا يعني جالوت وقومه وقيل سنحاريب وجنوده وقيل بختنصر وقتلوا أعلامهم وأحرقوا التوراة
وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين ألفا أولي بأس شديد أي ذوي قوة شديدة وقتال وشجاعة
قال رضي الله عنه ومعنى بعث الله الكفرة وتسلطهم عليهم أنه خلى بينهم وبين ما فعلوا ولم يمنعهم
منهم عقوبة لهم على إفسادهم ولذلك أسند بعث الكفرة عليهم إلى نفسه فهو كقوله وكذلك نولي بعض

سقاني ولو شاء أظماني وإذا لبس ثوبا قال الحمد لله الذي
في الكتاب
أرميا بكسر الهمزة مقصورا وهو [illegible]
وإنما أسنده إلى نفسه لطلبهم [illegible]

سبحان
فجاسوا خلال الديار أي ترددوا وطافوا وسط منازلهم ليطلبوا علماءهم نقصا مما كانوا يختبئون
يقتلون فيها والجوس التردد والطلب باستقصاء وخربوا المسجد وأحرقوا التوراة وكان يعني
قتلهم بهذه الوقائع وعدا مفعولا أي قضاء قضاه الله عليهم لا بد أن يفعل ثم رددنا لكم الكرة
أي نصرناكم ورددنا لكم الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم حين تبتم ورجعتم عن الفساد
والعلو قيل هي قتل بختنصر واستنقاذ بني إسرائيل أسراهم وأموالهم ورجوع الملك إليهم وقيل هي قتل
داود جالوت وأمددناكم بأموال وبنين حتى عاد أمركم كما كان وجعلناكم أكثر نفيرا
أي أكثر عددا من عدوكم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه إن أحسنتم أي وقلنا إن أحسنتم
أحسنتم لأنفسكم أي إن أطعتم الله فمنافعها عائدة عليكم المثوبة المترتبة وإن أسأتم بالفساد
وقتل الأنبياء وقتلهم فلها أي فعليها والمعنى أن الإحسان والإساءة كلاهما مختص بأنفسكم
لا يتعدى النفع والضرر إلى غيركم وعن علي عليه السلام ما أحسنت إلى أحد ولا أسأت إليه وقرأ الآية يعني
أن ذلك كله مختص بي عائد إلي فإذا جاء وعد الآخرة أي المرة الآخرة من إفسادكم وجواب إذا محذوف
بعثناهم ليسوءوا وجوهكم فحذف لدلالة ذكره أولا عليه ومعنى ليسوءوا وجوهكم ليجعلوا آثار
الحزن ظاهرا في وجوهكم بسبي ذراريكم وإخراب مساجدكم وإحراق كتبكم أو معناه ليجعلوا وجوهكم
فيها آثار المساءة والكآبة كقوله تعالى سيئت وجوه الذين كفروا وليدخلوا المسجد يعني بيت
المقدس كما دخلوه أول مرة وخربوه قيل هم الفرس والروم ولما قتلوا يحيى بن زكريا بأمره على
قتل بختنصر سبعين ألفا أو أكثر وسبعين ثم سكن وقيل لما قتلوا يحيى أتاهم ملك الروم فقتل
منهم ألف ألف وثمانين ألفا وخرب بيت المقدس وكانت المرة الآخرة أشد من الأولى لأن بختنصر أحرق كتبهم
وأخرب مساجدهم وقتل رجالهم وسبى ذراريهم وغنم أموالهم وقيل هو الذي خرب بيت المقدس ثم بناه
الله عنه وليتبروا أي ليهلكوا أو ليدمروا ويخربوا ما علوا أي ما غلبوه واستولوا عليه تتبيرا
إهلاكا عسى ربكم أن يرحمكم بعد المرة الثانية إن تبتم توبة أخرى وانزجرتم عن المعاصي وهذا
مما أخبر به في كتابهم أن يرحمكم يعفو عنكم بعد انتقامه منكم يا بني إسرائيل وإن عدتم مرة
ثالثة بالفساد عدنا إلى العقوبة لكم قال رضي الله عنه وقد عادوا فأعاد الله عليهم النقمة بتسليط

الا كاسرين وضرب الاذقان عليهم وعن الحسن عادوا فبعث الله عليهم محمدا صلى الله عليه وسلم فهم يعطون الجزية
عن يد وهم صاغرون فهم منه في عذاب الى يوم القيمة وهذا في الدنيا واما في الآخرة فقد جعلنا جهنم
للكافرين حصيرا اي محبسا وحبسا يقال للسجن محصر وحصير وعن الحسن بساطا كما يبسط
الحصير المنسوج ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم اي يرشد الى الحالة التي هي اقوم الحالات
واعدلها وهي توحيد الله والايمان برسله او للملة التي هي اقوم الملل او للطريقة التي هي احسن
قال رضي الله عنه وايما قدرت لم تجد مع الاثبات ذوق البلاغة الذي تجده مع الحذف لما
في ابهام الموصوف وحذفه من فخامة تفقد مع ايضاحه ويبشر المومنين الذين يعملون الصالحات
ان لهم اجرا كبيرا وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا اليما معناه ان القرآن
بشر المومنين ببشارتين بان لهم اجرا كبيرا اي ثوابا جزيلا وبعقاب اعدائهم وانهم يعذبون في
الآخرة عذابا شديد الالم قال رضي الله عنه ذكر المومنين الابرار والكفار ولم يذكر الفسقة لان
الناس كانوا حينئذ اما مومن تقي واما مشرك وانما حدث اصحاب المنزلة بين المنزلتين بعد ذلك ويدعو
الانسان بالشر دعاءه بالخير اي يدعو الله عند غضبه بالشر على نفسه واهله وماله
كما يدعو لهم بالخير وكان الانسان عجولا اي شديد العجلة يتسرع الى طلب كل ما يقع في قلبه
ويخطر بباله لا يتأنى فيه تأني المتبصر وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه دفع الى سودة بنت زمعة اسيرا فاقبل
يئن بالليل فقالت له ما لك فشكا الم القد فارخت من كتافه فلما نامت اخرج يده وهرب فلما اصبح النبي صلى الله عليه وسلم
دعا به فاعلم شانه فقال عليه السلام اللهم اقطع يديها فرفعت سودة يديها تتوقع الاجابة وان يقطع
يديها فقال صلى الله عليه وسلم اني سالت الله ان يجعل لعنتي ودعائي على من لا يستحق من اهلي رحمة لاني بشر
اغضب كما يغضب البشر فلترد سودة يديها وجعلنا الليل والنهار آيتين اي علامتين يدلان
على قادر خالقهما فمحونا آية الليل اي طمسنا نورها وجعلناها لا تضيء كالنهار بما جعلنا فيها
من السواد وجعلنا آية النهار مبصرة يبصر فيها قال رضي الله عنه وفي هذه الآية وجهان
احدهما ان يراد ان الليل والنهار آيتان في انفسهما وقوله آية الليل وآية النهار اضافة للتبيين
فمحونا الآية التي هي الليل وجعلنا الآية التي هي النهار مبصرة والمعنى جعلنا الليل ممحو الضوء مطموسه مظلما

لا يستبان فيه شيء كما لا يستبان ما في اللوح الممحو وجعلنا النهار مبصرا اي تبصر فيه الاشياء
وتستبان والثاني ان يراد وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين يريد الشمس والقمر فمحونا آية الليل التي هي
القمر حيث لم يخلق له شعاعا كشعاع الشمس فترى به الاشياء رؤية بينة وجعلنا آية النهار
التي هي الشمس مبصرة اي ذات شعاع تبصر في ضوئها كل شيء لتبتغوا فضلا من ربكم اي لتتوصلوا ببياض النهار
الى استبانة اعمالكم والتصرف في معايشكم ولتعلموا باختلاف الجديدين عدد السنين والحساب
ولولا ذلك لما علم احد حسبان الاوقات ولتعطلت الامور ولما غم في الليل من النهار وكل شيء
تفتقرون اليه في دينكم ودنياكم فصلناه تفصيلا اي بيناه تبيينا لا يلتبس معه
احتجاجا عليكم وما تركنا لكم حجة علينا وكل انسان الزمناه طائره في عنقه
اي الزمناه ما طار من عمله وكتبنا عليه ما يعمل من خير وشر والمعنى ان عمله لازم له لزوم القلادة
والغل لا يفك عنه وعن الحسن يا ابن آدم بسطت لك صحيفة اذا بعثت قلدتها في عنقك
ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا اي ينشر له ليقرا ما فيه من اعماله لا يغادر منها
اقرا كتابك اي يقال له اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا اي كفى نفسك
محاسبة لك تحاسبها وعن قتادة يقرا ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قارئا قال رضي الله عنه وذكر
حسيبا والنفس مونثة لانه بمنزلة الشهيد والقاضي والامير لان الغالب ان هذه الامور يتولاها
الرجال فكانه قيل كفى بنفسك رجلا حسيبا او يتاول النفس بالشخص وكان الحسن رحمه الله اذا قرا
قال يا ابن آدم انصفك والله من جعلك حسيب نفسك من اهتدى فانما يهتدي لنفسه
لان اهتداءه يعود عليه ومن ضل فانما يضل عليها اي على نفسه عقوبة ضلاله والمعنى
ان من اهتدى بطاعة الله فلا يعود منفعة الهدى الا اليه ومن ضل بطاعة الشيطان فلا يعود ضرر ضلاله
الا على نفسه ولا تزر وازرة وزر اخرى لا تحمل من الذنوب اي كل نفس حاملة وزرا
فانما تحمل وزرها لا وزر نفس اخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا اي وما صح منا صحة
تدعو اليها الحكمة ان نعذب قوما الا بعد ان نبعث اليهم رسولا فتلزمهم الحجة قال رضي الله
فان قلت الحجة لازمة لهم قبل بعثة الرسل لان معهم ادلة العقل التي بها يعرف الله لكن بعثة الرسل

من جملة التنبيه على النظر والايقاظ من رقدة الغفلة لئلا يقولوا انا كنا غافلين فلولا بعث الينا رسولا
ينبهنا على النظر في ادلة العقل وقد عقلوا النظر وهم متمكنون منه واستيجابهم العذاب لاغفالهم
النظر فيما معهم وكفرهم لذلك لا لاغفالهم الشرائع التي لا سبيل اليها الا بالتوقيف والعمل بها لا يصح
الا بعد الايمان **وإذا أردنا أن نهلك قرية** اي اذا اقترب هلاك اهل قرية ولم يبق من زمان امهالهم
الا قليل **امرنا مترفيها** وهم المتنعمون الذين قد ابطرتهم النعمة والرخاء وهم الجبارون المتسلطون
والملوك وخصهم بالامر لان غيرهم تبع لهم **ففسقوا فيها** اي امرناهم بالفسق ففسقوا او
رضي الله عنه والامر هاهنا مجاز لان حقيقة امرهم بالفسق ان يقول لهم افسقوا وهذا لا يكون
فبقي ان يكون مجازا والمعنى انه صب عليهم النعمة صبا فجعلوها ذريعة الى المعاصي واتباع
الشهوات فكأنهم مامورون بذلك لان الله مكنهم من السبب وهو النعم التي توصلوا بها الى الفسق
وانما اعطاهم اياها ليشكروا ويعملوا فيها الخير ويتمكنوا من الاحسان والبر كما خلقهم اصحاء
اقوياء واقدرهم على الخير والشر وطلب منهم ايثار الطاعة على المعصية فآثروا الفسوق على ما
اراد منهم من الشكر والبر والاحسان **فحق عليها القول** يعني فلما فسقوا حق عليهم القول اي
وجبت عليهم كلمة العذاب وهي قوله للعذاب كن **فدمرناها تدميرا** اي اهلكناها هلاك
استيصال بسبب ايثارهم للفسق على الشكر الذي اردناه منهم قال رضي الله عنه وقد قيل ان المعنى
امرناهم بالطاعة ففسقوا وهذا وان حسن من طريق المعنى فهو حذف ولا دليل عليه في النظم وحذف
ما لا دليل عليه غير جائز بخلاف الاول فانما حذف لان فسقوا يدل عليه وهو كلام مستفيض في كلامهم
يقال امرته فقام وامرته فقرأ لا يفهم منه الا ان المامور به قيام او قراءة ولو ذهبت تقدر غير ذلك
المخاطب علم الغيب ولا يلزم على هذا ان المراد امرناهم بالخير ففسقوا لثبوت العلم بان الله لا يامر
بالفحشاء وانما يامر بالطاعة لان قوله ففسقوا يدافع امرناهم بالطاعة من حيث انك اطلقت شيئا
وانت تدعي اضمار خلافه فثبت ان صرف الامر الى المجاز هو الوجه الصحيح كما ذكره رضي الله عنه
ما قالت حذام **وكم اهلكنا من القرون من بعد نوح** كم حقيقتها التكثير والمعنى تكثير المهلكين
بالذنوب والقرون الامم يعني عادا وثمود وقرونا بين ذلك كثيرا وبينهم بقوله **وكفى بربك**

بذنوب عباده خبيرا بصيرا على ان الذنوب هي اسباب الهلكة لا غير والله عالم بها كما يعلم
التي يستحق بها يعاقب عليها **من كان يريد العاجلة** اي من كان يريد بعمله وطاعته واسلامه
الدنيا ولم يكن همه غيرها كالكفرة واكثر الفسقة **عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد** اي
عجلنا عليه من منافعها ما نشاء لمن نريد فقيد الامر بتقييدين احدهما تقييد المعجل بالمشيئة
والثاني تقييد المعجل له بارادته قال رضي الله عنه وهكذا الحال ترى كثيرا من هؤلاء
يتمنون ما يتمنون ولا يعطون الا بعضا منه وكثيرا منهم يتمنون ذلك البعض وقد حرموه فاجتمع
عليهم فقر الدنيا وفقر الاخرة فاما المؤمن التقي فقد اختار مراده وهو غنى الاخرة فما يبالي اعطي
حظا من الدنيا ام لم يؤت فان اوتي فيها والا فربما كان الفقر خيرا له واعون على مراده قيل هو
ومن يريد الدنيا بعمل الاخرة كالمنافق والمرائي والمهاجر للدنيا والمجاهد للغنيمة والذكر فيحصل لهم
ما يقدر لهم من الدنيا **ثم جعلنا له جهنم** اي لمن يريد العاجلة **يصلاها** اي يدخل نارها **مذموما**
ملوما لاختياره الفاني على الباقي **مدحورا** اي مطرودا من رحمة الله لانه لم يرد الله بعمله **ومن**
اراد الاخرة اي ومن كانت الجنة همه ويعظم مراده **وسعى لها سعيها** اي اجتهد لها وفاء
بما اعد لها من الاعمال الصالحة والقيام بفرائض الله **وهو مومن** لان الله لا يقبل حسنة
من غير مومن **فاولئك كان سعيهم مشكورا** اي عملهم وشكر الله مجاز وهو الثواب على الطاعة قال
رضي الله عنه اشترط في كون السعي مشكورا ثلاث شرائط ارادة الاخرة بان يعقد بها همه ويتجافى عن
دار الغرور والسعي فيما كلف من الفعل والترك والايمان الصحيح الثابت وعن بعضهم من لم
يكن معه ثلاث لم ينفعه عمله ايمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلا هذه الاية **كلا**
نمد كل واحد من الفريقين المختارين للعاجلة والاجلة **نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك**
نزيدهم من عطائنا ونجعل الانف منه مددا للسالف اي نجعل المستقبل من الرزق زيادة
للمضي لا نقطعه فنرزق المطيع والعاصي جميعا على وجه التفضل **وما كان عطاء ربك**
محظورا اي ممنوعا لا يمنعه من عاص لعصيانه يعني في الدنيا كفار بها عليه ولانها
مشوب بين البر والفاجر **انظر** يا محمد بعين الاعتبار **كيف فضلنا بعضهم على بعض**

اى كيف جعلناهم متفاوتين في الرزق فمن مقل ومكثر وفي غني من درجات الشرف وللآخرة اكبر درجات
واكبر تفضيلا اى وفي الاخرة التفاوت اكثر من الدنيا لانها ثواب واعواض وتفضل وكلها
متفاوتة وروي ان جماعة من رؤساء قريش اجتمعوا باب عمر رضي الله عنه فخرج الاذن لبلال
وصهيب فشق ذلك على ابي سفيان فقال سهيل بن عمرو انما اتينا من قبلنا انهم دعوا ودعينا
يعني الى الاسلام فاسرعوا وابطأنا وهذا باب عمر فكيف التفاوت في الاخرة ولئن حسدتموهم على باب
عمر لما اعد الله لهم في الجنة اكثر وعن بعضهم ايها المباهي بالرفع منك في مجالس الدنيا اما
في المباهاة بالرفع في مجالس الاخرة وهي اكبر وافضل لا تجعل مع الله الها آخر اى
شريكا فتقعد مذموما مخذولا يعني فتصير جامعا على نفسك الذم وما يتبعه من الهلاك
من الهلاك والخذلان والعجز عن النصرة ممن جعلته شريكا له وقضى ربك اى امر امرا مقطوعا
به الا تعبدوا اى بان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اى وبان تحسنوا الى الوالدين
احسانا او معناه واحسنوا بالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر اما هي ان الشرطية
زيدت عليها ما تاكيدا لها والمعنى ان يبلغ احدهما عندك الكبر اى المشيخ وكبر السن
وقلة الطاقة ثم بين انه لا فرق في التوصية في حقهما بين ان يكون عنده احدهما عمره مقدم او مجموعهما
فقال احدهما او كلاهما يعني او مجموعهما فلا تقل لهما اف وهو صوت يدل على تضجر
واستثقال قال رضي الله عنه ومعنى عندك هو ان يكبرا ويعجز احدهما او انهما كبرا او عجزا
حتى صارا مؤنة على ولدهما كلا فلهما غيره فهما عنده في بيته وتحت كنفه وذلك اشق
عليه واشد احتمالا وصبرا وربما تولى منهما ما كانا يتوليانه منه في حال الطفولة فهو مامور
بان يستعمل معهما وطأ الخلق ولين الجانب والاحتمال لما يؤذيه منهما حتى لا يقول لهما اذا
اضجره ما يستقذر منهما او يستثقل من مؤنتهما اف فضلا عما يزيد عليه قال رضي الله عنه ولقد بالغ
في التوصية بهما حيث افتتحها وقرن القضاء بتوحيده بالاحسان اليهما ثم ضيق الامر في حقهما
وتعظيمهما حتى لم يرخص في ادنى كلمة تنفلت من المتضجر مع موجبات الضجر ومقتضياته ومع احوال
لا يكاد الانسان يستطيع الصبر معها ولا تنهرهما اى ولا تزجرهما عما تعاطيانه مما لا يعجبك

او تجبههما بكلام لا يرضيانه والنهي والنهر والنهم بمعنى واحد وقل لهما بدل التأفيف والنهر
قولا كريما اى جميلا محمودا كما يقتضيه حسن الادب والنزول على المروءة وقيل هو ان يقول
يا ابتاه يا اماه كما قال ابراهيم عليه السلام لابيه يا ابت مع كفره ولا يدعوهما باسمائهما فانه من الجفاء وسوء الادب
وعادة الفسقة واهل العقوق قالوا ولا باس به في غير وجههما كما قالت عائشة نحلني ابو بكر كذا
كذا واخفض لهما جناح الذل اى اخفض لهما جناحك واضافه الى الذل على معنى
واخفض لهما جناحك الذليل او جعل لذله لهما جناحا خفيضا اى متخفضا عن
مرتفع مبالغة في التذلل والتواضع لهما من الرحمة اى من فرط رحمتك لهما وعطفك عليهما لكبرهما
وافتقارهما اليوم الى من كان افقر خلق الله اليهما بالامس ولا تكتف برحمتك عليهما فانها لا بقاء لها
وقل رب ارحمهما اى وادع الله ان يرحمهما رحمته الباقية واجعل ذلك جزاء لرحمتهما
عليك في صغرك وتربيتهما لك قال رضي الله عنه والاسترحام لهما يصح اذا كانا مسلمين واما
اذا كانا كافرين فله ان يسترحم لهما بشرط الايمان وان يدعو لهما بالهداية والارشاد ومن الناس
من قال كان الدعاء للكفار جائزا ثم نسخ ثم سئل ابن عيينة عن الصدقة عن الميت فقال كل
ذلك واصل اليه ولا شيء انفع له من الاستغفار ولو كان شيء افضل منه لامركم به في الابوين
ومذهب ائمتنا عليهم السلام ان الصدقة عن الميت وانواع البر لا تصل اليه الا ان يوصي بذلك
لقوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى واستثنى بعض ائمتنا فعل الولد عن والديه وقال الله
من سعيهما وفي الاخبار ما يؤيد مذهبهم عليهم ولا يخرج الاية عن حسن احتجاجه كما ربياني صغيرا
كما رحمتهما مثل رحمتهما اياي في صغري حتى ربياني قال رضي الله عنه ولقد كرر الله سبحانه
في كتابه الوصية بالوالدين وعن النبي صلى الله عليه وسلم رضا الله في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما
وروي يفعل البار ما شاء ان يفعل فلن يدخل النار ويفعل العاق ما شاء ان يفعل فلن
يدخل الجنة وروى سعيد بن المسيب ان البار لا يموت ميتة سوء وقال رجل لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ان ابوي بلغا من الكبر اني الي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما قال لا فانهما
كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك وانت تريد موتهما وشكى رجل الى رسول الله

اباه وانه ياخذ ماله فدعا به فاذا شيخ يتوكا على عصا فساله فقال يا رسول الله انه كان ضعيفا وانا
قوى وفقيرا وانا غنى فكنت لا امنعه شيئا من مالى واليوم انا ضعيف وهو قوى وانا فقير وهو غنى و
يبخل على بماله فبكى عليه السلام وقال ما من حجر ولا مدر يسمع هذا الا بكى ثم قال للولد انت ومالك لابيك
انت ومالك لابيك وشكا اليه آخر سوء خلق امه فقال لم تكن سيئة الخلق حين حملتك تسعة اشهر
قال انها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين ارضعتك حولين قال انها سيئة الخلق قال لم تكن
كذلك حين اسهرت لك ليلها واظمات نهارها قال لقد جازيتها قال ما فعلت قال حججت بها على
عاتقى قال ما جزيتها ولو طلقة وعن ابن عمر انه راى رجلا فى الطواف يحمل امه ويقول انى لها مطيتها لا
تذعر اذا الركاب نفرت لم تنفر ما حملتنى وارضعتنى اكثر الله ربى ذو الجلال الاكبر تظن انى جزيتها
يا ابن عمر قال لا ولو زفرة واحدة وعنه عليه السلام اياكم وعقوق الوالدين فان الجنة يوجد ريحها
من مسيرة الف عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جار ازاره خيلاء ان
الكبرياء لله رب العالمين وقال الفقهاء لا يذهب بابيه الى البيعة واذا بعث اليه منها ليحمله
فعل ولا يناوله الخمر وياخذ الاناء منه اذا شربها وعن ابى يوسف اذا امره ان يوقد تحت قدره وفيها
لحم خنزير اوقد وعن حذيفة انه استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قتل ابيه وهو فى صف المشركين فقال
دعه يليه غيرك وسئل الفضيل بن عياض عن بر الوالدين فقال ان لا تقوم الى خدمتهما عن كسل
وسئل بعضهم فقال ان لا ترفع صوتك عليهما ولا تنظر شزرا اليهما ولا يريا منك مخالفة فى ظاهر ولا
باطن وان تترحم عليهما ما عاشا وتدعو لهما اذا ماتا وتقوم بخدمة اودائهما من بعدهما فعن
النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان من ابر البر ان يصل الرجل اهل ود ابيه وفى صحيح البخارى عن النبى صلى الله عليه وسلم
انه قال من اصبح مرضيا لوالديه اصبح وله بابان مفتوحان الى الجنة وان كان واحدا فواحد ومن
امسى مرضيا لوالديه امسى وله بابان مفتوحان الى الجنة وان كان واحدا فواحد ومن اصبح مسخطا
لوالديه اصبح وله بابان مفتوحان الى النار وان كان واحدا فواحد ومن امسى مسخطا لوالديه امسى
وله بابان مفتوحان الى النار وان كان واحدا فواحد وان ظلماه وان ظلماه وان ظلماه
وقد سئل اى الاعمال افضل فقال الصلاة لميقاتها قيل ثم اى قال بر الوالدين وساله صلى الله عليه وسلم رجل فقال هل

زفرة واحدة من الطلق وهو وجع الولادة

بقى من بر ابوى شئ ابرهما به بعد موتهما قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما من بعدهما
واكرام صديقهما وصلة الرحم التى لا توصل الا بهما ربكم اعلم بما فى نفوسكم اى بما فى ضمائركم من قصد
البر الى الوالدين واعتقاد ما يجب لهما من التوقير او بما تضمرون من العقوق ان تكونوا صالحين
قاصدين الصلاح والبر ثم فرطت منكم فى حال الغضب وعند حرج الصدر وما لا يخلو منه
البشر او لحمية الاسلام فرطة تؤدى الى اذاهما ثم انبتم الى الله تعالى واستغفرتم منها فانه كان
للاوابين غفورا يغفر لهم ما فرط منهم وعن سعيد بن جبير هى فى البادرة تكون من الرجل الى ابيه
لا يريد بذلك الا الخير فاذا رجع عن ذلك غفر الله له وعن ابن المسيب الاواب الرجل كلما اذنب
بادر بالتوبة ويجوز ان يكون هذا عاما لكل من فرطت منه جناية ثم تاب منها ويدخل فيه الجانى
على الابوين التائب من جنايته لوروده على اثره وآت ذا القربى حقه هذه توصية بغير الوالدين من
الاقارب بعد التوصية بهما اى اعط صاحب القرابة حقه وحقهم اذا كانوا محارم كالابوين والولد
وفقراء عاجزين عن التكسب وكان الرجل موسرا ان ينفق عليهم عند ح وش والشافعى لا يرى النفقة الا
على الوالدين والولد فحسب وان كانوا اغنياء ولم يكونوا محارم كابناء العم فحقهم صلتهم بالمودة والزيارة
وحسن المعاشرة والمؤالفة على السراء والضراء والمعاونة عليها ونحو ذلك وهذا [illegible]
النفقة للوالدين واجبة على الولد الموسر من غير شرط اسلام ولا ميراث اذا كانا معسرين وان الاب يختص
بوجوب الانفاق على الاولاد الصغار دون الام وان كانت موسرة وهو قول ابى ح وص وش واما الاولاد
الكبار وساير الاقارب فلا نفقة للخال فيهم من المحارم وعند المحارم فى وجوب النفقة مع الا[illegible]
[illegible] نفقة الاقارب الا بشرطين ان يكون المنفق وارثا للمنفق عليه بالنسب وان يكون المنفق عليه
[illegible] واما كمية الواجب على المنفق فالمعتبر فى ذلك مقدار [illegible] من المنفق عليه فيجب عليه من النفقة مقدار
[illegible] والمسكين وابن السبيل يعنى وآت هؤلاء حقهم من الزكوة وهذا دليل على ان المراد بما روى
[illegible] من الحق هو تعهدهم بالمال وقيل اراد بذى القربى اقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تبذر تبذيرا
[illegible] المال فيما لا ينبغى وانفاقه على وجه الاسراف وكان الجاهلية تبذر باموالها فى النحر
[illegible] وتذكر ذلك فى اشعارها فامرهم الله بالنفقة فى وجوهها مما يقربهم منه وعن ابن

مسعود هو انفاق المال في غير حقه وعن مجاهد لو انفق مدا في باطل كان تبذيرا قال رضي الله عنه ولقد انفق
بعضهم نفقة في خير فاكثر فقال له صاحبه لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير وعن ابن عمر مر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بسعد وهو يتوضأ فقال ما هذا السرف يا سعد فقال او في الوضوء سرف قال نعم وان كنت على
نهر جار ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين اي امثالهم في الشرارة وهي غاية المذمة لانه
لا اشر من الشيطان او هم اخوانهم واصدقاؤهم لانهم يطيعونهم فيما يامرونهم به من الاسراف او هم
قرناؤهم في النار وكان الشيطان لربه كفورا اي جاحدا للنعمة فما ينبغي ان يطاع لانه لا يدعو
الا الى مثل فعله وهذا يتضمن ان المنفق في السرف كفور واما تعرضن عنهم كان رسول الله
صلى الله عليه اذا ساله فقراء الصحابة ولم يكن عنده ما يعطيهم اعرض عنهم حياء منهم وسكت فالمعنى
اعرضت عن ذوي القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد ابتغاء رحمة من ربك ترجوها
اي انتظار رزق من الله ياتيك فقل لهم قولا ميسورا اي لينا سهلا جميلا ولا تبركهم عن مجالس
اذا سالوك فكان حاجته عليه اذا سئل ولم يكن عنده ما يعطي قال يرزقنا الله واياكم من فضله قال
رضي الله عنه قوله ابتغاء رحمة من ربك يحتمل ان يكون متعلقا بجواب الشرط مقدما عليه اي فقل
لهم قولا سهلا وعدهم وعدا جميلا رحمة لهم وتطييبا لقلوبهم ابتغاء رحمة من ربك اي ابتغ رحمة
الله التي ترجوها برحمتك عليهم ويحتمل ان يتعلق بالشرط لا بجوابه اي وان اعرضت عنهم لفقد رزق
من ربك ترجوان يفتح لك فردهم ردا جميلا فوضع الابتغاء موضع الفقد لان فاقد الرزق
مبتغ له فكان الفقد سبب الابتغاء والابتغاء مسبب عنه فوضع المسبب موضع السبب ولا تجعل يدك
مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط على البذر وبسطها تمثيل لمنع الشحيح واعطاء
المسرف وامر بالاقتصاد الذي هو بين الاسراف والتقتير والمعنى لا تمسك يدك عن البذل كل الامساك
حتى كانها مقبوضة الى عنقك لا تبسط بخير ولا تبسطها كل البسط في النفقة والعطية فتقعد
ملوما اي فتصير ملوما عند الله لان المسرف غير مرضي عنده وعند الناس فالمحتاج يقول
اعطى فلانا وحرمني والمستغني يقول ما يحسن تدبير المعيشة وعند نفسك اذا احتجت فندمت على ما
فعلت محسورا اي منقطعا لا شيء عندك من قولهم حسرت الرجل بالمسئلة اذا افنيت جميع ما عنده

سبحان

نزلت هذه الآية حين جاء صبي الى رسول الله صلى الله عليه فقال ان امي تستكسيك درعا
فقال من ساعة الى ساعة فعد الساعة فذهب الى امه فقالت قل له ان امي تطلب القميص الذي عليك
فدخل صلى الله عليه بيته ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن بلال وانتظروا فلم يخرج
للصلوة فنزلت ثم سلى رسول الله صلى الله عليه عما كان عليه من الفقر والاضاقة فقال ان ربك
يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يعني ان ما تقع فيه من الفقر ليس لهوان منك عليه ولا لبخل
به عليك ولكن لان مشيئته في بسط الارزاق وقدرها تابعة للحكمة والمصلحة فهو يبسط الرزق
اي يوسعه لمن يشاء البسط له ويقدر اي يضيق على من يشاء ان يقدر له على ما تقتضيه الحكمة
وتوجبه المصلحة انه كان بعباده خبيرا بصيرا حيث اجرى رزقهم على ما علم فيه صلاحهم
ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم قتلهم اولادهم هو وأدهم البنات لانهم كانوا
يئدونهن خشية الاملاق وهو الفقر والفاقة فنهاهم الله وضمن لهم ارزاقهم وارزاق اولادهم
تقدم هاهنا اولاد المخاطبين عليهم لانهم اغنياء والاهم عندهم رزق اولادهم بدليل قوله خشية
املاق وعكس هذا في سورة الانعام لانه هناك خطاب للفقراء فالاهم عندهم رزق انفسهم
ان قتلهم كان خطأ كبيرا الخطء بكسر الخاء هو الاثم وقرأ ابن كثير خطاء بكسر الخاء وفتح
الطاء ممدودا وابن ذكوان خطأ بفتح الخاء والطاء من غير مد والباقون خطأ بكسر الخاء واسكان
الطاء ولا تقربوا الزنا النهي عن قرب الزنا للمبالغة فهو ابلغ من النهي عن فعله انه كان فاحشة
اي فعلة قبيحة زائدة على حد القبح وساء سبيلا اي وبئس طريقا طريقه وهو ان تغصب على
غيرك امرأته او اخته او بنته من غير سبب والسبب ممكن وهو المصاهرة التي شرعها الله تعالى
ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق وهو احدى ثلاث كفر بعد ايمان او قتل مؤمن
عمدا او زنى بعد احصان ومن قتل مظلوما اي غير راكب لاحدى هذه الثلاث فقد جعلنا
لوليه اي لوارثه الذي بينه وبينه قرابة توجب المطالبة بدمه فان لم يكن له ولي فالامام وليه سلطانا
اي حجة في قتل القاتل ان شاء او اخذ الدية او العفو او تسلطا على القاتل في الاقتصاص منه
اهل الامام يعتبر في استيفاء القصاص ام لا فيه وجهان احدهما انه غير معتبر وهذا

هو مذهب ابائنا لا يحلفون فيه لظواهر الادلة من الكتاب والسنة وعدم دلالتها على الاشتراط
ولانه حق لادمي فاشبه سائر الحقوق كالديون والاقرارات وثانيهما انه لا يجوز استيفاؤه الا
بحضرة الامام لانه يفتقر الى الاجتهاد ولا يؤمن فيه الحيف فقصد التشفي وهو مذهب
الشافعي فان استوفاه غير الامام من غير اذنه لم يعزر عندنا وهو احد قولي الشافعي وله قول انه
يعزر وهل للامام ان يقتص الاصح من مذهب ابائنا انه لا يقتص لان القصاص موضوع للتشفي
واحد قولي مالك من ابائنا ان له ان يقتص واما العفو فعن بعض كبار ابائنا للسلطان ان يعفو
لان الدية مال المسلمين وهو نائب عنهم وقيل الا ان ترى في ذلك صلاحا للدين فلا يسرف يعني الولي
في القتل اي فلا يقتل غير القاتل ولا اثنين والمقتول واحد كعادة الجاهلية كان اذا قتل منهم واحد قتلوا
جماعة وكانوا يقتلون غير القاتل واشرف منه لو عمهم ان القاتل دون المقتول وقيل الاسراف
المثلة انه كان منصورا يعني الولي والمعنى حسبه ان الله قد نصره بان اوجب له القصاص فلا يطلب
زيادة على ذلك او معناه ان الله ينصره بمعونة الامام وباظهار المؤمنين على استيفاء الحق فلا يطلب
وراء حقه ويجوز ان يراد به المظلوم لان الله ناصره حيث اوجب القصاص بقتله وينصره في الاخرة
بالثواب ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن اي بالخصلة او الطريقة التي هي احسن وهي حفظه
عليه وتثميره والتصرف في مصالحه بالولاية حتى يبلغ اشده وهو مجمع عقله قيل هو بالسنين
وقيل الاحتلام مع سلامة العقل وايناس الرشد واوفوا بالعهد اي بالنهي والسنة والمعنى
امر الله به ونهى عنه ان العهد كان مسؤولا اي مطلوبا يطلب من العاهد ان لا يضيعه وان يفي
به ويجوز ان يراد ان صاحب العهد كان مسؤولا ويجوز ان يكون تخييلا وتمثيلا كانه يقال للعهد لم
نكثت وهلا وفي بك ويكون تبكيتا للناكث واوفوا الكيل اذا كلتم اي اتموا ما استحق عليكم
بالقسطاس المستقيم هو عام في كل ميزان صغر او كبر من موازين الدراهم وغيرها والمستقيم
الثابت على الحق والمعنى وزنوا باقوم الموازين ذلك خير لكم واصلح مما تجدونه بالتطفيف
واحسن تاويلا اي عاقبة من آل اذا رجع ولا تقف اي لا تتبع ما ليس لك به علم يعني لا تكن في اتباعك
ما لا علم لك به من قول او فعل كمن يتبع مسلكا لا يدري انه يوصله الى مقصده فهو ضال والمراد

سبحان

نهي ان يقول الرجل ما لا يعلم وان يعمل بما لا يعلم ويدخل فيه النهي عن التقليد دخولا ظاهرا لانه اتباع لما
لا يعلم صحته من فساده وعن ابن الحنفية هي شهادة الزور وعن الحسن لا تقف اخاك المسلم اذا
مر بك فتقول هذا يفعل كذا ورايته يفعل كذا وسمعته ولم تره ولم تسمع وفي الحديث من قفا مؤمنا
بما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال حتى ياتي بالمخرج والردغة هي ما يسيل من اجواف اهل
النار وصديدهم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا اي يسال الله
العباد فيما استعملوا فيه هذه الحواس فيقال للانسان لم سمعت ما لم يحل لك سماعه ولم نظرت
الى ما لم يحل لك النظر اليه ولم عزمت على ما لم يحل لك العزم عليه لان العزم من افعال القلوب
ولا تمش في الارض مرحا اي بطرا وكبرا واختيالا والمرح شدة الفرح والمعنى لا تمش في الارض
صاحب مرح انك لن تخرق الارض اي لن تجعل فيها خرقا بدوسك لها وشدة وطأتك عليها
لن تنقبها حتى تبلغ اخرها ولن تبلغ الجبال طولا اي لن تصير كالجبال بتطاولك وهذا
تهكم بالمختال المتكبر اي فقير وتواضع فانك ضعيف من مهين فلن تخرق الارض بشدتك ولن
تبلغ طولك ان تكون مثل الجبال ولو تطاولت فمختال لا يتجاوز قدرك يا ضعيف بنفسك
كل ذلك يعني جميع ما تقدم ذكره مما امر به ونهى عنه كان سيئه اي ذنبا وانما عند ربك مكروها
انكره وقاله لا محبوبا وقرا ابن عامر والكوفيون سيئه بالاضافة يعني سيئ المذكور لان ما
ذكر من الخصال بعضها سيئ وبعضها حسن وعلى قراءة من قرا سيئة بالتنوين معناه كل ما
نهي عنه خاصة لا جميع الخصال المعدودة ذلك اشارة الى ما تقدم من قوله لا تجعل مع الله
الها اخر الى هذه الغاية مما اوحى اليك ربك من الحكمة اي من القران ومواعظه وسماه حكمة
لانه كلام محكم لا مدخل فيه للفساد بوجه ولا تجعل مع الله الها اخر فتلقى في جهنم ملوما
تلوم نفسك والمعنى ترمى بك في جهنم في حال كونك ملوما مدحورا اي مطرودا من رحمة الله
وعن ابن عباس هذه الثماني عشرة اية كانت في الواح موسى عليه السلام اولها لا تجعل مع الله الها
اخر واخرها هذا قال رضي الله عنه ولقد جعل الله عز وجل فاتحتها وخاتمتها النهي عن
الشرك لان التوحيد هو راس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم ينفعه حكمه وعلومه وان

المرح الغرور

تحريك الدال وتسكينها

الباقوخ الراس

اي غلب

تذميمها الحلي وحكي يافوخه السما وما اغنت عن الفلاسفة اسفار الحكم وهم عن دين الله اظلم

من النعم **افاصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا** هذا خطاب للذين قالوا الملائكة

بنات الله ومعناه الانكار عليهم يعني افخصكم ربكم على وجه الخلوص والصفا بافضل الاولاد

وهم البنون لم يجعل فيهم نصيبا لنفسه واتخذ ادونهم وهي البنات وهذا خلاف الحكمة وما

عليه معقولكم وعادتكم فان العبيد لا يؤثرون باجود الاشيا ويكون ارداها وادونها للسادات

انكم لتقولون قولا عظيما اي عظيم الشناعة باضافتكم الاولاد اليه وهي خاصة بالاجسام

ثم انكم تفضلون عليه انفسكم حيث تجعلون له ما تكرهون ثم بان تجعلوا الملائكة وهم اعلى

خلق الله واشرفهم ادون خلق الله وهم الاناث **ولقد صرفنا في هذا القران** اي بينا فيه من

كل مثل يوجب الاعتبار به والتفكر فيه او ردد بهذا القران ابطال اضافتهم الى الله البنات لانه مما

صرفه وكرر ذكره والمعنى ولقد صرفنا القول في هذا المعنى وجعلناه مكانا للتكرير **ليذكروا**

قرئ مشددا ومخففا اي ليتذكروا الناس ويعتبروا ويطمئنوا الى ما يحتج به عليهم **وما يزيدهم**

ذلك البيان والتصريف **الا نفورا** عن الحق واعراضا عنه وعن سفيان كان اذا قراها قال

زادني لك خضوعا ما زاد اعداك نفورا **قل** لهم يا محمد **لو كان معه** في الوجود **الهة كما يقولون**

اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا اي اذا لطلبت الالهة طريقا الى من له الملك بالمغالبة

كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض كقوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وقيل لابتغوا

اي لتقربوا اليه كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة **سبحانه وتعالى عما يقولون**

علوا كبيرا معنى تعالى ارتفع والمراد البراءة من ذلك والنزاهة ومعنى وصف العلو بالكبر المبالغة

في معنى البراءة والبعد مما وصفوه به **تسبح له السموات السبع والارض** معنى تسبيح

المخلوقات انها تسبح له بلسان الحال حيث تدل على الصانع وعلى قدرته وحكمته فكأنها

تنطق بذلك وكأنها تنزه الله مما لا يجوز عليه من الشركاء **ومن فيهن** يعني الملائكة والثقلين من الانس والجن

والمراد بتسبيحهم المجاز كتسبيح السموات والارض لان التسبيح المجازي حاصل في الجميع فوجب

حمله عليه **وان من شيء الا يسبح بحمده** اي وما من شيء الا نزهه معظما له بما فيه من الادلة على الصانع

سبحان

وعلى قدرته ثم قال **ولكن لا تفقهون تسبيحهم** لان الخطاب للمشركين وهم وان كانوا اذا سئلوا

عن خالق السموات والارض قالوا الله الا انهم لما جعلوا معه الهة مع اقرارهم فكانهم لم ينظروا

ولم يقروا لان فائدة النظر الصحيح والاقرار الثابت خلاف ما كانوا عليه فلذلك لم يفقهوا

التسبيح اي لم تفهموا الدلالة على الخالق لسبب غفلتكم **انه كان حليما غفورا** حين

لا يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وسوء نظركم وجهلكم بالتسبيح وشرككم **واذا قرات**

ربع

القران جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالاخرة حجابا مستورا يعني ساترا

او حجاب يستر ان يبصر فكيف يبصر المحتجب به وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يدعوهم الى الايمان

بتلاوة القران وهذه حكاية لما كانوا يقولونه قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر

ومن بيننا وبينك حجاب **وجعلنا على قلوبهم اكنة** المعنى اذا قرات القران يا محمد جعلنا

بينك وبين المشركين حجابا على قلوبهم والاكنة الاغطية اي وعلى قلوبهم جعلنا على قلوبهم

اكنة **ان يفقهوه** اي كراهة ان يفقهوه **وفي اذانهم وقرا** اي ثقلا يمنعهم من استماعه **واذا**

ذكرت ربك في القران وحده اي افردته بالذكر فلم تذكر معه الهتهم **ولوا** اي رجعوا

على ادبارهم نفورا اي نافرين عنك **نحن اعلم بما يستمعون به** اي نحن اعلم من كل احد بما يستمعون

القران به من الهزو بك وبالقران وكان يقوم عن يمينه صلى الله عليه اذا قرا رجلان من عبد الدار

ورجلان منهم عن يساره فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار **اذ يستمعون اليك**

اي وقت يستمعون اليك **واذ هم نجوى** اي ونحن اعلم بما يتناجون فيه وقت كونهم اصحاب نجوى

والنجوى التناجي اي التشاور يا لحدث **اذ يقول الظالمون ان تتبعون** اي ما تتبعون **الا**

رجلا مسحورا اي سحر اما ان يقولوا هذا القول للمسلمين واما ان يقولوه اخوانهم

المشركين يقولونه على وجه النهي عن اتباعه **انظر** تعجيبك في ضلالهم **كيف ضربوا لك الامثال**

اي مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون **فضلوا فلا يستطيعون سبيلا** فضلوا في جميع

ذلك ضلال من يطلب في التيه طريقا يسلكه فلا يقدر عليه فهو متحير في امره لا يدري ما يصنع

وقالوا اي هذا **اذا كنا عظاما** منفصلة عن اللحم والمفاصل **ورفاتا** اي باليه

وما هو من السحر وهو الرئة اي هو بشر مثلكم [illegible] الكشاف

متحطمه متفرقه ائنا لمبعوثون خلقا جديدا هذا انكار منهم اي هل نبعث ونعاد خلقا
كما كنا في الدنيا قل كونوا حجارة او حديدا لما قالوا اذا كنا عظاما قيل كونوا حجارة او
حديدا فرد قوله كونوا على قولهم كانه قيل لو كونوا حجارة او حديدا ولا تكونوا عظاما فالله
يقدر على احيائكم والمعنى انكم تستبعدون ان يجدد الله خلقكم ويرده الى حال الحيوة
والى رطوبة الحي وغضاضته بعد ما كنتم عظاما يابسة مع ان العظام بعض اجزاء الحي بل هي
خلقه الذي بني عليه سائره فليس ببدع ان يردها الله بقدرته الى حالتها الاولى
ولكن لو كنتم ابعد شيء من الحيوة ورطوبة الحي وهو ان تكونوا حجارة يابسة او حديدا مع
طباعها الجفاوة والصلابة لكان قادرا على ان يردكم الى حال الحيوة او خلقا مما
يكبر في صدوركم يعني او خلقا مما يكبر عندكم عن قبول الحيوة ويعظم في زعمكم
على الخالق احياؤه فانه يحييه وقيل هو السموات والارض وقيل الذي يكبر في صدورهم الموت
والمعنى فلو انكم لو خلقتم من حجارة او حديدا او كنتم الموت الذي هو اكبر الاشياء
في صدوركم لاماتكم الله ثم احياكم لان القدرة التي بها انشاكم بها يعيدكم
معنى قوله فسيقولون من يعيدنا اي من يبعثنا قل الذي فطركم اول مرة اي الذي
خلقكم في الدنيا اول مرة فالاعادة اهون فسينغضون اليك رؤسهم اي يحركونها
عندك استهزاء وتعجبا ويقولون متى هو يعني البعث قل يا محمد عسى ان يكون قريبا
يعني هو قريب فلا تستعجلوه يوم يدعوكم يعني بالنداء الذي يسمعكم وهو النفخة الاخيرة
فتستجيبون بحمده اي حامدين له وهي مبالغة في انقيادهم للبعث وقيل انهم
يخرجون من القبور ينفضون رؤسهم من التراب ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك قال
ابن عباس رضي الله عنه والدعاء والاستجابة كلاهما مجاز والمعنى يوم يبعثكم فتنبعثون مطاوعين
منقادين لا تمتنعون وتظنون ان لبثتم الا قليلا اي يرون الهول فيستقصرون مدة
لبثهم في الدنيا ويحسبونها يوما او بعض يوم وعن قتادة تحاقرت الدنيا في انفسهم
في الآخرة وقل يا محمد لعبادي المؤمنين يقولوا التي هي احسن نزلت هذه الآية

سبحان

في اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذى المشركين لهم فاستأذنوا في قتالهم فقيل قل لهم يقولوا
للمشركين الكلمة التي هي احسن الكلمات والين ولا يخاشنوهم ان الشيطان ينزغ بينهم اي يلقي بينهم الفساد
ويغري بعضهم على بعض ليقع بينهم المشاقة والمعاداة ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا
اي بين العداوة ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم او ان يشأ يعذبكم هذا تفسير للتي هي احسن
وما بينهما اعتراض للتأكيد في التحذير من عداوة الشيطان والمعنى قل يا محمد لعبادي المؤمنين يقولون للمشركين
ربكم اعلم بكم اي يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا يقولوا لهم انكم من اهل النار وانكم معذبون وما
اشبه ذلك مما يغيظهم ويهيجهم على الشر ربكم اعلم بحالكم وما تستحقون ان يشأ يرحمكم يوفقكم
اذا فعلتم سبب الرحمة فتؤمنوا او ان يشأ يعذبكم اذا اقمتم على سبب العذاب وهو الكفر وما
ارسلناك يا محمد عليهم وكيلا اي ربا موكولا اليك امرهم تقهرهم على الاسلام وتجبرهم عليه وانما ارسلناك
بشيرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك بالمداراة والاحتمال وترك المحاقة والمكاشفة وكان هذا قبل نزول
آية السيف وقيل الكلمة التي هي احسن ان يقولوا يهديكم الله يرحمكم الله وربك اعلم بمن في السموات
والارض لانه خالقهم ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض هذا رد على اهل مكة في انكارهم واستبعادهم
ان يكون يتيم ابي طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه كصهيب وبلال وخباب وغيرهم دون ان
يكون ذلك في بعض اكابرهم وصناديدهم يعني وربك اعلم بمن في السموات والارض وباحوالهم
وبما يستأهل كل واحد منهم وقوله ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض اشارة الى تفضيل
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله وآتينا داود زبورا اي دلالة على وجه تفضيله وهو انه خاتم الانبياء
وان امته خير الامم لان ذلك مكتوب في زبور داود قال تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر
ان الارض يرثها عبادي الصالحون وهم محمد وامته قل ادعوا الذين زعمتم من دونه اي الذين زعمتم
انهم آلهة فعبدتموهم من دون الله وهم الملائكة وقيل عيسى ومريم وعزير فلا يملكون كشف الضر
عنكم ولا تحويلا اي ادعوهم فهم لا يستطيعون ان يكشفوا عنكم الضر من مرض او فقر او عذاب ولا
ان يحولوه من واحد الى واحد او يبدلوه اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة اولئك
مبتدأ والذين يدعون خبره ويبتغون خبره يعني ان آلهتهم اولئك يبتغون الوسيلة وهي القربة الى الله

عز وجل ايهم اقرب اي يبتغي من هو اقرب منهم وان له الوسيلة الى الله وكيف بغير الاقرب او معناه
يحرصون فكأنه قيل يحرصون ايهم يكون اقرب الى الله بالطاعة وازدياد الخير والصلاح ويرجون رحمته
ويخافون عذابه يعني الذين عبدوهم يخافون ويرجون كغيرهم من عباد الله فكيف يزعمون انهم الهة
من دون الله ان عذاب ربك كان محذورا اي حقيقا بان يحذره كل احد من ملك مقرب ونبي
مرسل فضلا عن غيرهم وان من قرية اي وما من اهل قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة يعني بالموت
والاستيصال او معذبوها عذابا شديدا يعني بالقتل وانواع العذاب وقيل الهلاك للصالحة
والعذاب للطالحة وعن مقاتل وجدت في كتب الضحاك بن مزاحم في تفسيرها اما مكة فيخربها الحبش
وتهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك والجبال بالصواعق والرواجف واما
خراسان فعذابها ضروب ثم ذكرها بلدا بلدا كان ذلك يعني الاهلاك والعذاب في الكتاب اي
في اللوح المحفوظ مسطورا اي مثبتا مكتوبا وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها الاولون
المنع لترك ارسال الايات من اجلها صارف الحكمة وتقديره وما منعنا ارسال الايات الا تكذيب الاولين والمراد
الايات التي اقترحها قريش من قلب الصفا ذهبا ومن احياء الموتى وغير ذلك وعادة الله في الامم ان
اقترح منهم اية فاجيب اليها ثم لم يؤمن بها ان يعاجل بعذاب الاستيصال فالمعنى وما صرفنا
عن ارسال ما يقترحونه من الايات الا ان كذب بها الذين هم امثالهم من المطبوع على قلوبهم كعاد
وثمود وانها لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب اولئك وقالوا هذا سحر مبين كما يقولون في غيرها واستوجبوا
الاستيصال وقد حكمنا ان نؤخر امر من بعثت اليهم الى يوم القيمة ثم ذكر من الايات التي اقترحها الاولون
ثم كذبوا بها لما ارسلت فاهلكوا واحدة وهي ناقة صالح فقال واتينا ثمود الناقة مبصرة اي بينة ظاهرة
فظلموا بها اي كفروا بها ولم يؤمنوا او ظلموا انفسهم بتكذيبهم بها وخص ناقة صالح بالذكر
لان اثار هلاكهم في بلاد العرب قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم وما نرسل بالايات الا
تخويفا ان اراد بها الايات المقترحة فالمعنى لا نرسلها الا تخويفا من نزول العذاب العاجل
كالطليعة والمقدمة فان لم يخافوا وقع عليهم وان اراد غيرها فالمعنى وما نرسل ما نرسل من الايات
كايات القران وغيرها الا تخويفا وانذارا بعذاب الاخرة واذ قلنا لك ان ربك احاط

وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس اي واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك
احاط بقريش يعني بشرناك بوقعة بدر وبالنصرة عليهم وذلك قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر
وغير ذلك ولعل الله تعالى اراه مصارعهم في منامه فقد كان يقول حين ورد ماء بدر والله لكأني انظر
الى مصارع القوم وهو يومي الى الارض ويقول هذا مصرع فلان هذا مصرع فلان فلما سمعت قريش
بما اوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من امر بدر وما اري في منامه من مصارعهم فكانوا يضحكون ويسخرون
ويستعجلون به استهزاء ومعنى قوله فتنة للناس اي محنة ضل بها قريش والشجرة الملعونة في القران
اي وكذلك الشجرة الملعونة وهي شجرة الزقوم فانهم حين سمعوا قوله ان شجرة الزقوم طعام الاثيم
جعلوها سخرية وقالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم قال ينبت فيها الشجر قال رضي
الله عنه وما قدروا الله حق قدره من قال ذلك وما انكروا ان يجعل الله الشجر من جنس لا تأكله
النار فهذا وبر السمندل وهو دويبة ببلاد الترك يتخذ منه مناديل اذا اتسخت طرحت في النار فذهب
الوسخ وبقي المنديل سالما لا تعمل فيه النار وترى النعامة تبتلع الجمر وقطع الحديد المحمى كالجمر فلا
تضرها ثم اقرب من ذلك ان الله خلق في كل شجرة نارا فلا تحرقها فما انكروا ان يخلق الله في النار
شجرة لا تحرقها والمعنى ان الايات انما نرسل بها تخويفا للعباد وهؤلاء قد خوفوا بعذاب الدنيا
وهو العذاب يوم بدر فما كان ما اريناك منه في منامك بعد الوحي اليك الا فتنة لهم حيث اتخذوه
سخريا وخوفوا بعذاب الاخرة وبشجرة الزقوم فما اثر فيهم ثم قال ونخوفهم اي نخوفهم بمخاوف الدنيا
والاخرة فما يزيدهم التخويف الا طغيانا كبيرا اي ظلما عظيما فكيف يخاف قوم هذه حالهم بارسال
ما يقترحون من الايات وقيل هي رؤياه انه سيدخل مكة وقيل رأى في المنام ان ولد الحكم يتداولون منبره
كما يتداول الصبيان الكرة قال رضي الله عنه ووصف الشجرة باللعن مجاز والمعنى التي لعن طاعموها
في القران من الكفرة والظلمة لان الشجرة لا ذنب لها حتى تلعن على الحقيقة وانما وصفت بلعن اصحابها
على المجاز وقيل وصفها الله تعالى باللعن لان اللعن الابعاد من الرحمة وهي في اصل الجحيم في ابعد
مكان من الرحمة وقيل العرب تقول لكل طعام مكروه ضار ملعون وعن ابن عباس هي الكشوث
التي تلتوي بالشجر يجعل في الشراب واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس

اى اذكر وقت قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا امتثلوا الا ابليس استثناء وهو من الجن لم
الملائكة لكنه امر معهم بالسجود فغلبوا عليه قال أأسجد لمن خلقت طينا هذا انكار منه للسجود
لادم لزعمه انه خير منه لانه من نار ولم ينظر في امتثال الملائكة الذين هم اشرف عباد الله والمراد
بقوله لمن خلقت طينا لقد نزه استجد له وهو طين قال ارأيتك هذا الذي كرمت على الكاف
في ارأيتك للخطاب من كلام ابليس والمعنى اخبرني عن هذا الذي كرمته علي اي فضلته كرمته
علي وانا خير منه فاختصر الكلام بحذف ذلك ثم ابتدأ فقال لئن اخرتن الى يوم القيمة لاحتنكن
ذريته اي لاستاصلنهم بالاغواء ولاستولين عليهم من قولهم احتنك الجراد الارض اذا اكل
ما عليها الا قليلا يعني من عصمه الله منه وهم الصالحون الذين لا ياثر له فيهم وهم اقل
الناس قال رضي الله عنه علم ابليس انه يستاصل اكثرهم مع انه امر معيب لانه رأى ما سمع
من الملائكة وقد اخبرهم الله به او خرجه من قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها او نظر الى
فتوسم في مخايله انه خلق شهواني وقيل قال ذلك لما عملت وسوسته في ادم والظاهر انه قال
قبل اكل ادم عليه السلام من الشجرة قال الله اذهب اي امض لشانك الذي اخترته وهذا امر على
الخذلان والتخلية يعني اسطوا الى يوم القيمة فمن تبعك منهم اي فمن اطاعك من ذريته ادم
فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا اي موفرا كاملا واستفزز من استطعت منهم اي
ازعجه واستخفه الى اجابتك وطاعتك بصوتك قيل هو الغناء والمزامير واجلب عليهم
اي صح من الجلبة وهي الصياح بخيلك ورجلك الخيل الخيالة والرجل اسم جمع للراجل ومعنى
كل راكب في معصية الله ورجله كل ماش على رجليه في معصية الله قال رضي الله عنه
ابليس بصوته واجلابه بخيله ورجله كلام ورد مورد التمثيل مثلت حالة في تسلطه على
يغويه بمغوار وقع على قوم فصوت بهم صوتا يستفزهم من اماكنهم ويقلقلهم عن مراكزهم
واجلب عليهم بجند من خيالة ورجالة حتى استاصلهم وقيل بصوته بدعائه الى الشر وبخيله
ان يكون لابليس خيل ورجال وشاركهم في الاموال والاولاد معنى المشاركة
والاولاد كل معصية يحملهم عليها فيهما اما الاموال فنحو الربا والمكاسب المحرمة والانفاق

المغوار المقاتل كثير الغارة

سبحان

والانفاق في الفسوق والاسراف ومنع الزكاة واما الاولاد فالتوصل اليهم بالسبب الحرام ودعوى
الولد بغير نسب والتسمية لهم بعبد العزى وعبد الحارث والتهويد والتنصير والحمل لهم على الحرف
الذميمة والاعمال المحظورة وغير ذلك وعدهم يعني المواعيد الكاذبة من شفاعة الالهة
والكرامة على الله بالانساب الشريفة وتسويف التوبة ومغفرة الذنوب بدونها والاتكال على
الرحمة وشفاعة الرسول في الكبائر والخروج من النار بعد ان يصيروا حمما وايثار العاجل
على الاجل وما يعدهم الشيطان الا غرورا اي الا باطلا وكذبا ان عبادي يعني المؤمنين ليس لك
عليهم سلطان اي لا تقدر ان تغويهم وكفى بربك وكيلا لهم يتوكلون به في الاستعاذة منك قال
رضي الله عنه وامر الله تعالى لابليس بان يتسلط على عباده داعيا لهم الى الشر صادا عن الخير من الاوامر
الواردة على سبيل الخذلان والتخلية كما قال للعصاة اعملوا ما شئتم ربكم الذي يزجي لكم اي
يجري ويسير الفلك في البحر اي السفن لتبتغوا من فضله بالتجارات والتوصل الى سائر اغراضكم انه
كان بكم رحيما اي كثير الرحمة لكم واذا مسكم الضر في البحر اي خوف الغرق ضل من تدعون
اي ذهب عن اوهامكم وخواطركم كل من تدعونه في حوادثكم الا اياه وحده فانكم لا تذكرون سواه
في ذلك الوقت ولا تخطرون ببالكم ان غيره يقدر على اغاثتكم فلما نجاكم من البحر الى البر اعرضتم
اي عدتم الى الشرك واعرضتم عن توحيده والفزع اليه ونسيتم نعمة النجاة وكان الانسان كفورا
اي عظيم الجحود لنعم ربه والنسيان لذكرها افامنتم معناه انكار الامن وقبله محذوف تقديره انجوتم
تام منتم فحملكم ذلك على الاعراض عن الشكر وجانب البر هو المخسوف به والمعنى افامنتم ان يخسف
بكم جانب البر اي يقلبه وانتم عليه ومعنى ذكر الجانب ان الجوانب والجهات كلها في قدرته
سواء وله في كل جانب برا كان او بحرا سبب من اسباب الهلكة ليس جانب البحر وحده مختصا بذلك
فالخسف في البر كالغرق في البحر لانه تغييب تحت التراب كما ان الغرق تغييب تحت الماء فالبر والبحر
عنده سواء يقدر في البر على نحو ما يقدر عليه في البحر فعلى العاقل ان يستوي خوفه من الله في جميع الجوانب
حيث كان او يرسل عليكم حاصبا وهي الريح التي تحصب اي ترمي بالحصباء يعني او ان لم يصبكم بالهلاك
من تحتكم بالخسف اصابكم به من فوقكم بريح يرسلها عليكم فيها الحصباء يرجمكم بها فيكون اشد عليكم

من الغرق في البحر ثم لا تجدوا لكم وكيلا اي من يتوكل بصرف ذلك عنكم ام امنتم ان تقوى دواعيكم
وتوفر حوائجكم الى ان يعيدكم فيه تارة اخرى اي الى ان ترجعوا فتركبوا البحر مرة اخرى مسلم منكم
بان فيرسل عليكم قاصفا من الريح وهي الريح التي لها قصيف وهو الصوت الشديد كانها تتقصف اي
تتكسر وقيل هي التي لا تمر بشيء الا قصفته فيغرقكم قرا ابن كثير وابو عمرو بالنون بما كفرتم
اي بسبب كفركم النعمة بترك الاعراض عنه حين نجاكم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا اي مطالبا
ولا ناصرا او المعنى لا تجدوا ما يفعل بكم ثم لا تجدوا احدا مطالبا بما فعلنا انتصارا منا او دركا
للثار من جهتنا ولقد كرمنا بني ادم اي فضلناهم قيل في تكرمه ابن ادم كرمه الله بالعقل
والنطق والتمييز والخط والصورة الحسنة والقامة المعتدلة وتدبير امر المعاش والمعاد وقيل
تسليطهم على ما في الارض وتسخيره لهم وقيل كل شيء ياكل بفيه الا ابن ادم فهذه تكرمته وعن هرون
الملقب بالرشيد انه احضر طعاما فدعا بالملاعق وعنده ابو يوسف صاحب ابي حنيفة فقال له جاء
في تفسير جدك ابن عباس في قوله تعالى ولقد كرمنا بني ادم جعلنا لهم اصابع ياكلون بها فاحضرت الملاعق
فردها واكل باصابعه وحملناهم في البر والبحر يعني في البر على الابل والخيل والبغال والحمير وفي
البحر على السفن ورزقناهم من الطيبات اي من الثمار والحبوب والمواشي والسمن والزبد والحلاوى والشراب
المستلذات من الارزاق وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا يعني البهائم والدواب والوحش والوحوش
قال رضي الله عنه هو ما سوى الملائكة صلوات الله عليهم وحسب بني ادم تفضيلا ان ترفع عليهم
الا الملائكة الذين هم هم ومنزلتهم عند الله منزلتهم والعجب من المجبرة كيف عكسوا في كل شيء وكابروا
حتى جسرتهم عادة المكابرة على العظيمة وهي تفضيل بني ادم على الملائكة وقد سمعوا تفخيم الله امرهم
وتكثيره مع التعظيم ذكرهم وعلموا اين اسكنهم وانى قربهم وكيف نزلهم من انبيائه منزلة انبيائه من
اممهم ومن ادنى لهم اسمهم فنزو واكثروا بمعنى جمع في هذه الاية فانظر الى تحلم وتشبههم بالدنائه
التعيل في عداوة الملا الاعلى كان جبريل غاظهم حين اهلك مدائن قوم لوط فتلك السخيمة لا تنحل
عن قلوبهم يوم ندعو يعني يوم القيمة كل اناس بامامهم اي بمن ائتموا به من نبي او امام او غالب
او كتاب فيقال يا اتباع فلان يا اهل دين كذا وكتاب كذا وقيل بكتاب اعمالهم فيقال يا اصحاب

فنرسل

الخير يا اصحاب كتاب الشر فمن اوتي كتابه من هؤلاء المدعوين بيمينه فاولئك يقرؤن
كتابهم قال رضي الله عنه خص اهل اليمين بقراءة كتابهم مع ان اصحاب الشمال يقرؤن كتابهم
لان قراءة اهل الشمال كلا قراءة لما تصيبهم من الحياء والخجل وتحبسه اللسان والتعتعة والعجز عن اقامة
حروف الكلام لسبب ما تصيبهم من الرعب والفضيحة على رؤس الاشهاد واما اصحاب اليمين فامرهم
على خلاف ذلك يقرؤن كتابهم احسن قراءة وابينها ولا يقنعون بقراءتهم وحدهم حتى يقول القارئ
لاهل المحشر هاؤم اقرؤا كتابيه ولا يظلمون فتيلا اي لا ينقصون من ثوابهم ادنى شيء ولا اقل وهو
الخيط المستطيل في شق النواة ومن كان في هذه اعمى اي من كان في الدنيا اعمى عن طريق النجاة فهو
في الاخرة اعمى اي فهو في امر الاخرة اشد عمى كذلك واضل سبيلا من الاعمى قال رضي الله عنه
والاعمى مستعار لمن لا يهتدي الى طريق النجاة اما في الدنيا فلفقد النظر وسبب الغفلة عن
الطاعة واما في الاخرة فلانه هنالك لا ينفعه النظر والادراك فكانه اعمى غير مهتد وان كادوا
ليفتنونك نزلت هذه في وفد ثقيف اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له لا ندخل في امرك حتى تعطينا
خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبى في صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا
فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم من قصد وادينا وج فاذا سالتك العرب لم فعلت
ذلك فقل ان الله امرني به وجاءوا بكتابهم وكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله
صلى الله عليه لثقيف لا يعشرون ولا يحشرون فقالوا ولا يجبون فسكت رسول الله صلى الله عليه فقام
عمر بن الخطاب فسل سيفه وقال اسعرتم قلب نبينا يا معشر ثقيف اسعر الله قلوبكم نارا فقالوا
لسنا نكلمك انما نكلم محمدا فنزلت وان كادوا اي هموا وقاربوا ليفتنونك اي ليستنزلونك
ويخدعونك عن الذي اوحينا اليك من اوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا في القران والمعنى
خلوه وذلك ان في اعطائهم ما سالوا مخالفة لحكم القران لتفتري علينا غيره اي لتختلق
علينا ما لم نقل وغير ما اوحينا اليك وهو قولهم قل الله امرني بذلك وما ارادوا من ان
تنسبوا الى الله ما لم ينزله عليك واذا لو فعلت ما ارادوا واتبعت مرادهم لاتخذوك خليلا
اي صديقا ولكنت لهم وليا وخرجت من ولايتي ولولا ان ثبتناك اي لولا تثبيتنا لك وعصمتنا

اياك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا اى لقاربت ان تميل الى خدعهم ومكرهم وهذا تهييج من الله
له وزيادة تثبيت ومع ذلك لطف للمؤمنين اذا لو قاربت تركن اليهم ادنى تركنة لاذقناك ضعف
الحيوة وضعف الممات اى لاذقناك عذاب الاخرة وعذاب القبر مضاعفين قال رضى الله عنه
حقيقة هذا الكلام واصله لاذقناك عذاب الحيوة وعذاب الممات لان العذاب عذابان عذاب في
الممات وهو عذاب القبر وعذاب في حياة الاخرة وهو عذاب النار والضعف يوصف به يعني مضاعفا
فكان اصله لاذقناك عذابا ضعفا في الحيوة وعذابا ضعفا في الممات والمعنى لضاعفنا لك
العذاب المعجل للعصاة في الحيوة الدنيا وما نؤخره لما بعد الموت ثم لا تجد لك علينا نصيرا
اى لا تجد من ينصرك شيئا ولا يدفع عنك عذابنا قال رضى الله عنه وفي هذا الوعيد الشديد
بالعذاب المضاعف في الدارين على مقاربته ادنى ميل وركون منه صلى الله عليه وسلم دليل بين على ان القبيح يعظم
قبحه بمقدار عظم شان فاعله وارتفاع منزلته ولذلك استعظم مشايخ العدل والتوحيد
رضى الله عنهم نسبة المجبرة القبائح الى الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا وفيه دليل على ان ادنى
مداهنة للغواة مضادة لله وخروج عن ولايته وسبب موجب لغضبه ونكاله فعلى المؤمن اذا تلا
هذه الآية ان يجثو عندها ويتدبرها فهي جديرة بالتدبر وبان يستشعر الناظر فيها الخشية
وازدياد التصلب في دين الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم انها لما نزلت كان يقول اللهم لا تكلني الى نفسي
طرفة عين وان كادوا يعني اهل مكة ليستفزونك اى ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم من الارض
يعني ارض مكة واذا لا يلبثون خلافك الا قليلا ثم يهلكهم الله وكان كما قال فقد اهلكوا
ببدر بعد اخراجه بقليل سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا يعني ان كل قوم اخرجوا رسولهم
من بين اظهرهم فسنة الله اى عادته ان يهلكهم والمعنى سن الله ذلك سنة ولا تجد لسنتنا
تحويلا اى تبديلا ولا يقدر احد ان يقلبها اقم الصلوة اى ادمها لدلوك الشمس يقال
دلكت الشمس اذا غربت وقيل اذا زالت واشتقاقه من الدلك لان الانسان يدلك عينه عند
النظر اليها فان كان الدلوك الزوال فالاية جامعة للصلوات الخمس وان كان الغروب فقد خرجت
منها الظهر والعصر الى غسق الليل اى اقباله بالظلام والغسق الظلمة وهو وقت صلاة

ليخرجوك منها

سبحان

فدخل في هذا صلاة الظهر والعصر والعشائين وقرآن الفجر يعني صلاة الفجر وسماها قرآنا
لان الصلاة لا تجوز الا بقراءة القرآن وهي حجة على ابن علية والاصم في زعمهما ان القراءة
ليست بركن خلاف مذهب آبائنا عليهم السلام ان قرآن الفجر كان مشهودا اى يشهده ملائكة
الليل والنهار ينزل هؤلاء ويصعد هؤلاء فهو في آخر ديوان الليل واول ديوان النهار او يشهده الكثير
من المصلين في العادة او من حقه ان يكون مشهودا بالجماعة الكثير ويجوز ان يكون
وقرآن الفجر حثا على طول القراءة في صلاة الفجر لكونها مكثورا عليها ليسمع الناس القرآن فيكثر
الثواب ولذلك كانت الفجر اطول الصلاة قراءة ومن الليل اى وعليك بعض الليل فتهجد به
التهجد النوم وهو ايضا ترك النوم والمراد ههنا ترك النوم للصلاة والمعنى قم بالقرآن بعد
نومك وصل به نافلة لك اى عبادة زائدة والمعنى ان التهجد زيادة لك على الصلوات الخمس
ووضع نافلة موضع تهجدا لان التهجد عبادة زائدة والمعنى ان التهجد زيادة لك على الصلوات
المفروضة فريضة عليك خاصة دون غيرك لانه تطوع لهم عسى ان يبعثك ربك مقاما
محمودا اى عسى ان يبعثك يوم القيامة فيقيمك مقاما محمودا ومعنى المقام المحمود الذي يحمد القائم
فيه وكل من رآه وعرفه وهو مطلق في كل ما يجلب الحمد من انواع الكرامات وقيل المراد الشفاعة
وهي نوع واحد مما يتناوله وعن ابن عباس مقاما يحمدك فيه الاولون والآخرون وتشرف فيه على
جميع الخلائق تسأل فتعطى وتشفع فتشفع ليس احد الا تحت لوائك وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
هو المقام الذي اشفع فيه لامتي وعن حذيفة يجمع الله الناس في صعيد فلا تكلم نفس فاول مدعو
محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والشر ليس اليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك وبك واليك
لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب هذا البيت قال فهذا قوله
عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وقل يا محمد رب ادخلني مدخل صدق واخرجني
مخرج صدق اى ادخلني القبر ادخالا مرضيا على طهارة وطيب من السيئات واخرجني منه
عند البعث اخراجا مرضيا ملقى بالكرامة آمنا من السخط يدل عليه ذكره على عقيب ذكر
البعث وقيل نزلت حين امر بالهجرة ومعناه ادخلني المدينة ادخال صدق اى ادخالا حسنا

لا ارى فيه ما اكره واخرجني من مكة اخراج صدق الى المدينة لقوله وقيل هو عام في كل ما يدخل فيه
ويلابسه من امر ومكان **واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا** اي حجة تنصرني على من خالفني او ملكا وعزا
قويا ناصرا للاسلام على الكفر مظهرا له عليه فاجيبت دعوته رسول الله صلى الله عليه
بقوله والله يعصمك من الناس فان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله وعنه صلى الله عليه انه استعمل
عتاب بن اسيد على اهل مكة وقال انطلق فقد استعملتك على اهل الله فكان شديدا على
المريب لينا على المومن وقال لا والله لا اعلم متخلفا يتخلف عن الصلاة في جماعة الا ضربت عنقه فانه لا
يتخلف عن الصلاة الا منافق فقال اهل مكة يا رسول الله لقد استعملت على اهل الله عتاب بن اسيد
اعرابيا جافيا فقال صلى الله عليه اني رايت فيما يرى النائم كان عتاب بن اسيد اتى باب الجنة فاخذ
بحلقة الباب فقلقلها قلقالا شديدا حتى فتح له فدخلها فاعز الله به الاسلام لنصرته المسلمين على من
يريد ظلمهم فذلك السلطان النصير **وقل** يا محمد **جاء الحق وزهق الباطل** كان حول البيت ثلاثمائة وستون
صنما كانت لقبائل العرب يحجون اليها وينحرون لها فشكا البيت الى الله عز وجل فقال اي رب حتى متى
تعبد هذه الاصنام حولي دونك فاوحى الله الى البيت اني سأحدث لك توبة جديدة فاملاك خدودا
سجدا يدفون اليك دفيف النسور ويحنون اليك حنين الطير الى بيضها لهم عجيج حولك بالتلبية ولما
نزلت هذه الاية يوم الفتح قال جبريل لرسول الله صلى الله عليه خذ مخصرتك ثم الق الاصنام فجعل
ياتي صنما صنما وهو ينكت بالمخصرة في عينه ويقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب الصنم لوجهه حتى
القاها جميعا وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من قوارير صفر فقال يا علي ارم به فحمله رسول الله
حاملا عليا حتى صعد فرمى به فكسره فجعل اهل مكة يقولون ما رأينا احدا اسحر من محمد قال رضي الله عنه ويشبه
البيت والوحي اليه تمثيل وتخييل ومعنى زهق الباطل ذهب وهلك والحق الاسلام والباطل الشرك
ان الباطل كان زهوقا اي مضمحلا غير ثابت في كل وقت **وننزل من القران ما هو** شفاء
ورحمة للمومنين اي كل شيء نزل من القران فهو شفاء لهم يزدادون به ايمانا ويستصلحون به دينهم
فموقعه منهم موقع الشفاء من المرضى وفي الحديث عنه صلى الله عليه من لم يستشف بالقران فلا شفاه الله
ولا يزيد الظالمين اي ولا يزداد به الكافرون **الا خسارا** اي نقصانا لتكذيبهم به وكفرهم

كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم **واذا انعمنا على الانسان** بالصحة والسعة **اعرض** عن ذكر
الله كانه مستغن عنه مستبد بنفسه **ونأى بجانبه** تأكيد للاعراض لان الاعراض عن الشيء ان يوليه عرض وجهه والنأي بالجانب ان يلوي عنه عطفه ويوليه ظهره
وهذا تاكيد للاعراض لان الاعراض عن الشيء ان يوليه ظهره او اراد به الاستكبار لان ذلك من عادة
المستكبرين **واذا مسه الشر** من فقر او مرض او نازلة من النوازل **كان يؤوسا** اي شديد الياس من
روح الله اي من فرجه انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون **قل كل يعمل على شاكلته** اي
على مذهبه وطريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة والدليل عليه قوله **فربكم اعلم بمن هو
اهدى سبيلا** اي اسد مذهبا وطريقة فمجاز كلا حسب مذهبه الذي اختاره من الضلال
والهدى **ويسئلونك عن الروح** اكثر الاقاويل على انه الروح الذي في الحيوان سالوه عن حقيقته
فاخبر انه من امر الله اي مما استأثر بعلمه وعن ابي بريدة لقد مضى النبي صلى الله عليه وما يعلم الروح وقيل هو
خلق عظيم روحاني اعظم من الملك وقيل جبريل وقيل القران **قل الروح من امر ربي** اي من وحيه
وكلامه ليس من كلام البشر قال رضي الله عنه بعثت اليهود الى قريش ان سلوا محمدا عن اصحاب
الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان اجاب عنها او سكت فليس بنبي وان اجاب عن بعض وسكت
عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم في التوراة فندموا على سؤالهم **وما اوتيتم من
العلم الا قليلا** الخطاب عام وروي ان رسول الله صلى الله عليه لما قال لهم ذلك قالوا نحن مختصون
بهذا الخطاب ام انت معنا فيه فقال بل نحن وانتم لم تؤتوا من العلم الا قليلا فقالوا ما اعجب شأنك
ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو ان ما في الارض من
شجرة اقلام وقيل الخطاب لليهود خاصة لانهم قالوا للنبي صلى الله عليه قد اوتينا التوراة وفيها
الحكمة وقد تلوت ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا فقيل لهم ان علم التوراة قليل في جنب علم الله
ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك اللام في لنذهبن جواب قسم محذوف والمعنى ان
شئنا ذهبنا بالقران ومحوناه عن الصدور والمصاحف فلم نترك له اثرا وبقيت كما كنت
لا تدري ما الكتاب **ثم لا تجد لك به علينا وكيلا** اي ثم لا تجد لك بعد الذهاب به من يتوكل علينا
باسترداده واعادته محفوظا مسطورا **الا رحمة من ربك** اي الا ان يرحمك ربك فيرده عليك

سبحان

كان رحمته لتوكل عليه بالرد او يكون انسيناه فقط يعني ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به
قال رضي الله عنه وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظا بعد المنة العظيمة في تنزيله وحفظه
فعلى كل ذي علم ان لا يغفل عن هاتين المنتين والقيام بشكرهما وهما منة الله تعالى عليه بحفظ العلم ورسوخه
في صدره ومنته عليه في بقاء المحفوظ وعن ابن مسعود ان اول ما تفقدون من دينكم الامانة واخر
ما تفقدون الصلاة وليصلين قوم ولا دين لهم وان هذا القرآن تصبحون يوما وما فيكم منه
شيء فقال رجل كيف ذلك وقد اثبتناه في قلوبنا واثبتناه في مصاحفنا نعلمه ابناءنا ويعلمه ابناؤنا ابناءهم
فقال يسرى عليه ليلا فيصبح الناس منه فقرا ترفع المصاحف وينزع ما في القلوب ان فضله
كان عليك كبيرا حيث جعلك سيد ولد ادم واعطاك المقام المحمود وجعل لك القرآن لا اذهب
كالذهب معجزا ان غيرك من الانبياء قل يا محمد للمشركين لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل
هذا القرآن في نظمه وبلاغته لا ياتون بمثله اي لعجزهم عن الاتيان بمثله وفيهم العرب العاربة ارباب
البيان والفصاحة ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا اي معينا مثل ما يتعاونون الشعر اهل
شعر مقيمونه والمعنى انهم يعجزون عنه ولو اجتمعوا لانه معجز لا يقدر عليه الا الله تعالى ولقد
صرفنا للناس في هذا القرآن اي رددنا وكررنا من كل مثل اي من كل معنى في نفسه كالمثل
في غرابته وحسنه فابى اكثر الناس يعني الذين لم يؤمنوا وهم اهل مكة الا كفورا اي جحودا
للحق واقترحوا من الايات ما ليس لهم وهو قوله تعالى وقالوا لن نؤمن لك اي لن نصدقك قال
رضي الله عنه لما تبين لهم اعجاز القرآن وانضم اليه المعجزات الاخر لزمتهم الحجة وغلبوا اخذوا
يتعللون بطلب الايات تعنتا كما يفعل المبهوت المحجوج فقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا اي تشقق
من الارض اي ارض مكة حتى تفجر لنا اي تشقق لنا من الارض ينبوعا اي عينا غزيرة من شانها تنبع بالماء
لا تنقطع وذلك انهم سالوه ان يجري لهم نهرا كانهار الشام والعراق او تكون لك جنة اي
بستان فيه اشجار وثمار من نخيل وعنب هذا ايضا كان مما اقترحوا فتفجر الانهار خلالها
اي شقها وسطها تفجيرا اي ظاهرا او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا
قول الله تعالى ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء او تاتي بالله والملائكة قبيلا

كسفا
قبلا

اي كفيلا بما تقول شاهدا بصحته والمضي او تاتي بالله قبيلا وبالملائكة قبيلا او يكون لك بيت من زخرف
اي من ذهب او ترقى في السماء اي في معارج السماء فحذف المعارج جمع معرج وهو السلم الذي
يصعد عليه يقال رقي في السلم وفي الدرجة اذا طلع ولن نؤمن لرقيك اي لاجل رقيك حتى تنزل
علينا كتابا من السماء نقرؤه فيه تصديقك عن ابن عباس قال عبد الله بن امية لن نؤمن لك
حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه وانا انظر حتى تاتيها ثم تاتي معك بصك منشور معه اربعة من
الملائكة يشهدون لك انك كما تقول قال رضي الله عنه وما كانوا يقصدون بهذه الاقتراحات
الا العناد واللجاج ولو جاءتهم كل اية لقالوا هذا سحر وحين انكروا الاية الباقية التي هي
القرآن وسائر الايات وليست بدون ما طلبوا بل هي اعظم لم يكن الا تبصرهم سبيل قل
سبحان ربي وقرا ابن كثير وابن عامر قال سبحان ربي اي قال الرسول ومعنى سبحان
ربي تعجب من اقتراحاتهم عليه هل كنت الا بشرا رسولا كسائر الرسل بشرا مثلهم لا ياتون
قومهم الا بما اظهره الله عليهم من الايات فليس امر الايات الي انما هو الى الله فما بالكم تتخيرونها
علي وما منع الناس يعني اهل مكة ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى اي البيان وهو القرآن الا ان
قالوا اي الا قولهم في التعجب والانكار ابعث الله بشرا رسولا اي وما منعهم الايمان بالقرآن وبنبوة
محمد صلى الله عليه الا شبهة تلجلج في صدورهم وهي انكارهم ان يرسل الله البشر والمعنى هلا
بعث الله ملكا قال رضي الله عنه وما انكروه بخلافه المنكر عند الله لان قضية العقل
ان لا يرسل ملك الوحي الا الى امثاله او الى الانبياء ثم قرر ذلك بقوله قل لو كان في الارض ملائكة
يمشون على اقدامهم كما يمشي الانس ولا يطيرون باجنحتهم الى السماء فيسمعوا من اهلها ويعلموا
ما يجب علمه مطمئنين ساكنين في الارض قارين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا يعلمهم الخير
ويهديهم المراشد واما الانس فما هم بهذه المثابة انما يرسل الملك الى مختار منهم للنبوة فيقوم ذلك
المختار بدعوتهم وارشادهم لان من حق رسول الامة ان يكون من جنسهم لانهم به انس والاخذ منه
عليهم ايسر قل لهم يا محمد كفى بالله شهيدا بيني وبينكم على اني بلغت ما ارسلت به اليكم
وانكم كذبتم وكابرتم انه كان بعباده يعني المنذرين والمنذرين خبيرا بصيرا اي عالما

في الكشاف عبد الله بن ابي امية

اي عالما باحوالهم فهو مجازيهم بما يستحقون وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد للكفرة ومن
يهد الله اي يوفقه ويلطف به فهو المهتد لانه لا يلطف الا بمن عرف ان اللطف ينفع فيه
ومن يضلل اي يخذل فلن تجد لهم اولياء من دونه اي انصارا ينصرونهم من دون الله ونحشرهم
يوم القيامة على وجوههم قيل لرسول الله صلى الله عليه كيف يمشون على وجوههم قال
ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم عميا وبكما وصما اي كما كانوا
في الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون بالحق ويتصامون عن استماعه فهم في الآخرة كذلك
لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا ينطقون بما يقبل منهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ومن كان في
هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى ويجوز ان يحشروا فاقدي الحواس فيكون قوله عميا وبكما وصما حقيقة
ويكون هذه الآفة معهم من الموقف الى النار بعد الحساب لانه قد اخبر عنهم في موضع آخر انهم
يقرؤون ويتكلمون ماواهم جهنم اي مسكنهم ومصيرهم كلما خبت اي سكن لهبها زدناهم
سعيرا اي كلما اكلت جلودهم ولحومهم وافنتها بدلوا غيرها فرجعت ملتهبة مستعرة كانهم
لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جعل الله جزاءهم ان سلط النار على اجزائهم تاكلها وتفنيها ثم
يعيدها لا يزالون على الافناء والاعادة ليزيد ذلك في تحسرهم على تكذيبهم البعث ولانه ادخل
في الانتقام من الجاحد وقد دل على ذلك بقوله ذلك يعني التبديل لجلودهم وزيادة السعير
جزاؤهم بانهم كفروا باياتنا اي بالقرآن وقالوا ائذا اي هلا اذا كنا عظاما بلا لحم عليها ورفاتا
اي بالية دامرة ءانا لمبعوثون خلقا جديدا اي حياة مستجدة كما كنا في الدنيا اولم يروا ان
الله الذي خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم اي الم يعلموا وهذا انكار عليهم بانهم
استبعدوا من الاعادة وقد علموا بدليل العقل ان من قدر على خلق السموات والارض فهو
على خلق امثالهم من الانس لانهم ليسوا باشد خلقا منهن كما قال ءانتم اشد خلقا ام السماء والاعادة
عليه اهون وجعل لهم اجلا لا ريب فيه وهو الموت او القيامة ومعنى لا ريب فيه اي لا شك فيه انه كائن
فابى الظالمون الا كفورا اي ابوا مع وضوح الدليل ولم يرضوا الا كفورا وجحودا قل لهم يا محمد
لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اي رزقه وسائر نعمه على خلقه اذا لامسكتم اي لبخلتم

سبحان

خشية الانفاق اي لخشيتم ان تنفقوا فتفتقروا قال رضي الله عنه وفي قوله انتم تملكون
دلالة على الاختصاص وان الناس هم المختصون بالشح المتبالغ ولقد بلغ هذا الوصف بالشح
الغاية التي لا يبلغها الوهم حيث وصفهم بالامساك خشية الانفاق مع ملكهم لخزائن رزق الله
والمراد اهل مكة الذين تعنتوا بطلب الينبوع والانهار وغيرها وانهم لو ملكوا خزائن الارزاق
لبخلوا بها وكان الانسان قتورا اي ضيقا بخيلا ممسكا ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات هي
العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والحجر والبحر والطور الذي نتقه على بني اسرائيل
فاسال يا محمد بني اسرائيل يعني المؤمنين من قريظة والنضير اذ جاءهم اي سل عن حالهم وهو سؤال
استشهاد لمعرفة اليهود صحة ما جاء به محمد صلى الله عليه بقول علمائهم ليزدادوا يقينا وطمانينة
قلب فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا اي سحرت فخولط عقلك قال
موسى لقد علمت يا فرعون ما انزل هؤلاء الآيات الا رب السموات والارض بصائر اي عبرا ودلالات
بينات مكشوفات ولكنك معاند مكابر وقرأ الكسائي علمت بضم التاء على معنى اني لست بمسحور
كما وصفتني بل انا عالم بصحة الامر وان هذه الآيات منزلها رب السموات والارض ثم قارع ظنه
بظنه فقال واني لاظنك يا فرعون مثبورا كانه قال ان ظننتني مسحورا فانا اظنك
مثبورا اي هالكا ملعونا مطرودا وظني اصح من ظنك لان له امارة ظاهرة وهي انكارك ما
عرفت صحته ومكابرتك لآيات الله بعد وضوحها واما ظنك فكذب بحت لان قولك مع علمك
بصحة امري اني لاظنك مسحورا قول كذاب وقيل معنى مثبورا مصروفا عن الخير مطبوعا على قلبك
من قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما منعك وصرفك فاراد يعني فرعون ان يستفزهم من الارض
اي يخرج موسى وقومه من ارض مصر ويستفزهم عنها بالقتل والاستئصال فاغرقناه ومن معه جميعا
اي فحاق به مكره بان استفزه الله باغراقه مع قبطه ولم ينج منهم احد وكان يريد بهم السوء
فوقع به وقلنا من بعده اي من بعد اغراق فرعون لبني اسرائيل اسكنوا الارض اي ارض مصر
التي اراد فرعون ان يستفزكم منها فاذا جاء وعد الآخرة يعني قيام الساعة جئنا بكم
لفيفا اي مختلطين انتم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز بين سعدائكم واشقيائكم واللفيف

الجماعات من قبائل شتى وبالحق انزلناه يعني القران اي انزلناه بالدين القائم والامر الثابت وبالحق
نزل اي وما نزل الا ملتبسا بالحق والحكمة لاشتماله على الهداية الى كل خير وما انزلناه من السماء
الا بالحق محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين
وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا اي الا لتبشرهم بالجنة وتنذرهم من النار ليس اليك وراء ذلك
من اكراه على الدين او نحوه وقرانا فرقناه اي قطعناه اية اية وسورة سورة وقرئ
بالتشديد اي جعلنا نزوله مفرقا منجما وعن ابن عباس انه قراه مشددا وقال لم ينزل في
يومين او ثلاثة بل كان بين اوله واخره عشرون سنة لتقراه على الناس على مكث اي على تمهل
وتؤدة وتثبت ليفهموه ونزلناه تنزيلا اي نجوما بعد نجوم وشيئا بعد شيء على حسب الحوادث
قل يا محمد لاهل مكة امنوا به اي بالقران او لا تؤمنوا به وهذا تهديد اي فقد انذر الله وبلغ
رسوله ان الذين اوتوا العلم من قبله اي من قبل القران يعني ناسا من اهل الكتاب اذا يتلى
عليهم يخرون للاذقان سجدا اي حين سمعوا ما انزل على محمد صلى الله عليه خروا سجدا اي سقطوا
على الوجوه خاضعين والذقن مجتمع اللحيين ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا
اي وعد الله لمحمد صلى الله عليه وبانزال القران قال رضي الله عنه امر الله رسوله صلى الله عليه بالاعراض
عن اهل مكة واحتقارهم والازدراء بشانهم وانه لا يكترث بهم وبايمانهم وبامتناعهم عنه وانهم
ان لم يدخلوا في الايمان ولم يصدقوا بالقران وهم اهل جاهلية وشرك فان خيرا منهم وافضل
وهم العلماء الذين قرؤا الكتب وعلموا ما الوحي وما الشرائع قد امنوا به وصدقوه وثبت
عندهم انك النبي العربي الموعود في كتبهم فاذا تلي عليهم خروا سجدا وسبحوا الله تعظيما لامره
ولانجاز ما وعد في الكتب المنزلة وبشر به من بعثة محمد صلى الله عليه وانزال القران عليه وهو المراد
بالوعد في قوله ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان يبكون معنى الخرور على الذقن
هو السقوط على الوجه وذكر الذقن وهو مجتمع اللحيين لان الساجد اول ما يلقى به الارض
من وجهه الذقن والقياس يخرون على الاذقان لكن المعنى انهم يجعلون اذقانهم ووجوههم
للخرور ويخصونها به فاللام للاختصاص قال رضي الله عنه كرر يخرون للاذقان

الحالين لان الاول لخرورهم في حال كونهم ساجدين والثاني لخرورهم في حال كونهم باكين
او كرره لتكرر الفعل منهم ويزيدهم خشوعا اي يزيدهم القران لين قلب ورطوبة عين قل
ادعوا الله او ادعوا الرحمن كان رسول الله صلى الله عليه يقول يا الله يا رحمن فسمعه ابو جهل
فقال ان محمدا ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها اخر مع الله فقال له الرحمن وقيل ان اهل الكتاب
قالوا لرسول الله صلى الله عليه انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثر الله في التوراة هذا الاسم
فنزلت والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء واو للتخيير والمعنى ادعوا الله او ادعوا الرحمن اي سموا
بهذا الاسم او بهذا واذكروا اما هذا او اما هذا ايا ما تدعوا اي اي هذين الاسمين سميتم وذكرتم
فله الاسماء الحسنى الضمير ليس براجع الى احد الاسمين المذكورين ولكن الى مسماهما وهو ذاته تعالى
والمعنى ايا ما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى لانه اذا حسنت اسماؤه كلها
حسن هذان الاسمان لانهما منها ومعنى كونها احسن الاسماء انها مستقلة بمعاني التحميد والتقديس
والتعظيم ولا تجهر بصلاتك اي بقراءة صلاتك ولا تخافت بها كان رسول الله صلى الله عليه
يرفع صوته بقراءته فاذا سمعها المشركون لغوا وسبوا القران فامر بان يخفض من صوته والمعنى
ولا تجهر حتى تسمع المشركين ولا تخافت حتى لا تسمع من خلفك وابتغ بين ذلك سبيلا اي اسلك طريقا
وسطا بينهما وروي ان ابا بكر كان يخفي صوته بالقراءة في صلاته ويقول اناجي ربي وقد علم حاجتي
وكان عمر يرفع صوته ويقول ازجر الشيطان واوقظ الوسنان فامر ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر
الوسنان النائم
ان يخفض قليلا وقيل معناه لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلا
بان تجهر بصلاة الليل وتخافت بصلاة النهار هذا الذي اخذ به اباؤنا عليهم السلام وقيل
بصلاتك بدعائك وذهب قوم الى ان الاية منسوخة بقوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية وابتغاء
السبيل مثل لقصد الوجه الوسط في القراءة وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك
في الملك هذا امر للنبي صلى الله عليه بان يحمد الله الذي تنزه عن اتخاذ الولد وعن ان يكون له شريك
في ملك السموات والارض كما زعم المشركون ولم يكن له ولي من الذل اي ناصر من الذل ومانع له منه لاعتزازه
او لم يوال احدا من اجل مذلة به ليدفعها بموالاته وكبره تكبيرا اي عظمه تعظيما اي

فعله تامة قال رضي الله عنه ولان وصفه بنفي الولد والشريك والذل كلمة التحميد لان من هذا وصفه
فهو الذي يقدر على ايلاء كل نعمة فهو الذي يستحق جنس الحمد وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا افصح الغلام من بني
عبد المطلب علمه هذه الآية

سورة الكهف مكية وهي مائة واحدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي انزل على عبده
الكتاب لقن الله عباده وفقههم كيف يثنون عليه ويحمدونه على اجزل نعمائه عليهم وهي نعمة الاسلام
وما انزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب وهو القرآن الذي هو سبب نجاتهم وفوزهم ولم يجعل له
عوجا اي لم يجعل له شيئا من العوج قط والعوج في المعاني كالعوج في الاعيان اي كالميل
والمراد نفي الاختلاف والتناقض عن معانيه وخروج شيء منه من الحكمة والاصابة
فيه قيما اي مستقيما يعني انه انزل الكتاب على عبده قيما ولم يجعل له عوجا لانه اذا نفى عنه العوج
فقد اثبت له الاستقامة قال رضي الله عنه وفائدة الجمع بين نفي العوج واثبات الاستقامة
التاكيد من حيث ان المستقيم ربما يخلو من ادنى عوج عند التتبع والتصفح وقيل قيما على سائر
الكتب اي مصدقا لها شاهدا بصحتها وقيل قيما بمصالح العباد وما لا بد لهم منه من الشرائع
لينذر باسا شديدا اي لينذر الذين كفروا عذابا شديدا من لدنه اي صادرا من عنده
ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا اي ثوابا حسنا وهو الجنة
ماكثين فيه ابدا اي مقيمين خالدين في الاجر الحسن الذي هو الجنة وينذر الذين قالوا اتخذ الله
ولدا وهم اليهود والنصارى وقيل هم قريش حين قالوا الملائكة بنات الله ما لهم به من علم
بالولد او باتخاذه يعني ان قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط وتقليد للآباء
اباؤهم من الشيطان وتسويله ولا لآبائهم الذين قالوا ذلك اذ لم يتم قالوا جهلا واقتفوا التقليد
كبرت كلمة تخرج من افواههم اي عظمت مقالتهم هذه وقوله تخرج من افواههم صفة للكلمة تفيد استعظام
اجترائهم على النطق بها واخراجها من افواههم فان كثيرا مما يوسوسه الشيطان في قلوب الناس
لا يتجاسرون على ان يتلفظوا به السنتهم بل يسكتون عليها ويخجلون من اظهاره فكيف بمثل هذا
المنكر العظيم ان يقولون الا كذبا اي ما يقولون الا قولا كذبا لان الله تعالى منزه عن اتخاذ

الصاحبة والولد فلعلك باخع نفسك اي قاتلها ومهلكها على آثارهم اي على اثر توليهم
واعراضهم عنك لشدة حرصك على ايمانهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث يعني القرآن اسفا
اي غيظا وحزنا قال رضي الله عنه شبهه واياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما
تداخله من الوجد والاسف على توليهم برجل فارقه احبته واعزته فهو يتساقط حسرات على
آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وتلهفا على فراقهم انا جعلنا ما على الارض زينة لها
ولاهلها من الحيوان والنبات وجميع ما يستحسن منها لنبلوهم ايهم احسن عملا اي لنختبرهم ايهم
ازهد فيها واترك لها قال رضي الله عنه وحسن العمل الزهد فيها وترك الاغترار
بها ثم زهد في الميل اليها بقوله وانا لجاعلون ما عليها من هذه الزينة صعيدا جرزا اي
بلاقع لا نبات فيها بعد ان كانت خضراء معشبة والجرز الذي جرز نباتها اي قطع والمعنى انه
زهد في الميل الى زينة الدنيا المستحسنة المشرفة الزوال ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم
لما ذكر تزيين الارض بما خلق فوقها من الاجناس التي لا حصر لها وازالة ذلك كله كأنه لم يكن
قال ام حسبت يا محمد اي بل احسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا يعني ان
ذلك المذكور من تزيين الارض بالزينة وازالتها اعظم من قصة اصحاب الكهف وابقاء حياتهم مدة
طويلة والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم اسم كلبهم وقيل هو لوح من رصاص رقمت
فيه اسماؤهم جعل على باب الكهف وقيل نهر بين غضبان وايلة دون فلسطين كانوا من
آياتنا عجبا اي لم يكونوا اعجب آياتنا ولم يكونوا العجب من آياتنا فقط فان آياتنا كلها عجب وكانت
اليهود لقنت قريشا ان يسألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن خبر فتية فقدوا في الزمان الاول فانزل
الله على نبيه صلى الله عليه وسلم خبرهم فقال اذ اوى الفتية الى الكهف اي هربوا اليه ممن
يطلبهم واشتغلوا بالدعاء والتضرع فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة اي اعطنا من عندك
مغفرة ورزقا وامنا من الاعداء وهيئ لنا اي اصلح لنا من امرنا الذي نحن عليه من مفارقة الكفار
رشدا اي ارشدنا الى ما يقربنا منك حتى يكون سببا لرشدنا او اجعل امرنا رشدا
كله فضربنا على آذانهم في الكهف اي ضربنا عليها حجابا من ان تسمع يعني انمناهم انامة ثقيلة

لا تنبههم فيها الاصوات والمعنى سددنا اذانهم بالنوم سنين عددا اى ذوات عدد فيحتمل ان يريد الكثرة
وان يريد القلة وعدد السنين هو المذكور في قوله ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا ثم بعثناهم اى ايقظناهم
من نومهم لنعلم اى الحزبين يعني اى الفريقين المختلفين منهم في مدة اقامتهم في الكهف لانهم لما انتبهوا
اختلفوا في ذلك قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم وكان الذين
قالوا ربكم اعلم بما لبثتم هم الذين علموا ان لبثهم قد تطاول ويجوز ان يكون الحزبين المختلفين من غيرهم
احصى لما لبثوا امدا معناه لنعلم ايهم احفظ لمدة لبثهم واضبط لامد مكثهم قال رضي الله عنه
وجعل الله العلم باحصائهم المدة غرضا في الضرب على اذانهم اى سببا له وهو لم يزل
عالما بذلك غير محتاج الى سبب لكنه اراد ما تعلق به العلم من ظهور الامر لهم ليزدادوا ايمانا
واعتبارا ويكون لطفا لمؤمني زمانهم واية بينة لكفار ذلك الزمان فتعظم الحجة عليهم والنعمة على
اصحاب الكهف نحن نقص عليك يا محمد نباهم اى نحدثك خبرهم وقصتهم بالحق اى قصصا لا
كذب فيه او بالحكمة في ذكر قصتهم ثم اخبر بحديثهم فقال انهم فتية اى جماعة شبان واحداث
فتيان حكم لهم بالفتوة لما امنوا لان راس الفتوة الايمان امنوا بربهم اى صدقوا ان الله خالقهم ولم يشركوا به
وزدناهم هدى اى دللناهم على الحق وترغيبا فيه بما وهبنا لهم من التوفيق والتثبيت وربطنا على
قلوبهم اى قويناها بالصبر على هجر الاوطان والنعيم والفرار بالدين الى بعض الغيران وجسرناهم
على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالاسلام اذ قاموا اى حين قاموا بين يدي الجبار فهو دقيانوس
ملك زمانهم الذي زاد اكراههم على عبادة الاصنام فقاموا بين يديه بكلمة الحق من غير مبالاة به
حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم فقالوا ربنا رب السموات والارض اى مالكهما الذي يحق له العبادة
لن ندعو من دونه الها اى لن نعبد غيره ممن تزعمون لقد قلنا اذا اى لو دعونا غيره وعبدناه
شططا اى قولا ذا شطط وهو الافراط في الظلم والابعاد فيه هؤلاء قومنا اى اهل بلدنا وكانوا
من اهل الانجيل اتخذوا من دونه الهة هذا اخبار في معنى الانكار عليهم في اتخاذ الاصنام
لعبادتهم من دون الله لولا ياتون اى هلا ياتون عليهم اى على عبادتهم بسلطان بين اى بدليل [illegible]
وهذا تبكيت لهم لان الاتيان بالسلطان على عبادة الاوثان محال وهذا دليل على فساد التقليد

والله لا بد في الدين من الحجة حتى يصح ويثبت فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشريك اليه والمعنى
انه لا اظلم لنفسه ممن افترى ذلك وقال ان معه الها واذ اعتزلتموهم هذا خطاب من بعض الفتية لبعض
حين صممت عزيمتهم على الفرار بدينهم قيل هو تمليخا وهو رئيسهم وما يعبدون اى اعتزلتم ما
يعبدون وقوله الا الله كلام معترض اخبار من الله تعالى عن الفتية انهم لم يعبدوا غير الله والمعنى
فارقتموهم وما يعبدون من الاصنام الا الله فانكم لم تتركوا عبادته فأووا الى الكهف اى صيروا اليه
مهاجرين لدينكم واجعلوه لكم ماوى ومسكنا ينشر لكم ربكم من رحمته اى يبسط عليكم من نعمته
التي هي المغفرة والرزق والامن من الاعداء ويهيئ لكم اى ييسر لكم ويسهل من امركم الذي انتم عليه
من مفارقة الكفار مرفقا وهو ما يرتفق به اى ينتفع قال رضي الله عنه ويحتمل انهم قالوا ذلك
ثقة بفضل الله عليهم وقوة في رجائهم لتوكلهم عليه وخلوص يقينهم او اخبرهم به نبي في عصرهم او يكون
فيهم نبيا وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم اى تميل وقت طلوعها ذات اليمين اى الى
جهة اليمين والمعنى تميل عن غارهم في ناحية اليمين واذا غربت تقرضهم اى تتركهم وتجاوز عنهم ولا
تقربهم والمعنى انها تقطعهم البتة من شعاعها ثم تاخذ بانحرافها ذات الشمال اى ناحية
الشمال وقيل كانت الشمس لا تصيبهم البتة لانها تميل عنهم طالعة وغاربة فكانت صورهم عنها
محفوظة وهم في فجوة منه اى في متسع من الكهف ينالهم برد الريح ونسيم الهوى ولا يحسون كرب الغار
والمعنى انهم في ظل نهارهم كله لا تصيبهم الشمس في طلوعها ولا غروبها مع انهم في مكان واسع منفتح معرض
لاصابة الشمس لولا ان الله يحجبها عنهم ذلك من ايات الله اى ما صنعه الله بهم من ازورار الشمس
وقرضها طالعة وغاربة اية من ايات الله لان نظر كهفهم من الجهات تصيبه الشمس وتصيب من فيه ولا
تصيبهم اختصاصا لهم بالكرامة وقيل باب الكهف شمالي مستقبل بنات نعش فهم في مقنأة ابدا
ويكون معنى قوله ذلك من ايات الله ان شانهم وحديثهم من ايات الله من يهد الله فهو المهتدي
ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا هذا ثناء من الله عليهم بانهم جاهدوا فيه واسلموا له وجوههم فلطف
بهم واعانهم وارشدهم الى نيل تلك الكرامة السنية والاختصاص بالاية العظيمة وتنبيه على
ان كل من سلك طريقة المهتدين الراشدين فهو الذي اصاب الفلاح واهتدى الى السعادة ومن تعرض

المقنأة الموضع الذي لا تطلع عليه الشمس

للخذلان فلن تجد من يليه ويرشده بعد خذلان الله وتحسبهم ايقاظا وهم رقود قيل كانت عيونهم
مفتحة وهم نيام فيحسبهم الناظر لذلك ايقاظا وقيل لكثرة تقلبهم وكان لهم تقلبتان في السنة وقيل
تقلبة واحدة في يوم عاشوراء ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال اي مرة على الجنب الايمن ومرة على
الايسر لئلا تأكل الارض لحومهم قيل في السنة مرتين وقيل مرة يوم عاشوراء وكلبهم باسط ذراعيه
بالوصيد اي باب الكهف لو اطلعت عليهم اي لو وقفت عليهم ونظرت اليهم يا محمد لوليت منهم
فرارا اي لاعرضت عنهم فرارا ولملئت منهم رعبا اي خوفا يملأ الصدور وذلك لما ألبسهم الله تعالى
من الهيبة وقيل لطول اظفارهم وشعورهم وعظم اجرامهم ووحشة مكانهم وعن معاوية انه
غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس ليس لك ذلك
قد منع الله تعالى من هو خير منك فقال له لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فقال معاوية لا انتهي
حتى اعلم علمهم فبعث ناسا وقال لهم اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما دخلوا باب الكهف بعث الله
ريحا فاهلكتهم فاحرقتهم وكذلك بعثناهم اي وكما انمناهم تلك النومة كذلك بعثناهم
تذكيرا لقدرته على الانامة والبعث جميعا ليتساءلوا بينهم اي ليسأل بعضهم بعضا ويتعرفوا
حالهم وما صنع الله بهم فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة الله ويزدادوا يقينا ويشكروا ما
انعم به عليهم وما كرموا به قال قائل منهم كم لبثتم اي قال رئيسهم كم مدة لبثكم في النوم
على هذه الحال كم من غلسنا هنا مذ دخلنا قالوا لبثنا يوما او بعض يوم هذا جواب مبني على غالب
الظن وذلك انهم دخلوا الكهف غدوة وبعثهم الله في آخر النهار فلذلك قالوا يوما فلما رأوا
الشمس قالوا او بعض يوم وكانت قد بقيت من النهار بقية قالوا ربكم اعلم بما لبثتم قيل هذا رد
بتمليخا انكار عليهم وان الله اعلم بمدة لبثهم كأنه علم بالادلة او بالالهام من الله ان المدة متطاولة
مقدارها لا يعلمه الا الله فابعثوا احدكم قال [illegible] رضي الله عنه وصلوا اولهم فابعثوا
بما اكثر حديث المدة كأنهم قالوا ربكم اعلم بذلك لا طريق لكم الى علمه فخذوا في شيء آخر مما يهمكم
ونعينكم فابعثوا احدكم اي ارسلوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة الورق الفضة مضروبة
كانت او غير مضروبة والمدينة طرسوس قالوا وتزودهم ما كان معهم من الورق عند فرارهم دليل

ان حمل النفقة وما يصلح للمسافر هو راي المتوكلين على الله دون المتكلين على الانفاقات وعلى
ما في اوعية القوم من النفقات وحكي عن بعض صعاليك العلماء انه كان شديد الحنين الى ان
يرزق حج بيت الله وكان يقول فيه ذلك فكانت مياسير اهل بلده كلما عزم منهم فوج على الحج اتوه فقالوا
له ان تحج ابه والحوا عليه فيعتذر اليهم ويحمد الله لهم فاذا انفضوا عنه قال لمن عنده ما
لهذا السفر الا سببان شد الهميان والتوكل على الرحمن فلينظر ايها يعني اي اهلها ازكى طعاما
اي احل واطيب او اكثر وارخص وقيل انهم احل ذبيحة لان عامتهم مجوس وفيهم مؤمنون فليأتكم
برزق منه اي بقوت يأكلونه وليتلطف اي وليتكلف اللطف في دخول المدينة وفيما يباشره من
المبايعة وشرى الطعام حتى لا يغبن او في امر التخفي حتى لا يعرف ولا يطلع عليه ولا يشعرن بكم
احدا اي لا يخبرن بمكانكم ولا يفعلن ما يؤدي الى العلم بكم من غير قصد منه انهم يعني اهل المدينة
ان يظهروا عليكم اي ان يطلعوا او يشرفوا عليكم يرجموكم اي يقتلوكم اخبث القتلة وهي
الرجم وكانت عادتهم لمن خرج من دينهم او يعيدوكم اي يدخلوكم في ملتهم اي في دينهم بالاكراه
العنيف ويصيروكم اليها ولن تفلحوا اذا ابدا يعني ان دخلتم في دينهم لم تسعدوا في الدنيا
ولا في الآخرة وكذلك اعثرنا عليهم اي وكما انمناهم وبعثناهم لما في ذلك من الحكمة اطلعنا عليهم
ليعلموا اي وليعلموا ان القيمة لا شك في وقوعها وليستدلوا بقصتهم على صحة امر البعث وان
الساعة لا ريب فيها اذ يتنازعون بينهم امرهم هذا متعلق باعثرنا اي اعثرناهم عليهم حين يتنازعون
بينهم امر دينهم ويختلفون في حقيقة البعث فكان بعضهم يقول تبعث الارواح دون الاجساد
وبعضهم يقول تبعث الاجساد مع الارواح والمعنى اعثرناهم عليهم حين تنازعوا الى نفع الخلاف
وليبين ان الاجساد تبعث حية حساسة فيها ارواحها كما كانت قبل الموت فقالوا يعني
حين توفى الله اصحاب الكهف ابنوا عليهم بنيانا اي على باب كهفهم لئلا يتطرق اليهم الناس
ضنا بتربتهم ومحافظة عليها كما حفظت تربة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبناء ربهم اعلم بهم
من كلام المتنازعين يدل على انه وقع التنازع في عددهم قال الذين غلبوا على امرهم وهم
المسلمون وملكهم وكانوا اولى بهم وبالبناء عليهم لنتخذن عليهم مسجدا يصلي فيه المسلمون

وتبين كون مكانهم قال رضي الله عنه في قصة اهل الكهف ذكر ان اهل الانجيل عظمت
فيهم الخطايا وطغت ملوكهم حتى عبدوا الاصنام واكرهوا على عبادتها وممن شدد في ذلك
دقيانوس فاراد فتية من اشراف قومه على الشرك وتوعدهم بالقتل فابوا الا الثبات على الايمان
والتصلب فيه ثم هربوا الى الكهف فمروا بكلب فطردوه فانطقه الله فقال ما تريدون
مني انا احب الله فناموا وانا احرسكم وقيل مروا براع ومعه كلب فتبعهم الراعي على دينهم ودخلوا
الكهف فكانوا يعبدون الله فيه ثم ضرب الله على آذانهم وقيل ان يبعثهم الله ملك مدينتهم رجل
صالح مومن وقد اختلف اهل مملكته في البعث فمن بين معترف وجاحد فدخل الملك
بيته واغلق عليه بابه ولبس مسحا وهو ثوب من شعر وجلس على رماد وسال ربه ان يبين لهم
الحق فالقى الله في نفس رجل من رعيانهم فهدم ما سد به فم الكهف ليتخذ حظيرة لغنمه ولما
دخل المدينة الرجل الذي بعثوه ليبتاع الطعام واخرج الورق وكان من ضرب دقيانوس
اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك فقص عليه القصة فانطلق الملك واهل المدينة
معه وابصروهم وحمدوا الله على الاية الدالة على البعث ثم قالت الفتية للملك نستودعك
الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم وتوفى الله انفسهم فالقى الملك
عليهم ثيابه وامر فجعل لكل واحد تابوت من ذهب فرآهم في المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج
وبنى على باب الكهف مسجدا سيقولون ثلاثة هذا اخبار من الله تعالى [illegible]
اهل الكهف فجرى ذلك بالمدينة بين اهل الكتاب والمومنين حين قدم وفد نجران فجرى ذكرهم فقالت
اليعقوبية منهم كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم وقالت النسطورية كانوا خمسة سادسهم كلبهم
رجما بالغيب اي ظنا من غير تيقن وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم فالقول
الاولان لاهل الكتاب والقول الثالث للمسلمين وحقق الله قول المسلمين وانما عرفوا ذلك باخبار
رسول الله صلى الله عليه لهم على لسان جبريل عليه السلام وعن علي رضي الله عنه هم سبعة نفر اسماؤهم يمليخا
ومكشلينيا ومشلينيا هولاء اصحاب يمين الملك وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش
وشاذنوش وكان يستشير هولاء الستة في امره والسابع الراعي الذي وافقهم واسمه كفشططيوس

ويقولون

ويقولون

هربوا من ملكهم دقيانوس واسم مدينتهم افسوس وكلبهم قطمير قل يا محمد ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم
الا قليل من الناس قيل يعني النبي صلى الله عليه وعن ابن عباس انا من اولئك القليل ثم ذكرهم
باسمائهم فذكر سبعة قال رضي الله عنه وفائدة اختصاص قوله وثامنهم بالواو تحقيق لذلك
القول واشعار بان الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم قالوا ذلك عن ثبات علم وطمانينة نفس ولم
يرجموا بالظن كغيرهم ولذلك اتبع الله سبحانه القولين الاولين قوله رجما بالغيب واتبع الثالث قوله
ما يعلمهم الا الله قال ابن عباس لما وقعت الواو انقطعت العدة اي لم يبق بعدها عاد يلتفت اليها
وثبت انهم سبعة وثامنهم كلبهم على القطع والبتات وقيل الا قليل من اهل الكتاب والمراد بقوله
سيقولون على هذا اهل الكتاب خاصة اي سيقول فيهم اهل الكتاب كذا وكذا ولا علم بذلك الا في
قليل منهم واكثرهم على ظن وتخمين فلا تمار فيهم اي لا تجادل اهل الكتاب في شان اصحاب الكهف
الا مراء ظاهرا اي الا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو ان تقص عليهم ما اوحى الله اليك فحسب
من غير تجهيل لهم ولا تعنيف بهم في الرد عليهم كما قال وجادلهم بالتي هي احسن ولا تستفت فيهم
اي في اصحاب الكهف منهم اي من اهل الكتاب احدا والمعنى لا تسال احدا منهم عن قصتهم سوال
متعنت له حتى يقول شيئا فترد عليه وتزيف ما عنده لان ذلك خلاف ما وصيت به من المداراة
والمجاملة ولا سوال مسترشد لان الله قد ارشدك بان اوحى اليك قصتهم واوضح لك عددهم
ولا تقولن لشيء اي لاجل شيء تعزم عليه اني فاعل ذلك الشيء غدا اي فيما يستقبل من الزمان ولم
يرد الغد خاصة الا ان يشاء الله هذا متعلق بالنهي على معنى ولا تقولن ذلك القول الا ان يشاء
الله ان تقوله بان ياذن لك فيه او لا تقولنه الا بان يشاء الله اي الا بمشيئته بمعنى الا ملتبسا بمشيئة الله
قائلا ان شاء الله نحو ان تقول افعل كذا غدا ان شاء الله تعالى قال رضي الله عنه وهذا نهي تاديب من الله
عز وجل لنبيه صلى الله عليه حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن اصحاب الكهف
وعن ذي القرنين فسالوه فقال ائتوني غدا اخبركم ولم يستثن فابطا عليه الوحي حتى شق عليه وكذبته
قريش واذكر ربك اذا نسيت اي مشيئة ربك وقل ان شاء الله اذا فرط منك نسيان لذلك والمعنى
اذا نسيت كلمة الاستثناء ثم تنبهت عليها فتداركها بالذكر لها وقيل ان شاء الله وعن ابن عباس

في الاستثناء انه يصح ولو بعد سنة ما لم يحنث وعن ابن جبير ولو بعد يوم او اسبوع او شهر او سنة وعن
طاوس والحسن هو على استثنائه ما دام في مجلسه وعند عامة الفقهاء انه لا اثر له في الاحكام الشرعية
ما لم يكن موصولا وهذا مذهب آبائنا عليهم السلام وعن بعض فقهائهم يقضي له عن قدر النفس
قال رضي الله عنه ويحكى انه بلغ المنصور الدوانيقي ان ابا حنيفة خالف ابن عباس في الاستثناء
المنفصل فاستحضره لينكر عليه فقال له ابو حنيفة هذا يرجع عليك لانك تاخذ البيعة من الناس
بالايمان افترضى ان يخرجوا من عندك فيستثنوا فيخرجوا عليك فاستحسن كلامه ورضي عنه وقد
حمل على اداء الصلاة المنسية عند ذكرها وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا رشدا هذا
اشارة الى نبا اصحاب الكهف ومعناه لعل الله يؤتيني من البينات والحجج على اني نبي صادق ما هو اعظم
في الدلالة واقرب رشدا من نبا اصحاب الكهف وقد فعل ذلك حيث اتاه من قصص الانبيا والاخبار
بالغيوب ما هو اعظم من ذلك وادل قال رضي الله عنه والظاهر في تفسير هذه الابدال
يكون المعنى اذا نسيت شيا فاذكر ربك عند نسيانه بان تقول عسى ربي ان يهديني لشيء اخر بدل
هذا المنسي اقرب منه رشدا وادنى خيرا ومنفعة ولعل النسيان كان خيرة ثم اخبر تعالى عن
مدة لبثهم في الكهف فقال ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا اي وازدادوا لعدها
سنين واراد بهذا اللبث فيه احيا مضروبا على اذانهم هذه المدة وهذا بيان لما اجمل في قوله فضربنا
على اذانهم في الكهف سنين عددا قل يا محمد الله اعلم بما لبثوا اي هو اعلم من الذين اختلفوا فيهم
لبثهم والحق ما اخبرك به ثم ذكر اختصاصه بعلم الغيب فقال له غيب السموات والارض اي له
وحده الاختصاص بعلم ما غاب فيهما وما خفي فيهما من احوال اهلهما ومن غيرهما ابصر به واسمع هو
دليل على التعجب من ادراكه للمبصرات والمسموعات ليدل على ان امره في الادراك خارج عن حد ما
عليه ادراك المبصرين والسامعين لانه يدرك الطف الاشيا واصغرها كما يدرك اكبرها حجما
واكثفها جرما ويدرك البواطن كما يدرك الظواهر والمعنى ابصر ما ابصره الله لكل
موجود واسمعه لكل مسموع ما لهم يعني اهل السموات والارض من دونه من ولي اي من
متول لامورهم ولا يشرك في حكمه اي في قضائه احدا منهم واتل ما اوحي اليك من كتاب

الكهف

ربك لا مبدل لكلماته كان المشركون يقولون له ائت بقران غير هذا او بدله فقيل له اتل
ما اوحي اليك من القران ولا تسمع لما يهذون به من طلب التبديل فلا مبدل لكلمات ربك اي لا يقدر
احد على تبديلها وتغييرها انما يقدر على ذلك هو وحده ولن تجد من دونه ملتحدا اي ملتجا
تعدل اليه ان هممت بذلك واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم نسب هذه الاية ان قوما
من رؤسا المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه نح عنا هؤلاء الموالي الذين كان ريحهم
ريح الضان وهم صهيب وعمار وخباب وغيرهم من فقرا المسلمين حتى نجالسك فنزلت واصبر نفسك
مع الذين يدعون ربهم اي احبسها معهم وثبتها بالغداة والعشي الغداة اول اليوم والعشي
اخره من بعد الزوال والمعنى دايبين على الدعا في كل وقت وقيل المراد صلاة الفجر والعصر
يريدون وجهه اي يريدون بالعبادة تعظيمه ورضاه ولا تعد عيناك عنهم اي لا تصرف
نظرك الى غيرهم من ذوي الهيات والزينة تريد زينة الحيوة الدنيا اي زينة اهل الحيوة
الدنيا وبهجتها والمعنى مجالسة الاغنيا والرؤسا قال رضي الله عنه نهى رسول الله
صلى الله عليه ان يزدري فقرا المسلمين وان تنبو عينه عن رثاثة زيهم طموحا الى زي الاغنيا
وحسن شارتهم ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا اي من جعلنا قلبه غافلا عن
الذكر بالخذلان او وجدناه غافلا عنه او هو من قولهم اغفل ابله اذا تركها بغير سمة اي لم
نسمه بالذكر ولم نجعله من الذين كتبنا في قلوبهم الايمان وليس المعنى منعنا قلبه كما قالت المجبرة
لابطل الله توهمهم هذا بقوله واتبع هواه اي ما دعته اليه نفسه فلذلك اتباع الهوى اليه
مخلا وكان امره فرطا اي متقدما للحق والصواب نابذا له ورا ظهره من قولهم فرس فرط
اي متقدم للخيل وقل لهم يا محمد الحق من ربكم فمن شا فليؤمن ومن شا فليكفر المعنى
جا الحق وزالت العلل فلم يبق الا اختياركم لانفسكم ما شئتم من الاخذ في طريق النجاة
او في طريق الهلاك وجي بلفظ الامر والتخيير لانه لما مكن من اختيار ايهما شا فكانه مخير مامور
بان يتخير ما شا من الطريقين انا اعتدنا اي هيانا للظالمين اي للعاصين نارا احاط بهم
سرادقها شبه ما يحيط بهم من النار بالسرادق وهو الحجرة التي تكون حول الفسطاط وقيل

هو دخان يحيط بالكفار قبل دخولهم النار وقيل حايط من نار يطيف بهم وان يستغيثوا
اي يطلبوا الاغاثة والسقيا مما هم فيه من العذاب والعطش يغاثوا بماء كالمهل وهو ما
اذيب من اجساد الرصاص يشوي الوجوه اي حتى يسقط لحومها فيه اذا قدم ليشرب
الوجه من حرارته وعن النبي صلى الله عليه هو كعكر الزيت فاذا قرب اليه سقطت فروة وجهه
ثم ذمه فقال بئس الشراب اي بئس ايهم ذلك وساءت مرتفقا المرتفق المتكأ اي بئس
النار متكأ وهذا المشاكلة قوله بعد وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ولا اتكا
لان ذلك لا يكون الا للمتنعمين ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اي صدقوا وعملوا اعمالا
وحب قلبهم انا لا نضيع اجر من احسن عملا بل نوفيه ما يجب له ونزيد عليه اولئك لهم جنات
عدن هو موضع مخصوص في الجنة تجري من تحتهم الانهار يعني انهار الجنة وهي
من عسل مصفى ومن لبن ومن خمر ومن ماء غير متغير يحلون فيها اي يزينون فيها من اساور
من ذهب قيل يحلى كل واحد ثلث اساور من ذهب وقيل ثلاثة واحد من ذهب وواحد من فضة وواحد
من لؤلؤ وياقوت ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق هما نوعان من الحرير فالسندس
مارق والاستبرق ما غلظ وجمع لهم بين النوعين للزيادة في التنعم متكئين فيها على
الارائك وهي السرر في الحجال يكون من ذهب مكللة بالدر والياقوت وخص الاتكاء لانه
هيئة المتنعمين والملوك على اسرتهم نعم الثواب اي طاب ثوابهم وحسنت مرتفقا
الارائك والمعنى حسنت الارائك موضع ارتفاق اي اتكا على المرفق واضرب لهم مثلا
اي مثل حال الكافر والمومن بحال رجلين قيل هما المذكوران في سورة الصافات وكانا ورثا من ابيهما
ثمانية الاف دينار فتشاطراها فاشترى الكافر ارضا بالف فقال المومن اللهم ان اخي اشترى
ارضا بالف دينار وانا اشترى منك ارضا في الجنة بالف فتصدق به ثم تزوج اخوه امراة
فقال اللهم اني جعلت الفا صداقا للحور فتصدق به ثم اشترى اخوه خدما ومتاعا
بالف فقال اللهم اني اشتريت منك الولدان المخلدين بالف فتصدق به ثم اصابته حاجة
فجلس لاخيه على طريقه فمر به في حشمه فتعرض له فطرده ووبخه على التصدق بماله

اسم المومن يهودا واسم الكافر فطروس

[illegible]

مثلا والمعنى مثل حال المومنين والكافرين بحال رجلين هذه صفتهما جعلنا لاحدهما وهو الكافر جنتين
من اعناب اي بساتين من كروم وحففناهما بنخل اي جعلنا النخل محيطا بالجنتين وهذا مما يوثره
الاغنياء في اعنابهم ان يجعلوها محفوفة بالاشجار المثمرة وجعلنا بينهما اي بين الجنتين زرعا اي جعلناها
ارضا جامعة للاقوات والفواكه والمعنى وصف الارض بانها متواصلة متشابكة لم يتوسطها ما يقطعها
ويفصل بينها مع الشرف الحسن وهو ان تكون الاقوات والزروع بين جنتين من اعناب محفوفتين بنخل
ثم وصفها بوفاء الثمار وتمام الاكل فقال كلتا الجنتين اتت اكلها اي ادت ريعها تاما ولم تظلم منه
شيئا اي لم ينقص من اكلها بل اتت به وافيا كاملا وفجرنا خلالهما نهرا هذا وصف للارض بما هو اصل الخير
وزيادته من امر الشرب فجعله افضل ما سقي به وهو السيح بالنهر الجاري فيها والمعنى فتحنا واجرينا
وسط الجنتين نهرا وكان له ثمر اي وكان للاخ الكافر انواع من المال كثيرة وقيل الذهب والفضة
والمعنى انه كان له مع الجنتين والزرع الاموال الكثيرة من الذهب والفضة وغيرهما فكان وافر اليسار
من كل وجه متمكنا من عمارة الارض كيف شاء فقال لصاحبه اي فقال الكافر للمومن وهو يحاوره
اي يراجعه في الكلام ويجاوبه وذلك انه اخذ بيده يطوف به في الجنتين ويريه ما فيهما ويعجبه منهما
ويفاخره بما ملك من المال دونه فقال انا اكثر منك مالا واعز نفرا يعني انصارا وحشما وقيل اولادا
ذكورا لانهم ينفرون معه دون الاناث وقيل انه سأله عن ماله فقال انفقته فقال قد بنيته من ذلك
الكلام عليه فقال انا اكثر منك مالا واعز نفرا اي رهطا وعشيرة ودخل جنته يعني احد جنتيه
يطوف به فيها قال رضي الله عنه افرد الجنة بعد التثنية لان معناه ودخل الذي
هو جنته ماله جنة غيرها يعني انه لا نصيب له في الجنة التي وعد المتقون فما ملكه في الدنيا هو جنته
ولم يقصد الجنتين ولا واحدة منهما وهو ظالم لنفسه اي معجب بما اوتي مفتخر به كافر
لنعمة ربه معرض بذلك نفسه لسخط الله وهو افحش الظلم للنفس قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا
اي ما اظن ان تزول هذه الجنة ولا ان تهلك ثم انكر القيامة وفناء الدنيا فقال وما اظن الساعة قائمة
اي كائنة قال رضي الله عنه اخبر عن نفسه بالشك في بيده وفي جنته لطول امله في الدنيا
واستيلاء الحرص عليه وتمادي غفلته واغتراره بالمهلة واطراحه النظر في العواقب امثاله من المغترين

نفرا ... مالا اذا كثر

عو [illegible]

الماضين وترى كثيرا من اغنيا المسلمين وان لم يطلقوا بنحو هذا الكلام السنتهم فان السنة احوالهم
ناطقة به منادية عليه لانهم يسوفون ولا يعملون عمل من الموت في عنقه وهو على طمع شفع ولئن رددت
الى ربي لاجدن خيرا منها هذا اقسام منه على انه ان رد الى ربه على سبيل الفرض والتقدير
وكما يزعم صاحبه ليجدن في الاخرة خيرا من جنته في الدنيا طمعا وتمنيا على الله وادعا للكرامة
لكرامته عليه ومكانته عنده وانه ما اولاه الجنتين في الدنيا الا لاستحقاقه واستيهاله وان
معه هذا الاستحقاق اينما توجه وقوله منقلبا اي مرجعا وعاقبة والمعنى ان منقلب تلك
خير من منقلب هذه لانها فانية وتلك باقية قال له صاحبه يعني قال المسلم للكافر وهو يحاوره
اي يراجعه الكلام اكفرت بالذي خلقك من تراب اي خلق اصلك لان خلق اصله سبب
خلقه فكان خلقه خلقا له وهذا انكار منه عليه في الكفر وتحقيق لكفره ثم من نطفة اي ثم
ثم سواك رجلا اي عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعله كافرا بالله جاحدا
لانعمه لشكه في البعث كما يكون المكذب بالرسول كافرا لكنا هو الله ربي اصله لكن انا وهو
ابى بن كعب وعن ابى عمرو انه وقف بالهاء لكنه وقرى لكن هو الله ربي لا خلاف في الوقف انه بالالف
قال رضي الله عنه وهو استدراك لقوله اكفرت قال لاخيه انت كافر بالله لكني مومن
ولا اشرك بربي احدا اي لا اجعله شريكا في الالهية ولولا اذ دخلت جنتك قلت
ما شاء الله اي هلا قلت عند دخولها والنظر الى ما رزقك الله منها الامر ما شاء الله اعترافا
وكل خير فيها انما حصل بمشية الله وفضله وان امرها بيده ان شاء تركها عامرة وان شاء خربها
وقلت لا قوة الا بالله اقرارا بان ما قويت به على عمارتها وتدبير امرها هو بمعونته وتاييده
تقوى احد في بدنه ولا في ملكه الا بالله وعن عروة بن الزبير انه كان يثلم حائطه ايام الرطب
فيدخل من شاء وكان اذا دخله ردد هذه الاية حتى يخرج وهذا توبيخ من المسلم للكافر على مقالته
له ما يجب ان يقول ثم رجع الى نفسه فقال ان ترن انا اقل منك مالا وولدا فعسى ربي ان يوتين
خيرا من جنتك اي ان ترني افقر منك فانا اتوقع من صنع الله ان يقلب ما بي وما بك من الفقر والغنى
في الاخرة او في الدنيا خيرا من جنتك ويسلبك لكفرك نعمته ويخرب جنتك ويرسل عليها حسبانا

الكهف

من السماء الحسبان العذاب من برد او صاعقة وقيل الحسبان مصدر بمعنى الحساب اي مقدارا قدره
الله وحسبه وهو الحكم بتخريبها فتصبح صعيدا زلقا اي ارضا بيضا لا نبات فيها او تزلق
عليها لملاستها او يصبح ماؤها يعني النهر الذي جرى وسطها غورا اي ذاهبا في الارض فلن
تستطيع له طلبا اي لن تقدر له على طلب لذهابه عنك حتى لا تجد واحيط بثمره اي اهلكت
اشجاره المثمرة وهي عبارة عن اهلاكه واصله من احاط به العدو لانه اذا احاط به فقد ملكه
واستولى عليه ثم استعمل في كل اهلاك فاصبح يقلب كفيه يقلب الكفين كناية عن الندم والتحسر
لان النادم يقلب كفيه ظهرا لبطن كما كنى عن ذلك بعض الكف والسقوط في اليد ولانه في معنى الندم
انه قيل فاصبح يندم على ما انفق فيها اي في عمارتها وهي خاوية على عروشها يعني ان كرومها
المعروشة سقطت عروشها على الارض وسقطت فوقها الكروم وقيل ان الله ارسل عليها
نارا فاكلتها ويقول يا ليتني لم اشرك بربي احدا تذكر موعظة اخيه فعلم انه اتي من جهة
شركه وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا حتى لا يهلك الله بستانه حين لم ينفعه التمني ولم تكن له فئة
اي جماعة ينصرونه من دون الله اي لم ينصره النفر الذين افتخر بهم حين قال انا اكثر منك مالا واعز
نفرا والمعنى لم تكن له اصحاب يقدرون على نصرته من دون الله اي هو وحده القادر على نصرته
لا يقدر احد غيره ان ينصره وما كان منتصرا اي وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله ومانعا لما
ذهب منه هنالك اي في ذلك المقام وتلك الحال الولاية لله الحق اي النصرة لله وحده
لا يملكها غيره ولا يستطيعها احد سواه وهذا تقرير لقوله ولم تكن له فئة ينصرونه من دون
الله والولاية بالفتح النصرة والتولي وبالكسر السلطان والملك وقد قرئ بهما هو خير ثوابا اي
افضل ثوابا لمن يرجو ثوابه لانه لا يثيب غيره الا هو وخير عقبا اي عاقبة طاعته خير من عاقبة طاعة
غيره واضرب لهم اي لقومك يا محمد مثل الحيوة الدنيا اي شبهها ونعيمها كماء اي هو كماء
انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض اي التف وتكاثر بسببه حتى خالط بعضه بعضا
وقيل معناه اثر الماء في النبات ونفع فيه فاختلط به حتى روي ورف رفيفا اي اخضر وتنعم وكان
حق اللفظ على هذا التفسير ان يكون فاختلط بنبات الارض فاصبح يعني النبات هشيما اي متكسرا

منقعرا تذروه الرياح اي تحمله وتفرقه هذه الآية مختصرة من قوله تعالى انما مثل الحيوة
الدنيا كماء الآية قال رضي الله عنه شبه حال الدنيا في زينتها ونضرتها وحسن بهجتها وما يتعقبها
من الهلاك والفناء بحال النبات يكون اخضر متنعما ثم ييبس فتطيره الرياح كان لم يكن وكان
الله على كل شيء من الانشاء والافناء مقتدرا لا يخرج شيء عن اقتداره انشاء النبات ولم يكن
ثم افناه المال والبنون زينة الحيوة الدنيا هذا رد على الرؤساء الذين كانوا يفتخرون بالمال والاولاد
اخبر الله تعالى ان ذلك مما يتزين به في الحيوة الدنيا لا مما ينفع في الآخرة والباقيات الصالحات
هي ما يأتي به سلمان وصهيب وفقراء المسلمين من الصلوات والاذكار والاعمال الصالحة وقيل هي اعمال الخير
التي يبقى ثوابها للانسان ونهى عنه كل ما تطمح اليه نفسه من حظوظ الدنيا وقيل هي الصلوات الخمس
وقيل هي كل ما اريد به وجه الله خير عند ربك ثوابا وخير املا اي افضل ثوابا وافضل املا
من المال والبنين ويوم نسير الجبال اي نسيرها في الهواء ونذهب بها بان نجعلها هباء والمعنى اذكر
يوم نسير الجبال عن وجه الارض كما نسير السحاب وترى الارض بارزة اي ظاهرة ليس عليها شيء
وحشرناهم اي جمعناهم الى الموقف المؤمنين والكافرين فلم نغادر اي لم نترك منهم احدا لان الحشر
يقتضي بالاجتماع وعرضوا على ربك يعني المحشورين صفا اي مصطفين ظاهرين يشبه حالهم
بحال الجند المعروضين على السلطان كل امة صف يرى جملتهم كما ترى حال كل واحد لا يحجب
احد احدا ويقال لهم لقد جئتمونا كما خلقناكم اول مرة حفاة عراة فرادى لا شيء معكم بل زعمتم
ان لن نجعل لكم موعدا اي وقتا لانجاز ما وعدتم على السنة الانبياء من البعث والنشور
وهذا خطاب لمنكري البعث ووضع الكتاب اي وضع كتاب كل امرئ في يمينه او شماله فترى
المجرمين اي المعتدين بالظلم والاجرام مشفقين اي خائفين مما فيه من الاعمال السيئة والافعال
القبيحة ويقولون لما وقعوا في الهلكة يا ويلتنا ينادون هلكتهم التي هلكوها خاصة من
من بين الهلكات مال هذا الكتاب لا يغادر اي لا يترك صغيرة من اعمالنا ولا كبيرة عن
ابن عباس الصغيرة التبسم باستهزاء المؤمن والكبيرة القهقهة بذلك وعن ابن جبير الصغائر
اللمس بالبدو والقبلة في الزنا وعن الفضيل بن عياض كان اذا قرأها قال ضجوا والله من الصغائر قبل

الكبائر الا احصاها اي الا ضبطها وحصرها ووجدوا ما عملوا حاضرا اي مكتوبا مثبتا في الصحف او
وجدوا جزاء ما عملوا حاضرا لانهم في دار الجزاء ولا يظلم ربك احدا فيكتب عليه ما لم يعمل او يزيد في عقابه المستحق
او يعذبه بغير جرم كما يزعم من ظلم الله في تعذيب اطفال المشركين بذنوب آبائهم واذ قلنا للملائكة اسجدوا
لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن قال رضي الله عنه هذا كلام مستأنف معناه التعليل
استثناء ابليس من الساجدين كأن قائلا قال ما له لم يسجد فقيل كان من الجن ففسق عن امر ربه والفاء
للتسبيب ايضا جعل كونه من الجن سببا في فسقه يعني انه لو كان ملكا كسائر من سجد لآدم لم يفسق
عن امر الله لان الملائكة معصومون البتة لا يجوز عليهم ما يجوز على الجن والانس وهذا الكلام
المعترض تعمد من الله عز وجل لصيانة الملائكة عن وقوع شبهة في عصمتهم فما ابعد البون بين ما
تعمده الله وبين قول من ضاده وزعم انه كان ملكا ورئيسا على الملائكة فعصى فلعن ومسخ شيطانا
ويذكره عن ابن عباس وهو اغلظ حالا من ان يجهل هذا ومعنى قوله ففسق عن امر ربه اي خرج عما
امره به من السجود او صار فاسقا كافرا بسبب امر ربه الذي هو قوله اسجدوا لآدم افتتخذونه
وذريته هذا انكار وتعجب من حالهم كانه قيل اعقيب ما وجد منه تتخذونه وذريته اي اولاده اولياء من
دوني اي مطاعين تطيعونهم في معصيتي وتستبدلونهم بي وهم لكم عدو كما كان لابيكم عدوا بئس للظالمين بدلا
بئس البدل استبدلهم بعبادة الرحمن طاعة الشيطان او بئس البدل من الله ابليس لمن استبدله
فاطاعه بدل طاعته ما اشهدتهم اي ما احضرتهم يعني ابليس وذريته خلق السموات والارض يعني
انهم اتخذتموهم شركاء لي في العبادة وانما كانوا يكونون شركاء فيها لو كانوا شركاء في الالهية فنفى مشاركتهم في
الالهية بقوله ما اشهدتهم خلق السموات والارض لاعتضد بهم في خلقها ولا خلق انفسهم اي ولا
اشهدت بعضهم خلق بعض اخبر تعالى عن كمال قدرته واستغنائه عن الانصار والاعوان فيما خلق
وما كنت متخذ المضلين عضدا اي ما كنت اتخذهم اعوانا ولا انصارا لاستغنائي بقدرتي عنهم
وقرئ وما كنت بالفتح على ان الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى وما صح لك الاعتضاد بهم وما
ينبغي لك ان تعتز بهم ويوم يقول نادوا شركائي اي يقول الله تعالى يوم القيامة ادعوا الذين اشركتم بي
لينقذوكم من عذابي واضاف الشركاء اليه على زعمهم توبيخا لهم واراد الجن فدعوهم فلم يستجيبوا لهم

لانهم في العذاب مشتركون وجعلنا بينهم اى بين الاوثان وعبدتها موبقا اى محبسا وقيل واديا من
اودية جهنم هو مكان الهلاك والعذاب الشديد يهلكون فيه جميعا وقال الفراء البين الوصل اى
وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا يوم القيمة ورأى المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها اى ايقنوا
انهم مخالطوها واقعون فيها ولم يجدوا عنها مصرفا اى معدلا يعدلون اليه لاحاطتها بهم من
كل جانب ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل اى كررنا ورددنا لهم فيه من كل
موعظة ومعنى حسن هو في حسنه وغرابته كالمثل في حسنه وغرابته وكان الانسان اكثر شيء
جدلا يعني اكثر الاشياء التي يتاتى منها الجدل خصومة ومماراة بالباطل والمعنى ان جدل الانسان
اكثر من جدل كل شيء وما منع الناس يعني اهل مكة ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى ويستغفروا
ربهم الا ان تاتيهم سنة الاولين المعنى ما منع الناس الايمان والاستغفار الا انتظار ان
تاتيهم سنة الاولين وهي الاهلاك او ياتيهم العذاب يعني او انتظار ان ياتيهم العذاب يعني عذاب الآخرة
قبلا اى عيانا يقابلونه وينتظرونه بعتوهم والمعنى ان الحجة قد لزمتهم بالقرآن المعجز وعمى ما
ينتظرون الا العقوبة الامتناع من الايمان والاستغفار وما نرسل المرسلين الا مبشرين
ومنذرين اى ما نرسلهم الى اممهم الا مبشرين بالجنة ومنذرين من النار ثم وصف حال الذين
كفروا فقال ويجادل الذين كفروا اى يخاصمون الرسل بالباطل اى بالباطل من القول الذي
لا حجة فيه ليدحضوا به الحق اى ليزيلوا ويبطلوا بباطلهم الحق الذي ارسل الله به وهو الهدى
الذي جاءهم واتخذوا آياتي يعني القرآن الذي فيه هداهم وما انذروا اى وما انذروا من العقاب
هزوا اى لعبا وهو موضع استهزاء فالقرآن يرمي الله عنه وجدالهم بالباطل هو قولهم للرسل ما انتم
الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة وما اشبه ذلك ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه اى بالقرآن
فاعرض عنها اى تهاون بها فلم يتذكر حين ذكر ولم يتدبر ونسي ما قدمت يداه اى ونسي عاقبة
ما قدمت يداه من المعاصي غير مفكر فيها ولا ناظر في ان المسيء والمحسن لا بد لهما من جزاء ثم علل
اعراضهم ونسيانهم بقوله انا جعلنا على قلوبهم اكنة اى اغطية تمنعهم من ان يفقهوه اى من ان يفهموه
كانهم لشدة اعراضهم خلقوا على هذه الصفة وفي آذانهم وقرا اى ثقلا يمنعهم من السماع وان تدعهم

يا محمد الى الهدى فلن يهتدوا اى فلا يكون منهم اهتداء البتة كانه محال منهم لشدة تصميمهم اذا ابدا
اى مدة التكليف كلها والمعنى انهم لا يهتدون الى وقت انقطاع التكليف ومشاهدة العذاب واذا
معناها الكواو والجزاء كانه قال حرصا على اسلامهم ما لي لا ادعوهم فقيل وان تدعهم الى
الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا اى لو دعوتهم فذلك على انتفاء اهتدائهم لدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم يعني
انهم جعلوا ما يجب ان يكون سبب وجود الاهتداء سببا في انتفائه وهذا غاية الضلال وربك
الغفور اى البليغ المغفرة ذو الرحمة اى الموصوف بالرحمة ثم استشهد على ذلك بترك تعجيل
مؤاخذة اهل مكة من غير امهال مع استحقاقهم لذلك لافراطهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب يعني العذاب العاجل في الدنيا بل لهم موعد
يعني البعث والحساب وقيل هو يوم بدر لن يجدوا من دونه موئلا اى منجا ولا ملجا وتلك القرى اهلكناهم
يعني قرى الاولين من ثمود وقوم لوط وغيرهم اشار اليها لتعتبر اهل مكة بها لانهم يشاهدونها في
اسفارهم لما ظلموا اى اشركوا وكذبوا الرسل والمعنى اهلكناهم لما ظلموا مثل ظلم اهل مكة لان الشرك
اعظم الظلم وجعلنا لمهلكهم اى لوقت اهلاكهم موعدا اى وقتا معلوما لا يتاخرون عنه كما جعلنا
لاهل مكة يوم بدر واذ قال موسى اى واذكر وقت قال موسى لما في قصته من العبرة لفتاه اى لعبده وفي
الحديث ليقل احدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وامتي وفتاه هو يوشع بن نون وانما قيل فتاه لانه كان
يلازمه ويتبعه وقيل كان ياخذ منه العلم لا ابرح اى لا ازال اسير حتى ابلغ مجمع البحرين وهو
المكان الذي وعد فيه موسى لقاء الخضر عليهما السلام وهو ملتقى بحر فارس والروم مما يلي المشرق وقيل
بافريقية او امضي حقبا معناه او اسير زمانا طويلا والحقب ثمانون سنة قال رضي الله عنه القصة
انه لما ظهر موسى على مصر مع بني اسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط امره الله ان يذكر قومه النعمة
فقام فيهم خطيبا فذكر نعمة الله وقال ان الله اصطفى نبيكم وكلمه فقالوا له قد علمنا هذا فاي الناس اعلم
قال انا فعتب الله عليه حين لم يرد العلم اليه فاوحى الله اليه بل اعلم منك عبد لي عند مجمع البحرين وهو
الخضر وكان الخضر في ايام افريدون وكان افريدون كان قرن من ملوك الفرس قبل موسى وكان على
مقدمة ذي القرنين الاكبر وبقي الى ايام موسى وقيل ان موسى سال ربه اى عبادك احب اليك قال الذي يذكرني

ذكره من الكشاف
وقيل هو يوشع
وقيل طنجة

ولا تنسانى قال فاى عبادك اقضى قال الذى يقضى بالحق ولا يتبع الهوى قال فاى عبادك اعلم قال
الذى يبتغى علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى فقال ان كان فى عبادك
من هو اعلم منى فادللنى عليه قال اعلم منك الخضر قال فاين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال
يا رب كيف لى به قال تاخذ حوتا فى مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرنى
فذهبا يمشيان فرقد موسى فاضطرب الحوت ووقع فى البحر فلما جاء وقت الغداء طلب موسى الحوت فاخبره
فتاه بوقوعه فى البحر فاتيا الصخرة فاذا رجل مسجى بثوبه فسلم عليه موسى فاضطرب الحوت فقال
وانى بارضنا السلام فعرفه موسى نفسه فقال يا موسى انا على علم علمنيه الله لا تعلمه انت وانت
على علم علمكه الله لا اعلمه انا فلما ركبا السفينة جاء عصفور فوقع على حرفها فنقر فى الماء فقال
الخضر ما نقص علمى وعلمك من علم الله مقدار ما اخذ هذا العصفور من هذا البحر فلما بلغا
مجمع بينهما نسيا حوتهما اى نسيا تفقد امره وما يكون منه مما جعل امارة على الظفر بالطلبة
وقيل نسى يوشع ان يقدمه بين يديه ونسى موسى ان يامر فيه بشئ وقيل كان الحوت سمكة مملوحة
وقيل ان يوشع حمل الحوت والخبز فى المكتل فنزلا ليلة على شاطئ عين تسمى عين الحياة ونام
موسى عليه السلام فلما اصاب السمكة روح الماء وبرده عاشت وروى انهما اكلا منها وقيل توضأ يوشع من
العين فانتضح الماء على الحوت فعاش ووقع فى الماء فاتخذ سبيله اى فاتخذ الحوت طريقه فى
البحر سربا اى مثل السرب وهو الحجر الذى لا منفذ فيه كانه مثل الدرب تحت الارض وذلك ان الله تعالى امسك
جرية الماء على الحوت فحصل منه فى مثل السرب معجزة لموسى وللخضر فلما جاوزا ذلك المكان الذى ذهب
الحوت عنه وهو عند الصخرة لنسيان موسى تفقد امر الحوت ونسيان يوشع ان يذكر لموسى ما راى
من حياته ووقوعه فى البحر وقيل سارا بعد مجاوزة الصخرة الليلة والغد الى الظهر والقى الله على
موسى النصب والجوع حين جاوز الموعد ولم ينصب ولا جاع قبل ذلك فتذكر الحوت وطلبه قال لفتاه
آتنا غداءنا وهو ما يؤكل بالغداة لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا اى عناء وتعبا فقال الفتى
ارايت اذ اوينا الى الصخرة يعنى حيث نزلنا فانى نسيت الحوت اى نسيت خبره ان اذكره لك وما
انسانيه الا الشيطان ان اذكره اعتذر بانساء الشيطان اياه لانه لو ذكره قدر ذلك لموسى ما

فصار عليه مثل الطاق

الموضع ولا ناله النصب قال رضى الله عنه كيف نسى يوشع ذلك ومثله لا ينسى لكونه امارة لهما
على الطلبة التى تناهضا من اجلها ولكونه معجزتين ثنتين وهما حياة السمكة المملوحة المأكول منها
وقيام الماء وانتصابه مثل الطاق ونفوذها فى مثل السرب منه ثم استمر نسيانه حتى خلفا الموعد
وسارا مسيرة ليلة الى ظهر الغد وحتى طلب موسى الحوت واجاب بان الشيطان قد شغل يوشع
بوسواسه فذهب بفكره كل مذهب حتى اعتراه النسيان وانضم الى ذلك ان يوشع اعتاد مشاهدة
امثال هذه العجائب عند موسى فاعان ذلك على قلة الاهتمام منه بامر الحوت ووجه التئام هذا
الكلام وهو قوله ارايت اذ اوينا الى الصخرة فانى نسيت الحوت انه لما طلب موسى عليه السلام الحوت
ذكر يوشع ما راى منه وما اعتراه من نسيانه الى تلك الغاية فدهش فطفق يسال موسى عن سبب
ذلك قال ارايت ما دهانى اى اصابنى اذ اوينا الى الصخرة فانى نسيت الحوت فحذف ذلك
المفعول وما انسانى ذكره الا الشيطان ثم ذكر قصته فقال واتخذ سبيله فى البحر عجبا يعنى اتخذ
سبيله سبيلا عجبا وهو كونه شبه السرب او قال عجبا فى آخر كلامه تعجبا من حاله فى رؤية تلك
العجيبة ونسيانه لها او مما راى من المعجزتين قال يعنى موسى ذلك ما كنا نبغ اى ذلك الذى كنا
نطلب لانه امارة الظفر بالطلبة من لقاء الخضر فارتدا على آثارهما اى رجعا من حيث جاءا يقصان
قصصا اى يتبعان آثارهما اتباعا او فارتدا يقتصان فوجدا عبدا من عبادنا يعنى الخضر عليه السلام
آتيناه رحمة من عندنا هى الوحى والنبوة وعلمناه من لدنا علما من العلم وهو الاخبار عن الغيوب
قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا اى علما ذا رشد ارشد به فى دينى والمفعول
ان تعلمنى رشدا مما علمت وهذا سؤال الاستفهام وسؤال فيه ادب ومراعاة المتعلم الا يطلب العلم من العالم
الا بالمسالة حتى تقدم الاستيذان عن السؤال لجواز ان يكون العالم على حال لا يجب ان يسال وهو
فيها وقد اختلف فى موسى هذا هل هو موسى بن عمران النبى عليه السلام او موسى بن ميشا رجل من نبى لان
النبى يجب ان يكون اعلم اهل زمانه وامامهم المرجوع اليه فى ابواب الدين قال رضى الله عنه وحاجته
الى التعلم من آخر فى عهده لا يدل على انه كما قيل موسى بن ميشا لا موسى بن عمران لان
النبى واخذ العلم من نبى مثله وانما الغضاضة ان ياخذ ممن دونه وعن سعيد بن جبير انه قال

لابن عباس ان نوفا البكالي يزعم ان الخضر ليس بصاحب موسى بن عمران وان موسى هو موسى بن ميشا
لا موسى بن عمران لانه لا غضاضة بالنبي فقال كذب عدو الله قال يعني الخضر انك لن تستطيع
معي صبرا اي لن تطيق على الصبر معي لاني قلمت علم غيب ربي ثم اعلمه بالعلة فترك الصبر فقال
وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا اي على ما لم تعلم حقيقته قال رضي الله عنه نفى استطاعة
الصبر معه على وجه التأكيد كأنها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك بانه يتولى امورا هي في ظاهرها
مناكير لا يصبر الرجل الصالح عن الانكار فيها لما ياخذ من الجزع والغضب لله فكيف اذا كان نبيا
لا سيما ان كان نبيا ولا يصبر على الانكار قال له موسى ستجدني ان شاء الله صابرا لا اسألك عن
شيء حتى تكون انت الذي تحدثني به ولا اعصي لك امرا اي ولا اخالفك في شيء قال رضي الله عنه رجا
موسى عليه لحرصه على العلم وازدياده ان تستطيع معه صبرا بعد افصاح الخضر عليه عن حقيقة
الامر فوعد الصبر معلقا بمشيئة الله علما منه بشدة الامر وصعوبته وان الحمية التي تأخذ
المصلح عند مشاهدة الفساد شيء لا يطاق هذا مع علمه ان النبي المعصوم الذي امر الله بالمسافرة
اليه واتباعه واقتباس العلم منه بري من ان يباشر ما فيه غميزة في الدين وانه لا بد لما يستسمج ظاهره
من باطن حسن جميل فكيف اذا لم يعلم بعضه من يباشر ما ظاهره الفساد فانه اشد حمية وغيظا
قال يعني الخضر فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا يعني ان صحبتني فمن شرط
ادبك علي انك اذا رأيت مني شيئا وقد علمت انه صحيح الا انه خفي عليك وجه صحته فحميت وانكرت
في نفسك ان لا تفاتحني بالسؤال ولا تراجعني فيه حتى اكون انا الفاتح عليك وهذا من ادب المتعلم
مع العالم والمتبوع مع التابع فانطلقا اي ذهبا وهما يمشيان حتى اذا ركبا في السفينة
خرقها قيل سارا على ساحل البحر يطلبان السفينة فلما ركبا قال اهلها هما من اللصوص فامرهما
بالخروج فقال صاحب السفينة ارى وجوه الانبياء وقيل عرفوا الخضر فحملوهما بغير نول فلما لججوا
اخذ الخضر الفاس فخرق السفينة بان قلع لوحين من الواحها مما يلي الماء فجعل موسى عليه السلام
يسد الخرق بثيابه ويقول قال اخرقتها لتغرق اهلها قيل تعجب من ذلك حتى نبه الخضر عليه
فالله الكارا فاما اهلها فحين كسرها ودخلها الماء خرجوا منها ولم يشعروا واعلمه لمعرفتهم سوانه

لقد جئت شيئا امرا اي اتيت شيئا عظيما منكرا قال يعني الخضر الم اقل انك لن تستطيع
معي صبرا اي الم اقل لك ان نفسك لا تطيق وعدك على الصبر قال يعني موسى لا تؤاخذني بما نسيت
اي بالذي نسيته او بشيء نسيته يعني وصيته ولا تؤاخذني على النسيان او اخرج الكلام في
معرض النهي عن المؤاخذة بالنسيان يوهمه انه قد نسي ولم ينس ولكن ليبسط عذره في الانكار
قال رضي الله عنه وهو من معاريض الكلام التي يتقى بها الكذب مع التوصل الى الغرض او اراد
بالنسيان الترك اي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك اول مرة ولا ترهقني من امري عسرا
اي لا تغشني عسرا من امري وهو اتباعه اياه يعني لا تعسر علي متابعتك ويسرها علي بالاغضاء
وترك المناقشة فانطلقا اي بعد ما خرجا من السفينة حتى اذا لقيا غلاما فقتله قيل
فتل عنقه فقتله وقيل ضرب برأسه الحائط وعن ابن جبير اضجعه ثم ذبحه بالسكين قال
موسى منكرا عليه اقتلت نفسا زاكية اي طاهرة من الذنوب لم تبلغ حد التكليف بغير نفس
يعني لم تقتل نفسا فيقتص منها وعن ابن عباس ان نجدة الحروري كتب اليه كيف جاز قتله وقد
نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى
فلك ان تقتل لقد جئت شيئا نكرا اي منكرا اقل من الامر لان قتل نفس واحدة
اهون من اغراق اهل السفينة وقيل معناه جئت شيئا انكر من الاول لان ذلك كان خرقا يمكن
تداركه بالسد وهذا لا سبيل الى تداركه قال يعني الخضر الم اقل لك انك لن تستطيع
معي صبرا قال رضي الله عنه زاد فيه لك مكافحة بالعتاب على رفض الوصية ووسم
قلة الصبر عند الكرة الثانية قال موسى ان سألتك عن شيء بعدها اي بعد هذه الكرة
او المسألة فلا تصاحبني اي فلا تقاربني وان طلبت صحبتك فلا تتابعني على ذلك وقرئ فلا
تصحبني اي لا تكن صاحبي قد بلغت من لدني عذرا اي قد اعذرت فيما بيني وبينك حيث اخبرتني
اني لا استطيع معك صبرا او معناه فانت معذور في فراقي وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي
موسى استحيا فقال ذلك وقال رحمة الله علينا وعلى اخي موسى لو لبث مع صاحبه لابصر
اعجب الاعاجيب فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية اي سارا بعد قتل الغلام الى ان اتيا

اهل قريه وهي انطاكيه وقيل الابله وهي ابعد ارض الله من السماء استطعما اهلها اي سألاهم الطعام فابوا
اي امتنعوا ان يضيفوهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا اهل قريه لئاما وقيل شر القرى التي لا يضاف
الضيف فيها ولا يعرف لابن السبيل حقه فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض اي قرب ان يسقط
لميلانه استعيرت الارادة للمداناة والمشارفة كما قيل عزم ان يطغى وطلب ان يطغى فاقامه قيل
بيده وقيل مسحه بيده فقام واستوى وقيل اقامه بعمود عمده به وقيل نقضه وبناه وكان طوله في السماء
مائة ذراع قال رضي الله عنه كانت حالهما حال المضطر والافتقار الى المطعم وقد لزمتهما الحاجة
الى آخر كسب المرء وهو المسألة ولم يجدا مواسيا فلما اقام الخضر عليه السلام الجدار لم يتمالك موسى ان قال لو
شئت لاتخذت عليه اجرا وانما قال ذلك لما رأى من حرمان اهل القريه وشدة حاجتهما والمعنى لو
شئت لاخذت على عملك اجرا لاجل الاجرة فانك لم تطلب عليه جعلا حتى ننتعش به ونستدفع به الضرار
قال الخضر هذا فراق بيني وبينك سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا اي هذا الخبر في
هذا السوال الثالث او هذا الاعتراض سبب الفراق وسأخبرك بتفسير ما لم تصبر عليه وانكرته على
اما السفينة فكانت لمساكين قيل كانت لعشرة اخوة خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون في البحر اي يعملون
ويحملون الناس فاردت ان اعيبها اي اجعلها ذات عيب وكان وراءهم اي امامهم ملك وقيل خلفهم وكان
طريقهم في رجوعهم عليه ولم يكن عندهم خبره فاعلم الله به الخضر وهو جلندى يأخذ كل سفينة
صالحة غصبا يعني انه يأخذ السفن غاصبا لها لا بحق يستحقه فعيبتها بالخرق حتى لا تكون صالحة
فيأخذها قال رضي الله عنه قوله فاردت ان اعيبها مسبب عن خوف الغصب فكان القياس ان يتأخر عن
السبب ولكنه قدم لامرين احدهما العناية به والاهتمام يعني ان عيب السفينة صلاح عظيم عنده
للتنبيه على انه مقصود مهم لا يحتمل التغافل عنه الثاني ان خوف الغصب ليس هو السبب وحده ولكن
مع كونها للمساكين الضعفاء فقد تم بعض السبب وهو كونها للمساكين واما الغلام اي واما الشأن
قتل الغلام ووجه حسنه الذي انكرته فكان ابواه مؤمنين اي عبدين صالحين فخشينا ان يرهقهما
طغيانا وكفرا اي فخفنا ان يغشي الوالدين المؤمنين طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه
ويلحق بهما شرا وبلاء ويقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر او يعديهما بدائه

ويضلهما بضلاله فيرتدا بسببه ويطغيا ويكفرا بعد الايمان قال رضي الله عنه وانما خشي الخضر منه ذلك
لان الله عز وجل اعلمه بحاله واطلعه على سر امره وامره الله بقتله كاخترامه وانزال الموت عليه
لمصلحة عرفها في حياته وقرئ اي فخاف ربك يعني فكره ربك كراهة من خاف سوء عاقبة الامر فغيره
ويجوز ان تكون هذه القراءة دليلا على ان قوله فخشينا حكاية من الخضر لقول الله تعالى يعني فكرهنا ان يرهقهما
فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة اي طهارة ونقاء من الذنوب واقرب رحما الرحم والرحمة والعطف
والمعنى ابر لوالديه واوصل للرحم فروي ان ام الغلام ولدت لهما جارية تزوجت نبيا فولدت نبيا هدى الله
على يديه امة من الامم وقيل ولدت سبعين نبيا والغلام المقتول اسمه الحيسور واما الجدار اي واما
وجه الحسن في اقامة الجدار واصلاحه فكان لغلامين يتيمين اي لصبيين لم يبلغا حد التكليف
وابوهما في الحياة اسم احدهما اصرم والثاني صريم في المدينة اي في تلك القريه وهي انطاكيه وكان
تحته كنز لهما قيل هو مال مدفون من ذهب وفضة وقيل لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر
كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن
بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله
محمد رسول الله قال رضي الله عنه والظاهر لاطلاقه انه مال وكان ابوهما صالحا قال رضي الله
عنه هذا اعتداد بصلاح ابيهما ورعاية لحقه فيهما فحفظ كنزهما بسبب صلاحه وعن جعفر الصادق
عليه السلام كان بين الغلامين وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة آباء وعن الحسن رضي الله عنه انه قال لبعض
الخوارج في كلام جرى بينهما بم حفظ الله الغلامين قال بصلاح ابيهما قال فابي وجدي خير منه
قال الخارجي قد انبأنا الله انكم يا قريش قوم خصمون فاراد ربك ان يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما
اي اراد الله ان يبقي ذلك الكنز الى بلوغ الغلامين حتى يستخرجاه رحمة من ربك اي نعمة منه عليهما
ورعاية لابيهما وما فعلته اي وما فعلت ما رأيت عن امري اي عن اجتهادي ورأيي وانما فعلته بامر الله
ووحيه لا من عند نفسي ذلك يعني المذكور من البيان لوجه الحسن فيما فعلت تاويل ما لم تسطع عليه
صبرا اي هو تفسير ما لم تطق ان تصبر عن السوال عنه حتى احدث لك منه ذكرا ويسألونك
عن ذي القرنين السائلون هم اليهود سألوه على جهة الامتحان وقيل سأله ابو جهل واشياعه

وذو القرنين هو الاسكندر الذي ملك الدنيا قيل ملكها مؤمنان وكافران فالمؤمنان ذو القرنين
وسليمان والكافران نمرود وبخت نصر وكان بعد نمرود واختلف فيه فقيل كان عبدا صالحا ملّكه
الله الارض واعطاه العلم والحكمة والبسه الهيبة وسخر له النور والظلمة فاذا سرى يهديه النور
من امامه وتحوطه الظلمة من ورائه وقيل نبيا وقيل ملكا من الملائكة وعن عمر انه سمع رجلا
يقول يا ذا القرنين فقال اللهم غفرا اما رضيتم ان تتسموا باسماء الانبياء حتى تسميتم باسماء الملائكة وعن
علي عليه السلام سخر له السحاب ومدت له الاسباب وبسط له النور وسئل عنه فقال احب الله فاحبه
وسأله ابن الكواء ما ذو القرنين أملك ام نبي فقال ليس بملك ولا نبي ولكن كان عبدا صالحا ضرب على
قرنه الايمن في طاعة الله فمات ثم بعثه الله فضرب على قرنه الايسر فمات فبعثه الله فسمي ذا القرنين
وفيكم مثله اراد نفسه عليه السلام واشار الى الشجة التي ضربه ابن ملجم على قرنه قيل كان يدعوهم الى
التوحيد فيقتلونه فيحييه الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم سمي ذو القرنين لانه طاف قرني الدنيا يعني
جانبيها شرقها وغربها وكان من الروم ولد عجوز ليس لها ولد غيره **قل** لهم يا محمد **سأتلوا عليكم**
منه ذكرا اي خبرا يعرفون به نبوتي **انا مكنا له في الارض وآتيناه من كل شيء سببا** اي من اسباب
كل شيء اراده من اغراضه ومقاصده في ملكه **سببا** اي طريقا موصلا اليه والسبب ما يتوصل به الى
المقصود من علم او قدرة او آلة فاراد بلوغ المغرب **فاتبع سببا** اي طريقا توصله اليه **حتى اذا بلغ**
مغرب الشمس اي المكان الذي تغرب فيه **وجدها تغرب في عين حمئة** اي ذات حمأة وهي
الطين الاسود وقرئ حامية بمعنى حارة وعن ابي ذر رضي الله عنه كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم
على جمل فرأى الشمس حين غابت فقال أتدري يا ابا ذر اين تغرب هذه قلت الله ورسوله اعلم قال فانها تغرب
في عين حامية وكان ابن عباس عند معاوية فقرأ معاوية حامية فقال له ابن عباس حمئة فقال
معاوية لعبد الله بن عمرو كيف تقرأ فقال كما يقرأ امير المؤمنين ثم وجه الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس
تغرب فقال في ماء وطين كذلك نجده في التوراة فوافق قول ابن عباس **ووجد عندها** عند العين
قوما قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب بالقتل ان ابوا ما تدعوهم اليه **واما ان تتخذ فيهم**
حسنا اي تأسرهم فتعلمهم الهدى قال رضي الله عنه كانوا قوما كفرة فخيره الله بين ان يعذبهم بالقتل

وان لم تدعوهم الى الاسلام فاختار الدعوة والاجتهاد في استمالتهم فقال **اما من ظلم فسوف نعذبه**
اي اما من دعوته فابى الا البقاء على الظلم العظيم الذي هو الشرك فسوف نعذبه في الدنيا **ثم يرد الى**
ربه اي الى حيث ابه في الآخرة **فيعذبه عذابا نكرا** اي منكرا في النار لا في القتل وارد عذابا نكرا
من عذابه له **واما من آمن وعمل صالحا** اي عملا صالحا كما يقتضيه الايمان **فله جزاء الحسنى**
اي فله ان يجازى المثوبة الحسنى وهي ما يستحقه المؤمنون من الاحسان والخير الطيب في الدنيا
والجنة في الآخرة وعن قتادة كان يطبخ من كفر في القدور وهو العذاب النكر ومن امن اعطاه وكساه
وسنقول له من امرنا يسرا اي لا نأمره بالصعب الشاق ولكن بالسهل المتيسر من الزكاة والخراج
وغير ذلك وتقديره ذا يسر **ثم اتبع سببا** اي ثم اراد المشرق فاتبع سببا توصله اليه **حتى**
اذا بلغ مطلع الشمس اي المكان الذي تطلع منه **وجدها تطلع على قوم** قيل هم الزنج وهم عراة
لم نجعل لهم من دونها سترا اي ابنية تسترهم عنها وعن كعب ارضهم لا تمسك الابنية وبها
اسراب فاذا طلعت الشمس دخلوها فاذا ارتفع النهار خرجوا الى معايشهم وعن بعضهم خرجت
حتى جاوزت الصين فسألت عن هؤلاء فقيل بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فاذا احدهم
يفرش اذنه ويلبس الاخرى ومعي صاحب يعرف لسانهم فقالوا له جئتنا تنظر كيف تطلع الشمس قال
فبينا نحن كذلك اذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشي علي ثم افقت وهم يمسحونني بالدهن فلما طلعت
الشمس على الماء اذا هي فوق الماء كهيئة الزيت فادخلونا سربا لهم فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر فجعلوا
يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج لهم وقيل الستر اللباس وعن مجاهد من لا يلبس الثياب
من السودان عند مطلع الشمس اكثر من جميع اهل الارض **كذلك** اي امر ذي القرنين كذلك
اي كما وصفناه تعظيما لامره **وقد احطنا بما لديه** اي بما عنده من الجنود والآلات واسباب الملك
خبرا اي علما يعني لانا اعطيناه ذلك والمعنى بكثرة ما لديه كانه لم يحط به الا الله وقيل
معنى كذلك لم نجعل لهم من دونها سترا مثل ذلك الستر الذي جعلنا لكم من الجبال والحصون والاكنان
والابنية وقيل بلغ مطلع الشمس مثل ذلك اي كما بلغ مغربها وقيل تطلع على قوم مثل ذلك القبيل
الذي تغرب عليهم يعني انهم كفرة مثلهم وحكمهم مثل حكمهم في تعذيبه لمن بقي منهم على الكفر واحسانه

الى من امن منهم ثم اتبع سببا اي ثم اراد بلوغ السدين فاتبع سببا يوصله الى مراده حتى اذا بلغ بين السدين
اي بين الجبلين وهما جبلان سد ذو القرنين ما بينهما قرئ السد بضم السين وفتحها وقيل ما كان من خلق
الله فهو مضموم وما كان من عمل العباد فهو مفتوح وهذا المكان في منقطع الارض الترك مما يلي المشرق
وجد من دونهما اي من دون السدين قوما هم الترك لا يكادون يفقهون قولا اي لا يكادون يفهمونه
الا بجهد ومشقة من اشارة ونحوها كما يفهم البكم وقرئ يفقهون قالوا يا ذا القرنين ان ياجوج وماجوج هما من ولد
يافث وقيل ياجوج من الترك وماجوج من الجيل والديلم عن حذيفة قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
ياجوج وماجوج قال ياجوج امة وماجوج امة كل امة اربع مائة امة لا يموت الرجل منهم حتى ينظر الى الف ذكر
بين يديه من صلبه كل قد حمل السلاح قلت يا رسول الله صفهم لنا قال هم ثلاثة اصناف صنف منهم امثال الارز
قلت يا رسول الله وما الارز قال شجر بالشام طول الشجرة منه عشرون ومائة ذراع وصنف منهم عرضه وطوله
سواء عشرون ومائة ذراع وهولاء الذين لا يقوم لهم جبل ولا حديد وصنف يفترش احدهم اذنه ويلتحف الاخرى
ولا يمرون بفيل ولا وحش ولا خنزير الا اكلوه ومن مات منهم اكلوه مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان يشربون
انهار المشرق وبحيرة طبرية وقال السدي الترك سرية من ياجوج وماجوج خرجت تغير
فجاء ذو القرنين فضرب السد فبقيت خارجه وقال قتادة ان ذا القرنين بنى السد على احد وعشرين
قبيلة بقيت منهم قبيلة واحدة دون السد فهم الترك وقال كعب هم نادرة من ولد ادم وذلك ان ادم احتلم
ذات يوم فامتزجت نطفته بالتراب فخلق الله من ذلك الماء ياجوج وماجوج فهم متصلون بنا من جهة الاب
دون الام قال ابن عباس في رواية عطاء هم عشرة اجزاء وولد ادم كلهم جزء وتروله الواحدي
مفسدون في الارض قيل كانوا ياكلون الناس وقيل كانوا يخرجون ايام الربيع فلا يتركون شيئا
اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وكانوا يلقون منهم قتلا واذى شديدا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
في صفتهم لا يموت احد منهم حتى ينظر الى الف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح وقيل هم على صنفين
مفرطوا الطول وقصار مفرطوا القصر فهل نجعل لك خرجا اي جعلا نخرجه من اموالنا وقرئ
خراجا وهما النول والنوال على ان تجعل بيننا وبينهم سدا اي تسد ما بين الجبلين لتمنعهم
بالسد من الخروج علينا وقرئ بالفتح والضم قال ما مكني فيه ربي خير اي ما جعلني فيه ربي مكينا

سُدًّا

من كثرة المال والسعة خير مما تبذلون لي من الخراج فلا حاجة بي اليه فاعينوني بقوة اي بعمال وصناع
يحسنون البناء والعمل بالالات اجعل بينكم وبينهم ردما اي حاجزا حصينا موثقا والردم اكثر
من السد قيل حفر الاساس حتى بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من
زبر الحديد بينهما الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين الى اعلاهما ثم وضع المنافيخ حتى اذا صار كالنار
صب النحاس المذاب على الحديد المحمي فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا وقيل بعد ما بين
الجبلين مائة فرسخ وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا اخبره بالسد فقال كيف رايته قال كالبرد المحبر
طريقة سوداء وطريقة حمراء قال قد رايته اتوني زبر الحديد اي اعطوني قطع الحديد لانه يبنى بها كما يبنى بالحجارة
ياتوه بها فبناه حتى اذا ساوى بين الصدفين اي سد ما بينهما والصدفان بفتحتين جانبا الجبلين
لانهما يتصادفان اي يتقابلان قال انفخوا يعني على زبر الحديد بالكير والنار حتى اذا جعله يعني الحديد
نارا يعني كالنار قال اتوني افرغ عليه قطرا اي اصب على السد الموقد عليه قطرا وهو النحاس المذاب
لانه يقطر والتقدير فيه اتوني قطرا افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه فما اسطاعوا
ان يظهروه اي فما قدروا ان يعلوا عليه لارتفاعه وانملاسه وما استطاعوا له نقبا اي ان
ينقبوه من اسفله لصلابته وثخانته قال هذا يعني السد رحمة من ربي اي هذا السد نعمة من الله
ورحمة على عباده او يعني هذا الاقدار والتمكن من تسويته رحمة من ربي لعباده من حيث انه منع
ياجوج وماجوج من الخروج وكف شرهم عن الناس بالالهام اليه والاعانة عليه فاذا جاء وعد ربي
لخروج ياجوج وماجوج جعله دكا يعني اذا دنا مجيء يوم القيامة وشارف ان ياتي جعل
السد دكا اي مدكوكا مبسوطا مستويا بالارض وكل ما انبسط بعد ارتفاع فقد اندك وكان وعد ربي
في خروجهم حقا اي ثابتا كائنا وهذا اخر حكاية قول ذي القرنين وتركنا بعضهم اي بعض الخلق من
الانس والجن يومئذ اي يوم القيامة يموج في بعض اي يضطربون ويختلطون حيارى من هول يوم القيامة
ويحتمل ان يريد ياجوج وماجوج وانهم يموجون حين يخرجون من وراء السد مزدحمين في البلاد وروي
انهم ياتون البحر فيشربون ماءه وياكلون دوابه ثم ياكلون الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم من الناس
ولا يقدرون ان ياتوا مكة والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله عز وجل نغفا في اقفائهم فيدخل

اذا هم فيموتون والنغف بسكون الغين المعجمة وفتحها دود يخرج من انوف الابل والغنم والمعنى ان الله
يهلكهم على عظمهم وكثرتهم بشيء حقير وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان ياجوج وماجوج يحفرون السد
في كل يوم حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا فيعيده
الله كما كان حتى اذا بلغت مدتهم واراد الله ان يبعثهم على الناس حفروا حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس
قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا ان شاء الله واستثنى فيعودون اليه وهو كهيئته حين
تركوه فيحفرونه فيخرجون على الناس فيشربون المياه ويتحصن الناس في حصونهم فيرمون
بسهامهم الى السماء فترجع وفيها كهيئة الدم فيقولون قهرنا اهل الارض وعلونا اهل السماء فيبعث
عليهم نغفا في اقفائهم فيهلكون فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده ان دواب الارض لتسمن وتشكر
من لحومهم شكرا ونفخ في الصور قيل هو قرن ينفخ فيه اسرافيل يوم القيمة ثلاثا الاولى للفزع والثانية
للصعق والثالثة للقيام لرب العالمين فجمعناهم جمعا اي جمعنا الجن والانس للجزاء على
الاعمال وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا اي اظهرناها لهم فرأوها وشاهدوها الذين كانت
اعينهم في غطاء اي في غشاء يغطيها عن ذكري اي عن آياتي التي ينظر اليها فاذكر بالتعظيم
او عن القرآن وتأمل معانيه وتبصرها وكانوا لا يستطيعون سمعا يعني كانوا اصما عنه
لا يلقون اليه مسامعهم لا عن اصمهم عنه وهذا ابلغ من وصفهم بالصمم لان الاصم قد يستطيع السمع
اذا صيح به وهو كانهم اصمت اسماعهم فلا استطاعة بهم للسمع افحسب الذين كفروا اي اهل ظنوا
والمراد الانكار عليهم ان يتخذوا عبادي يعني الملائكة من دوني اولياء يعني انهم لا يكونون لهم اولياء
والمعنى هل ينفعهم ذلك ويدفعون عنهم كلا انا اعتدنا جهنم اي هيأناها للكافرين نزلا اي منزلا
وقيل النزل ما يعد للنزيل وهو الضيف من الضيافة وفي هذا الكرامة وهذا استهزاء بهم كقوله فبشرهم بعذاب
اليم قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا اي هل نخبركم بالذين هم اشد الخلق واعظمهم خسرانا فيما
الذين ضل سعيهم اي ضاع وبطل في الحيوة الدنيا وهم يحسبون اي يظنون انهم يحسنون صنعا
اي عملا فيه صناعة نافعة لهم منجية لهم من النار وليس الامر كما حسبوا ... على علم ... هم الرهبان ...
اهل الكتاب وعن ابي سعيد الخدري ياتي ناس باعمال يوم القيمة وهي عندهم في العظم كجبال تهامة فاذا

وزنوها لم تزن شيئا اولئك الذين كفروا بآيات ربهم اي بدلائل توحيده من القرآن وغيره ولقائه يعني البعث
فحبطت اعمالهم اي بطل اجتهادهم فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا اي نهينهم بعذاب النار ونزدريهم
ولا يكون لهم عندنا وزن ومقدار وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيمة
لا يزن جناح بعوضة رواه البخاري ومسلم وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالرجل الطويل الاكول
الشروب فلا يزن جناح بعوضة اقرؤا ان شئتم فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا وقيل لا نقيم لهم ميزانا لان الميزان
انما وضع لاهل الحسنات والسيئات من الموحدين ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا اي بسبب كفرهم
واتخذوا آياتي ورسلي هزوا اي باستهزائهم بآياتي ورسلي واتخاذهم اياها هزوا ان الذين آمنوا
وعملوا الصالحات عقب الترهيب بالترغيب والانذار بالتبشير فوعد الذين جمعوا بين الايمان والاعمال
الصالحة بالجنة فقال كانت لهم جنات الفردوس نزلا الفردوس وسط الجنة واعلاها درجة وهي
اعظم ما اعد الله للمؤمنين في الجنة وعن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الجنة مائة درجة
ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض الفردوس اعلاها درجة تفجر منها انهار الجنة فاذا سألتم الله
فاسألوه الفردوس وعن ابي بكر بن عبد الله بن قيس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جنات الفردوس
اربع ثنتان من ذهب حليتهما وآنيتهما وما فيهما وثنتان من فضة حليتهما وآنيتهما وما فيهما وليس
بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه في جنات عدن رواه البخاري ومسلم
والنزل هاهنا حقيقة اي ضيافة حاضرة معدة لهم على حسب اعمالهم ووصف حالهم عاقبة نعيم
... وهو الخلود في النعيم فقال خالدين فيها والخلود هو البقاء الذي لا انقطاع له لا يبغون
عنها حولا اي لا يريدون ان يتحولوا عنها ولا يطلبون عنها تحولا الى ما هو احسن منها لانها
... في الحسن وهذا غاية الوصف لان الانسان في الدنيا اي نعيم كان فهو يطمح الى ما
... لانه يشاهد ما هو اعظم مما معه ويجوز ان يراد نفي التحول تأكيد الخلود قل لو كان البحر مدادا
لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي المداد اسم ما يمد به الدواة من الحبر وما يمد به
السراج من السليط والمراد بالبحر الجنس اي جميع البحار فالمعنى لو كتبت كلمات علم الله وحكمته
وكان البحر مدادا لها لنفد قبل ان تنفد الكلمات ولو جئنا بمثله اي بمثل جميع البحار مددا المدد

ط يتحولوا

ايضا والكلمات عبارة عنها والمدد مثل المداد وهو ما تمد به وعن ابن عباس بمثله مدادا وقيل قال
حيي بن اخطب اليهودي في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ثم تقرؤون وما اوتيتم من العلم
الا قليلا فنزلت هذه يعني ان ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله اي كلمات علمه قل
انما انا بشر مثلكم يعني من جنس البشر لا ملك من الملائكة يوحى الي اي اعلم بما يقضي به العقل
من التوحيد انما الهكم اله واحد لا شريك له في الالوهية فمن كان يرجو لقاء ربه اي
حسن لقائه وان يلقاه لقاء رضا وقبول فليعمل عملا صالحا اي مطابقا لارادة ربه
اصابه الشرع واخلاص القصد ولا يشرك بعبادة ربه احدا اي لا يرائي به احدا
والمراد بالنهي عن الاشراك بالعبادة ان لا يرائي بعمله وان لا يبتغي به الا وجه ربه خالصا لا يخلط
به غيره وقيل نزلت في جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعمل العمل لله فاذا
اطلع عليه سرني فقال عليه السلام ان الله لا يقبل ما شورك فيه وروي انه قال لك اجران اجر السر
واجر العلانية وذلك اذا قصد ان يقتدى به وعنه عليه السلام اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما
الشرك الاصغر قال الرياء وعنه عليه السلام من قرا عند مضجعه قل انما انا بشر مثلكم الى آخرها كان
في مضجعه نورا يتلالا الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وان كان مضجعه
بمكة كان له نورا يتلالا من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ

سورة مريم مكية وهي ثمان وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص قيل معناه ان الله
كاف لخلقه هاد لعباده يده فوق ايديهم عالم ببريته صادق في وعده ذكر رحمة ربك عبده
اي هذا القرآن الذي انزل عليك ذكر رحمة الله ربك عبده زكريا باجابته دعاءه لما دعاه
الحسن ذكر رحمة ربك اي هذا المتلو من القرآن ذكر رحمة ربك وقرئ ذكر على الامر
زكريا اذ نادى ربه نداء خفيا اي سرا لم يطلع عليه غير الله قال رضي الله عنه راعى سنة
الله في اخفاء دعوته لان الجهر والاخفاء عند الله سيان فكان الاخفاء اولى لانه ابعد من الرياء وادخل
في الاخلاص وعن الحسن نداء لا رياء فيه او اخفاه لئلا يلام على طلب الولد في ابان الكبر والشيخوخة

الهاء بين بين مدني
بالامالة ابو عمرو واظهر
الدال عند الذال مدني

او اخفاه لضعفه وهرمه واختلف في سن زكريا فقيل ستون سنة وقيل خمس وستون وقيل سبعون
وقيل خمس وسبعون وقيل خمس وثمانون قال رب اني وهن العظم مني اي ضعف قال رضي الله عنه
وانما خص العظم بالذكر لانه عمود البدن وبه قوامه وهو اصل بنائه فاذا ضعف تداعى وتساقطت
قوته ولانه اشد ما فيه واصلبه فاذا وهن كان ما وراءه اوهن ووحد العظم لان الواحد هو الدال
على معنى الجنسية وقصده الى ان هذا الجنس الذي هو العمود والقوام واشد ما تركب منه الجسد قد
اصابه الوهن ولو جمع لكان قصدا الى معنى آخر وهو انه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها
واشتعل الراس شيبا شبه الشيب في بياضه بلهب النار في بياضه وانارته وشبه انتشاره في
الشعر وفشوه فيه واخذه منه كل ماخذ باشتعال النار في الحطب ثم اسند الاشتعال الى مكان
الشعر ومنبته وهو الراس واخرج الشيب مميزا ولم يضف الراس اكتفاء بعلم المخاطب انه راس
زكريا ومن ثم فصحت هذه الجملة وشهد لها بالبلاغة ومعنى قوله ولم اكن بدعائك رب شقيا
انه اعتاد من ربه اجابة دعوته فتوسل الى الله بما سلف له معه من الاستجابة والمعنى اي كنت
مستجاب الدعوة وقد عودتني الاجابة وعن بعض اجواد العرب ان محتاجا سأله وقال انا الذي
احسنت الي وقت كذا فقال مرحبا بمن توسل بنا الينا وقضى حاجته واني خفت الموالي اي
الاقارب من بني العم والعصبة قال رضي الله عنه كان مواليه وهم عصبته اخوته وبنو عمه شرار بني
اسرائيل فخافهم على الدين ان يغيروه ويبدلوه وان لا يحسنوا الخلافة على امته فطلب عقبا من صلبه
صالحا يقتدى به في احياء الدين ويرتسم مراسمه فيه من ورائي اي من بعد موتي والمعنى خفت فعل
الموالي وهو تبديلهم وسوء خلافتهم فيه وقرا زين العابدين وولده الباقر خفت الموالي من ورائي اي قلت
الغلمان ووراي بمعنى قدامي من ورائي خفوا قدامي اي عجلهم الموت الى الآخرة ولم يبق منهم من يقوى
على الدين وكانت امراتي عاقرا اي لا تصلح للولادة لكبرها والعاقر التي لا تلد فهب لي من لدنك اي من
محض فضلك وليا اي ولدا مرضيا وقوله من لدنك تأكيد لكونه وليا مرضيا لكونه مضافا الى الله وصادرا
عنه او اراد اخترعه منك بلا سبب لاني وامراتي لا نصلح للولادة يرثني ويرث من آل يعقوب المراد
ارث الشرع والعلم لان الانبياء لا تورث المال وقيل يرثني الحبورة وكان زكريا حبرا

ويرث من ال يعقوب الملك وقيل من للتبعيض لان ال يعقوب ليسوا كلهم انبيا ولا علما وكان زكريا عليه السلام
من نسل يعقوب بن اسحق وقيل هو يعقوب بن ماثان اخو زكريا وقيل يعقوب هذا وعمران ابو مريم
اخوان من نسل سليمن بن داود عليهما السلم واجعله رب رضيا اي بنا مرضيا عندك فاستجاب الله
دعاه وناداه فقال يا زكريا انا نبشرك بغلام اي بولد ذكر اسمه يحيى لانه يحيى بالعلم والطاعة
لم نجعل له من قبل سميا اي لم يسم احد يحيى قبله وقيل لم نجعل له مثلا ولا شبيها وانما قيل للمثل
سمي لان كل متشاكلين يسمى كل واحد منهما باسم المثل والشبيه والشكل والنظير فكل واحد منهما
باسم المثل والشبيه سمي لصاحبه قالوا لم يكن ليحيى مثل في انه لم يعص الله ولم يهم بمعصية قط
وفي انه ولد بين شيخ فان وعجوز عاقر وانه كان حصورا لا يقرب النسا منعا لنفسه من الشهوات قال
رب انى يكون لي غلام وكانت امراتي عاقرا اي كانت على صفة العقر حين انا شاب ولم تلد لي مع [illegible]
الولد فكيف يحصل مع انضمام كبري الى كبرها وعقرها قال رضي الله عنه انما طلب زكريا الولد
اولا وهو وامراته على صفة الكبر والعقر فلما اسعف بطلبته استبعد واستعجب ليجاب بما اجيب
فيزداد المومنون ايقانا ويرتدع المبطلون والا فمعتقد زكريا اولا واخرا كان على منهاج واحد
في ان الله عز وجل غني عن الاسباب وقد بلغت من الكبر عتيا اي بلغت عتيا وهو اليبس والجساوة
في المفاصل والعظام كالعود القاحل يقال عتا العود وعسا اذا يبس من اجل الكبر والسن
وقد تقدم في ال عمران انه كان له تسع وتسعون سنة ولامراته ثمان وتسعون سنة قال كذلك
اي قال الله الامر كذلك تصديقا له فيما قال من الكبر وانه شيخ فان وامراته عجوز عاقر ثم ابتدا
قال ربك هو علي هين اي تحصيل الولد بغير سبب علي سهل يسير ارد عليك قوتك حتى
تقوى على الجماع وافتق رحم امراتك بالولد ثم استشهد على ذلك بقوله وقد خلقتك من
قبل يحيى ولم تك شيئا لان المعدوم ليس بشي او ان اذ لم تك شيئا يعتد به فالقادر على خلقك مع
ضعف السبب وهو كون اصلك نطفة قادر على الخلق بغير سبب كما خلق ادم وعيسى قال رب
اجعل لي اية اي علامة اعلم بها ما بشرت به من حمل امراتي قال ايتك الا تكلم الناس ثلث ليال اي
علامتك ان تمنع من الكلام فلا تطيقه بلا افة وقوله سويا حال اي تمنع منه وانت سليم

الجوارح سوي الخلق ما بك خرس ولا بكم اي عجمة قال رضي الله عنه دل ذكر الليالي هنا والايام
في ال عمران على ان المنع من الكلام استمر به ثلثة ايام ولياليهن فخرج زكريا على قومه من
المحراب وذلك انهم كانوا ينتظرونه ليخرج عليهم ولم يقدر ان يكلمهم فاوحى اليهم اي اشار اليهم
وقيل كتب لهم على الارض ان سبحوا اي صلوا او هو على ظاهره امر بالتسبيح بكرة وعشيا البكرة من
طلوع الفجر الى وقت الضحى والعشي من زوال الشمس الى ان تغيب فان اريد الصلاة فهو جامع
لاوقات الصلوات الخمس وان اريد ظاهر التسبيح فلان الذكر مندوب اليه في هذه الاوقات لزيادة
فضله فيها ولم يكن حبس لسان زكريا الا عن غير الذكر ليتوفر على الشكر والذكر وهذا المنع
وفيه دليل على فضيلة الذكر والصمت على التعري من الكلام والمحراب المسجد او احد في وصف يحيى
وحذف منه فقال يا يحيى خذ الكتاب اي التوراة بقوة اي بجد وعزيمة على احتمال تكاليفه
ومشاقه متسطهرا بتوفيق الله وتاييده على ذلك واتيناه الحكم اي الحكمة وهي فهم التوراة والفقه
في الدين صبيا اي في حال صباه قيل دعاه الصبيان الى اللعب وهو صبي فقال ما للعب خلقنا و
قيل هي العقل وقيل هي النبوة لان الله احكم عقله في صباه واوحى اليه وحنانا من لدنا اي واتيناه
حنانا اي رحمة لابويه وغيرهما وتعطفا وشفقة وقيل حنانا من الله عليه وحن في معنى ارتاح واشتاق
ثم استعمل في العطف والرافة وقيل لله حنان كما قيل رحيم على سبيل الاستعارة وزكوة الزكوة الطهارة
وقيل الصدقة اي يتعطف على الناس ويتصدق عليهم وكان تقيا اي وكانت عبادته المستمرة ملازمة
التقوى وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا اي كان كثير البر لوالديه ولم يكن على صفة اضداد
[illegible] ابلغ العصيان والجبار هو الذي يفعل ما يريد من الظلم ولا نظر في العواقب وقيل هو المتكبر
الذي لا يتواضع لامر الله وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا سلم الله عليه
في هذه الاحوال قال ابن عيينة لانها اوحش المواطن وقوله حيا وصف لحاله عند البعث
واذكر في الكتاب مريم اي واذكر يا محمد للناس قصة مريم في الكتاب وهو القران والمراد اتل عليهم
قصتها ليقفوا على ما فيها من العجائب والحكم قيل لم يذكر امراة باسمها الا مريم بنت عمران فانه ذكر اسمها
لحكمة ذكرها بعض الاشياخ فان الملوك والاشراف لا يذكرون حرائرهم في ملا ولا يسمون

اسماهن بل يكنون عن الزوجة بالعيال والاهل ونحو ذلك فاذا ذكروا الاماء لم يكنوا عنهن ولم
يصونوا اسماءهن عن الذكر والتصريح بها فلما قالت النصارى في مريم ما قالت وفي ابنها صرح الله
تعالى باسمها ولم يكن عنها تاكيدا للامة والعبودية التي هي صفة لها واجرى الكلام على عادة
العرب في ذكر امائها ومع هذا فان عيسى لا اب له واعتقاد هذا واجب فاذا تكرر ذكره منسوبا الى
الام استشعرت القلوب ما يجب عليها اعتقاده من نفي الاب عنه وتنزيه الام الطاهرة عن مقالة اليهود
لعنهم الله اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا الانتباذ الاعتزال والانفراد والمعنى انها انفردت
عن اهلها وتخلت للعبادة في مكان مما يلي شرقي بيت المقدس ولهذا اتخذت النصارى المشرق
قبلة او معناه اعتزلت من دارها عن الناس وقيل قعدت في مشرفة للاغتسال من الحيض محتجبة
بشيء يسترها من حائط او غيره وكان موضعها المسجد فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها فاذا طهرت
عادت الى المسجد فبينا هي في مغتسلها اتاها الملك في صورة ادمي شاب امرد وضيء الوجه جعد
الشعر وهو معنى قوله فاتخذت من دونهم اي من دون اهلها حجابا اي سترا استترها فارسلنا
اليها روحنا اي جبريل وسمي روحا لان الدين يحيى به وبوحيه كما يحيى الجسد بالروح اضافه
الله عز وجل الى نفسه على المجاز محبة له وتقريبا كما تقول لحبيبك انت روحي فتمثل لها اي تصور لها
بشرا سويا اي ادميا سوي الخلق لم ينقص من الصورة الادمية شيئا او حسن الصورة مستوي الخلق
قال رضي الله عنه وانما مثل لها في صورة الانسان لتستانس بكلامه ولا تنفر عنه ولو بدا لها في الصورة
الملكية لنفرت ولم تقدر على استماع كلامه ودل على عفافها وورعها انها تعوذت بالله من تلك الصورة
الجميلة الفائقة الحسن وكان تمثيله على تلك الصفة ابتلاء لها وسبرا لعفتها وقيل كانت في منزل
زوج خالتها زكريا وله محراب تسكنه وكان زكريا اذا خرج اغلق عليها فتمنت ان تجد خلوة
في الجبل لتفلي راسها فانفرج السقف لها فخرجت فجلست في المشرفة وراء الجبل فاتاها الملك قالت
اني اعوذ بالرحمن منك وقيل قام بين يديها في صورة ترب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس
ان كنت تقيا اي ان كان يرجى منك ان تتقي الله وتخشاه وتحفل بالاستعاذة فاني عائذة به منك
اي مستجيرة واراد انه لا يؤثر الاستعاذة الا المتقون قال انما انا رسول ربك اي قال جبريل

انما انا رسول من استعذت به لاهب لك غلاما زكيا اي لاكون سببا في هبة الغلام بالنفخ
في الدرع وفي بعض المصاحف انما انا رسول ربك امرني ان اهب لك ويجوز ان يكون قوله لاهب لك حكاية
لقول الله عز وجل ولما استبعدت هبة الغلام قالت انى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر جعل
المس عبارة عن النكاح الحلال لانه كناية عنه ولا يقال في الزنا الا فجر بها وخبث بها وما اشبه ذلك
وليس بقمن ان تراعى فيه الكنايات والاداب ولم اك بغيا البغي الفاجرة التي تبغي الرجال قال
كذلك اي الامر كما وصفت تصديق لها في انها لم يمسسها بشر ولم تك بغيا ثم ابتدا الاخبار قال
ربك هو علي هين اي هبة الغلام لك علي سهل يسير اهبه لك من غير اب ولنجعله اية للناس
اي علامة على قدرتنا لما فيه من الامور العجيبة والامور المقربة الى الطاعة والمقوية لصحة الاعتقاد
ورحمة منا لمن يتبعه على دينه ويصدق به وكان يعني هذا الشيء وخلق عيسى به امرا مقضيا اي مقدرا
مسطورا في اللوح لا بد لك من جريانه عليك او كان امرا حقيقيا بان يكون ويقضى لكونه اية ورحمة
وما كان سببا في التوصل الى الطاعة والعمل الصالح فهو حقيق بالتكوين فحملته عن ابن عباس ان
جبريل عليه السلام لما قال لها هذا القول اطمانت الى قوله فدنا منها فنفخ في جيب درعها اي في فرج
قميصها فوصلت النفخة الى بطنها فحملت وقيل كانت مدة الحمل ستة اشهر وقيل سبعة وقيل تسعة
ولم يعش مولود وضع لثمانية اشهر الا عيسى وقيل كان الحمل ثلاث ساعات وقيل حملته في ساعة وصور
في ساعة ووضعته في ساعة حين زالت الشمس من يومها وعن ابن عباس كانت مدة الحمل ساعة
واحدة كما حملته نبذته وحملته وهي بنت ثلاث عشرة سنة وقيل بنت عشر وقد كانت حاضت حيضتين
قبل ان تحمل قالوا ما من مولود الا يستهل اي يصيح ويبكي عند ان يولد الا عيسى فانتبذت به
اي اعتزلت وهو في بطنها كقوله تنبت بالدهن اي تنبت ودهنها فيها مكانا قصيا اي بعيدا
من اهلها وراء الجبل وقيل اقصى الدار وقيل كانت سميت لابن عم لها اسمه يوسف فلما قيل حملت
من الزنا خاف عليها قتل الملك فهرب بها فلما كان ببعض الطريق حدثته نفسه بان يقتلها
فاتاه جبريل عليه السلام فقال انه من روح القدس فلا تقتلها فتركها فاجاءها المخاض اي فالجاها
المخاض واضطرها الى جذع النخلة اي الى اصل عود النخلة طلبته لتستتر به وتعتمد عليه

عند الولادة وكان جذع نخلة يابسة في الصحراء ليس لها رأس ولا ثمرة ولا خضرة وكان الوقت شتاء
كأن الله تعالى لما أرشدها إلى النخلة ليطعمها منها الرطب الذي هو أصلح طعام للنفساء ولأن
النخلة أقل شيء صبرا على البرد وثمارها إنما هو من جمارها فلموافقتها لها مع جمع الآيات فيها
اختارها لها وألجأها إليها قالت يا ليتني مت قبل هذا أي قبل هذا الأمر وكنت نسيا منسيا
أي شيئا لا تعتد به منسيا لحقارته كخرقة الحائض ونحوها والنسي عام في كل حقير من شأنه أن
يطرح وينسى قال رضي الله عنه تمنت أن تكون شيئا تافها لا يؤبه له لما لحقها من فرط الحياء
والتخجل من الناس على حكم العادة البشرية لا كراهة لحكم الله أو لشدة التكلف عليها إذا بهتوها
وهي عارفة ببراءة الساحة وباختصاص الله لها بغاية الإجلال والتعظيم لأنه مقام دحض قلما
تثبت عليه الأقدام أن تعرف اغتباطك بأمر عظيم وفضل باهر تستحق به المدح وتستوجب التعظيم
وهو عند الناس عيب لجهلهم بفضله وحسنه أو لخوفها على الناس أن يعصوا الله بسببها
فناداها من تحتها الآخري تعني جبريل عليه السلام قيل كان يقبل الولد كالقابلة وهي المرأة
التي تلقى الولد وقيل هو عيسى عليه السلام وقرأ عاصم وأبو عمرو ومن تحتها بفتح الميم ونافع وحمزة والكسائي
وحفص بكسرها أي حذت الملك أو عيسى البراهين عنها وقيل معنى من تحتها أسفل من مكانها فلو كان
أسفل منها تحت الأكمة فصاح بها الآخري وقيل المراد بقوله من تحتها أي من تحت النخلة فرد
عينها بقوله قد جعل ربك تحتك سريا سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن السري فقال هو النهر وقيل هو
من السرو أي الكرم والشرف والمراد عيسى عليه السلام وعن الحسن كان والله عبدا سريا يعني عيسى عليه السلام
قال رضي الله عنه لم تقع التسلية لها بالسري والرطب من حيث إنهما طعام وشراب ولكن من حيث
معجزتان تريان الناس أنها من أهل العصمة والبعد عن الريبة وأن مثلها مما قوما به بمعزل وأن
لها أمورا إلهية خارجة عن العادات خارقة لما ألفوا واعتادوا حتى يتبين لهم أن ولادها من غير
فحل ليس ببدع من شأنها ولما فرغ من ذكر المعجزة الأولى وهي السري ذكر الثانية فقال وهزي إليك
بجذع النخلة أي حركي إلى جهتك أصل النخلة تساقط عليك رطبا جنيا أي غضا طريا وذلك
أن الله أحياها لك النخلة بعد يبسها فأورقت وأثمرت وأرطبت قالوا التمر للنفساء عادة

من ذلك الوقت وكذلك التحنيك بالتمر وقالوا كان من العجوة وهي أجود التمر سمع أن العجوة لا
تثمر إلا تعداد تعني تسع وقيل ما للنفساء خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل وقيل إذا عسر
ولاد المرأة لم يكن لها خير من الرطب فكلي يعني من الرطب واشربي يعني من السري وقري عينا
أي وطيبي نفسا ولا تغتمي واطرحي عنك ما أهمك وأحزنك وطيب النفس يوصف بقرار العين والمعنى
حقا لك في السري والرطب فائدتان إحداهما الأكل والشرب والثانية سلوة الصدر وطيب النفس
لكونهما معجزتين تشهدان لك بالنزاهة والفضل الباهر وهو معنى قوله فكلي واشربي وقري عينا
أي لا تحزني مع هاتين الفائدتين فإما ترين من البشر أحدا أي فإن ترأين من البشر أحدا فسألك
عن ولدك ولامك عليه فقولي إني نذرت للرحمن صوما أي صمتا وفي مصحف عبد الله صمتا
والمعنى قولي له إني وجبت على نفسي لله أن لا أتكلم وقيل صياما إلا أنهم كانوا لا يتكلمون في صيامهم
وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم الصمت لأنه نسخ في أمته قال رضي الله عنه أمرها الله
أن تنذر الصوم لئلا تشرع مع البشر المتهمين لها في كلام لمعنيين أحدهما أن عيسى عليه السلام
يكفيها الكلام بما يبرئ به ساحتها والثانية كراهة مجادلة السفهاء ومناقلتهم في الكلام
وفيه تنبيه على أن السكوت عن السفيه واجب ومن أذل الناس سفيه لم يجد مسافها قال
رضي الله عنه قال رجل لبعض السلف لو قلت واحدة لسمعت عشرا فقال ولو قلت لي عشرا لما سمعت
واحدة وقال ما قرع السفيه بمثل الإعراض ولا أطلق عنانه بمثل العراض فلن أكلم اليوم إنسيا
أي أحدا من الإنس وإنما أكلم الملائكة دون الإنس وإنما تكلمهم لأنها نذرت بالصوم فقيل
سوغ لها النطق بذلك لا غير وقيل أخبرتهم بأنها نذرت الصوم بالإشارة والأول أظهر لقوله
قولي فأتت به قومها تحمله أي أتت بعيسى بعدما طهرت من نفاسها تحمله إلى قومها بني إسرائيل
قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا الفري البديع الذي لم يسبق مثله في الفن أي والله لقد فعلت شيئا
عظيما منكرا ابتدعت شناعته وخالفت فيه حال أهلك وجئت بولد من غير أب يا أخت هارون
كان هارون أخاها من أبيها من أمثل بني إسرائيل وقيل هو أخو موسى صلى الله عليه وسلم وعن النبي صلى الله عليه وسلم إنما عنوا
هارون النبي وكانت من أعقابه وبينهما وبينه ألف سنة وأكثر وعن السدي كانت من أولاد هارون وإنما قيل

يا اخت هرون كما يقال يا اخا همدان اي يا واحدا منهم وقيل رجل صالح كان في زمانها شبهوها به
اي كنت عندنا مثله في الصلاح وقيل رجل طالح شبهوها به ولم يرد اخوة النسب ذكر ان هرون
الصالح تبع جنازته اربعون الفا كلهم يسمى هارون تبركا به وباسمه فقالوا كنا نشبهك بهرون
هذا ما كان ابوك امرأ سوء اي زانيا وما كانت امك بغيا اي زانية
فمن اين لك هذا الولد من غير زوج روي ان يوسف النجار احتمل مريم وابنها الى غار فلبثوا فيه
اربعين يوما حتى تعلت من نفاسها ثم جاءت تحمله فكلمها عيسى في الطريق فقال يا اماه ابشري
فاني عبد الله ومسيحه فلما دخلت به على قومها وهم اهل بيت صالحون تباكوا وقالوا ذلك وقيل
هموا برجمها حتى تكلم عيسى فتركوها فاشارت اليه اي هو الذي يجيبكم اذا ناطقتموه وقيل
كان المستنطق لعيسى عليه السلام زكريا عليه السلام وعن السدي لما اشارت اليه غضبوا وقالوا لسخريتها
بنا اشد علينا من زناها قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا كان لايقاع مضمون الجملة في زمان ماض مبهم
يصلح لقريبه وبعيده وهو هاهنا لقريبه تدل عليه معنى الكلام لانه مسوق للتعجب من تكلم من اشارت
الى تكلمه وكيف سؤال معناه الانكار والتعجب اي كيف يصح افصاح صبي في المهد هو ابنها ويجوز
ان يراد كيف عهد قبل عيسى ان يكلم الناس صبيا في المهد فيما مضى من الزمان حتى نكلم هذا والمهد ما
يمهد للصبي اي يفرش له ليوضع عليه وروي انه كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع واقبل
عليهم بوجهه واتكأ على يساره واشار بسبابته وتكلم قال اني عبد الله اي اقر على نفسه
بالعبودية لله اتاني الكتاب اي علمني التوراة وقيل الانجيل وقيل الخط وجعلني نبيا قال
رضي الله عنه انطقه الله اولا بانه عبد الله ردا لقول النصارى انه اله واختلفوا في نبوته فقيل
اعطيها في طفولته اكمل الله عقله واستنبأه طفلا نظرا الى ظاهر الاية وقيل معناه ان ذلك سبق في قضائه
او جعل الاتي لا محالة كانه قد وجد وجعلني مباركا اينما كنت اي نفاعا حيث كنت معلما للخير ادعو الى
الله حيثما كنت واوصاني بالصلوة اي امرني بالمحافظة عليها والزكوة اي وباداء الزكوة
وقيل الزكوة الطاهرة الطهارة ما دمت حيا اي مدة حياتي وبرا بوالدتي اي وجعلني برا بوالدتي
غير عاق وفري وبرا جعل ذاته برا لكثرة بره ولم يجعلني جبارا اي متكبرا او ظالما شقيا

اي عظيم الشقاوة والسلام على يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا قيل ادخل لام التعريف
لتقدم ذكره قبله اي ذلك السلام الموجه الى يحيى في المواطن الثلاث موجه الي اي
استحق مثله والصحيح ان يكون هذا التعريف تعريضا باللعنة على متهمي مريم عليها السلام واعدائها
من اليهود ويكون اللام للجنس اي وجنس السلام الذي معناه رضي الله والامان عن غضبه علي وعرض
بان ضده عليكم ونظيره قوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى يعني ان العذاب على من كذب وتولى
وكان المقام مقام مشاقة ومعاندة فهو مئنة لنحو هذا من التعريض وروي عيسى عليه السلام كلمهم بهذا
ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان ذلك عيسى ابن مريم اي ذلك الذي اتت به مريم هو عيسى
لا كما تقول النصارى من انه اله او انه ابن الله قول الحق اي هذا الكلام قول الحق والحق هو الله عز وجل
وقيل معنى قول الحق انه كلمة الله لانه لم يولد الا بكلمة الله وحدها وهي قوله كن من غير واسطة
اب الذي فيه يمترون اي امر حق يقين وهم فيه شاكون يمترون يشكون والمرية الشك
او يتمارون يتلاحون قالت اليهود ساحر كذاب وقالت النصارى ابن الله ثالث ثلثة ما كان
لله ان يتخذ من ولد اي ما صح منه تعالى اتخاذ الولد ولا تقتضيه العقول لانه يستحيل لمخالفة ذاته
لذات الاجسام والذوات التي تحدث منها الولد سبحانه اي تنزيها له عن ذلك اذا قضى امرا
اي اراد كونه فانما يقول له كن فيكون اي حدث فيحدث كما قال لعيسى كن فكان من غير اب
نزه سبحانه نفسه عن ذلك بان مراده اذا اراد شيئا من الحادثات كلها اوجده بقوله كن كان منزها
من شبه الحيوان والولد والقول هاهنا مجاز ومعناه ان ارادته للشيء يتبعها كونه لا محالة من غير
توقف فشبه ذلك بامر الامر المطاع اذا ورد على المامور الممتثل وان الله ربي وربكم هذا راجع
الى قوله واوصاني بالصلوة واوصاني بان الله ربي وربكم فاعبدوه اي خصصوه بالعبادة وحده
هذا صراط مستقيم اي هذا الذي ذكرت لكم طريق لا عوج فيه فاتبعوا الحق فيه ولا تخرجوا عنه
فاختلف الاحزاب هم اليهود والنصارى وقيل النصارى لتحزبهم ثلاث فرق نسطورية ويعقوبية
وملكانية ولما قص عليهم قصة عيسى اختلفوا فيه من بينهم اي من بين الناس والمعنى اختصوا على
الناس بالاختلاف فيه فويل اي فهلاك للذين كفروا من هؤلاء المختلفين من مشهد يوم

لان اليهود قالوا ساحر ... والنصارى ... بالالوهية
من زائدة قاله المعربون والمعنى اختلفوا بينهم

عظيم اي من حضورهم هول الحساب والجزا في يوم القيمة او من مكان الشهود فيه وهو الموقف او من وقت
الشهود او من شهادة ذلك اليوم وان تشهد عليهم الملايكة والانبيا والسنتهم وايديهم وارجلهم بالكفر
وسو الاعمال وقيل هو ما قالوه وشهدوا به في عيسى وامه اسمع بهم وابصر هذا التعجب من اسماعهم
وابصارهم اي ما ابصرهم بالهدى يوم القيمة واطلعهم بان عيسى ليس هو الله ولا ابن الله ولا ثالث
ثلاثة ولكن لا ينفعهم ذلك اليوم والتعجب لا يصح من الله تعالى وانما المراد ان اسماعهم وابصارهم يومئذ
جدير بان يتعجب منها بعد ما كانوا صما عميا في الدنيا وقيل معناه التهديد بما سيسمعون
وسيبصرون مما يسوؤهم ويصدع قلوبهم يوم ياتوننا اي للحساب يوم القيمة لكن الظالمون اليوم
في ضلال مبين اوقع الظاهر وهو قوله الظالمون موقع الضمير تشنيعا عليهم بالوصف بالظلم
واعلاما بان لا ظلم اشد من ظلمهم حيث اغفلوا الاستماع والنظر حين يجدي عليهم ويسعدهم والمراد
بالضلال لبس اغفال النظر والاستماع وانذرهم يوم الحسرة اي يوم القيمة لانه يوم التحسر اذ
قضي الامر اي فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار وعن النبي صلى الله عليه انه
سئل عن وقت قضا الامر فقال حين يذبح الكبش والفريقان ينظران اذا جاء الموت يؤتى به
ذلك على صورة كبش مذبح ليعلم كل فريق الخلود فيما هو فيه فيزداد اهل الجنة فرحا ويزداد
الظالمين وهم في غفلة في الدنيا من هول ذلك اليوم وهم لا يؤمنون اي لا يصدقون انا نحن نرث
الارض ومن عليها يريد انه يفنيهم ويخرب ديارهم ويبقى بعد ذلك اليوم كما يبقى الوارث بعد
المورث او يريد انه يفني اجسادهم ويفني الارض ويذهب بها وقت الفنا ويبقى بعد ذلك والينا
يرجعون اي الى حكمنا فنجازيهم على اعمالهم بالثواب والعقاب واذكر في الكتاب ابرهيم
اي واذكر يا محمد للناس في القران ابرهيم وقصته لما في ذكر ذلك من الفوايد والحكم انه كان
صديقا نبيا اي بليغ الصدق والمراد كثير صدقه وكثير ما صدق به من غيوب الله واياته وكتبه
ورسله وكان الرجحان والغلبة في هذا التصديق للكتب والرسل اي كان مصدقا لجميع الانبيا
وكتبهم وكان نبيا في نفسه كقوله تعالى بل جا بالحق وصدق المرسلين اذ قال لابيه اي خليل قال
لابيه وما بينهما فاصل للثنا على ابرهيم عليه السلم ويجوز ان يتعلق اذ قال بكان اي كان جامعا

لخصايص الصديقين والانبيا حين خاطب اباه تلك المخاطبات والمراد بذكر الرسول اياه وقصته
في الكتاب ان يتلو ذلك على الناس ويبلغه اياهم والا فالله عز وجل هو ذاكره ومورده في تنزيله يا ابت لم
تعبد ما لا يسمع ولا يبصر اي لا يسمع الدعا ولا يبصر العبادة ولا يغني عنك شيا اي لا يدفع عنك شيا
من عذاب الله قال رضي الله عنه انظر حين اراد ابرهيم ان ينصح اباه ويعظه فيما كان متورطا فيه
من الخطا العظيم والارتكاب الشنيع الذي عصى فيه امر العقل وانسلخ عن قضية التمييز ومن الغباوة
التي ليس بعدها كيف رتب الكلام معه في احسن اتساق وساقه ارشق مساق مع استعمال المجاملة
واللطف والرفق واللين والادب الجميل والخلق الحسن منتصحا في ذلك بنصيحة ربه جل
وعلا حدث ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه اوحى الله تعالى الى ابرهيم عليه انك خليلي حسن
خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الابرار فان كلمتي سبقت لمن حسن خلقه ان اظله تحت عرشي
واسكنه حظيرة القدس وادنيه من جواري وذلك انه طلب منه اولا العلة في خطايه طلب منبه على
تماديه موقظ لافراطه وتناهيه فقال لم تعبد اي لاي سبب تعبد ما هذا حاله من الجمادات والاصنام
التي لا تسمع ولا تبصر لان المعبود لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على الثواب والعقاب نافعا
ضارا الا انه بعض الخلق لاستخف عقل من اهله للعبادة ووصفه بالربوبية وان كان
اشرف الخلق واعلاهم منزلة كالملايكة والنبيين وذلك ان العبادة هي غاية التعظيم فلا تحق الا
لمن له غاية الانعام وهو الخالق الرازق المحيي المميت المثيب المعاقب الذي منه اصول النعم
وفروعها فاذا وجهت الى غيره وتعالى علوا كبيرا ان تكون هذه الصفة لغيره لم تكن الا ظلما
وعتوا وغيا وكفرا وجحودا وخروجا عن الصحيح النير الى الفاسد المظلم فما ظنك بمن وجه
عبادته الى جماد ليس به حس ولا علم فلا يسمع يا عابده ذكرك له ولا ثناءك عليه ولا يرى هيئات
خضوعك وخشوعك له فضلا ان يغني عنك بان تستدفعه بلاء فيدفعه او تسنح لك حاجة
فيكفيكها ثم ثنى بدعوته الى الحق مترفقا به متلطفا فلم يسم اباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم
الفايق ولكنه قال يا ابت اني قد جاءني من العلم اي من علم الدلالة على طريق النجاة والهداية
لسالكها ما لم ياتك فاتبعني ولا تستنكف اهدك صراطا سويا اي طريقا مستويا لا تضل

فيه والمعنى ان معي طائفة من العلم وشيئا منه ليس معك وذلك علم الدلالة على الطريق السوي فلا تستنكف وهب
اني واياك في مسير وعندي معرفة بالهداية دونك فاتبعني انجك من ان تضل وتتيه ثم ثلث بتثبيطه ونهيه
عما كان عليه بقوله يا ابت لا تعبد الشيطان اي لا تطعه في عبادة الاصنام التي لا تستحق عبادة وعلل
النهي بقوله ان الشيطان كان للرحمن عصيا اي شديدا لعصيان والمعنى ان الشيطان هو الذي
استعصى على ربك الرحمن الذي جميع ما عندك من النعم من عنده وهو عدوك الذي لا يريد بك الا كل هلاك
وخزي ونكال وعدو ابيك آدم الذي اخرجه من الجنة وعدو ابناء جنسك كلهم وهو الذي ورطك في هذه
الضلالة وامرك بها وزينها لك فانت ان حققت النظر عابد الشيطان بطاعتك له الا ان ابراهيم عليه السلام
لكمال اخلاصه وارتفاع همته في الدين لم يذكر من جنايتي الشيطان الا التي تختص برب العزة من عصيانه
له واستكباره عليه ولم يلتفت الى ذكر معاداته لآدم وذريته لانها اخف الجنايتين كأن النظر
في عظم ما ارتكب من عصيان الله عز وجل غمر فكر ابراهيم واطبق على ذهنه ثم ربع بتخويفه سوء
العاقبة وما يجره ما هو فيه من التبعة والوبال ولم يخل ذلك من حسن الادب حيث لم يصرح بان العقاب
لاحق له وان العذاب لاصق به ولكنه قال يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن اي ان يصيبك
نوع من العذاب فتكون للشيطان وليا اي تابعا ومواليا وقرينا في النار وذكر الخوف والمس ونكر العذاب
وجعل ولاية الشيطان ودخوله في جملة اتباعه واوليائه اكبر من العذاب لان رضوان الله اكبر من الثواب
لقوله تعالى ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم فكذلك ولاية الشيطان التي تقتضي غضب الله
اكبر من العذاب واعظم قال رضي الله عنه وصدر ابراهيم كل نصيحة من النصائح الاربع بقوله يا ابت
توسلا اليه واستعطافا له ليقبل النصيحة ولما اطلع ابراهيم اباه على سماجة صورة امره وهدم مذهبه
بالحجج القاطعة وناصحه المناصحة العجيبة مع تلك الملاطفات اقبل عليه الشيخ بفظاظة الكفر وغلظة
العناد فناداه باسمه ولم يقابل يا ابت بيا بني ولكن قال اراغب انت عن آلهتي يا ابراهيم اي اترغب عنها
وتارك لعبادتها وقدم الخبر على المبتدا في قوله اراغب انت عن آلهتي لانه كان اهم عنده اي ان كراهة ابراهيم
للآلهة اهم واعظم عند ابيه مما تعلق به وفيه ضرب من التعجب والانكار من ان كراهة ابراهيم للآلهة وان
الآلهة ما ينبغي ان يرغب عنها احد وفي هذا سلوان وثلج لصدر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يلقى من مثل

ذلك من كفار قومه ثم توعده بقوله لئن لم تنته اي لئن لم ترجع عن مقالك في عيبها وذمها لارجمنك
اي لارمينك بلساني يريد به الشتم والذم او لارجمنك لاقتلنك من رجم الزاني او لاطردنك رجما بالحجارة
واهجرني مليا اي زمانا طويلا من الملاوة واهجرني معطوف على محذوف يدل عليه لارجمنك اي فاحذرني
واهجرني لان قوله لارجمنك تهديد وتقريع او معناه مليا بالذهاب عني والهجران قبل ان اثخنك بالضرب
فلا تقدر ان تذهب عني يقال فلان ملي بكذا اذا كان مطيقا له مضطلعا به قال ابراهيم سلام عليك
اي سلام توديع ومتاركة كقوله سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين والمعنى سلمت مني لا اصيبك بمكروه
وهذا جواب الجاهل لقوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ومعنى السلام هنا التسلم اي
تسلم منكم تسلما لا نقابل الجهل بمثله بل بالاغضاء والحلم فاقيم السلام مقام التسلم وفي هذا
دليل على جواز متاركة المنصوح حتى لا يقبل النصيحة بعد ابلاء العذر فيه سأستغفر لك
ربي قال رضي الله عنه جاز لابراهيم ان يستغفر لابيه الكافر وان يعد ذلك لانه اراد اشتراط
التوبة عن الكفر كما ترد الاوامر والنواهي الشرعية على الكفار والمراد اشتراط الايمان وكما يؤمر المحدث
بالصلاة والفقير بالزكوة ويراد اشتراط الوضوء والنصاب وقالوا انما استغفر له بقوله واغفر لابي انه
كان من الضالين لانه وعده ان يؤمن واحتجوا بقوله تعالى وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة
وعدها اباه ولقائل ان يقول الذي منع من الاستغفار للكافر انما هو السمع فاما القضية العقلية
فلا تأباه فيجوز ان يكون الوعد بالاستغفار والوفاء به قبل ورود السمع بناء على قضية العقل والذي
يدل على صحته قوله الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك فلو كان شارطا للايمان لم يكن مستنكرا
واما قوله وعدها اباه فلا حجة لهم فيه لان الواعد هو ابراهيم لا آزر اي ما قال واغفر لابي الا عن قوله
لاستغفرن لك بدليل قراءة من قرأ وعدها اباه انه كان بي حفيا الحفي البليغ في البر والالطاف يقال
حفي به وتحفى به واعتزلكم المراد بالاعتزال المهاجرة الى الشام لانه كان في العراق وما تدعون اي وما
تعبدون من دون الله من اصنامكم والمعنى وافارقكم وافارق ما تعبدون من دون الله من هذه الاصنام
التي لا تضر ولا تنفع وادعوا ربي اي اعبده عسى ان لا اكون بدعاء ربي اي بعبادته
شقيا يعني كما شقيتم بعبادة الاصنام وهذا التعريض بشقاوتهم في عبادة آلهتهم والمعنى انه يتقبل

عبادتي وتبتلي عليها والمراد بالدعاء العبادة وتسميته به لانه من افضلها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الدعاء هو العبادة
ويدل عليه قوله فلما اعتزلهم وما يعبدون قال رضي الله عنه عرض ابرهيم عليه السلام بشقاوتهم بدعاء الهتهم
في قوله عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا مع التواضع لله في كلمة عسى وما فيه من هضم النفس عن
الا نقيا المقطوع بشقاوتهم فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وذهب مهاجرا الى الشام
لم نعد الهجرة اسحق ويعقوب قال رضي الله عنه ما خسر على الله احد ترك الكفار او الفسقة
وتركهم لوجهه ولذلك عوض الله ابرهيم عنهم اولادا مؤمنين انبيا فوهب له اسحق ويعقوب وكلا
جعلنا نبيا اي وكلا منهم جعلناه نبيا ووهبنا لهم من رحمتنا يعني النبوة وقيل هي المال والولد
انها عامة في كل خير ديني ودنيوي اتاهم الله اياه وجعلنا لهم لسان صدق عليا اللسان القول
الثناء الحسن وعبر باللسان عما يوجد باللسان كما عبر باليد عن العطية التي تعطى باليد ولسان
لغتهم وكلامهم ومعنى عليا عاليا مشتهرا قال رضي الله عنه وقد استجاب الله دعوة خليله وا
لي لسان صدق في الاخرين فصيره قدوة حتى ادعاه اهل الاديان كلهم وامر سيد البشر باتباع ملته
بقوله ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا واعطى ذلك ذريته فاعلى ذكرهم واثنى عليهم
اعلى ذكره واثنى عليه فقال فيهم ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين وجعلناهم
ائمة يهدون بامرنا الى قوله وكانوا لنا عابدين واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا
واذكر يا محمد في القرآن قصة موسى وحديثه واتل عليهم واثنى الله عليه بانه مخلص والمخلص بكسر
اللام هو الذي اخلص العبادة عن الشرك والريا او اخلص نفسه واسلم وجهه لله وبالفتح الذي
اخلصه الله تعالى وكان رسولا نبيا الرسول هو الذي معه كتاب من الانبيا والنبي الذي ينبئ عن الله
عز وجل وان لم يكن معه كتاب كيوشع عليه السلام وناديناه اي كلمناه من جانب الطور الايمن الطور
الجبل الذي كلم عليه موسى والايمن من اليمن اي البركة وهو صفة للطور او هو من اليمين اي من ناحية
اليمنى او هو صفة للجانب اي من الجانب الايمن وقربناه نجيا اي في حال كونه مناجيا شبهه بمن قربه
بعض العظما للمناجاة حيث كلمه بغير واسطة ملك وقيل قربه الله من السموات حتى سمع صرير القلم الذي
كتبت به التوراة ووهبنا له من رحمتنا اي من اجل رحمتنا له اخاه هرون نبيا [illegible]

بقوله واجعل لي وزيرا من اهلي وكان هرون اكبر من موسى فوقعت الهبة على معاضدته وموازرته كذا
عن ابن عباس واذكر يا محمد في الكتاب اسمعيل اي اتل في القرآن خبره وصفته المرغبة وهذا يدل
الثنا على ذريته ابرهيم انه كان صادق الوعد ذكر اسمعيل عليه السلام بصدق الوعد وان كان ذلك موجودا
في غيره من الانبيا تشريفا له واكراما له ولانه المشهور المتواصف من خصاله عن ابن عباس انه وعد
صاحبا له ان ينتظره في مكان فانتظره سنة وناهيك انه وعد من نفسه الصبر على الذبح فوفى حيث
قال ستجدني ان شاء الله من الصابرين وكان رسولا نبيا لانه بعث الى جرهم وكان يامر اهله بالصلوة
والزكوة اي يبدا باهله في الامر بالصلاح والعبادة ليجعلهم قدوة لمن وراءهم ولانهم اولى من سائر الناس
بقوله وانذر عشيرتك الاقربين وامر اهلك بالصلوة قوا انفسكم واهليكم نارا الا ترى انهم احق
البهم والتصدق عليهم فالاحسان الديني اولى وقيل اهله امته كلهم من القرابة وغيرهم لان امم
النبيين منتظمون في جملة اهاليهم وفي هذا تنبيه على ان من حق الصالح ان يسلك مسلك الانبيا
بتحمد كل الاجتهاد في نصح الاجانب فضلا عن الاقارب والمتصلين به وان يحظيهم مع
الاحسان الديني عاهو اولى حينئذ من العوائد الدنيوية ولا تفرط في ذلك وكان عند ربه مرضيا
اي مرضي الاعمال لانه قام بطاعته او مرضيا [illegible] بمرضي ربه واذكر في الكتاب ادريس هو جد ابي نوح
وكان اسمه اخنوخ انه كان صديقا نبيا اي كثير التصديق بكتب الله ورسله مع كونه نبيا في
نفسه ورفعناه مكانا عليا المكان العلي شرف النبوة والزلفى عند الله وارتفاع درجته والانزال
من الله عليه ثلاثين صحيفة وهو اول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب واول من خاط الثياب
ولبسها وكانوا يلبسون الجلود وعن انس يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم انه رفع الى السماء الرابعة وعن ابن
عباس الى السماء السادسة ثم وعن الحسن الى الجنة لا شي اعلى من الجنة وقيل هو حي لم يمت وقيل رفعه
الله الى السماء ثم قبض روحه وقيل الرفعة في المنزلة لا في المكان اولئك اشارة الى الانبيا المذكورين
في السورة من زكريا الى ادريس الذين انعم الله عليهم يعني بالنبوة وغيرها والذين من النبيين
من ذرية ادم من الاولى للتبيين لان جميع الانبيا منعم عليهم كالذي قبل الا انهم النبيون ومن الثانية
للتبعيض لان ادريس من ذرية ادم لقربه منه لانه جد ابي نوح وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابرهيم

واسرائيل الذرية الاولاد كانه قيل بعض ذرية ادم وبعض ذرية من حملنا في الفلك مع نوح يوم الطوفان فجعل
ادريس من ذرية ادم لقربه منه والاخلاف البشر من ذرية ادم وابرهيم من ذرية من حمل مع نوح لانه من سام بن
نوح واسمعيل من ذرية ابرهيم وموسى وهرون وزكريا ويحيى من ذرية اسرائيل وكذلك عيسى لان مريم
من ذريته وممن هدينا اي ومن جملة الذين هدينا كانه قيل اولئك الذين انعم الله عليهم الذين جعلناهم انبيا
والذين هديناهم اعظم الهداية واجتبينا اي اخترنا واصطفينا اذا تتلى عليهم ايات الرحمن خروا
سجدا وبكيا خروا اي سقطوا للسجود والبكي جمع باك اخبر الله تعالى ان هولاء الانبيا عليهم السلام
كانوا اذا سمعوا ايات الله سجدوا وبكوا من خشيته وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤوا القران وابكوا فان
لم تبكوا فتباكوا وعن صالح المري قال قرات القران على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي يا صالح
هذه القراءة فاين البكاء وعن ابن عباس اذا قراتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم
تبك عين احدكم فليبك قلبه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان القران نزل بحزن فاذا قراتموه فتحازنوا
وقالوا يدعو في السجود بما يليق باياتها فان قرا اية تنزيل السجدة قال اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك
المسبحين بحمدك واعوذ بك ان اكون من المستكبرين عن امرك وان قرا سجدة سبحان قال اللهم اجعلني
من الباكين اليك الخاشعين لك وان قرا هذه قال اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهتدين
الساجدين لك الباكين عند تلاوة اياتك فخلف من بعدهم خلف يقال خلفه اذا عقبه ثم قيل
في عقب الخير خلف بفتح اللام وفي عقب الشر خلف بالسكون اي فعقب من بعد اولئك النبيين خلف وعن
ابن عباس هم اليهود اضاعوا الصلوة اي تركوها وشربوا الخمور واستحلوا نكاح الاخت
من الاب وقيل اضاعوها بالتاخير واتبعوا الشهوات يعني شرب الخمر وما استحلوه من نكاح الاخت
وعن علي رضي الله عنه من بنى الشديد وركب المنظور ولبس المشهور وعن قتادة
هو في هذه الامة واراد بالمنظور ما ينظر للاستعجاب به كالخيل العراب وبالمشهور الفاخر من الثياب
وهذا اذا اراد به ما هي عنه من التفاخر والتكاثر والا فلا حرج وفي الحديث من لبس ثوب شهرة
البسه الله ثوب مذلة ثم توعدهم بقوله فسوف يلقون غيا يعني في الاخرة وكل شر عند العرب
غي وكل خير عندهم رشاد فالغي عام في كل شر يعقبهم وقيل غي واد في جهنم تستعيذ منه اوديتها الا من

تاب من الشرك وامن اي صدق بالبعث وعمل صالحا اي ادى الفرائض فاولئك يدخلون الجنة اي
يدخلهم الله لاجل توبتهم وجمعهم بين الايمان والاعمال الصالحة ولا يظلمون شيئا اي ولا ينقصون شيئا
من جزاء اعمالهم ولا يمنعونه بل يضاعف لهم بين بهذا ان تقدم الكفر لا يضرهم اذا تابوا من ذلك جنات عدن
التي وعد الرحمن عباده جنات عدن بدل من الجنة اي يدخلون الجنة الموضع في الجنة بعض منها يدخلونه وعدن
اسم علم لهذا الموضع الذي هو بعض الجنة وهو بمعنى العدن الذي هو الاقامة او عدن علم لارض
الجنة كلها لكونها مكان اقامة وقرئ جنات عدن وجنة عدن على الابتداء او الخبر اي هي التي
وعدها التي وعد الرحمن عباده اي وعدها الرحمن عباده المتقين بالغيب اي وعدها وهي غائبة عنهم
غير حاضرة او هم غائبون عنها لا يشاهدونها او معناه بتصديق الغيب والايمان به انه كان وعده
ماتيا اي ياتيها ووعد لا محالة فاتيه اي كانه ياتي هو اي كان وعده مفعوله بمعنى الاتيان كل من احلاف
او وعد لا يخون عليه وقيل كان الدلالة على ان هذه الصفة في صدق وعد الله تعالى ثابتة
الماضي كانها ثابتة فيما وعده في المستقبل لا يسمعون فيها لغوا اي فحش الكلام الفضول اللغو فضول
الكلام وما لا طائل تحته وفيه تنبيه ظاهر على وجوب تجنب اللغو واتقائه حيث نزه الله عنه الدار
التي لا تكليف فيها وما احسن قوله واذا مروا باللغو مروا كراما اي مكرمين انفسهم بالاعراض عن
اهل اللغو وعن مخالطة اهله والوقوف معهم وقوله واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا
اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين نعوذ بالله من اللغو والجهل والخوض فيما لا
يعنينا الا سلاما اي لكن قوله حسنا يسلمون فيه من العيب والنقيصة او معناه ان كان تسليم بعضهم
على بعض او تسليم الملائكة عليهم لغوا فلا يسمعون لغوا الا ذلك فهو من وادي قوله ولا عيب فيهم
غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب او لان معنى السلام هو الدعاء بالسلامة ودار السلام
هي دار السلامة واهلها عن الدعاء بالسلامة اغنياء فكان ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث
لولا ما فيه من فائدة الاكرام ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا اراد ما يرزقونه في الجنة من انواع
المطاعم وطيبات المآكل والمشارب والبكرة اول النهار والعشي اخره وليس في الجنة ليل ولا
نهار ولكنه اتى على عادة العرب لان المتنعم عندهم من وجد غداء وعشاء وقيل اراد دوام الرزق

المحمود عند العقلاء لان من الناس من ياكل الوجبة ومنهم من ياكل متى وجد وهي عادة المنهومين ومنهم من يتغدى
ويتعشى وهي العادة الوسطى المحمودة وليس المراد انهم يعطون من رزقه على مقدار الغداء والعشاء فان لهم
فيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين في كل طرفة عين وقد جاء في الحديث ان ادنى اهل الجنة منزلة
لمن يغدى عليه ويراح بعشرة آلاف صحفة من طعام في كل صحفة لون من الطعام له رائحة ولون ليس للآخر
بل الله عز وجل يعطي احدهم ما اختص به من انه اذا اراد شيئا قال له كن فيكون ولكن المراد انهم محمودون في
جميع افعالهم وقيل اراد بالبكرة والعشي دوام الرزق ودروره كما تقول انا عند فلان صباحا ومساء وبكرة وعشيا
يريد الديمومة ولا يريد الوقتين المعلومين تلك الجنة التي نورث اي نعطي وننزل من عبادنا من كان تقيا
اي من كان من اهل تقوى الله في دار التكليف وذكر الميراث استعارة اي نبقي عليه الجنة كما نبقي على الوارث مال
الموروث ولان الاتقياء يلقون ربهم يوم القيامة قد انقضت اعمالهم وثمرتها باقية وهي الجنة فاذا ادخلهم الجنة
فقد اورثهم من تقواهم كما يورث الوارث المال من المتوفى وقيل اورثوا من الجنة المساكن التي كانت لاهل
النار لو اطاعوا وما نتنزل الا بامر ربك هذا حكاية قول جبريل صلى الله عليه حين استبطاه رسول الله
صلى الله عليه روي انه احتبس اربعين يوما وقيل خمسة عشر وذلك حين سئل عن قصة اصحاب اهل الكهف
وذي القرنين والروح فلم يدر كيف يجيب ورجا ان يوحى اليه فيه فشق ذلك عليه مشقة شديدة وقال
المشركون ودعه ربه وقلاه فلما نزل جبريل قال له صلى الله عليه ابطات حتى ساء ظني واشتقت اليك فقال
كنت اشوق ولكني عبد مامور اذا بعثت نزلت واذا حبست احتبست وانزل الله هذه الآية وسورة الضحى
والمراد ان نزولنا في الاحايين وقتا غب وقت ليس الا بامر الله وعلى ما يراه صوابا وحكمة له ما بين
ايدينا اي ما قدامنا من الآخرة وما خلفنا اي ما مضى من الدنيا وما خلفنا من الجهات والاماكن وما
نحن فيها فلا نتمالك ان ننتقل من جهة الى جهة ومكان الى مكان الا بامر المليك ومشيئته وهو الحافظ
العالم بكل حركة وسكون وما يحدث ويتجدد من الاحوال لا يجوز عليه الغفلة والنسيان فانى
ان نتقلب في ملكوته الا اذا راى ذلك مصلحة وحكمة واطلق لنا الاذن فيه وما بين ذلك وهو ما
بين النفختين وهو اربعون سنة وقيل ما يكون من هذا الوقت الى قيام الساعة وقيل ما مضى من اعمارنا
وما بقي منها والحال التي نحن فيها وقيل الارض بين ايدينا اذا نزلنا والسماء التي وراءنا وما بين السماء والارض

والمعنى انه المحيط بكل شيء لا يخفى عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة فكيف نقدم على فعل نحدثه الا
له حكمته ونتنزل بغير امره وما كان ربك نسيا اي وما كان ربك تاركا لك كقوله ما ودعك ربك وما
قلى اي ما كان امتناع النزول الا لامتناع الامر به واما احتباس الوحي فلم يكن لترك الله لك وتوديعه اياك
ولكن لتوقفه على المصلحة وقيل هو حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة اي وما ننزل الجنة
الا بان من الله علينا بثواب اعمالنا وامرنا بدخولها له ما بين ايدينا اي له الملك كله وهو المالك للازمان
كلها السالفة والمترقبة والحاضرة اللاطف في اعمال الخير والموفق لها والمجازي عليها ثم قال تعالى
تقريرا لقولهم وما كان ربك نسيا لاعمال العاملين غافلا عما يجب ان يثابوا عليه وكيف يجوز النسيان
والغفلة على ذي ملكوت السموات والارض وما بينهما ثم قال لرسوله صلى الله عليه فاعبده اي فحين عرفته
بهذه الصفة فاقبل على العمل واعبده واصطبر لعبادته اي اتخذ الصبر على مشاق عبادته عادة
اثبت لها بثباتك كما اثاب عنه كبر المتقين وقال لعبادته ولم يقل على عبادته لان العبادة جعلت بمنزلة
القرن المحارب اذ يراد ان العبادة تورد عليك شدائد ومشاق فاثبت لها ولا تهن ولا يضيق صدرك
عن احتباس الوحي عليك مدة ولا عن ما تسمعه من كلام اعدائك الكفار من اهل الكتاب والمشركين
في تشنيعهم بك هل تعلم له سميا اي لم يسم شيء بالله قط وكان المشركون يقولون لاصنامهم آلهة والعزى
واما هذا الاسم الشريف الذي ضمنت به السموات كما ذكر فهو الله مخصوص به المعبود
لم يشاركه فيه وعن ابن عباس لا يسمى احد الرحمن غيره سبحانه ويجوز ان يراد هل تعلم
من يسمى باسمه على الحق دون الباطل لان التسمية على الباطل لا يعتد بها فكانها لا تسمية ولا يحق هذا
الاسم الا لمن يحق له العبادة وقيل معناه هل تعلم له مثلا وشبيها اي اذا صح ان لا معبود يوجه اليه
العبادة الا هو وحده لم يكن بد من عبادته ومن الاصطبار على مشاقها وتكاليفها ويقول
الانسان اذا ما مت لسوف اخرج حيا يحتمل ان يراد بالانسان الجنس باسره وان يراد بعض الجنس
وهم الكفرة ولما كانت هذه المقالة موجودة في بعض جنس الانسان وهم الكفار صح اسناد القول الى جميعهم
كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل رجل منهم ومعنى اذا ما مت هل اذا مت لسوف اخرج
من الارض حيا بعد ما كنت ميتا قالوا ذلك على وجه الاستنكار والاستبعاد وما في اذا ما

رب السموات والارض وما بينهما

للتأكيد واللام في لسوف للتأكيد كأنهم قالوا على وجه الانكار والتهزي أحقا انا سنخرج احيا حين يتمكن
فينا الموت والهلاك والمراد بالخروج من الارض او من حال الفنا اولا يذكر الانسان انا خلقناه من
قبل اي من قبل الحالة التي هو فيها وهي حالة بقائه ولم يك شيئا لانه معدوم والمعدوم ليس بشي
او لم يكن شيئا يعتد به لان اصله نطفة كالمعدوم والمعنى اقوال ذلك ولا يتذكر حال النشاة الاولى
حتى لا ينكر الاخرى فان الاولى اعجب واغرب وادل على قدرة الخالق حيث اخرج الجواهر والاعراض من العدم
الى الوجود ثم اوقع التاليف مشحونا بضروب الحكم التي تحار الفطن فيها من غير حذو على مثال واقتداء
بمولف ولكن اختراعا وابداعا من عند قادر جلت قدرته ودقت حكمته واما النشاة الثانية فقد تقدمت
نظيرتها وعادت لها كالمثال المحتذى عليه وليس فيها الا تاليف الاجزا الموجودة الباقية وتركيبها
وردها الى ما كانت عليه مجموعة بعد التفكيك والتفريق وقوله ولم يك شيئا دليل على هذا المعنى
وكذلك قوله وهو اهون عليه على ان رب العزة سوا عليه النشاتان لا تفاوت في قدرته الصعب
والسهل ولا يحتاج الى احتذا على مثال ولا استعانة بحكيم ولا نظر في مقايس ولكن يواجه جاحد
البعث بذلك دفعا في مقابرته وكشفا لصفحة عناده فوربك لنحشرنهم يعني منكري
البعث قال رضي الله عنه وفي اقسام الله تعالى باسمه تقدست اسماؤه مضافا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
تفخيم لشان رسول الله ورفع منه كما رفع من شان السما والارض في قوله فورب السما والارض انه لحق
والشياطين يعني قرناهم الذين اضلوهم والواو بمعنى مع والمعنى انهم يحشرون مع قرنائهم
الذين اغووهم يقرن كل كافر مع شيطان في سلسلة ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا اي جماعات
على ركبهم ومعنى احضارهم انهم يعتلون من المحشر الى شاطي جهنم عتلا اي يقادون بعنف على
حالهم التي كانوا عليها في الموقف جثاة على ركبهم غير مشاة على اقدامهم وذلك ان اهل الموقف
وصفوا بالجثو على العادة المالوفة في مواقف المقاولات والمناقلات من تجاثي اهلها لما
في ذلك من الاستيفاز والقلق واطلاق الحبا وخلاف الطمانينة او لما يدهمهم من شدة الامر الذي
لا يطيقون معها القيام على ارجلهم فيجثون على ركبهم جثوا ثم لننزعن اي لنخرجن من
كل شيعة اي من كل امة وفرقة والمراد بالشيعة الطايفة التي شاعت اي تبعت غاويا من الغواة

قال تعالى ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا ايهم اشد على الرحمن عتيا يريد عتاة من كل طايفة من طوايف
الغي والفساد اعصاهم فاعصاهم واعتاهم فاعتاهم فاذا اجتمعوا طرحناهم في النار على
الترتيب نقدم الاعتى فالاعتى منهم وذلك انه يبدا في التعذيب باشدهم عتيا ثم الذي يليه ثم لنحن اعلم
بالذين هم اولى بها صليا اي احق بدخول النار او اراد بالذين هم اولى بها صليا المنتزعين كانهم
كانه قال ثم لنحن اعلم بتصلية هولاء وهم اولى بالصلي من بين سائر الصالين ودركاتهم اسفل وعذابهم اشد
ويجوز ان يريد باشدهم عتيا روسا الشيع وايمتهم لتضاعف جرمهم بكونهم ضلالا مضلين كقوله تعالى
الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون وليحملن اثقالهم واثقالا
مع اثقالهم وان منكم الا واردها اي وما منكم الا وارد النار او جهنم وقوله منكم التفات الى الانسان
في قوله ويقول الانسان اذا ما مت ويعضده قراة ابن عباس وان منهم لان الكلام لغير المخاطب او
هو خطاب للناس على العموم من غير التفات الى المذكور فان اريد الناس جميعا فمعنى الورود دخولهم
فيها وهي خامدة فيعبرها المومنون وتنهار بغيرهم وعن جابر انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
ذلك فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض اليس وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال لهم
قد وردتموها وهي خامدة وعنه رضي الله عنه انه سيل عن هذه الاية فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المومنين بردا وسلاما كما كانت على ابرهيم
حتى ان للنار ضجيجا من بردها واما قوله اولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها وعن ابن مسعود
والحسن وقتادة هو الجواز على الصراط لان الصراط ممدود عليها وعن ابن عباس قد يرد الشي
الشي ولا يدخله كقوله ولما ورد ما مدين ووردت القافلة البلد وان لم تدخله ولكن قربت منه وعن مجاهد
ورود المومن النار هو مس الحمى جسده في الدنيا لقوله صلى الله عليه وسلم الحمى حظ كل مومن من النار ويجوز
ان يراد بالورود جثوهم حولها وان اريد بقوله منكم الكفار خاصة فالمعنى بين وهو وقوعهم في
عذابها اجارنا الله منها كان على ربك يعني ورودكم اياها حتما مقضيا الحتم الامر الذي او الحكم
اي كان ورودهم واجبا على الله اوجبه على نفسه وقضى به وحكم ان لا يكون غيره ثم ننجي الذين اتقوا
قرئ ننجي بالتشديد والتخفيف فان اريد بقوله منكم الناس على العموم فهو ظاهر وان اريد الكفرة فمعناهم

فمعنى ننجي الذين اتقوا ان المتقين يساقون الى الجنة عقيب ورود الكفار النار لا انهم يردونها
معهم ثم يتخلصون وقرأ ابن عباس وابن مسعود ثَمّ بفتح الثاء ومعناه هناك ننجي الذين اتقوا ونذر
الظالمين فيها اي ونترك اهل الظلم في النار جثيا اي جاثين على الركب وهذا وصف لحالهم بالجثي على
الركب وفيه دليل على ان المراد بالورود الجثو حواليها وان المؤمنين يفارقون الكفرة الى الجنة بعد
تجاثيهم وتبقى الكفرة في مكانهم جاثين واذا تتلى عليهم اياتنا بينات اي مرتلات الالفاظ ملخصات
المعاني مبينات المقاصد اما محكمات او متشابهات قد تبعها البيان بالمحكمات او بتبيين
الرسول قولا او فعلا او ظاهرات الاعجاز تحدي بها فلم يقدر على معارضتها او حججا وبراهين
فهي حال مؤكدة لان ايات الله لا تكون الا واضحة وحججا قال الذين كفروا للذين امنوا اي خاطبوهم
وواجهوهم بذلك ويحتمل ان يكون معناه قال الذين كفروا لبعضهم لاجل الذين امنوا اي
الفريقين خير مقاما واحسن نديا المقام بالضم موضع الاقامة وهو قراءة ابن كثير وقرأ الباقون
بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان والموضع والندي المجلس ومجمع القوم الذي يتنادون فيه
اي يجتمعون فيه والمعنى انهم اذا سمعوا الايات وهم جهلة لا يعلمون الا ظاهرا من الحيوة
الدنيا وذلك مبلغهم من العلم فاذا سمعوا الايات قالوا اي الفريقين من المؤمنين بالايات والجاحدين لها
اوفر حظا من الدنيا حتى يجعل ذلك دليلا على الفضل والنقص والرفعة والضعة وروي انهم كانوا
يرجّلون شعورهم ويدّهنون ويتطيبون ويتزينون بالزين الفاخر ثم يدعون مفتخرين على فقراء
المسلمين انهم اكرم على الله منهم وكم اهلكنا قبلهم من قرن كم معناها التكثير والقرن
الامة وكل اهل عصر قرن لمن بعدهم لانهم يتقدمونهم اي كثيرا من القرون اهلكنا قبلهم اي
قبل قريش كقوم نوح وهود وقوم صالح هم احسن صفة للقرون المهلكة احسن من هؤلاء اثاثا
ورئيا الاثاث متاع البيت وهي الالة ومنافعه التي ينتفع بها وقيل ما جد من الفرش وما لبس
فهو الخرثي ورئيا قرئ على خمسة اوجه رئيا براء مكسورة بعدها همزة ساكنة وهو فعل بمعنى مفعول
من رأيت جعله من المنظر وهو ما رأته العين من حال حسنة وكسوة ظاهرة ومن لم يهمز جعله
من رويت الوانهم وجلودهم ريا اي امتلات وحسنت وقرئ زيا وهو من الزي وهو الجمع لان الزي

مريم

محاسن مجموعه والمعنى ان المهلكين احسن من هؤلاء حالا ومالا فلم يدفع ذلك عنهم الهلاك قل من كان
في الضلالة اي قل يا محمد ردا عليهم في قولهم اي الفريقين خير مقاما من كان في الضلالة اي في ضلالتهم
التي دعتهم الى القول الذي قالوه مفتخرين بذلك فليمدد له الرحمن مدا اي امهله في العمر واملى
له واتى به على لفظ الامر اعلاما بوجوب ذلك وانه مفعول لا محالة كالمامور به الممتثل ليقطع معاذير
الضال ويقال له يوم القيمة اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر او ليكون فليمدد بمعناه الدعاء بان يمهله
الله وينفس في مدة حياته حتى اذا راوا ما يوعدون هذا غاية لضلالتهم اي لا ينفكون
عن ضلالتهم حتى اذا راوا ما يوعدون اي الاخرون يقولون هذا القول ويتولعون به لا ينفكون
عنه الى ان يشاهدوا ما وعدوا به ويرونه بعيونهم وهو اما العذاب لهم في الدنيا وهو غلبة
المسلمين عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا واسرا واظهار الله دينه على الدين كله واما الساعة اي
القيمة وحضور ما ينالهم من الموت وما بعده وقوله فسيعلمون من هو شر مكانا جواب اذا اي حين
يعلمون عند المعاينة ان الامر على عكس ما قدروه وانهم شر مكانا واضعف جندا لا خير مقاما
واحسن نديا وان المؤمنين على خلاف صفتهم وقوله شر مكانا واضعف جندا في مقابلة خير مقاما
واحسن نديا فوقع بالمكان لان معناهما واحد وهو المسكن الذي يقيم فيه الانسان وقوبل الندي
بالجند لان الندي هو المجلس الجامع لوجوه القوم واعوانهم وانصارهم والجند هم الاعوان والانصار
وقوله ويزيد الله الذين اهتدوا هدى معطوف على معنى قوله فليمدد لان من كان في الضلالة
فليمدد له الرحمن ويزيد الله الذين اهتدوا اي يزيد في ضلال الضال بخذلانه ويزيد المهتدين هداية
بتوفيقه والمعنى ان الذين في الضلالة ممدود لهم في ضلالتهم والخذلان لاحق بهم لعلم الله بان الالطاف
لا تنفع فيهم ولا يقبلونها بخلاف المهتدين لانا يعني لدليل العقل والسمع فانهم يقبلون اللطف
فيزيدهم هداية الى هدايتهم بتوفيقه لهم وتحبيبه اليهم الاعمال الصالحة والباقيات الصالحات
اي اعمال الاخرة كلها لانها التي تبقى وقيل الصلوات الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله
والله اكبر خير عند ربك ثوابا اي خير جزاء من مفاخرات الكفار وخير مردا اي وخير مرجعا
وعاقبة يرد الانسان اليها وكل ما انتصب بعد خير وما اشبهه فهو تمييز قال رضي الله عنه وقوله

خير ثوابا يوهم ان لمفاخرهم ثوابا دون ثواب الاعمال الصالحة وليس على ظاهره ولكنه اشبه اسم
كقوله فبشرهم بعذاب اليم وهذا ونحوه اغيظ للمتهدد من ان يقال له عقابك النار ولفظة خير
معناها التفضيل في الخير كان لمفاخرهم شركا في الخير لكن الاعمال الصالحة اوفر منها شركا في الخير
واكثر هذا ظاهره وليس على ظاهره ولكن هذا ابين وجيز كلامهم يقولون الصيف احر من الشتاء
اي ابلغ في حره من الشتاء في برده كانه قيل وثواب الباقيات الصالحات الذي هو الجنة خير من
ثواب مفاخرات الكفار الذي هو النار اي هو ابلغ منه في بابه لان ثواب الحسنة امثالها وثواب
السيئة لا يزيد على مثلها **افرايت الذي كفر باياتنا** لما كانت مشاهدة الاشيا ورؤيتها
طريقا الى الاحاطة بها وصحة الخبر عنها استعملوا ارايت في معنى اخبر والفا جاءت لافادة
معناه الذي هو التعقيب كانه قيل اخبر ايضا بقصة هذا الكافر واذكر حديثه عقيب حديث اولئك
وقال لاوتين مالا وولدا اي لاوتين في الاخرة مالا وولدا عن الحسن نزلت هذه في الوليد بن المغيرة
والمشهور انها في العاص بن وائل قال الخباب بن الارت كان لي على العاص بن وائل دين فاقتضيته فقال لا والله حتى
تكفر بمحمد قلت لا والله لا اكفر بمحمد حيا ولا ميتا ولا حين تبعث قال فاني اذا مت بعثت قلت نعم قال
اذا بعثت جئتني وسيكون لي ثم مال وولد فاعطيتك وقيل صاغ له خباب حليا فاقتضاه الاجر
فقال انكم تزعمون انكم تبعثون وان في الجنة ذهبا وفضة وحريرا فانا اقضيك ثم فاني اوتى مالا
وولدا حينئذ فرد الله عليه بقوله **اطلع الغيب** اي اعلم علم الغيب حتى يعلم انه في الجنة **ام اتخذ عند**
الرحمن عهدا يعني ام قال لا اله الا الله محمد رسول الله حتى يستحق دخول الجنة قال رضي الله عنه
ولاختيار هذه الكلمة شان تقول اوقد بلغ من عظمة شانه ان ارتقى الى علم الغيب الذي توحد به الواحد القهار
والمعنى ان دعواه لان يؤتى مالا وولدا وقسمه على ذلك لا يتوصل اليه الا باحد هذين الطريقين اما
علم الغيب واما عهد من الرحمن عالم الغيب اي على ان هل هو صائر اليه فبايهما توصل الى ذلك
وعن قتادة هل له عمل صالح قدمه فهو يرجو بذلك ما يقول وعن الكلبي هل عهد الله اليه انه يؤتيه
ذلك **كلا** كلمة ردع وتنبيه على الخطا اي هو مخطئ فيما يصوره لنفسه ويتمناه فليرتدع عنه
والمعنى ليس الامر على ما يقول **سنكتب ما يقول** اي سنحفظ عليه ما يقوله من الكفر والاستهزا

ليجازيه وقال سنكتب بسين التسويف وهو كتب في الحال من غير تاخير قال تعالى ما يلفظ من قول الا
لديه رقيب عتيد اي ملك حاضر يكتب ما يلفظ به وفي تاويله وجهان احدهما ان المعنى سنظهر له ونعلمه
يوم القيامة انا كتبنا قوله والثاني ان المتوعد يقول للجاني سوف انتقم منك يعني انه لا يخل بالانتصار وان
تطاول به الزمان واستاخر وجرد السين ههنا لمعنى الوعيد **ونمد له من العذاب مدا** اي نطول
له في العذاب ما يستاهله ونعذبه بالنوع الذي يعذب به الكفار المستهزؤن او نزيد من العذاب
ونضاعف له من المدد يقال مده وامده وقرا علي رضي الله عنه ونمد له بالضم اي نزيد لزيادة جرمه
واكد ذلك بقوله مدا لشدة غضب الله نعوذ بالله من التعرض لما نستوجب به غضبه **ونرثه**
ما يقول اي نزوي عنه ما زعم انه يناله في الاخرة ونعطيه من يستحقه كما يعطى الوارث مال الموروث
وليس المراد ونرثه قوله فلا معنى لميراث القول ولكن المعنى ونرثه مسمى ما يقول ومعنى ما يقول
وهو المال والولد كما يقول الرجل انا املك كذا فتقول له ولي فوق ما تقول ويحتمل انه قد تمنى وطمع
ان يؤتيه الله في الدنيا مالا وولدا وبلغت به اشعبيته ان حلف على ذلك في قوله لاوتين لانه
جواب قسم مضمر ومن يتال على الله يكذبه فيقول الله عز وجل هب انا اعطيناه ما اشتهاه اما
نرثه منه في العاقبة **ويأتينا** في الاخرة **فردا** بلا مال ولا ولد فما ينفعه تمنيه وتأليه ويحتمل
ان هذا القول انما يقوله ما دام حيا فاذا قبضناه الينا حلنا بينه وبين ان يقوله ويأتينا
رافضا له منفردا عنه غير قابل له او معناه انا لا ننسى قوله ولا نلغيه بل نثبته في صحيفته
لنضرب به وجهه في الموقف ونعيره به ويأتينا على فقره ومسكنته فردا من المال والولد لم نوله
سؤله ولم نعطه متمناه فيجتمع عليه الخطبان تبعة قوله ووباله وفقد المطموع فيه
واتخذوا من دون الله يعني اهل مكة **الهة** وهي الاصنام التي هي دون الله بل دون
عبادها لانها جماد او معناه الهة اخر باطلة من غير الاله الحق لان المعنى انهم اتخذوها الهة
من دون الله ولم يتخذوه الها لانه عندهم الاله الاعظم وهي شفعاء لهم الى الله على زعمهم
ليكونوا اي ليكون الالهة **لهم عزا** حيث يكونون لهم شفعاء عند الله وانصارا ينقذونهم
من العذاب **كلا** ردع لهم وانكار لتعززهم بالالهة ثم ابتدا الاخبار بقوله **سيكفرون** يعني

سيكفر الالهة بعبادتهم ويجحدونها منكرين لها قائلين والله ما عبدتمونا وانتم كاذبون كقوله تعالى واذا
راى الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون او
ينطقهم الله بذلك ويجوز ان يراد سيكفر المشركون بعبادة الالهة اي ينكرون عبادتهم لسوء عاقبتها
كقوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين اي لم تكن عاقبة كفرهم الا انكار ويكونون
عليهم ضدا في مقابلة لهم عزا والمراد ضد العز وهو الذل والهوان اي يكونون عليهم ضدا لما قصدوه
وارادوه كانه قيل ويكونون عليهم ذلا لا لهم عزا او الضد العون لانه يضاد عدوك وينافيه باعانته
لك عليه ويجوز ان يراد ويكونون عليهم عونا ومعنى كون الالهة اعوانا عليهم انهم وقود النار وحصب
جهنم ولانهم عذبوا بسبب عبادتها وان اريد بقوله سيكفرون ويكونون المشركون فان المعنى ويكونون عليهم
اي اعداءهم ضدا اي كفرة بهم بعد ان كانوا يعبدونها وقال ضدا بالافراد وهم جمع لاتفاق كلمتهم كانهم
ضد ولتوافقهم شيء واحد **الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين** الم تر معناه تعجيب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وتعجيبه من اصرارهم على الكفر واجتماعهم على دفع الحق ومكابرته واختيارهم
لمتابعة الشياطين ومعنى ارسال الشياطين على الكافرين هو التخلية بينهم وبين الكافرين
تؤزهم ازا الاز والهز والاستفزاز بمعنى واحد وهو التهييج وشدة الازعاج والمعنى خلينا بين الشياطين
وبين الكافرين تغريهم على المعاصي وتهيجهم لها بالوساوس والتسويلات ولم نمنع الشياطين منهم
ولو شئنا لمنعناهم قهرا بالالجاء والاضطرار لانه يبطل التكليف قال رضي الله عنه والمراد تعجيب
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الايات التي ذكر فيها العتاة المردة من الكفار واقاويلهم وملاحتهم ومعاندتهم
للرسل واستهزاءهم بالدين من تماديهم في الغي وافراطهم في العناد وتصميمهم على الكفر واجتماعهم على دفع
الحق بعد وضوحه وانتفاء الشك عنه وانهماكهم لذلك في اتباع الشياطين وما تسول لهم **فلا تعجل**
عليهم يا محمد بان يهلكوا فتستريح انت والمسلمون من شرورهم وتطهر الارض باستيصالهم **انما نعد لهم عدا** اي
فليس بينك وبين ما تطلب من هلاكهم الا ايام محصورة وانفاس معدودة كانها في سرعة تقضيها الساعة
تعد فيها لو عددت وعن ابن عباس انه كان اذا قراها بكى وقال اخر العدد خروج نفسك اخر العدد فراق
اهلك اخر العدد دخول قبرك وعن ابن السماك انه كان عند المامون فقراها فقال اذا كانت الانفاس بالعدد

ولم يكن لها مدد فما اسرع ما تنفد ويقال ان انفاس ابن ادم بين اليوم والليلة اربعة وعشرون الف نفس
اثنا عشر الفا في اليوم واثنا عشر الفا في الليل وانشدوا حياتك انفاس تعد فكلما مضى نفس منها
انتقصت به جزءا يميتك ما يحييك في كل ليلة ويحدوك حاد ما يريد به الهزءا **يوم نحشر المتقين الى**
الرحمن اي اذكر يوم نحشر ونسوق نفعل بالفريقين ما لا يوصف قال رضي الله عنه ذكر المتقين بلفظ
التبجيل وهو انهم يجمعون الى ربهم الرحمن الذي غمرهم برحمته وخصهم برضوانه وكرامته **وفدا**
كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين للكرامة عندهم وقوله وفدا بيان لحالهم في الحشر وعن علي رضي الله عنه
ما يحشرون والله على ارجلهم ولكنهم على نوق رحالها ذهب وعلى نجائب سروجها ياقوت **ونسوق**
المجرمين الى جهنم وردا ذكر الكافرين بانهم يساقون الى النار باهانة واستخفاف كانهم نعم عطاش
تساق الى الماء والورد العطاش لان من يرد الماء لا يرده الا للعطش وقوله وردا وصف لحالهم في الحشر وحقيقته
الورد المسير الى الماء الواردون فسمي به الواردون **لا يملكون الشفاعة** يعني العباد والمعنى لا يملكون
ان يشفع لهم **الا من اتخذ عند الرحمن عهدا** اي عاقبتهم واتخاذ العهد المراد به الاستظهار بالايمان
والعمل الاعمال الصالحة وعن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ذات يوم ايعجز احدكم ان يتخذ
كل صباح ومساء عند الله عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والارض
عالم الغيب والشهادة اني اعهد اليك باني اشهد ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك
ورسولك وانك ان تكلني الى نفسي تقربني من الشر وتباعدني من الخير واني لا اثق الا برحمتك فاجعل
لي عندك عهدا توفينيه يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد فاذا قال ذلك طبع عليه بطابع ووضع تحت العرش
فاذا كان يوم القيامة نادى مناد اين الذين لهم عند الرحمن عهد فيدخلون الجنة وقيل العهد كلمة الشهادة
ويجوز ان يكون المعنى لا يملكون ان يشفع لهم الا من اتخذ على تقدير حذف اي الا شفاعة من اتخذ
عند الرحمن عهدا على معنى انهم لا يشفع لهم الا المامور بالشفاعة الماذون له فيها **وقالوا اتخذ الرحمن**
ولدا اي اضاف الكفار الى الله تعالى ما لا يجوز عليه من اتخاذ الولد كقولهم الملائكة بنات الله ثم رد عليهم
بقوله **لقد جئتم** اي اقسم لقد ارتكبتم **شيئا ادا** اي ثقيلا عظيما فقرئ ادا بكسر الهمزة وفتحها والاد
والادة العجب وقيل العظيم المنكر وقيل الثقيل الشاق يقال ادني الامر واداني اي اثقلني وعظم

علي تكاد السموات يتفطرن اي يتشققن منه اي من قولهم اتخذ الرحمن ولدا وتكاد بالياء قراءة
نافع والكسائي وقرئ يتفطرن وينفطرن فالتفطر من فطره اذا شققه والانفطار من فطره اذا
شقه وقرأ ابن مسعود يتصدعن وتنشق الارض اي من قولهم هذا وتخر الجبال هدا اي وتسقط
الجبال وتنهد هدا اي تدك دكا ومعنى منه من اجله وبسببه قال رضي الله عنه جعل هذه
الكلمة وهي قولهم اتخذ الرحمن ولدا موثرة هذا التاثير العظيم وهو انفطار السموات وانشقاق
الارض وخرور الجبال مهدودة وفي تاويل تاثيرها في هذه الجمادات وجهان احدهما ان الله سبحانه
يقول كدت افعل هذا بالسموات والارض والجبال عند وجود هذه الكلمة غضبا مني على من نطق بها
لولا حلمي ووقاري اي لا اعجل بالعقوبة والثاني ان يكون هذا استعظاما لهذه الكلمة وتهويلا من
شناعتها وتصويرا لاثرها في الدين وهدمها لاركانه وقواعده وان نظير تاثيرها في الدين وهدمها
لقواعده هذا التاثير العظيم في هذه الجمادات العظيمة التي عليها المدار في صلاح العالم بامره وفي
قوله لقد جئتم وما فيه من المخاطبة بعد الغيبة وهو الذي يسمى الالتفات في علم البلاغة زيادة تسجيل
وتشنيع عليهم بالجراءة على الله والتعرض لسخطه وتنبيه على عظم ما قالوه ان دعوا للرحمن
ولدا هذا تعليل لما تقدم وهو بدل من قوله منه وتقديره لان دعوا اي من اجل دعائهم للرحمن ولدا
ودعوا هنا من دعا بمعنى سمى اي سموا للرحمن ولدا او من دعا بمعنى نسب واضاف اي نسبوا اليه الولد واضافوه
اليه وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا اي ما يتاتى له ولا يصح منه اتخاذ الولد وما يتطلب لو طلب مثلا لانه محال
غير داخل تحت الصفة اما الولادة المعروفة فلا مقال في استحالتها واما التبني فلا يكون الا فيما هو من
جنس المتبني وليس للقديم سبحانه جنس تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا قال رضي الله عنه وفي اختصاص
الرحمن وتكريره مرات من الفائدة انه هو الرحمن وحده لا يستحق هذا الاسم غيره من قبل ان اصول النعم
وفروعها منه خلق العالمين وخلق لهم جميع ما معهم كما قال بعضهم فلينكشف عن عينك فانت
وجميع ما عندك عطاؤه فمن اضاف اليه ولدا فقد جعله كبعض خلقه واخرجه بذلك عن استحقاق
اسم الرحمن والذين عبدوا اي الملائكة وعيسى وعزير انهم اولاد الله كانوا الى كفرين احدهما القول
بان الرحمن يصح ان يكون والدا والثاني الذين عبدوهم لله اولادا في عبادته كما يخدم الناس ابناء الملوك

خدمتهم لآبائهم فيهدم الله الكفر الاول بقوله تكاد السموات وما يعقبه ثم عقبه بهدم الكفر الآخر بقوله
ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا والمعنى ما من معبود لهم في السموات والارض الا وهو يأتي
الرحمن اي يأوي اليه ويلتجي الى ربوبيته عبدا منقادا مطيعا خاشعا خاشيا راجيا كما يفعل العبيد
وكما يجب عليهم لا يدعي لنفسه ما يدعيه له هولاء الضلال وقوله لقد احصاهم جواب قسم وفيه تعظيم لملكوته
وعلمه لان الاحصا هو الحصر والضبط يعني حصرهم بعلمه واحاط بهم واشار الى غاية الاحصا بقوله
وعدهم عدا اي هو محيط بهم وكلهم متقلبون في ملكوته مقهورون بقهره وهو مهيمن عليهم محيط بهم وبجمل
امورهم وتفاصيلها وكيفيتهم وكميتهم لا يفوته شيء من احوالهم وكلهم آتيه اي كل احد منهم آتيه يوم القيامة
فردا اي منفردا ليس معه احد من هولاء الذين جعلوا اولادا له وشركاء وهم برآء من المشركين ثم ان الذين
آمنوا وعملوا الصالحات اي جمعوا اصل الايمان والاعمال الصالحة سيجعل لهم الرحمن ودا وقرئ
ودا بالكسر والمعنى سيحدث لهم في القلوب مودة ويزرعها لهم فيها من غير تودد منهم ولا تعرض للاسباب
التي تكتسب بها الناس مودات القلوب من قرابة او صداقة او اصطناع بمبرة او غير ذلك وانما هو اختراع
منه ابتداء اختصاصا منه لاوليائه بكرامة خاصة كما قذف في قلوب اعدائهم الرعب والهيبة اعظاما
لهم واجلالا لمكانهم قال رضي الله عنه والسين في سيجعل معناها الاستقبال ودخولها لان الآيات
السورة مكية وكان المؤمنون حينئذ مبغوضين ممقوتين بين الكفرة فوعدهم الله ذلك اذا ظهر
الاسلام وانتشر واما ان يكون ذلك يوم القيامة يحببهم الى خلقه بما يعرض من حسناتهم وينشر من ديوان
اعمالهم والاول اظهر لما جعل الناس في القلوب اولياء الله الصالحين الحقنا الله بهم ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لعلي عليه السلام يا علي قل اللهم اجعل لي عندك عهدا واجعل لي في صدور المومنين مودة
فانزل الله هذه الآية وعن ابن عباس يعني يحبهم ويحببهم الى خلقه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل
يا جبريل قد احببت فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في اهل السما ان الله قد احب فلانا فاحبوه فيحبه
اهل السما ثم يضع له المحبة في الارض وفي حديث آخر توضع محبته في الما فيحبه من شرب منه وعن
قتادة ما اقبل العبد الى الله الا اقبل الله بقلوب العباد اليه فانما يسرناه بلسانك هذه خاتمة السورة
ومقطعها فكانه قال بلغ هذا المنزل وبشر به وانذر فانما انزلناه بلسانك اي بلغتك وهو اللسان العربي

المبين وسهلناه وفصلناه لتبشر به المتقين الذين صدقوا في وعدك ونزعوا الشرك وتنذر به قوما لدا الالد
الشديد الخصومة بالباطل الآخذون في كل لديد اي في كل شق من المرا والجدال لفرط لجاجهم وهو
يريد اهل مكة اي يتركنا سهل عليهم فهمه وقوله وكم اهلكنا قبلهم من قرن تخويف لهم
وانذار والقرن الامة وكل اهل عصر وكم مفعول اهلكنا اي وكثيرا اهلكنا قبل اهل مكة من القرون
الذين يشاهدون آثارهم ولا يعتبرون فليحذروا امثل ما فعل بالمهلكين هل تحس منهم من احد
اي هل تعلم منهم من احد في الحبوة غير هالك او تسمع لهم ركزا الركز الصوت الخفي ومنه
ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض والركاز المال المدفون

سورة طه مكية وهي مائة وثلثون واربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم طه قيل معناها يا رجل
في لغة عك وعن الحسن طه وفسر بانه امر بالوطء وان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم في تهجده على احدى رجليه
فامر بان يطأ الارض بقدميه معا وان الاصل طأ فقلبت همزته ها قال رضي الله عنه والاقوال
في الفواتح المعتمد منها في اول الكشاف وهي التي يعول عليها الائمة المتقنون ما انزلنا عليك القران
لتشقى اي لتتعب بكثرة تأسفك عليهم وعلى كفرهم وتحسرك على ان يؤمنوا الا تذكرة اي ما انزلناه
الا تذكرة وموعظة لمن يخشى اي لمن يخاف الله عز وجل اي ما عليك الا ان تبلغ وتذكر ولم يكتب
عليك ان يؤمنوا لا محالة بعد ان لم تفرط في اداء الرسالة والموعظة الحسنة وقيل ان ابا جهل
والنضر بن الحارث قالا له انك شقي لانك تركت دين آبائك فانزل الله هذه الاية ليرد ذلك والتعريف
بان دين الاسلام وهذا القران هو السلم الى نيل كل فوز والسبب في درك كل سعادة وما فيه الكفرة
هو الشقاوة بعينها وروي انه عليه السلام صلى بالليل حتى تورمت قدماه فقال له جبريل ابق على نفسك
فان لها عليك حقا اي ما انزلناه لتنهك نفسك بالعبادة وتذيقها المشقة الفادحة وما
بعثت الا بالحنيفية السمحة ويجوز ان يكون المعنى انا انزلنا اليك القران لتحمل متاعب التبليغ ومقاولة
العتاة من اعداء الاسلام ومقاتلتهم وغير ذلك من انواع المشاق وتكاليف النبوة وما انزلنا عليك هذا
المتعب الشاق وتكاليف النبوة الا ليكون تذكرة لمن يخشى اي لمن يؤول امره الى الخشية ولمن يعلم الله منه

يبدل بالكفر ايمانا وبالقسوة خشية تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى نصب تنزيلا بيخشى
مفعولا به اي انزله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله وهو معنى حسن واعراب بين ووصف السموات بالعلى دلالة
على عظم قدرة من خلق مثلها في علوها وبعد مرتقاها الرحمن على العرش استوى العرش هو
سرير الملك ولما كان استواء الملك على العرش من توابع الملك جعلوه كناية عن الملك لان الاستواء
الملك فقالوا استوى فلان على العرش يريدون ملك وان لم يقعد على السرير البتة وانما قال ذلك لشهرته
في هذا المعنى ومساواته ملك في معناه لكنه ابسط وادل على صورة الامر ونحوه قولك يد فلان مبسوطة
ويد فلان مغلولة بمعنى انه جواد او بخيل لا فرق بين العبارتين في المعنى الا ان احداهما ابسط تعني ان
كنايته ادل على صورة الامر واوسع لفظا ومنه قول الله عز وجل وقالت اليهود يد الله مغلولة
هو بخيل بل يداه مبسوطتان اي هو جواد حتى ان من لم يبسط يده قط بالنوال او من لم يكن له
يد رأسا قيل فيه يده مبسوطة لمساواته عندهم قولهم جواد او بخيل من غير تصور يد ولا غل ولا بسط
قال رضي الله عنه وتفسير اليد بالنعمة والتكلف للتثنية من ضيق العطن والمسافرة عن علم البيان
مسيرة اعوام له ما في السموات وما في الارض وما بينهما هذا العظيم الملك المنزل للقران فانه مالك
ما في السموات والارض وما بينهما وفيهما من الملائكة والعباد وسائر العقلاء وغير العقلاء وهو الموحد
بها عن غيره لا شريك له في الملك والالهية وما تحت الثرى ما تحت سبع الارضين وعن
كعب الثرى هو الصخرة التي تحت الارض السابعة وفي تفسير الثعلبي الثرى التراب الندي الذي
يكون تحت الارض وعن ابن عباس ان الارض على ظهر النون والنون على بحر وان طرفي النون راسه وذنبه
يلتقيان تحت العرش والبحر على صخرة خضراء خضرة السماء منها وهي الصخرة التي ذكرها الله تعالى
في قصة لقمان والصخرة على قرن ثور والثور على الثرى وما تحت الثرى لا يعلمه الا الله وحكي ان الثور
فاتح فاه فلو جعل الله البحار بحرا واحدا وسالت في جوف ذلك الثور لبست وان تجهر بالقول فانه يعلم
السر واخفى يعلم ما اسررته الى غيرك واخفى من ذلك وهو ما اخطرته ببالك او ما اسررته في
نفسك واخفى منه وهو ما ستحدث به نفسك مما لم يكن بعد والمعنى انه تعالى هذا ... ما جهرته
من القول وان تجهر بذكر الله من دعاء او غيره فاعلم انه غني عن جهرك فاما ان يكون نهيا عن

الجهر كقوله واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول واما تعليما للعباد
ان الجهر ليس لاسماع الله تعالى وانما هو لغرض اخر بخوان يريد الجاهر ان يقرر به او يتجلى
به الخشوع الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى معناها الاكثر حسنا وصفت الاسماء ونعتت
بالحسنى لانها جماعة اسما والجماعة مؤنثة كقولك الجماعة الحسنى قال رضي الله عنه والذي
فضلت الاسماء في الحسن سائر الاسماء لانها على معاني التقديس والتمجيد والتعظيم والربوبية
والافعال التي هي النهاية في الحسن وهل اتاك حديث موسى قفى ما تقدم بقصة موسى عليه السلام
ليتاسى به النبي صلى الله عليه وسلم في تحمل اعباء النبوة وتكاليف الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد حتى
ينال عند الله الفوز والمقام المحمود فقال وهل اتاك يا محمد حديث موسى اذ رأى نارا اي حين
رأى نارا روي ان موسى عليه السلام استاذن شعيبا صلوات الله عليه في الخروج الى امه وكان موسى
عليه السلام وامه في مصر لكنه اي شعيبا هاربا من مصر خوفا من اهلها بسبب قتله للقبطي فاذن
له شعيب فخرج باهله فولد له في الطريق ابن في ليلة شاتية مظلمة مثلجة وقد ضل عن
الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده فقدح فصلد زنده فرأى النار عند ذلك قيل كانت ليلة
جمعة فقال لاهله امكثوا اي اقيموا مكانكم اني انست نارا اي ابصرت والايناس الابصار البين
الذي لا شبهة فيه قيل الايناس هو ابصار ما يؤنس به ولما وجد الايناس قطعا محققا
وكان الاخبار لتسكن ما باهله من الاضطراب فقال اني لان معنى ان التاكيد والتحقيق ولما
كان الاتيان بالقبس ووجود الهدى مترقبين متوقعين غير مقطوع بهما بنى الامر فيهما على الرجاء
والطمع فقال لعلي اتيكم منها بقبس ولم يقل اني اتيكم لئلا يعد ما لا يستيقن الوفاء به والقبس النار
المقتبسة في راس عود او فتيلة او غيرهما ومنه قيل المقبسة لما يقتبس فيه من سعفة او نحوها
او اجد على النار هدى اي قوما يهدونني الطريق او ينفعونني بهداهم في ابواب الدين قال رضي الله
عنه وذلك لان افكار الابرار مغمورة بالهمة الدينية في جميع احوالهم لا يشغلهم عنها شاغل
والمعنى ذوي هدى او اذا وجد الهداة فقد وجد الهدى ومعنى الاستعلاء على النار ان اهل النار
يستعلون المكان القريب منها ولان المصطلين بها والمستمتعين اذا تكنفوها قياما وقعودا

كانوا مشرفين عليها فلما اتاها اي فلما اتى موسى النار نودي يا موسى اني انا ربك تكرير الضمير
في اني انا ربك لتوكيد الدلالة وتحقيق المعرفة واماطة الشبهة روي انه عليه السلام لما نودي يا موسى
قال من المتكلم فقال الله عز وجل اني انا ربك وان ابليس وسوس اليه لعلك تسمع كلام شيطان فقال
انا عرفت انه كلام الله باني اسمعه من جميع جهاتي الست واسمعه بجميع اعضائي وروي انه حين
انتهى رأى شجرة خضراء من اسفلها الى اعلاها كانها نار بيضاء تتقد وسمع تسبيح الملائكة ورأى نورا
عظيما فخاف وبهت فالقيت عليه السكينة ثم نودي وكانت الشجرة عوسجة وروي انه كان كلما
دنا او بعد لم يختلف ما كان يسمع من الصوت وعن ابن اسحق لما دنا استأخرت عنه فلما رأى ذلك
رجع واوجس في نفسه خيفة فلما اراد الرجعة دنت منه ثم كلم بقوله فاخلع نعليك
قيل امر بخلعهما لانهما كانتا من جلد حمار ميت غير مدبوغ رواه السدي وقتادة وقيل ليباشر
الوادي بقدميه متبركا به وقيل لان الحفوة تواضع لله تعالى ومن ثم طاف السلف بالكعبة
حافين ومنهم من استعظم دخول المسجد بنعليه وكان اذا ندر منه الدخول منتعلا تصدق والقرآن
يدل على ذلك احترام للبقعة وتعظيم لها وتشريف لقدسها لانه علل الخلع بقوله انك
بالواد المقدس طوى وروي انه خلع نعليه والقاهما من وراء الوادي وطوى اسم علم للوادي
ويقرئ بضم الطاء وكسرها وبالتنوين بتاويل المكان ولا تنوين بتاويل البقعة وانا اخترتك اصطفيتك
للنبوة وقرأ حمزة وانا اخترناك فاستمع لما يوحى اي للذي يوحى اليك او للوحي ثم ذكر الذي
يوحى بقوله انني انا الله لا اله الا انا اي لا معبود بحق الا انا فاعبدني واقم الصلوة لذكري
لتذكرني فان ذكري ان اعبد ويصلى لي او لذكري فيها لاشتمال الصلاة على الاذكار او لاني
ذكرتها في الكتب وامرت بها او لان اذكرك بالمدح والثناء او لذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيري
او لاخلاص ذكري وطلب وجهي ولا ترائي بها ولا تقصد بها غرضا اخر او لتكون لي ذاكرا غير
ناس فعل المخلصين في جعلهم ذكر ربهم على بال منهم وتوكيل هممهم وافكارهم به كما قال لا تلهيهم تجارة
ولا بيع عن ذكر الله او لاوقات ذكري وهي مواقيت الصلوة قال رضي الله عنه وقد حمل على ذكر
الصلوة بعد نسيانها من قوله عليه السلام من نام عن صلاة او نسيها فليصلها اذا ذكرها وكان

حتى العصيان ان تعالى لكن ذكرها كما قال صلى الله عليه اذا ذكرها وتوجيهه ان من ذكر الصلاة فقد
ذكر الله او لان الذكر والعصيان من الله عز وجل في الحقيقة وقرا رسول الله صلى الله عليه
للذكرى ان الساعة آتية اى ان القيمة ستاتى وتقع لا محالة اكاد اخفيها اى
اقارب ان اخفيها فلا اقول هي آتية لفرط ارادتي اخفاها ولولا ما في الاخبار باتيانها
مع تعمية وقتها من اللطف لما اخبرت به وقيل معناه اكاد اخفيها من نفسي قال رضي الله
عنه ولا دليل في الكلام على هذا المحذوف ومحذوف لا دليل عليه مطرح والذي غرهم منه
ان في مصحف ابي اكاد اخفيها من نفسي وفي بعض المصاحف اكاد اخفيها من نفسي فكيف اظهركم
عليها وعن ابي الدرداء وابن جبير اخفيها من خفاه اذا اظهره اى قرب اظهارها كقوله اقتربت
الساعة وقد جاء في بعض اللغات اخفاه بمعنى خفاه اى بمعنى اظهره فاكاد اخفيها محتمل للمعنيين
لمقاربة الاخفاء ومقاربة الاظهار لتجزى كل نفس بما تسعى اى بسعيها من خير وشر ولا
يصدنك عنها الضمير للقيامة اى لا يصرفنك عن التصديق بها ويجوز ان يكون للصلوة
من لا يؤمن بها اى من لا يصدق بها قال رضي الله عنه العبارة في قولك فلا يصدنك لنهي من لا
يؤمن عن صد موسى والمقصود نهي موسى عن التكذيب بالبعث او امره بالتصديق به وفي تاويل ذلك
وجهان احدهما ان صد الكافر عن التصديق بها سبب للتكذيب فذكر السبب ليدل على
المسبب والثاني ان صد الكافر مسبب عن رخاوة الرجل في الدين فذكر المسبب ليدل على
السبب كقولهم لا ارينك ههنا المراد نهيه عن مشاهدته والكون بحضرته لان ذلك سبب رؤيته
اياه فكان ذكر المسبب دليلا على السبب وكانه قيل فكن شديد الشكيمة صليب المعجم حتى لا يتلوح منك
لمن يكفر بالبعث انه يطمع في صدك عما انت عليه يعني ان من لا يؤمن بالآخرة هم الجم الغفير اذ لا شيء
على الكفرة ولا هم اشد له نكيرا من البعث فلا يهولنك وفور دهمائهم وعظم سوادهم ولا تجعل
كثرتهم مزلة قدمك واعلم انهم وان كثروا تلك الكثرة فقدوتهم فيما هم فيه هو الهوى واتباعه لا البرهان
وتدبره وهو قوله واتبع هواه يعني من لا يؤمن بها وقوله فتردى جواب النهي فتهلك ان صدك
عنها وفي هذا حث عظيم على العمل بالدليل وزجر بليغ عن التقليد وانذار بان الهلاك والردى

طه

مع التقليد واهله وما تلك بيمينك يا موسى ما معناها الاستفهام والسؤال وتلك اشارة
الى العصا قال رضي الله عنه انما ساله ليريه عظم ما يخترعه عز وعلا في الخشبة اليابسة من قلبها
حية نضناضة وليقرر في نفسه المباينة البعيدة بين المقلوب عنه والمقلوب اليه وينبهه
على قدرته الباهرة ونظيره ان يريك الزراد زبرة من حديد ويقول لك ما هي فيقول زبرة
حديد ثم يريك بعد ايام درعا مسردا فيقول لك هي تلك الزبرة صيرتها الى ما ترى من عجيب
الصنعة وانيق السرد قال هي عصاي اتوكا عليها اى اعتمد عليها اذا اعييت من السير
او عند ان ارتد الى غنمي واهش بها اى اخبط بها ورق الشجر على غنمي اى على رؤس غنمي
تاكله وهش الورق خبطه ولما ذكر منافع عصاه على التفصيل ذكرها على الاجمال فقال
ولي فيها مآرب اخرى المآرب جمع مأربة وهي الحاجة والنفاعة اى ولي في عصاي
منافع اخرى غير ما ذكرت كانه احس بما يعقب هذا السؤال من امر عظيم يحدثه الله تعالى
فجعل جوابه مطابقا للغرض الذي فهمه من فحوى كلام ربه فكانه قال ما هي الا عصا لا
تنفع الا منافع بنات جنسها وكما تنفع العيدان قال رضي الله عنه ويجوز ان يريد عز وجل
ان يعدد المنافع الكثيرة التي علقها بالعصا ويستكثرها ويستعظمها ثم يريه على عقب ذلك
الآية العظمى من قلبها حية كانه يقول له اين انت عن هذه المنفعة العظمى والمأربة الكبرى
المنسية عندها كل منفعة ومأربة كنت تعتد بها وتحتفل بشانها وقالوا انه تبارك وتعالى
انما ساله ليبسط منه ويقلل هيبته بالسؤال وقالوا انما اجمل موسى عليه السلام ليساله عن
تلك المآرب فيزيد في اكرامه وقالوا انقطع لسانه بالهيبة فاجمل وقالوا اسم العصا
نبعة وقيل في المآرب كانت ذات شعبتين ومحجن فاذا طال الغصن حناه بالمحجن
واذا طلب كسره لواه بالشعبتين واذا سار القاها على عاتقه فعلق بها ادواته من
القوس والكنانة والحلاب وهو الاناء الذي يحلب فيه الغنم واذا كان في البرية ركزها
وعرض الزندين على شعبتيها والقى عليها الكسا واستظل واذا قصر رشاؤه وصله بها
وكان يقاتل بها السباع عن غنمه وقيل كان فيها من المعجزات انه كان يستقي بها فتطول

بطول البئر وتصير شعبتاها دلوًا وتكونان شمعتين بالليل وإذا ظهر عدو حاربت عنه وإذا اشتهى
ذكرها فأورقت وأثمرت وكان يحمل عليها زاده وسقاءه فجعلت تماشيه ويركزها فينبع الماء منها فإذا
رفعها نضب وكانت تقيه الهوام وفي التهذيب أنه كان يشرب من إحدى شعبتيها اللبن ومن الأخرى
العسل قال ألقها يا موسى أي قال الله اطرح العصا يا موسى فألقاها فإذا هي حية تسعى السعي
المشي بسرعة وخفة حركة قال رضي الله عنه ذكرت العصا في انقلابها بألفاظ مختلفة بلفظ الحية
والجان والثعبان لأن الحية اسم جنس يقع على الذكر والأنثى والصغير والكبير وأما الثعبان
والجان فبينهما مغايرة لأن الثعبان العظيم من الحيات والجان الدقيق منها ففي تأويل ذلك وجهان
أحدهما أنها كانت وقت انقلابها حية صفراء دقيقة ثم تورمت وتزايد جرمها حتى صارت
ثعبانًا فأريد بالجان أول حالها وبالثعبان مآلها والثاني أنها كانت في صورة الثعبان وسرعة
حركة الجان والدليل عليه قوله تعالى فلما رآها تهتز كأنها جان وقيل كان لها عرف كعرف الفرس
وكان بين لحييها أربعون ذراعًا قال الله تعالى خذها ولا تخف لأنه لما رأى ذلك الأمر العجيب الهائل
ملكه من الفزع والنفار ما يملك البشر عند الأهوال والمخاوف ونفر عنها وخافها وعن ابن
عباس انقلبت ثعبانًا ذكرًا يبتلع الصخر والشجر فلما رآه موسى يبتلع كل شيء هرب منها ونفر وعن
بعضهم إنما خافها لأنه عرف ما لقي آدم منها وقيل لما قال له لا تخف بلغ من ذهاب خوفه وطمأنينة نفسه
أن أدخل يده في فمها وأخذ بلحييها سنعيدها سيرتها الأولى السيرة الطريقة أي سنعيدها
في طريقتها الأولى أي في حالها كانت عصا أو سنعيدها سيرتها الأولى حتى كانت لك عصا
تتوكأ عليها والمعنى أنها أنشئت أول ما أنشئت عصا ثم بطلت بالانقلاب حية فسنعيدها عصا كما أنشأناها أولًا
سائرة سيرتها الأولى حيث كنت تتوكأ عليها ولك فيها المآرب التي عرفتها واضمم يدك إلى جناحك
جناحا الإنسان جانباه وقيل لكل شيء جناحان كجناحي العسكر لجانبيه والأصل المستعار منه
جناحا الطائر سميا جناحين لأنه يجنحهما عند الطيران والمراد واضمم يدك إلى جنبك تحت العضد
دل على ذلك قوله تخرج بيضاء من غير سوء أي من غير برص أو داء والسوء الرداءة والقبح في كل شيء وكني
عن البرص كما كني عن العورة بالسوءة وكان جذيمة صاحب الزباء أبرص فكنوا عنه بالأبرش قال رضي الله

ط

والبرص أبغض شيء إلى العرب وبهم عنه نفرة كلية وأسماعهم لاسمه مجاجة فكان جديرًا بأن يكنى عنه
ولا ترى أحسن ولا ألطف ولا أحق بالمفاصل من كنايات القرآن وآدابه يروى أن موسى عليه السلام كان آدم اللون
فأخرج يده من مدرعته بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس يغشي البصر آية أخرى سوى العصا وبيضاء
بيان لحال اليد عند خروجها ومن غير سوء إيضاح لبياضها من غير كدرة في بياضها ولا قبح
أي ابيضت من غير سوء لا كابيضاض الجسد من البرص وآية أخرى بيان لحال اليد ووصفها بأنها آية أخرى
مع الآية الأولى وهي قلب العصا حية والمراد بالآية المعجزة لنريك من آياتنا الكبرى اللام متعلق بمحذوف حذف
لدلالة الكلام وقد تعلق بهذا المحذوف لنريك أي خذ هذه الآية أيضًا بعد قلب العصا حية لنريك بها
أي الآيتين بعض آياتنا الكبرى أو لنريك بهما الكبرى من آياتنا اذهب إلى فرعون إنه طغى أي اذهب بهاتين الآيتين
رسولًا إلى فرعون ليدعوه وتحذره إنه طغى أي زاد في الظلم والكفر وجاوز في الفساد كل غاية قال رب اشرح
لي صدري ويسر لي أمري لما أمر الله تعالى موسى عليه السلام بالذهاب إلى فرعون الطاغي لعنه الله عرف أنه
كلف أمرًا عظيمًا وخطبًا جسيمًا يحتاج معه إلى احتمال ما لا يحتمله إلا ذو جأش رابط وصدر فسيح
فاستوهب ربه أن يشرح صدره ويفتح قلبه ويجعله حليمًا حمولًا يستقبل ما عسى يرد عليه من الشدائد
التي تذهب معها صبر الصابر بجميل الصبر وحسن الثبات وأن يسهل عليه في الجملة أمره الذي هو خلافة
الله في أرضه وما يصحبها من مباشرة أمر أوله معاظم الشؤون ومقاساة جلائل الخطوب قال رضي الله
عنه ولم يقل اشرح صدري ويسر أمري لأنه قد أبهم الكلام أولًا فقيل اشرح لي ويسر لي فعلم أن ثم
مشروحًا وميسرًا ثم رفع الإبهام بذكر الصدر والأمر فكان آكد لطلب الشرح لصدره والتيسير لأمره
من أن يقول اشرح صدري ويسر أمري على الإيضاح من أول الأمر لأنه تكرير للمعنى الواحد من طريقي
الإجمال والتفصيل واحلل عقدة من لساني لحل بعض العقدة عن ابن عباس كان في لسان موسى
عليه السلام رتة لما روي من حديث الجمرة التي وضعها في فيه وذلك أنه عليه السلام ضرب فرعون بالقضيب حال
صغره وهو جالس في حجره فهم بقتله فقالت آسية امرأة فرعون لا بل اختبر عقله وائت
بتمرة وجمرة في طستين لتعلم أيهما يختار فتستدل على عقله فالتقط موسى الجمرة ووضعها في فمه فوقع
في لسانه حبسة بسببها فسكن غضب فرعون ويروى أن يده احترقت وأن فرعون اجتهد

علاجها فلم تبرا ولما دعاه موسى الى الاسلام قال الى اى رب تدعونى قال الى الذى ابرا الذى وقد عجزت عنها
وعن بعضهم انما لم تبرا يده لئلا يدخلها مع فرعون فى قصعة فتنعقد بينهما حرمة المواكلة لانها عطيه
لا تهلك واختلف فى زوال العقدة بكمالها فقيل بقى بعضها لقوله واخى هرون هو افصح منى لسانا
وقوله ولا يكاد يبين وكان فى لسان الحسين بن على عليهما السلام رتة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثها
من عمه موسى وقيل زال لقوله قد اوتيت سؤلك يا موسى قال رضى الله عنه وفى تنكير العقدة وكونه
لم يقل واحلل عقدة لسانى انه طلب حل بعضها اراد ان يفهم عنه فهما جيدا ولم يطلب الفصاحة
الكاملة وقوله من لسانى صفة للعقدة كانه قيل عقدة من عقد لسانى ومن جرّان فى حل العقدة
يفقهوا قولى اى ليفهموا ما ابلغهم فهما ظاهرا واجعل لى وزيرا من اهلى الوزير من الوزر لانه يحمل
عن الملك اوزاره ومؤنته اى اثقاله او من الوزر وهو الملجا لان الملك يعتصم برايه ويلجى اليه اموره
او من المؤازرة وهى المعاونة هرون اخى اصل الكلام واجعل لى من اهلى هرون وزيرا فقدم وزيرا
عناية بامر الوزارة ويجوز ان يكون هرون عطف بيان للوزير واخى بدل من هرون اى بيان له اشدد
به ازرى واشركه فى امرى قرا جمعا اشدد واشركه على الدعا الى الله تعالى يشد ازره به
واشراكه فى امره الا ابن عامر وحده فانه قرا اشدد واشركه بنسبة الفعل الى نفسه على انه جواب
الدعا بجعل هرون وزيرا والازر القوة وازرى قواه اى اجعله شريكى فى الرسالة حتى نتعاون
على عبادتك وذكرك وهو معنى قوله كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا لان التعاون مهيج الرغبات
بتزايد الخير وقد عم بالتسبيح والذكر ساير الاذكار انك كنت بنا بصيرا اى عالما باحوالنا وان
التعاضد مما يصلحنا وان هرون نعم المعين والشاد لعضدى لانه اكبر منى سنا وافصح منى لسانا
قال قد اوتيت سؤلك يا موسى سؤلك اى مطلوبك والسؤل بمعنى المسؤل والمعنى قد اعطيت
دعاءك واعطيت مطلوبك الذى طلبته ولقد مننا اى انعمنا عليك مرة اخرى لعله قبل هذه هى
اذ اوحينا الى امك ما يوحى اى الهمناها ما يلهم الانسان من الصواب قال رضى الله عنه الوحى الى ام موسى
اما ان يكون على لسان نبى فى وقتها او يريها ذلك فى المنام فتنتبه عليه او يلهمها والمعنى اوحينا اليها امرا
لا سبيل الى التوصل اليه ولا الى العلم به الا بالوحى وفيه مصلحة دينية فوجب ان يوحى ولا يخل به اى هو

الكتاب قصعه احده

يوحى لا محالة وهو امر عظيم مثله يحق بان يوحى وهو الهام الله تعالى اياها ان اقذفيه اى اجعليه
والقذف هو الالقا والوضع فى التابوت فاقذفيه اى فاطرحيه فى اليم وهو نهر النيل قال رضى الله عنه والضماير
كلها راجعة الى موسى ورجوع بعضها اليه وبعضها الى التابوت فيه هجنة لما يؤدى اليه من تنافر
النظم ولا تضرك ان تقول المقذوف والملقى هو موسى فى جوف التابوت حتى لا تفرق الضماير فيتنافر عليك
النظم الذى هو ام اعجاز القران والقانون الذى وقع عليه التحدى ومراعاته اهم ما يجب على المفسر قال
رضى الله عنه ولما كانت مشيئة الله وارادته ان لا تخطئ جرية ماء اليم الوصول به الى الساحل والقاه
اليه سلك فى ذلك سبيل المجاز وجعل اليم كانه ذو تمييز امر بذلك ليطيع الامر ويمتثل رسمه فقيل
فليلقه اليم بالساحل روى ان ام موسى عليه السلام جعلت فى التابوت قطنا محلوجا فجعلته فيه
وجصصته وقيرته ثم القته فى اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر كبير فبينا هو جالس
على راس بركة مع آسية اذا بالتابوت فامر به فاخرج ففتح فاذا صبى اصبح الناس وجها فاحبه
عدو الله حبا شديدا لا يتمالك ان يصبر عنه وظاهر اللفظ ان البحر القاه بساحله
وهو شاطئه لان الماء يسحله اى يقشره وقذف به ثمه فالتقط من الساحل الا ان يكون قد القاه
اليم بموضع من الساحل فيه فوهة نهر فرعون ثم اداه النهر الى حيث البركة والفوهة
بضم الفا وتشديد الواو وهى احد افواه الانهار ياخذه عدو لى وعدو له وهو فرعون وذلك ان الكاهن
لما قال لفرعون يولد فى بنى اسرائيل مولود يكون ذهاب ملكك على يديه ذبح ابناء الخدم اسرائيل وروى انه
ذبح فى طلب موسى تسعين الف وليد والقيت عليك محبة منى اى احببتك ومن احبه الله احبته القلوب
ومعناه محبة حاصلة او واقعة منى قد ركزتها انا فى القلوب وزرعتها فيها فلذلك احبك
فرعون وكل من ابصرك روى انه كانت على وجهه عليه السلام مسحة جمال وفى عينيه ملاحة لا يكاد
يصبر عنه من رآه ولتصنع على عينى اى لتربى ويحسن اليك على عينى اى على حفظى لك وحياطتى وانا
مراعيك ومراقبك كما يراعى الرجل الشئ بعينيه اذا اعتنى به وتقول للصانع اصنع هذا على عينى اى
اصنعه وانا انظر اليك لئلا تخالف به عن مرادى وبغيتى ولتصنع معطوف على محذوف فيكون تقديره
ليتعطف عليك ولتصنع اذ تمشى اختك متعرفة خبرك وما يكون من امرك بعد الطرح فى الما

فتقول هل ادلكم على من يكفله اي يرضعه ويضمه اليه لانه روي ان اخته مريم جاءت متعرفة خبره فصادفتهم
يطلبون له مرضعة تقبل ثديها وذلك انه كان لا يقبل ثدي امراة فقالت هل ادلكم على من يكفله فلما
قالت لهم ذلك قالوا نعم فجاءت بالام فدفع اليها فقبل ثديها فذلك قوله فرجعناك اي رددناك
الى امك من يد العدو العظيم كي تقر عينها اي تطيب نفسها وتقر عينها بلقائك وبقائك
ولا تحزن اي لا تغتم لفراقك والخوف عليك والتحسر من اجلك ثم ويروى ان آسية استوهبته
من فرعون وتبنته وهي التي اشفقت عليه وطلبت له المراضع وقتلت نفسا هي نفس القبطي
الذي قتله وقتله وهو ابن اثنتي عشرة سنة فنجيناك من الغم اي من الحزن لانه اغتم بسبب القتل
خوفا من عقاب الله ومن اقتصاص فرعون وان اقبل به فغفر الله له باستغفاره حين قال
رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي ونجاه من فرعون ان تنشب فيه اظفاره حين هاجر به الى مدين ولم
يكن لفرعون عليها سلطان وبينها وبين مصر مسيرة ثمان ليال لكنه رب حفيرا احقر من البقر
وفتناك فتونا اي فتناك ضروبا من الفتن واختبرناك اختبارا بعد اختبار بالشدائد التي
سال سعيد بن جبير ابن عباس عن هذا فقال معناه خلصناك من محنة بعد محنة ولد في عام كان
يقتل فيه الولدان فهذه فتنة يا ابن جبير والقته امه في البحر وهم فرعون بقتله وقتل قبطيا واجر
عشر سنين وضل الطريق وتفرقت غنمه في ليلة مظلمة وكان ابن عباس يقول عند كل واحدة فهذه فتنة
يا ابن جبير والفتنة المحنة وكل ما يشق على الانسان وكل ما يبتلي الله به عباده فهو فتنة قال تعالى
ونبلوكم بالشر والخير فتنة فلبثت سنين في اهل مدين مدين قرية شعيب عليه السلام وعن وهب
انه لبث عند شعيب ثمانيا وعشرين سنة منها مهر ابنته عشر سنين وقضى اوفى الاجلين اي عشر حجج
مهر احدى بنتي شعيب روي انه قضى من الاجلين اوفاهما وتزوج من البنتين صغراهما وقيل كبراهما صفورا
الصغرى صفيرا ثم جئت على قدر يا موسى اي ثم سبق في قضائي وقدري ان اكلمك واستنبئك في وقت
بعينه قد وقته لنبوتك فما جئت الا على ذلك القدر غير مستقدم ولا مستاخر وقيل على مقدار من
النبوة يوحى فيه الى الانبياء وهو راس اربعين سنة واصطنعتك لنفسي هذا تمثيل لما انعم الله به عليه
وخوله من منزلة التقريب والتكريم والتكليم مثل حاله بحال من يراه بعض الملوك بجوامع خصال فيه

اهلا لئلا يوجد احد اقرب منزلة منه اليه ولا الطف محلا فيصطنعه بالكرامة والاثرة ويستخلصه
لنفسه ولا يسمع الا بعينه واذنه ولا يأتمن على مكنون سره الا سواء ضميره اذهب انت واخوك هرون
باياتي الى فرعون اي بما اعطيتكما من المعجزة ولا تنيا الونى الفتور والتقصير في ذكري اي لا تفترا
ولا تنسياني ولا ازال منكما على ذكر حيثما تقلبتما واتخذا ذكري جناحا تطيران به مستمدين بذلك العون
والتاييد مني معتقدين ان امرا من الامور لا يتمشى لاحد الا بذكري ويجوز ان يريد بالذكر تبليغ الرسالة
فان الذكر يقع على سائر العبادات وتبليغ الرسالة من اجلها واعظمها فكان جديرا بان
يطلق عليه اسم الذكر روي ان الله سبحانه اوحى الى هرون وهو بمصر ان يتلقى موسى وقيل سمع باقباله
وقيل الهم ذلك اذهبا الى فرعون انه طغى اي علا وتكبر وزاد في الكفر والظلم فقولا له
قولا لينا نحو قوله تعالى هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى لان ظاهره الاستفهام
والمشورة وعرض ما فيه الفوز العظيم وقيل عداه شبابا لا يهرم بعده وملكا لا ينزع منه الا بالموت
وان تبقى له لذة المطعم والمشرب والمنكح الى حين موته وقيل لا تجبهاه بما يكره والطفا له في القول
لما له من حق تربية موسى ولما ثبت له من مثل حق الابوة وقيل كنياه وكان له ثلاث كنى ابو العباس
وابو الوليد وابو مرة لعله يتذكر اي يتامل الحق فيتبعه وينقاد او يتذكر ويتامل فيبذل النصفة
من نفسه والاذعان للحق او يخشى اي يخاف الله عز وجل او يخشى ان يكون الامر كما تصفان فيجره
انكاره الى الهلكة قال رضي الله عنه الترجي لهما اي اذهبا على رجائكما وطمعكما
وباشرا الامر مباشرة من يرجو ويطمع ان يثمر عمله ولا يخيب سعيه فهو يجتهد بطوقه ويحتشد
باقصى وسعه وفائدة ارسالهما اليه مع العلم بانه لن يؤمن الزام الحجة وقطع المعذرة كقوله ولو
انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك قالا ربنا اننا
نخاف ان يفرط علينا اي يعجل علينا بالعقوبة ويبادرنا بها وقرئ يفرط علينا
من افرطه غيره اذا حمله على العجلة قال رضي الله عنه خافا ان تحمله حامل على المعاجلة بالعقاب
من شيطان او من جبروته واستكباره وادعائه الربوبية او من حبه الرياسة او من قومه
القبط المتمردين الذين حكى عنهم رب العزة قال الملا من قومه وقرئ يفرط

اي لا تستقبلاه بما يكره

معنى يحتشد يجمع

من الافراط في الاذية اي نخاف ان يحول بيننا وبين تبليغ الرسالة بالمعاجلة او يجاوز الحد في معاقبتنا
ان لم يعاجل بناء منهما على ما عرفنا وجربنا من شرارته وعتوه او ان يطغى بالتخطي الى ان يقول فيك
ما لا ينبغي لجراته عليك وقسوة قلبه قال رضي الله عنه وفي مجيئه بهذا الكلام هكذا على
الاطلاق وعلى سبيل الرمز باب من حسن الادب وتحاش عن التفوه بالعظيمة قال الله تعالى
لا تخافا انني معكما اي حافظكما وناصركما اسمع وارى ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل فافعل
ما يوجبه حفظي ونصرتي لكما اي اسمع اقوالكم وارى افعالكم واذا كان الحافظ والناصر بهذه الصفة
تم الحفظ وصحت النصرة وذهبت المبالاة بالعدو فاتياه فقولا انا رسولا ربك فارسل معنا
بني اسرائيل اي خل عنهم واطلقهم ولا تعذبهم اي لا تتعبهم في العمل وكانت بنو اسرائيل في ملكة
فرعون والقبط يعذبونهم بتكليف الاعمال الصعبة من الحفر والبناء ونقل الحجارة والسخرة في
كل شيء مع قتل الولدان واستخدام النساء قد جئناك باية من ربك اي بمعجزة وبرهان وحجة على
ما ادعيناه من الرسالة والسلام يريد وسلام الملائكة الذين هم خزنة الجنة على من اتبع الهدى
اي على من اتبع الحق فاهتدى به انا قد اوحي الينا ان العذاب اي ان العذاب واقع على من كذب وتولى
اي على من كذب بالحق واعرض عنه فلم يؤمن به مع ظهوره وقوله ان العذاب على من كذب في مقابلة
قوله والسلام على من اتبع الهدى والمعنى وسلام الملائكة الذين هم خزنة الجنة على المهتدين
وتوبيخ خزنة النار والعذاب على المكذبين قال فمن ربكما يا موسى خاطب الاثنين ووجه النداء
الى احدهما وهو موسى لانه الاصل في النبوة وهرون وزيره وتابعه ويحتمل انه خص موسى دون اخيه
خبثا منه لما عرف من فصاحة هرون والرتة التي في لسان موسى ويدل عليه قوله ام انا خير من
هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين قال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه اي اعطى خليقته كل شيء يحتاجون
اليه ويرتفقون به او اعطى كل شيء صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به كما اعطى العين
الهيئة التي تطابق الابصار والاذن الشكل الذي يوافق الاستماع وكذلك الانف واليد والرجل
واللسان كل واحد منها مطابق لما علق به من المنفعة غير ناب عنه او اعطى كل حيوان
نظيره في الخلق والصورة حيث جعل الحصان والحجر زوجين والبعير والناقة والرجل والمراة

طه

فلم يزاوج منها شيئا غير جنسه وما هو على خلاف خلقه وقرئ خلقه بفتح اللام يعني اعطى كل شيء
مخلوق له اي كل شيء خلقه لم يخله من عطائه وانعامه ثم هدى اي عرف المعطى كيف يرتفق بما اعطي
وكيف يتوصل اليه قال رضي الله عنه ولله در هذا الجواب ما اخصره وما اجمعه وما ابينه لمن
القى الذهن ونظر بعين الانصاف وكان طالبا للحق قال فرعون فما بال القرون الاولى اي ما حال
الامم الماضية المتقدمة قال موسى علمها عند ربي في كتاب سأله عن حال من تقدم
وخلا من القرون وعن شقاء من شقي منهم وسعادة من سعد فاجابه بان هذا سؤال عن الغيب
وقد استأثر الله به لا يعلمه الا هو وما انا الا عبد مثلك لا اعلم منه الا ما اخبرني به علام
الغيوب وعلم احوال القرون مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ لا يضل ربي ولا ينسى اي لا
يجوز عليه ان يخطئ شيئا او ينساه يقال ضللت الشيء اذا اخطأته في مكانه فلم تهتد له وعن ابن عباس
لا يترك من كفر به حتى ينتقم منه ولا يترك من وحده حتى يجازيه قال رضي الله عنه ويجوز ان يكون
فرعون قد نازع موسى عليه السلام في احاطة الله بكل شيء وتبيينه لكل معلوم فتعنت وقال ما تقول
في سوال القرون وتمادي كثرتهم وتباعد اطراف عددهم كيف احاط بهم وباجزائهم وجواهرهم
فاجاب بان كل كائن محيط به علمه وهو مثبت عنده في كتاب ولا يجوز عليه الخطأ والنسيان كما
يجوز عليك ايها العبد الذليل والبشر الضئيل اي لا يضل كما تضل انت ولا ينسى كما تنسى يا مدعي
الربوبية بالجهل والوقاحة الذي جعل لكم الارض مهادا اي فراشا تتمهدونها وهي لكم
كالمهد وهو ما يمهد للصبي ليضطجع عليه والمعنى مهدها مهدا وسلك لكم فيها سبلا السبل
جمع سبيل ووسطها بين الجبال والاودية والبراري وانزل من السماء ماء مطرا تم جواب
موسى ها هنا ثم قال الله تعالى فاخرجنا به فالتفت من لفظ الغيبة الى لفظ المتكلم المطاع للافتنان
في الكلام والاعلام بانه مطاع تنقاد الاشياء المختلفة لامره وتذعن الاجناس المتفاوتة لمشيته
لا يمتنع شيء على ارادته وفيه وجه تخصيص ايضا بانا نحن نقدر على مثل هذا ولا يدخل تحت قدرة
احد ازواجا اي اصنافا سميت بذلك لانها مزدوجة مقترنة بعضها ببعض من نبات
شتى يعني انها شتى مختلفة النفع والطعم واللون والرائحة والشكل بعضها يصلح للناس وبعضها

للبهائم فالواو من نعمة عز وعلا ان ارزاق العباد انما تحصل بعمل الانعام وقد جعل الله علفها مما
يفضل عن حاجتهم ولا يقدرون على اكله كلوا منها وارعوا انعامكم فيها اى اسيموها وابرحوها
في نبات الارض والمعنى اخرجنا اصناف النبات آذنين لكم في الانتفاع بها مبيحين ان تاكلوا بعضها
وتعلفوا بعضها ان في ذلك المذكور وهذه النعم التي لا تقدر على مثلها غيرنا لايات اى لدلائل على
عظم القدرة وواسع الرحمة لاولي النهى اى لذوى العقول الصحيحة لانهم يتدبرون ويستدلون
على ذلك والنهى جمع نهية وهو العقل لانه ينهى عن القبح منها خلقناكم اى من الارض لمعهم
ذكرها واراد بخلقهم منها خلق اصلهم وهو ادم عليه السلام منها وقيل ان الملك لينطلق فياخذ
من تربة المكان الذى يدفن فيه فيبددها على النطفة فيخلق من التراب والنطفة معا وفيها نعيدكم
اى في القبور واللحود عند الموت ومنها نخرجكم عند البعث تارة اخرى اى مرة اخرى اراد باخراجهم
منها انه يولف اجزائهم المتفرقة المختلطة بالتراب ويردهم كما كانوا احياء ويخرجهم الى المحشر
كقوله يوم يخرجون من الاجداث سراعا قال رضي الله عنه عدد الله عليهم ما علق بالارض من مرافقهم
حيث جعلها لهم فراشا ومهادا يتقلبون عليها وسوى لهم فيها مسالك يترددون فيها كيف شاؤا
وانبت فيها اصناف النبات التي منها اقواتهم وعلوفات بهائمهم وهي اصلهم الذى منه تفرعوا
وامهم التي منها ولدوا ثم هي كفاتهم اذا ماتوا ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تمسحوا بالارض فانها
بكم برة وقيل المراد بالتمسح بها التيمم ولقد اريناه يعني فرعون اياتنا كلها اى بصرناه او عرفناه
صحتها ويقناه بها فكذب وابى وانما كذب لظلمه كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم
ظلما وعلوا والمراد بالايات هي المختصة بموسى عليه السلام وانما اشار الى الايات المعهودة المعلومة
لهم وهي تسع العصا واليد وفلق البحر والحجر والجراد والقمل والضفادع والدم ونتق الجبل
ويجوز ان يكون موسى قد اراه اياته وعدد عليه ما اوتيه غيره من الانبياء من اياتهم ومعجزاتهم وهو
نبي صادق لا فرق بين ما يخبر عنه وبين ما يشاهد به فكذب بها جميعا وابى ان يقبل شيئا منها
وقيل فكذب الايات وابى قبول الحق قال فرعون لموسى اجئتنا لتخرجنا من ارضنا اى ارض
مصر بسحرك يا موسى اى الذى تدعى انه ايات ومعجزات سمى الايات سحرا لكونه للحق مع علمه

عنه

قال رضي الله عنه الموح لك من قول فرعون اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك ان فرعون
ترعد خوفا مما جابه موسى عليه السلام لعلمه وايقانه انه على الحق وان المحق لو اراد قود الجبال
لانقادت له وان مثله لا يخذل ولا يقل ناصره وانه غالبه على ملكه لا محالة وقوله بسحرك
تعلل وتحير والا فكيف يخفى عليه ان ساحرا لا يقدر ان يخرج ملكا مثله من ارضه ويغلبه على
ملكه بالسحر فلناتينك بسحر مثله اى فلنعارضن سحرك بسحر مثله في القطع فاجعل بيننا وبينك
موعدا للمعارضة اى وعدا لا نخلفه اى لا نخلف ذلك الموعد نحن ولا انت واراد بالموعد ههنا
موضعا يتواعدون للاجتماع فيه هناك وهو قوله مكانا سوى اى مكانا وسطا منتصفا بيننا
وبينك اي هو نصف الطريق بيننا وبينك وهو من الاستواء لان المسافة من الوسط الى الطرفين
مستوية لا تفاوت فيها وقرى سوى بالضم والكسر منونا وغير منون والمعنى فيها واحد وهو
فيه المكان للطريق تنصيفين بين موسى وفرعون قال موسى موعدكم يوم الزينة اى وقت موعدكم
وهو يوم عيد كان لهم في كل عام وقيل هو يوم عاشوراء وقيل يوم النيروز وهو عيد النصارى
وقيل هو يوم كانوا يتخذون فيه سوقا ويتزينون في ذلك اليوم وان يحشر الناس ضحى اى
وان يجمع الناس ذلك اليوم في وقت الضحى قال رضي الله عنه وانما واعدهم موسى ذلك اليوم ليكون
علو كلمة الله وظهور دينه وكبت عدو الله الكافر وزهوق الباطل على رؤس الاشهاد وفي المجمع
العام لتقوى رغبة من رغب في اتباع الحق ويكل حد المبطلين واشياعهم ويكثر المحدث بذلك
الامر الطاهر في كل بدو وحضر ويشيع في جميع اهل الوبر والمدر فتولى فرعون اى ادبر
واعرض عن خطاب موسى للجمع فجمع كيده اي اسباب كيده وهم السحرة والكيد هو المكر والحيلة
ثم اتى بكيده للموعد في يوم الزينة قاصدا لابطال الحق قال لهم موسى اى قال لفرعون والسحرة
ويلكم لا تفتروا على الله كذبا الويل للهلاك اى الزمكم الله الهلاك لا تدعوا اياته ومعجزاته سحرا فيسحتكم بعذاب
اى يستاصلكم بعذاب شديد وقد خاب من افترى اى خسر من كذب فلم يظفر فلا تكونوا
من المفترين فتنازعوا امرهم بينهم يعني السحرة اى تجاذبوا اطراف القول في تدبير امرهم وتشاوروا
بينهم واسروا النجوى النجوى المناجى بالحديث والتشاور وقيل اى يتكلموا فيما بينهم سرا من فرعون

ابن عباس ان نجواهم انهم قالوا ان غلبنا موسى اتبعناه وعن قتادة انهم قالوا ان كان ساحرا فسنغلبه
وان كان من السماء فله امر وعن وهب لما قال ويلكم قالوا ما هذا بقول ساحر والظاهر انهم تشاوروا
في السر وتجاذبوا اهداب القول ثم قالوا ان هذان لساحران يعنون موسى وهرون فكانت
نجواهم في تلفيق هذا الكلام وتزويره خوفا من غلبتهما وتثبيطا للناس عن اتباعهما قرا ابو عمرو
ان هذين لساحران على القياس وابن كثير وحفص ان هذان لساحران بتخفيف ان وقرا
ابيّ ان ذان الا ساحران اي ما موسى وهرون الا ساحران وقيل في توجيه القراءة المشهورة
انها لغة بلحرث بن كعب جعلوا الاسم المثنى الذي آخره الف كعصى فلم يقلبوها ياء في الجر والنصب
وقيل ان بمعنى نعم وساحران خبر مبتدا محذوف واللام داخلة على الجملة والتقدير لهما ساحران
قال رضي الله عنه وقد اعجب بهذا القول ابو اسحق الزجاج يريدان ان يخرجاكم من ارضكم
مصر ويتغلبا عليكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى اي بمذهبكم سموا مذهبهم الطريقة
المثلى والسنة الفضلى وكل حزب بما لديهم فرحون وقيل ارادوا اهل طريقتكم المثلى وهم بنو اسرائيل
لقول موسى ارسل معنا بني اسرائيل اي يصرفا وجوههم اليهما وقيل الطريقة اسم لوجوه الناس
واشرافهم الذين هم قدوة لغيرهم يقال هم طريقة قومهم ويقال للواحد هو طريقة قومه
فاجمعوا كيدكم اي اجعلوه مجمعا عليه حتى لا تختلفوا ولا يتخلف عنه احد منكم كالمسئلة
المجمع عليها ثم ائتوا صفا اي مجتمعين مصطفين قال رضي الله عنه امروا بان ياتوا صفا
لانه اهيب في صدور الرائين وروي انهم كانوا سبعين الفا مع كل واحد منهم حبل وعصا
وقد اقبلوا اقبالة واحدة وعن ابي عبيدة انه فسر الصف بالمصلى لان الناس يجتمعون فيه لعيدهم
وصلاتهم مصطفين كانه اريد ايتوا مصلى في المصليات وقد افلح اليوم من استعلى
فقد فاز من غلب قالوا يا موسى اما ان تلقي عصاك الى الارض واما ان نكون اول من
القى اي اختر احد الامرين القاءك او القاءنا قال رضي الله عنه وهذا التخيير منهم استعمال
ادب حسن مع موسى عليه السلام وتواضع له وخفض جناح وتنبيه على اعطائهم النصفة من انفسهم
وكان الله عز وعلا الهمهم ذلك وعلم موسى عليه السلام اختيار القائهم اولا مع ما فيه من مقابلة ادب بادب

حتى يبرزوا ما معهم من مكايد السحر ويستنفدوا اقصى طوقهم ومجهودهم فاذا فعلوا اظهر الله سلطانه
وقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق وسلط المعجزة على السحر فمحقته وكانت آية نيرة
للناظرين وعبرة بينة للمعتبرين قال بل القوا انتم فاذا حبالهم وعصيهم اذا بمعنى الوقت
اي فاجا موسى وقت تخييل سعي حبالهم وعصيهم والمعنى ان موسى فاجاه حبالهم وعصيهم مخيلة
اليه السعي اي فالقوا فنظر اليها على هذه الصفة يخيل اليه اي تشبه لموسى من سحرهم
انها تسعى والتخييل التشبيه لشيء بشيء روي انهم لطخوها بالزيبق فلما وقعت عليها الشمس
اضطربت واهتزت فخيلت ذلك اي وهمت انها تسعى بسبب الزيبق وذلك انها تحركت
لزكه غطيه بنوع الحيلة والتمويه فظن موسى انها تسعى فاوجس في نفسه خيفة
موسى ايجاس الخوف اضمار شيء منه وانما خاف لطبع الجبلة البشرية وانه لا يكاد يمكن الخلو من مثله
وقيل خاف ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه وقوله قلنا لا تخف انك انت الاعلى فيه تقرير
لغلبته وتحقيق لقهره وقوته وفيه توكيد بكلمة ان وبقوله انت وبلفظ العلو وهو الغلبة الظاهرة
وبقوله الاعلى لان معناه الافضل والاكثر علوا والق ما في يمينك تلقف ما صنعوا اي
تبتلع ما زوروا وافتعلوا قال رضي الله عنه وقوله ما في يمينك ولم يقل عصاك جاز ان
يريد لا تعبأ بالعصا اي لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العويد الفرد الصغير
الجرم الذي في يمينك فانه بقدرة الله يتلقفها على وحدته وكثرتها وصغره وعظمها
وجايز ان يكون تعظيما لها اي لا تحتفل بهذه الاجرام الكبيرة الكثيرة فان في يمينك شيئا
اعظم منها كلها وهذه على كثرتها اقل شيء واندره عنده فالقه يتلقفها باذن الله
ويمحقها روي انهم لما القوا حبالهم وعصيهم وجعلوا فيها ما يوهم الحركة القى موسى عصاه
فتلقفت ملء الوادي من الخشب والحبال ورفعها موسى فعادت عصا كما كانت وعدمت تلك
الاجرام العظيمة فقالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فهذا معنى تلقف
العصا وفي تفسير الثعلبي ان السحرة اجتمعوا سبع مائة الف وكان رئيسهم اعمى انما صنعوا
كيد ساحر اي ان ما صنعوا مكر ساحر وحيلته قال رضي الله عنه وانما وحد ساحر ولم

يجمع لان القصد في هذا الكلام الى معنى الجنسية لا الى معنى العدد فلو جمع لخيل ان المقصود
هو العدد الا ترى الى قوله ولا يفلح الساحر اي هذا الجنس ولا يفلح الساحر حيث اتى اي
اي اينما كان واية سلك فالقي السحرة سجدا اي خروا ساجدين لله كانما القاهم ملق لشدة
وعن قتادة كانوا اول النهار كفارا سحرة واخره شهداء بررة قال رضي الله عنه سبحان الله ما اعجب امرهم
قد القوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم القوا رؤوسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما اعظم
الفرق بين الالقاءين وروي انهم لم يرفعوا رؤوسهم حتى راوا الجنة والنار وراوا ثواب اهلها وعن
عكرمة لما خروا سجدا اراهم الله في سجودهم منازلهم التي يصيرون اليها في الجنة قالوا ءامنا
اي صدقنا برب هرون وموسى اي بربوبيته لا بربوبية فرعون العبد الكافر لمولاه قال فرعون
منكرا عليهم ءامنتم له قبل ان اذن لكم انه اي ان موسى لكبيركم الذي علمكم السحر اي انه لعظيمكم يعني انه
اسحرهم واعلاهم درجة في صناعتهم او لمعلمكم من قول اهل مكة للمعلم امرني كبيري
معلمهم واستاذهم في القران وفي كل شيء فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اليد اليمنى والرجل
اليسرى لان كل واحد من العضوين خالف الاخر بان هذا يد وذاك رجل وهذا يمين وذاك شمال
ولاصلبنكم في جذوع النخل الصلب هو مد المصلوب على جذع وقال في جذوع النخل ولم يقل على للمبالغة
في الصلب شبه تمكن المصلوب في الجذع بتمكن الشيء الموضوع في وعائه ولتعلمن اينا يريد نفسه لعنه
الله وموسى صلوات الله عليه اشد عذابا اي اشد تعذيبا لمن خالفه وابقى اي وادوم واكثر بقاء
قال رضي الله عنه وفي كلام فرعون تكبر واعجاب بقدرته وتهويل وما الفه وضري به من تعذيب
الناس بانواع العقوبات وتوضيع لموسى عليه السلام واستضعاف له مع الهزء به لان موسى عليه السلام لم يكن
قط من التعذيب في شيء قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات اي لن نختارك ونختص بالطاعة
من عذبته بل نؤثر عليك ما جاءنا من البينات وهي الدلائل والمعجزات المصدقة لموسى لان العقل
يقضي باتباع الدليل والذي فطرنا اي والذي ابتدا خلقنا اراد ولن نؤثرك على ما جاءنا وعلى الذي فطرنا
وقيل هو قسم فاقض ما انت قاض اي افعل بنا ما شئت واحدث بنا من التعذيب ما تريده ما نعني الذي
تقدر ان تفعل الذي تفعله وتوقعه على مثلنا انما تقضي هذه الحيوة الدنيا اي في هذه فقط والمعنى

ما سلطان لك علينا الا في هذه الحيوة الفانية الفاني عذابها وغاية ما يكون علينا منك الموت ولا بد لنا منه
ثم نعود الى ثواب ربنا في الدار الباقية الباقي ثوابها ثم قالوا انا ءامنا بربنا اي صدقنا به دونك واثبتنا
وجوده ليغفر لنا خطايانا ذنوبنا التي اعظمها الكفر به تعالى والايمان بك وبربوبيتك الكاذبة وما
اكرهتنا عليه من السحر اي اكراهك لنا على تعلم السحر روي ان رؤساء السحرة كانوا اثنين وسبعين
الاثنان من القبط والباقي من بني اسرائيل وكان فرعون اكرههم على تعلم السحر وروي انهم قالوا لفرعون
ارنا موسى نائما ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر لان الساحر اذا نام بطل سحره
فابى فرعون الا ان تعارضوه والله خير منك يا فرعون وعذابه اشد من عذابك وثوابه افضل من
ثوابك وابقى منك لانك عبد ذليل فاني وهو رب جليل باق وهذا رد عليه في قوله اينا اشد عذابا وابقى
لان طاعتهم لموسى وايمانهم له طاعة لله وايمان به فصرفوا الكلام الى الله عز وجل لانه المثيب المعاقب
انه من يات ربه مجرما اي مذنبا مات على الشرك او الكبيرة فان له جهنم لا يموت فيها على
الحقيقة فيستريح من عذابها ولا يحيى حيوة طيبة ينتفع بها وقيل لا يحيى حيوة ينتفع صاحبها كما
بالم الحي وسلخ به حالة الموت في المكروه الا انه لا يبطل فيها عن احساس الالم ومن ياته مؤمنا مات على
الايمان قد عمل الصالحات اي قد ادى الفرائض كلها واجتنب المنهيات اجمع فاولئك لهم الدرجات
العلى جمع العليا في الجنة لانها في السموات التابعة جنات عدن اي اقامة وهي بيان للدرجات العلى
فيها وصف لما لهم في الخلود وهو البقاء الذي لا غاية له ولا انقطاع وذلك اي وذلك الجزاء جزاء من تزكى اي
من تطهر من ادناس الذنوب وعن ابن عباس من قال لا اله الا الله وقيل في هذه الايات الثلاث هي حكاية قولهم
وقيل خبر من الله لا على وجه الحكاية ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي اي سر بهم ليلا من ارض
مصر الى البحر فقد دبر الله هلاك فرعون ونجاتكم فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا اي يابسا
والمعنى فاجعل لهم من قولهم ضرب له في ماله سهما اي جعل له وضرب اللبن اي عمله لا تخاف دركا
من فرعون اي لا يدركك فرعون وجنوده ولا يلحقونك ولا تخشى غرقا من البحر او لا تخشى دركا
ولا مكروها فاتبعهم اي فلحقهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم اي من البحر ما غشيهم اي فعلاهم
البحر ما غشيهم قال رضي الله عنه ما غشيهم من باب الاختصار ومن جوامع الكلم التي تستقل مع قلتها

بالمعاني الكثيرة اي غشيهم ما لا يعلم كنهه الا الله وقرئ فغشاهم من اليم ما غشاهم والتغشية التغطية وفاعل
غشاهم اما الله سبحانه او ما غشاهم او فرعون لانه الذي ورّط جنوده واضل فرعون قومه اي
اذهبهم عن طريق النجاة وما هدى اي وما هداهم اليها وهذا تهكم واستهزاء به في قوله وما اهديكم
الا سبيل الرشاد وفي تفسير الثعلبي قال وهب استعار بنو اسرائيل حليا كثيرا من القبط ثم خرج بهم
موسى في اول الليل وكانوا ستمائة الفا وقيل كانوا ستمائة الف فركب فرعون خلفهم في الفي الف وستمائة
الف من القبط فلما اتى فرعون الساحل وقد فلق الله البحر لموسى ومن معه وعبروا فيه اثنى عشر طريقا
على عدد الاسباط قال فرعون للقبط قد سحر موسى البحر فقالوا له ان كنت الها فادخل كما دخل
حتى دخل جبرئيل عليه السلام على فرس انثى فدخل البحر فاقتحم حصان فرعون على اثرها ودخلوا وغرقوا عن آخرهم
ونجا الله موسى ومن معه وبني اسرائيل ذكر منته عليهم فقال يا بني اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم
فرعون وهذا خطاب لهم بعد انجائهم من البحر واهلاك آل فرعون وواعدناكم لاعطائنا الكتاب جانب
الطور الايمن وذلك ان الله تعالى وعد موسى ان ياتي هذا المكان فيوتيه كتابا فيه الحلال والحرام
وجميع اصول الاحكام ووعدهم موسى ذلك عند ذهابه عنهم والجانب الايمن من الجبل المسمى بالطور
والايمن نقيض الايسر قال رضي الله عنه ذكر الله بني اسرائيل النعمة في انجائهم وهلاك عدوهم
وما واعد موسى عليه السلام من المناجاة بجانب الطور وكتب التوراة في الالواح واضاف المواعدة اليهم
لاتصالها بهم وانها كانت لنبيهم ونقبائهم واليهم رجعت منافعها التي قام بها دينهم وشرعهم وذكر
ما افاض عليهم من سائر نعمه وارزاقه فقال ونزلنا عليكم المن والسلوى المن هو الترنجبين مثل
الثلج كان ينزل عليهم من طلوع الفجر الى طلوع الشمس فيحصل لكل انسان صاع والسلوى طائر يسمى
السماني كلوا من طيبات ما رزقناكم اي من حلاله ومستلذه ولا تطغوا فيه اي في الرزق والنعم
وطغيانهم في النعمة هو ان يتعدوا حدود الله فيها بان يكفروها ويشغلهم اللهو والتنعم عن القيام
بشكرها وان يبطروا فيها ويأشروا ويتكبروا ومن الطغيان في النعمة التي هي الرزق انفاقه في
المعاصي ومنع حقوق الفقراء والاسراف في الانفاق فيحل عليكم غضبي قرئ فيحل بكسر الحاء
وضمها فالمكسور في معنى الوجوب اي يجب من حل الدين يحل اذا وجب اداؤه حتى بلغ الاجل

محله والمضموم في معنى النزول اي ينزل وغضب الله عقوبته ولذلك وصف بالنزول ومن يحلل عليه
غضبي فقد هوى اي هلك واني لغفار لمن تاب اي لمن رجع عن الكفر والمعاصي وآمن بالله وبما يجب عليه
الايمان به والايمان هو التصديق والعمل وعمل صالحا اي عملا صحيحا مطابقا لما امر الله ثم اهتدى
الاهتداء هو الاستقامة والثبات على الهدى المذكور وهو التوبة والايمان والعمل الصالح ونحو قوله
تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قال رضي الله عنه وكلمة التراخي وهي ثم دلت على تباين
المنزلتين دلالتها على تباين الوقتين والمعنى ان منزلة الاستقامة على الخير مباينة لمنزلة الخير
نفسه لانها اعلى منها وافضل وما اعجلك عن قومك يا موسى يعني اي شيء عجل بك عنهم وهذا
على سبيل الانكار عليه وقد كان مضى مع النقباء الى الطور على الموعد المضروب ثم تقدمهم شوقا الى كلام
ربه وتنجز ما وعد به بناء على اجتهاده وظنه ان ذلك اقرب الى رضى الله وزل عنه ان الله عز وجل ما
وقت افعاله الا نظرا الى دواعي الحكمة وعلما بالمصالح المتعلقة بكل وقت والمراد بالقوم النقباء وقيل
جميع قومه وان يكون قد فارقهم قبل الميعاد والاول اصح بدليل قوله قال هم اولاء على اثري الاثر افصح من
الاثر قال رضي الله عنه قوله ما اعجلك سؤال عن سبب العجلة فكان الجواب المطابق ان يقال العجلة
طلب زيادة رضاك او الشوق الى كلامك وتنجز موعدك ولكن كلام رب العزة قد تضمن شيئين احدهما انكار
العجلة في نفسها والثاني السؤال عن السبب الذي عجله فكان اهم الامرين الى موسى بسط العذر وتمهيد
العلة في نفس ما انكر عليه فاعتل بانه لم يوجد مني الا تقدم يسير مثله لا يعتد به في العادة ولا يحتفل به
وليس بيني وبين من سبقته الا مسافة قريبة يتقدم بمثلها راس القوم ومقدمتهم واشار الى قرب
المسافة بقوله هم اولاء على اثري ثم عقب هذا الامر المستنكر بجواب السؤال عن السبب فقال
وعجلت اليك رب لترضى اي لازداد رضاك قال رضي الله عنه ولقائل ان يقول حار موسى
عليه السلام لما ورد عليه من التهيب لعتاب الله فاذهله ذلك عن الجواب المطبق على السؤال المرتب
على حدود الكلام قال الله تعالى لموسى فانا قد فتنا قومك من بعدك اي امتحناهم واراد بالقوم المفتونين
الذين خلفهم مع هرون وكانوا ستمائة الف فما نجا من عبادة العجل منهم الا اثنا عشر الفا واضلهم السامري اي
دعاهم الى عبادة العجل وقال هذا الهكم وقرئ واضلهم السامري اي هو اشدهم ضلالا لانه

ضال مضل وهو منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة وقيل السامري قوم من اليهود يخالفونهم
في بعض دينهم وقيل كان من اهل باجرما قرية قريبة من الموصل وقيل كان علجا من كرمان واسمه موسى بن ظفر
وكان منافقا قد اظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر قال جار الله رضي الله عنه في الكشاف انهم
اقاموا بعد مفارقته عشرين ليلة وحسبوها اربعين مع ايامها وقالوا قد اكملنا العدة ثم كان امر
العجل بعد ذلك فكيف التوفيق بين هذا وبين قوله تعالى لموسى عند مقدمه انا قد فتنا قومك قال واخبار
الله تعالى اخبر عن الفتنة المترقبة بلفظ الموجودة الكائنة على عادته في اخباره ان المنتظر
فيها كالموجود لانه كائن لا محالة ويجوز ان يكون السامري اغتنم الفرصة في غيبة موسى عليه السلام
فعزم على اضلالهم عقيب انطلاقه واخذ في تدبير ذلك فكان اول الفتنة قد وجد عند الاخبار فرجع
موسى الى قومه بعدما استوفى الاربعين ذا القعدة وعشر ذي الحجة غضبان اي شديد الغضب
عليهم اسفا الاسف الشديد الغضب والمعنى رجع اليهم في حال الغضب والاسف وتحتم على
وضعهم الكفر موضع ما يجب عليهم من الشكر قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا لانهم لما رجعوا الى مصر
بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب ينتهون اليه في امر دينهم وعدهم الله سبحانه ان يعطيهم
التوراة التي فيها هدى ونور ولا وعد احسن من ذلك ولا اجمل قال رضي الله عنه حكي لنا انها كانت
الف سورة كل سورة الف اية يحمل اسفارها سبعون جملا افطال عليكم العهد اي مدة مفارقتي
اياكم وذلك انهم وعدوه الاقامة على ما امرهم به وما تركهم عليه من الايمان فاخلفوا موعده بعبادتهم
العجل والمعنى افطال عليكم الزمان الذي وعدتكم بالاستمرار فيه على الايمان ام اردتم ان يحل عليكم
غضب من ربكم اي ان يجب عليكم عقاب ربكم فاخلفتم موعدي بعبادة العجل ولم تنتظروا رجوعي
الي قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا قرا نافع وعاصم بفتح الميم وحمزة والكسائي بضمها والباقون
بكسرها اي ما اخلفنا موعدك بان ملكنا امرنا اي لو ملكنا امرنا وخلينا ورأينا لما اخلفناه ولكن غلبنا
علينا من جهة السامري وكيده وهو معنى قوله ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم اي حملنا احمالا من
حلي القبط التي استعرناها منهم او ارادوا بالاوزار انها اثام وتبعات لانهم كانوا معهم في حكم
المستامنين في دار الحرب وليس للمستامن ان ياخذ مال الحربي على ان الغنائم لم تكن تحل حينئذ فقذفناها

اي القيناها في نار السامري التي اوقدها في الحفرة وامرنا ان نطرح فيها الحلي وروي ان بني اسرائيل استعاروا
هذه الحلية من القبط ليوم عيد لهم قبل خروجهم من مصر فلما غرق فرعون وقومه بقيت الحلي في ايديهم وروي ان
السامري انكر عليهم اخذها استعاروه من الحلية وامرهم بجمعها في الحفرة ليسبكها النار الى ان
يرجع موسى فيرى فيها رايه وقيل امرهم هارون عليه السلام باستعارتها ليحل لهم الخروج بها لانها مال الكفار
فكذلك القى السامري اي مثل القائهم القى السامري ما معه من الحلي في النار وقيل اراهم انه يلقي حليا
في يده مثلهم القوا ولم يلق الا التربة التي اخذها من موطئ حيزوم فرس جبرئيل عليه السلام اوحى اليه وليه
الشيطان انها اذا خالطت مواتا صار حيوانا فاخرج لهم السامري من الحفرة عجلا جسدا له خوار خلق
الله العجل من الحلي التي سبكتها النار تخور كما تخور العجاجيل اي اولاد البقر [illegible] ولولا ان
لخلق الله العجل من الحلي صح اسناد الفتنة اليه في قوله فقد فتنا قومك قال رضي الله عنه وهذه
كرامة خاصة اثر الله تعالى بها جبرئيل عليه السلام كانت تعتريها من الكرامات وهي ان ما باشر
فرسه بحافره تربته اذا لاقت تلك التربة جمادا انشاه عند مباشرته حيوانا كما انشا المسيح من غير اب
عند نفخ جبرئيل في درع مريم قال رضي الله عنه وخلق الله العجل من الحلي حتى صار فتنة لبني اسرائيل
وضلالا لبعض بابا ولا محنة يمحن الله بها عباده ليثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي
الاخرة ويضل الله الظالمين ومن عجب من خلق العجل فليكن من خلق ابليس اعجب فقالوا هذا الهكم
واله موسى القائل لهم السامري واضاف القول اليهم لانهم رضوا به او قالوه بعد قوله لهم والمراد
بقوله انا قد فتنا قومك هو خلق العجل للافتتان اي امتحانهم بخلق العجل وحملهم السامري على الضلال
واوقعهم فيه حين قال لهم هذا الهكم واله موسى فنسي اي فنسي موسى ان يطلبه هاهنا وذهب يطلبه
عند الطور وروي انه قال لهم ان موسى لن يرجع وانه قد مات وقيل معناه فنسي السامري اي ترك
ما كان عليه من اظهار الايمان افلا يرون ان لا يرجع اليهم قولا هذا انكار عليهم والمعنى [illegible]
العجل اله افلا يعلمون انه لا يرد اليهم قولا اي جوابا فيما خاطبوه به لانه بهيمة عجماء لا تحسن القول ولا
يملك لهم ضرا ولا نفعا اي ولا يقدر لهم على ضر ولا على نفع كما يقدر بعضهم على ذلك فضلا عن ان يكون
الها معبودا ولقد قال لهم هارون من قبل اي من قبل ان يقول لهم السامري ما قال كانهم اول

ما وقعت على العجل انصارهم حين طلع من الحفرة افتتنوا به واستحسنوه فقبل ان يأتيهم موسى
ناداهم هارون بقوله يا قوم انما فتنتم به اي انما ابتليتم بالعجل ليعلم من يثبت ومن يضل وان ربكم الرحمن
لا العجل فاتبعوني على ديني في التوحيد والاسلام واطيعوا امري في الثبات على الايمان الذي وعدتم به
قالوا لن نبرح عليه عاكفين اي لن نبرح مستمرين على عبادة العجل ملازمين لها حتى يرجع
الينا موسى من الطور فلما رجع موسى قال يا هارون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا اي اخطأوا الطريق
بعبادة العجل ان لا تتبعني لا زائدة والمعنى ما منعك ان تتبعني في الغضب لله وشدة الزجر على
الكفر والمعاصي وهلا قاتلت من كفر بمن آمن ومالك لم تباشر الامر كما كنت اباشره انا لو كنت شاهدا
او اراد مالك لم تلحقني الى الطور افعصيت امري حيث اقمت فيما بينهم وهم يعبدون غير الله عز وجل
ثم اخذ موسى بشعر رأس اخيه بيمينه ولحيته بشماله غضبا وانكارا عليه فحينئذ قال هارون يا ابن ام
لا تاخذ بلحيتي ولا برأسي اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل اي خشيت ان فارقتهم واتبعتك
الى الطور ان يصيروا احزابا يقتل بعضهم بعضا فتقول اوقعت الفرقة بينهم قال رضي الله عنه كان
موسى عليه السلام رجلا حديدا مجبولا على الحدة والخشونة والتصلب في كل شيء شديد الغضب لله ولدين الله
فلم يتمالك حين رأى قومه يعبدون عجلا من دون الله بعدما رأوا من الآيات العظام ان القى الالواح
التوراة لما غلب ذهنه من الدهشة العظيمة غضبا لله واستنكافا وحمية وعنف باخيه وخليفته
على قومه فاقبل عليه اقبال العدو المكاشف قابضا على شعر رأسه وكان افرع وعلى شعر وجهه
يجره اليه ومعنى اني خشيت اي اني خفت ان تقول فرقت بينهم لاني لو قاتلت من كفر بمن آمن لتفرقوا
وتفانوا فانتظرتك لتكون انت المتدارك بنفسك المتلافي برأيك ولئلا تعاتبني على اطراح وصيتك
وهو معنى قوله ولم ترقب قولي اي لم تنظر كلامي ولم تحفظ وصيتي والمعنى وخشيت عتابك
على اطراح ما وصيتني به من ضم النشر وحفظ الدهماء ولم يكن لي بد من رعاية وصيتك والعمل على
موجبها ثم اقبل موسى عليه السلام على السامري فقال فما خطبك يا سامري اي ما قصتك وما طلبك
وما صنعت والخطب مصدر خطب الامر اذا طلبه فاذا قيل لمن يفعل شيئا ما خطبك فمعناه ما طلبك
له قال بصرت بما لم يبصروا به اي علمت ما لم يعلموه وفطنت ما لم يفطنوا له قال موسى وما ذاك قال

رأيت جبريل على فرس الحياة فالقي في نفسي ان اقبض من اثرها فما القيته على شيء الا صار له روح
ولحم ودم فحين رأيت قومك سألوك ان تجعل لهم الها زينت لي نفسي ذلك فقبضت قبضة من اثر
الرسول فنبذتها اي فطرحتها في جوف العجل والقبضة بالضاد المعجمة الاخذ بجميع الكف وبالصاد
المهملة باطراف الاصابع وقرأ ابن مسعود من اثر فرس الرسول وكذلك سولت لي نفسي اي سهلت
لي الامر وطاوعتني فيه فلهذا اقدمت عليه قال رضي الله عنه وانما سماه الرسول دون جبريل وروح
القدس لانه لما حل ميعاد الذهاب الى الطور ارسل الله الى موسى جبريل راكب حيزوم فرس الحياة
ليذهب به فابصره السامري فقال ان لهذا شأنا فقبض قبضة من تربة موطئه فلما سأله موسى عن قصته
قال قبضت من اثر فرس المرسل اليك يوم حلول الميعاد ولعله لم يعرف انه جبريل عليه السلام قال
له موسى فاذهب فان لك في الحياة يعني ما دمت حيا ان تقول لا مساس اي لا اخالط احدا
ولا يخالطك احد وامر موسى بني اسرائيل ان لا يخالطوه قال رضي الله عنه عوقب السامري في
الدنيا بعقوبة لا شيء اطم منها ولا اوحش وذلك انه منع من مخالطة الناس منعا كليا وحرم عليهم
ملاقاته ومكالمته ومبايعته ومواجهته وكل ما يعايش به الناس بعضهم بعضا وصار يحذر
لو مسه احد او مس هو احدا رجلا او امرأة حم الماس والممسوس فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح
لا مساس وصار بين الناس وحشيا مثل القاتل اللاجئ الى الحرم ومن الوحشي النافر في البرية ونقل ان
قومه باق فيهم ذلك الى اليوم وان لك موعدا لن تخلفه اي لن يخلفك الله موعده الذي وعدك
على الشرك والفساد في الارض ينجزه لك في الآخرة بعدما عاقبك بذلك في الدنيا فانت ممن خسر الدنيا
والآخرة ذلك هو الخسران المبين وانظر الى الهك اي معبودك الذي ظلت عليه عاكفا اي دمت
عليه مقيما تعبده وتعكف به لنحرقنه بالنار ثم لننسفنه في اليم نسفا اي لنذرينه بالرياح في البحر
وفي قراءة ابن مسعود لنذبحنه ثم لنحرقنه ولما فرغ من ذكر عقوبتيه في الدنيا والآخرة امر بالنظر
الى العجل الذي اتخذه الها يعني ان هذه عقوبة ثالثة وهي ابطال ما افتتن به وفتن به وافساد
سعيه وهدم مكره ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين قال ابن عباس حرقه الله بالنار حتى صار
رمادا ثم ذري في البحر وانما فعل ذلك ازالة للشبهة من قلوب العامة ليتبين لهم استحالة

كون الجسم الذهب ... ثم ... عبادته واخذ الاها فقال انما الهكم الله الذي لا اله الا هو وسع كل
شيء علما اي علم كل شيء بمعنى انه احاط بجميع المعلومات فلا يغيب شيء عن علمه كذلك هذا وعد من
الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم اي مثل ذلك الاقتصاص وكما قصصنا عليك قصة موسى وفرعون
نقص عليك من انباء ما قد سبق اي من اخبار الامم وقصصهم واحوالهم المعجبة تكثيرا لبيناتك
وزيادة في معجزاتك وليعتبر السامع ويزداد المستبصر في دينه بصيرة وتتأكد الحجة على من عاند
وكابر تسهيلا على هذه الاقاصيص والاخبار لحقيقته بالتفكر والاعتبار لذكر عظيم وقرآن كريم
من اعرض عنه اي هجره فلم يؤمن به ولم يعمل بما فيه فانه يحمل يوم القيمة وزرا اي حملا ثقيلا من الاثم
وقيل يريد بالوزر العقوبة الثقيلة الباهظة سماها وزرا تشبيها في ثقلها على المعاقب وصعوبة
احتمالها بالحمل الذي يفدح الحامل وينقض ظهره لان فيه النجاة والسعادة لمن اقبل عليه ومن
اعرض عنه فقد هلك وشقي خالدين فيه اي لا ينفك لهم عذرك ولا ... عنهم شيء وساء لهم يوم
القيمة حملا اي بئس ما حملوا على انفسهم من المأثم حتى كفروا بالقرآن يوم ينفخ في الصور النافخ في
الصور هو اسرافيل وقرئ ننفخ بالنون واسند النفخ الى الآمر به لان الملائكة المقربين واسرافيل منهم بالمنزلة
التي هم بها من رب العزة فصح لكرامتهم عليه وقربهم منه ان يسند ما يتولونه الى ذاته ونحشر المجرمين
يومئذ زرقا اي زرق العيون وهم سود الوجوه وقيل في الزرق قولان احدهما ان الزرقة ابغض
شيء من الوان العيون الى العرب لان الروم اعداؤهم وهم زرق العيون ولذلك قالوا في صفة العدو
اسود الكبد اصهب السبال ازرق العين والثاني ان المراد العمى لان حدقة من يذهب نور بصره
تزراق يتخافتون بينهم اي يتشاورون قال رضي الله عنه يخافتهم لما ملأ صدورهم من الرعب
والهول يقولون ان لبثتم الا عشرا اي ما اقمتم في الدنيا الا قدر عشر ليال يستقصرون مدة لبثهم
في الدنيا اما لما يعاينون من الشدائد التي تذكرهم ايام النعمة والسرور فيتأسفون عليها ويصفونها
بالقصر لان ايام السرور قصار واما لانها ذهبت عنهم وتقضت والذاهب وان طالت مدته قصير بالانتهاء
واما لاستطالتهم الآخرة وانها ابد يستقصر اليها عمر الدنيا ويتقال لبث اهلها فيها بالقياس
الى لبثهم في الآخرة والخلود فيها وقد استرجح الله قول اشدهم استقصارا للبث حيث قال نحن اعلم

بما يقولون اذ يقول امثلهم طريقة اي اصوبهم قولا ومذهبا ان لبثتم الا يوما اي ما اقمتم في الدنيا الا قدر
يوم وقيل المراد لبثهم في القبور يريدون ما بين النفختين وهو اربعون سنة يرتفع العذاب في تلك المدة
عن الكفار فيستقصرون تلك المدة اذا عاينوا اهوال يوم القيمة ويسألونك عن الجبال سألوا النبي
صلى الله عليه وسلم عن حال الجبال والارض يوم القيمة فقل ينسفها ربي نسفا اي يجعلها كالرمل ثم يرسل
عليها الرياح فتفرقها كما يذرى الطعام فيذرها اي فيذر مقارها ومراكزها قاعا صفصفا
اي مكانا مستويا مبسوطا منبسطا لا ترى فيها عوجا ولا امتا العوج الاعوجاج والامت
النتوء اليسير قال رضي الله عنه وقد فرقوا بين العوج والعوج فقالوا العوج بالكسر في المعاني
والعوج بالفتح في الاعيان والارض عين فكيف صح فيها المكسور العين واجاب بان لاختيار هذا
اللفظ موقعا حسنا بديعا في وصف الارض بالاستواء والملاسة ونفي الاعوجاج عنها على ابلغ
ما يكون وذلك انك لو عمدت الى قطعة ارض فسويتها وبالغت في التسوية على عينك وعيون
البصراء من الفلاحة واتفقتم على انه لم يبق فيها اعوجاج قط ثم استطلعت رأي المهندس فيها
وامرته ان يعرض استواءها على المقاييس الهندسية لعثر فيها على عوج في غير موضع لا يدرك
ذلك بحاسة البصر ولكن بالقياس الهندسي فنفى الله عز وجل ذلك العوج الذي دق
ولطف عن الادراك الا بالقياس الذي يعرفه صاحب التقدير والهندسة وذلك الاعوجاج لما
لم يدرك الا بالقياس دون الاحساس لحق بالمعاني فقيل فيه عوج بالكسر يومئذ اي يوم ينسف
الجبال وهو يوم القيمة يتبعون الداعي يعني الداعي الى المحشر قالوا هو اسرافيل قائما على صخرة
بيت المقدس يدعو الناس فيقبلون من كل اوب الى صوته لا يعدلون عنه لا عوج له اي لا يعوج
له مدعو بل يستوون اليه من غير انحراف متبعين لصوته وخشعت الاصوات للرحمن اي
خفضت الاصوات من شدة الفزع وخفتت فلا تسمع الا همسا الهمس الصوت الخفي وقيل
هو من همس الابل وهو صوت اخفافها اذا مشت اي لا تسمع الا خفق الاقدام ونقلها الى المحشر
يومئذ اي يوم القيمة لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن اي لا تنفع الشفاعة الا
شفاعة من اذن له الرحمن او لا تنفع الشفاعة احدا الا من اذن له الرحمن في ان يشفع له

وهم المسلمون الذين رضي الله تعالى قولهم لانهم قالوا لا اله الا الله محمد رسول الله وهذا معنى قوله تعالى
ورضي له قولا ومعنى اذن له ورضي له لاجله اي اذن للشافع ورضي قوله لاجله اي لاجل
المشفوع واستحقاقه ان يشفع له يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم اي ما تقدمهم من الاحوال
وما يستقبلونه ولا يحيطون به علما اي ولا يحيط علمهم بمعلوماته وعنت الوجوه اي ذلت والمراد
وجوه العصاة وانهم اذا عاينوا يوم القيمة الشقوة وسوء الحساب صارت وجوههم عانية اي ذليلة خاشعة
مثل وجوه العناة وهم الاسارى للحي القيوم اي للباقي الدائم الذي لا يجوز عليه الفناء وقد خاب
اي خسر فلم يظفر من حمل ظلما اي من ظلم تحمل عقاب الظلم ومن يعمل من الصالحات وهي الطاعات
الصالحة المرضية وهو مؤمن اي مستقيم ثابت في حال العمل لان محبط العمل بكفر او فسق لا
يعتد بعمله فلا يخاف ظلما ولا هضما الظلم ان يأخذ من صاحبه فوق حقه والهضم ان يكسر
من حق اخيه فلا يوفيه له كصفة المطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم
او وزنوهم يخسرون اي فلا يخاف جزاء الظلم ولا الهضم لانه لم يظلم ولم يهضم وكذلك هذا عطف
على كذلك نقص اي ومثل ذلك الانزال وكما انزلنا عليك هؤلاء الآيات المضمنة للوعيد انزلناه قرانا
عربيا وصرفنا فيه من الوعيد اي انزلنا القران كله على هذه الطريقة مكررين فيه الوعيد ومعنى
صرفنا كررنا فيه الوعيد لعلهم يتقون اي لكي يكونوا بحيث يراد منهم ترك المعاصي او فعل الخير
والطاعة او يحدث لهم ذكرا اي طاعة وعبادة لانها تنمو التدبر والذكر والمراد القران
فتعالى الله الملك الحق اي ارتفع وتعاظم عن صفات المخلوقين [illegible] والمحدثات وهذا استعظام
له تعالى ولما يصرف عليه عباده من اوامره ونواهيه ووعده ووعيده والادارة بين ثوابه وعقابه
على حسب اعمالهم وغير ذلك مما يجري عليه امر مملكته ولا تعجل بالقران كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا انزل جبريل
بالوحي يبادر بقراءته مع جبريل مخافة النسيان فانزل الله تعالى ولا تعجل بالقران اي بقراءته من قبل
ان يقضى اليك وحيه اي من قبل ان يفرغ جبريل مما يريده من التلاوة قال رضي الله عنه لما ذكر
الله تعالى القران وانزاله قال على سبيل الاستطراد واذا القى جبريل ما يوحى اليك من القران فتأن
عليه ريثما يسمعك ويفهمك ثم اقبل عليه بالتحفظ بعد ذلك ولا تكن قراءتك مساوقة لقراءته وقيل

معناه لا تبلغ منه ما كان مجملا منه حتى يأتيك البيان وقل رب زدني علما هذا قول متضمن للتواضع لله
والشكر له عندما علم من ترتيب التعلم اي علمني يا رب لطيفة في باب التعلم وادبا جميلا ما كان
عندي فزدني علما الى علم فان لك في كل شيء حكمة وعلما وقيل ما امر الله رسوله بطلب الزيادة في شيء الا في
العلم ولقد عهدنا الى آدم من قبل يقال في اوامر الملوك ووصاياهم تقدم الملك الى فلان واوعز اليه
وعهد اليه فمعنى عهدنا الى ادم امرناه قال رضي الله عنه عطف الله سبحانه قصة ادم على قوله
وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون والمعنى واقسم قسما لقد امرنا اباهم ادم ووصيناه ان لا يقرب الشجرة وتوعدناه
بالدخول في جملة الظالمين ان قربها وذلك من قبل وجودهم ومن قبل ان نتوعدهم فخالف الى ما نهي عنه
مثل مخالفتهم ولم يلتفت الى الوعيد كما لا يلتفتون كانه يقول ان اساس بني ادم على المخالفة من عهد ابائه
بالوعيد ويكر على قلبه وعزمه راسخ فيه فنسي يجوز ان يراد بالنسيان الذي هو نقيض الذكر وانه لم
يعتن بالوصية العناية الصادقة ولم يستوثق منها بعقد القلب عليها وضبط النفس حتى تولد منه
النسيان ويجوز ان يراد الترك وانه ترك ما وصي به من الاحتراز عن الشجرة والاكل من ثمرتها وقرئ فنسي
اي نساه الشيطان ولم نجد له عزما الوجود يجوز ان يكون بمعنى العلم اي لم نعلم له عزما العزيمة لانه
لو وجد العزم لعلمه تعالى ويجوز ان يكون نقيض العدم كانه قال وعدمنا له عزما والعزم هو التصميم والمضي
على ترك الاكل والمعنى انه لم يتصلب في ذلك تصلبا يؤيس الشيطان من التسويل له
واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا اي اذكر وقت قلنا للملائكة والمعنى اذكر وقت ما جرى على ادم من معاداة ابليس ووسوسته
اليه وتزيينه له الاكل من الشجرة وطاعته له بعد ما تقدمت معه النصيحة والموعظة البليغة
والتحذير من كيده حتى يتبين لك انه لم يكن من اولي العزم والثبات الا ابليس ابى اي كره السجود وامتنع منه
تكبرا او معناه اظهر الاباء وتوقف وتثبط قال رضي الله عنه ابليس كان جنيا بدليل قوله كان من الجن
وانما تناوله الامر وهو للملائكة خاصة لانه كان في صحبتهم وكان يعبد الله تعالى عبادتهم فلما امروا
بالسجود لادم والتواضع له كرامة له كان الجني الذي معهم احق بان يتواضع كالقيام لمقبل على مجلس
كرام اهله ورؤساؤهم كان القيام على واحد منهم هو دونهم في المنزلة اوجب حتى انه ان لم يقم عنف وقيل
له قد قام فلان وفلان فمن انت حتى تترفع عن القيام وصح استثناؤه عن الملائكة وهو جني على حكم

التغليب في اطلاق اسم الملائكة عليهم وعليه فاخرج الاستثنا على ذلك كقولك خرجوا الا فلانه لامراه بين
الرجال فقلنا يا ادم ان هذا يعني ابليس عدو لك ولزوجك يعني حوا فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى
اي فلا يكونن سببا لاخراجكما قال رضي الله عنه وانما اسند فعل الشقا الى ادم وحده دون حوا
بعد اشتراكهما في الخروج لان في شقا الرجل وهو قيم اهله واميرهم شقاهم كما ان في سعادته سعادتهم
فاختصر الكلام باسناد الشقا اليه دونها مع المحافظة على الفاصلة او اريد بالشقا التعب في طلب
القوت وذلك معصوب براس الرجل وراجع اليه وروي انه اهبط الى ادم صلى الله عليه وسلم ثور
احمر فكان يحرث عليه ويمسح العرق من جبينه ولما كان كفاف الانسان يدور على الشبع والري
والكسوة والكن وعد الله تعالى ادم فقال ان لك الا تجوع فيها اي في الجنة ولا تعرى وانك لا تظما
فيها اي لا تعطش ولا تضحى اي لا تبرز للشمس فيوذيك حرها قال رضي الله عنه الشبع والري والكسوة
والكن هي الاقطاب التي يدور عليها كفاف الانسان وذكر الله تعالى اجتماعها لادم في الجنة وانه
مكفي لا يحتاج الى كفاية كاف ولا الى كسب كاسب كما يحتاج الى ذلك اهل الدنيا وذكرها بلفظ
النفي لنقايضها التي هي الجوع والعري والظما والضحو ليطرق سمعه باسامي اصناف الشقوة التي
حذره منها ليتحامى السبب الموقع فيها كراهة لها وفي تفسير الثعلبي لما اهبط ادم من الجنة كان
من اول الشقاوة ان جبريل عليه السلم انزل عليه حبات من الجنة فقال يا ادم ازرع هذا فحرث وزرع ثم
ثم داس ثم نقى ثم طحن ثم عجن ثم خبز ثم جلس لياكل بعد التعب العظيم فتدحرج رغيفه من يده حتى
صار في اسفل الجبل وجرى وراه ادم حتى تعب وعرق جبينه فقيل يا ادم كذلك رزقك بالتعب
والشقا ورزق ولدك من بعدك ما دمتم في الدنيا فوسوس اليه الشيطان الوسوسة هي الصوت
الخفي وقد عدي وسوس تارة باللام في قوله فوسوس لهما ومرة بالى فاذا قلت وسوس له فمعناه لاجله
ومعنى وسوس اليه انهى اليه الوسوسة قال يا ادم هل ادلك على شجرة الخلد اضاف الشجرة
الى الخلد وهو الخلود لان من اكل منها خلد بزعمه كما قيل لحيزوم فرس الحيوة لان من باشر
اثره حيي وملك لا يبلى اي وملك مشترك لا يزال جديدا ثابتا وفي هذا دليل على قراءة الحسن بن علي عليهما السلم
وابن عباس الا ان تكونا ملكين بالكسر فاكلا منها فبدت لهما سواتهما اي ظهرت عند ذلك عوراتهما

وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة اي شرعا يلزقان الورق الورق على سواتهما للتستر
عما كما يلزق النعل بان تخصف فيجعل بعض طرفيها فوق بعض ثم يوثق بالسيور والمراد بالورق ورق
التين قيل كان مدورا فصار على هذا الشكل من تحت اصابعهما وكان لباسهما الظفر فلما اصابا الخطيئة
نزع عنهما وتركت هذه البقايا في اطراف الاصابع وعصى ادم ربه فغوى اي اخطا ولم يسل ربه ان
مما اكل ولم يرشد قال رضي الله عنه لا شبهة في ان ادم صلى الله عليه وسلم لم يمتثل ما رسم الله تعالى له ويتخطى
فيه ساحة الطاعة وذلك هو العصيان ولما عصى خرج فعله من ان يكون رشدا وخيرا فكان غيا
لا محالة لان الغي خلاف الرشد ولكن قوله وعصى ادم ربه فغوى بهذا التصريح ولم يقل وزل ادم واخطا
وما اشبه ذلك مما يعبر به عن الزلات والفرطات فيه لطف بالمكلفين ومزجرة بليغة وموعظة
كافة فكانه قيل انظروا واعتبروا كيف نعيت على النبي المعصوم حبيب الله الذي لا يجوز عليه الا الصغيرة
غير المنفرة زلته بهذه الغلظة وبهذا اللفظ الشنيع فلا تتهاونوا بما يفرط منكم من السيئات والصغائر
فضلا ان تجسروا على التورط في الكبائر وفي الحديث اياكم ومحقرات الذنوب فان لها من الله طالبا
ثم اجتباه ربه اي ثم قبله بعد التوبة وقربه اليه فتاب عليه وهدى اي وفقه لحفظ التوبة
وغيره من اسباب العصمة والتقوى قال اهبطا منها اي انزلا من الجنة جميعا اي مجتمعين في
حال الهبوط بعضكم لبعض عدو يريد ما يوقع بسبب الشيطان من العداوة والبغضاء والتقاتل
والتحارب وتضليل بعض الفرق لبعض في الدين لانه اذا اثر وسوسته فيمن هو من اهل العصمة مع
التحذير البليغ ونحوه في السما التي هي مسكن العباد والطاعة فما ظنك في الارض مع اهلها اولى
واحق لانها مسكن العصاة ومن ليس بمعصوم فاما ياتينكم مني هدى اي كتاب وشريعة قال
رضي الله عنه ولما كان ادم وحوا عليهما السلم اصلي البشر والسببين اللذين منهما نشاوا وتفرعوا
جعلا كانهما البشر في انفسهما فخوطبا مخاطبتهم فقيل فاما ياتينكم على لفظ الجماعة فمن اتبع هداي
فلا يضل ولا يشقى قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه ضمن الله تعالى لمن اتبع القران ان لا يضل في الدنيا ولا يشقى
في الاخرة وتلا هذه الاية والمعنى ان الشقا في الاخرة هو عقاب من ضل في الدنيا عن طريق الدين
فمن اتبع كتاب الله عز وجل وامتثل اوامره وانتهى عن نواهيه نجا من الضلال ومن عقابه

ومن

اعرض عن ذكري اي عن كتابي الذي فيه هداي وذكر ثوابي وعقابي فلم يتبعه فان له معيشة ضنكا
اي ضيقة ضيقه والضنك الضيق والمعنى ان مع الدين القناعة والتوكل على الله وعلى قسمته
فصاحب الدين ينفق ما رزقه بسماح وسهولة فيعيش عيشا واسعا طيبا بخلاف الذي هو فيها
كما قال تعالى فلنحيينه حيوة طيبة والمعرض عن الدين مستول عليه الحرص الذي لا يزال يطمح به الى
الازدياد من الدنيا مسلط عليه الشح الذي يقبض يده عن الانفاق فعيشه ضنك وحاله مظلمة
كما قال بعض المتصوفة لا يعرض احد عن ذكر ربه الا اظلم عليه وقته وتشوش عليه رزقه قال
رضي الله عنه ومن الكفرة من ضرب الله عليه الذلة والمسكنة لكفره قال الله تعالى وضربت عليهم الذلة
والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله وقال ولو انهم اقاموا التوراة
والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقال ولو ان اهل القرى امنوا
واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض وقال استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء
عليكم مدرارا وقال وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا ونحشره يوم القيمة
اعمى اي لا يبصر ما لا يريد به عينه او اعمى حقيقة لا يبصر شيئا الا النار وهذا مثل قوله ونحشرهم يوم القيمة
عميا وبكما وصما قال رب لم حشرتني اي لاي سبب حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا اي مبصرا في الدنيا
قال كذلك اتتك اياتنا فنسيتها اي مثل ذلك فعلت انت ثم فسر بان اياتنا اتتك واضحة مستنيرة
فلم تنظر اليها بعين المعتبر ولم تبصر وتركتها وعميت عنها وكذلك اليوم تنسى اي نتركك على عماك ولا
نزيل غطاءه عن عينيك وفي الحديث عنه صلى الله عليه عرضت علي ذنوب امتي فلم ار اعظم من اية اوتيها
رجل ثم نسيها وعنه صلى الله عليه عرضت علي مساوي امتي فلم ار شيئا اعظم من رجل تعلم سورة ثم
نسيها وعنه صلى الله عليه من تعلم القران ثم نسيه لقي الله اجذم اي مقطوع اليد وكذلك اي ومثل
ذلك الجزاء نجزي من اسرف اي من زاد في الضلال والمعاصي واعرض عن الهدى والطاعة ولم يؤمن
بايات ربه اي لم يصدق بها ولم يعمل قال رضي الله عنه ولما توعد الله المعرض عن ذكره بعقوبتين
المعيشة الضنك في الدنيا وحشره اعمى في الاخرة ختم ايات الوعيد بقوله ولعذاب الاخرة اشد
وابقى كانه قال وللحشر على العمى الذي لا يزول ابدا اشد من ضيق العيش المنقضي او اراد ولتركنا اياه في

العمى اشد وابقى من تركه لاياتنا والظاهر ان المراد به انهم يعمون العمى الحقيقي وقد ثبت انهم يبصرون
ما في صحايفهم فيكون المراد به انهم يعمون من بعد ان يساقون من الموقف الى النار اجارنا الله منها
افلم يهد لهم اي افلم يبين لهم بيانا يهتدون به كم اهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم
انكار على قريش في اعراضهم عن الذكر وتقديره اعموا عن النظر فلم يهد لهم هذا الكلام وهو
قوله كم اهلكنا الى قوله مساكنهم وذلك ان قريشا كانوا ينقلبون في بلاد عاد وثمود ويمشون
في مساكنهم ويعاينون اثار هلاكهم الذي اصابهم بسبب اعراضهم عن الحق ان في ذلك الذي شاهدوه
من اثارهم لايات لاولي النهى اي لعبرا ودلايل لذوي العقول الصحيحة اي لا لمن اغفل قلبه
عن ذكرنا النظر والاعتبار فانه مكابر عقله ولولا كلمة سبقت من ربك اي سبق كتبها
في اللوح المحفوظ وهي العدة بتاخير جزاءهم الى اليوم القيمة لكان لزاما اي لولا هذه العدة لكان
مثل اهلاكنا عادا وثمودا لازما لهؤلاء الكفرة واجل مسمى اي ولولا الاخذ العاجل واجل مسمى
لازما لهم كما كانا لازمين لعاد وثمود ولم ينفرد الاجل المسمى دون الاخذ العاجل والمراد بالاجل
الموت ويوم القيمة المعلوم وقته فاصبر على ما يقولون من تكذيبك وتكذيب ما ارسلت به وسبح بحمد
ربك هذا اذن لحاله التي امر بالثبوت عليها عند التسبيح اي فسبح وانت حامد لربك على ان وفقك
للتسبيح واعانك عليه والمراد بالتسبيح الصلاة او على ظاهره فقدم الفعل على الاوقات اولا
والاوقات على الفعل اخرا فكانه قال صل لله قبل طلوع الشمس يعني الفجر وقبل غروبها يعني
الظهر والعصر لانهما واقعتان في النصف الاخير من النهار من زوال الشمس وغروبها ومن اناء
الليل اناء الليل ساعاته اي ومن ساعات الليل فسبح اي فصل المغرب والعشاء الاخرة واطراف
النهار اي وتعمد اناء الليل واطراف النهار مختصا لها بصلاتك ولهذا افضل الذكر ما كان بالليل
لاجتماع القلب وهدو الرجل والخلو بالرب تعالى وقال الله عز وجل ان ناشية الليل هي اشد وطا
واقوم قيلا اي ان النفس الناشئة بالليل للعبادة اشد مواطاة يواطي فيها القلب اللسان
ولان الليل وقت السكون والراحة فاذا صرف الى العبادة كانت على النفس اشد واشق وللبدن
اتعب وانصب فكانت ادخل في معنى التكلف وافضل عند الله وقد يتناول التسبيح في اناء الليل صلاة

متعلق بقوله لكان لزاما

العتمة وفي اطراف النهار صلاة المغرب وصلاة الفجر على التكرار ارادة الاختصاص قال
رضي الله عنه وليس للنهار الا طرفان كما قال اقم الصلاة طرفي النهار ولكنه جمع هاهنا للقلب لدلالة
ولامن الالباس وقرئ واطراف النهار بالجر عطفا على اناء الليل لعلك ترضى لعل للرجى والرجى
هاهنا للمخاطب اي اذكر الله في هذه الاوقات طمعا ورجاء ان تنال عند الله ما به ترضى نفسك
ويسر قلبك وقرئ ترضى اي يرضيك ربك ولا تمدن عينيك اي لا تمدن يا مخاطب عينيك ومد النظر تطويله
وان لا يكاد يرده استحسانا للمنظور اليه واعجابا به وتمنيا ان يكون له فهو اصول النظر المنهي عنه
كما فعل نظارة قارون حين قالوا يا ليت لنا مثلها اوتي قارون انه لذو حظ عظيم حتى زجرهم الذين
اوتوا العلم والايمان بقولهم ويلكم ثواب الله خير لمن امن وعمل صالحا وفي الاية دليل على ان النظر
غير الممدود معفو عنه وذلك مثل نظر من باده الشيء بالنظر ثم غض الطرف قال رضي الله عنه
ولما كان النظر الى الزخارف الدنيوية كالمركوز في الطباع وان من ابصر منها شيئا احب ان يمد
اليه نظره ويملأ منه عينيه قيل ولا تمدن عينيك اي لا تفعل ما انت معتاد له وضار به ولقد
شدد العلماء من اهل التقوى في وجوب غض البصر عن ابنية الظلمة وعدد الفسقة في اللباس
والمراكب وغير ذلك لانهم انما اتخذوا هذه الاشياء الا للافتخار بها في عيون النظار فالناظر
اليها محصل لغرضهم وكالمغري لهم على اتخاذها الى ما متعنا به اي الى ما متعنا به ازواجا منهم
اي اصنافا من الكفرة زهرة الحيوة الدنيا اي ذوي زهرة الحيوة على انه وصف للازواج بانهم
اصحاب زهرة والمراد بالزهرة ما متعوا ونهى عن النظر اليه وتقديره اذم زهرة الحيوة الدنيا
الحقيقية الزايلة وقرئ زهرة بفتح الهاء ومعنى القرائتين واحد وهو زينة الحيوة الدنيا وبهجتها
قال رضي الله عنه ويجوز ان يكون زهرة بفتح الهاء جمع زاهر وصفا لهم بانهم زاهرو هذه
الحيوة الدنيا لصفا الوانهم مما يلهون ويتنعمون وتهلل وجوههم وحسن زيهم وشارتهم خلاف
ما عليه المؤمنون والصلحاء من شحوب الالوان والتقشف في الثياب لنفتنهم فيه اي لنبلوهم
فيما متعناهم به حتى يستوجبوا العذاب لوجود الكفران منهم وعدم الشكر او لنعذبهم في
الاخرة بسببه ورزق ربك اي ما ادخر لك من ثواب الاخرة خير مما متعوا به وابقى اي ادوم

أو اراد ورزق ربك الذي هو نعمة الاسلام والنبوة خير مما متعوا به لان العاقبة للمتقين او
اراد برزق ربك ما رزقه المؤمنين من الحلال لان الغالب على اموالهم انها غصب وحرام من بعض الوجوه
والحلال خير وابقى والحرام لا يسمى رزقا اصلا لان الله لا يسند الى نفسه الا ما حل وطاب دون
ما حرم وخبث وعن عبد الله بن قسيط عن رافع انه قال بعثني رسول الله صلى الله عليه الى يهودي
وقال قل له يقول لك رسول الله اقرضني الى رجب فقال والله لا اقرضه الا برهن فقال رسول الله
صلى الله عليه اني لامين في السماء واني لامين في الارض احمل اليه درعي الحديد فنزلت ولا تمدن عينيك
وأمر اهلك بالصلوة واصطبر عليها اي واقبل انت مع اهلك على عبادة الله والصلوة و
استعينوا بها على خصاصتكم وحوائجكم لا نسألك رزقا نحن نرزقك اي لا تهتم بامر
الرزق والمعيشة فان رزقك مكفي من عندنا ونحن رازقوك فلا نسألك ان ترزق نفسك
ولا اهلك ففرغ بالك لامر الاخرة وفي معناه قول الناس من كان في عمل الله كان الله في عمله
وعن عروة بن الزبير انه كان اذا راى ما عند السلاطين قرأ ولا تمدن عينيك الى اخرها ثم ينادي
الصلوة الصلوة رحمكم الله وعن بكر بن عبد الله المزني كان اذا اصاب اهله خصاصة قال قوموا
فصلوا بهذا امر الله رسوله صلى الله عليه ثم يتلو هذه الاية والعاقبة للتقوى اي والعاقبة
المحمودة وهي الجنة لاهل التقوى يعني لك ولمن صدقك وهذا اخر الاية المتعلقة لرسول الله صلى الله عليه
من كلام اليهودي وطلبه للرهن وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه اي وقال المشركون من قريش
هلا ياتينا محمد بمعجزة من ربه تدل على صدقه فقال الله تعالى ردا عليهم اولم تأتهم بينة ما في
الصحف الاولى قال رضي الله عنه اقترحوا على عادتهم في التعنت اية على النبوة غير معتدين
بما انزل عليه من الايات العظام فقيل لهم اولم تأتكم اية هي ام الايات واعظمها في باب الاعجاز يعني
القران وحقيقته ما في الصحف الاولى اي دليل ما في الكتب المنزلة المتقدمة وبرهان
ما فيها لانه معجز وتلك ليست بمعجزات فهي مفتقرة الى شهادة الحجة ولو انا اهلكناهم
بعذاب من قبله اي من قبل البينة وهو القران وذكر الضمير الراجع الى البينة لانها في معنى البرهان
والدليل لقالوا اي لتعللوا يوم القيمة وقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا لو فقنا عن سنته

الغفلة ونهدينا بما اوحي اليه من الحق والبرهان فنتبع اياتك التي ارسلته الينا بها من قبل ان
نذل بالعذاب ونخزى بالمعصية غدا وبين الجهاد وقرئ نذل ونخزى بضم النون وفتح الذال والزاي
كل متربص اي قل يا محمد للكفار كل احد منا ومنكم متربص اي منتظر للعاقبة ولما يؤول اليه
امرنا وامركم فتربصوا اي فانتظروا وانتم عاقبتكم فستعلمون في الاخرة من اصحاب الصراط السوي
اي من اصحاب الطريق المستوي الثابت على الحق الذي هو طريق النجاة وقرئ السوى الوسط
والجيد ومن اهتدى من الضلالة انحن ام انتم وقرئ فتمتعوا فسوف تعلمون مكان فتربصوا
قال ابو رافع حفظته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعناه على هذه القراءة التخلية والوعيد بالعذاب الشديد

سورة الانبيا عليهم السلام مكية وهي مائة واثنا عشر اية

بسم الله الرحمن الرحيم اقترب للناس حسابهم
المراد اقتراب الساعة لانها اذا اقتربت فقد اقترب ما يكون فيها من الحساب والثواب والعقاب
وغير ذلك والمراد اقتراب ذلك عند الله لان المبعث وان طالت بعد الدهور وبعدت فهي عند الله
قصيرة قريبة بدليل قوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب وان يوما عند ربك كالف سنة مما
تعدون ولان كل ات وان طالت اوقات استقباله وترقبه قريب وانما البعيد هو الذي وجد وانقرض
ولان ما بقي من الدنيا اقصر واقل مما سلف منها بدليل انبعاث خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم
النبي الموعود بعثه في اخر الزمان وقال عليه السلام بعثت في نسم الساعة اي في ابتدا اولها
وفي خطبة بعض المتقدمين ولت الدنيا حذاء ولم يبق الا صبابة كصبابة الاناء واذا كانت بقية
الشيء وان كثرت في نفسها قليلة بالاضافة الى معظمه كانت خليقة بان توصف بالقلة وقصر الذرع
والمراد بالناس المشركون من اهل مكة وهم في غفلة معرضون وصفهم بالغفلة مع الاعراض
على معنى انهم غافلون عن حسابهم ساهون لا يتفكرون في عاقبتهم ولا يتفطنون لما ترجع اليه خاتمة
امرهم مع اقتضا عقولهم انه لا بد من جزا للمحسن والمسيء واذا قرعت لهم العصا ونبهوا عن سنة
الغفلة وفطنوا لذلك بما يتلى عليهم من الايات والنذر اعرضوا وسدوا اسماعهم ونفروا ما ياتيهم
من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم قال رضي الله عنه قرر

اعراضهم عن تنبيه المنبه وايقاظ الموقظ بان الله يجدد لهم الذكر وقتا فوقتا ويحدث لهم
الاية بعد الاية والسورة بعد السورة ليكرر على اسماعهم التنبيه والموعظة لعلهم يتعظون
فما يزيدهم استماع الاي والسور وما فيها من فنون المواعظ والبصائر التي هي احق الحق
واجد الجد الا لعبا وتلهيا واستسخارا والذكر هو الطائفة النازلة من القران
ذكر اي موعظة ومعنى محدث وليس بقديم بل احدثه الله تعالى ونزله بحسب المصالح وكان
يحدثه لهم مرة بعد مرة فلا يتعظون ولا ينتبهون وقوله وهم يلعبون لاهية قلوبهم بيان لحالهم عند
الاستماع واللاهية من لهى عنه اذا ذهل وغفل يعني انهم وان فطنوا فهم في قلة جدوى فطنتهم كانهم
لم يفطنوا اصلا وثبتوا على راس غفلتهم وذهولهم عن التامل والتبصر بقلوبهم واسروا النجوى
الذين ظلموا يعني المشركين والذين ظلموا بدل من واو اسروا اي بيان لهم وفائدته الاعلام بانهم
الموسومون بالظلم الفاحش فيما اسروا به او جاء على لغة من قال اكلوني البراغيث والنجوى
اسم التناجي والتناجي لا يكون الا خفية فمعنى اسرار النجوى المبالغة في اخفائها كانهم
الخفية بحيث لا يعلم احد تناجيهم ولا يعلم انهم متناجون وقوله هل هذا الى قوله تبصرون
الامر النجوى وتفسير لها وتعريض قالوا هل هذا الا بشر مثلكم عنوا رسول الله صلى الله عليه
اعتقدوا ان رسول الله لا يكون الا ملكا وان كل من ادعى الرسالة من البشر وجاء بالمعجزة فهو ساحر
ومعجزته سحر فلذلك قالوا على سبيل الانكار افتاتون السحر وانتم تبصرون اي افتحضرون
السحر وانتم تشاهدون وتعاينون انه سحر قال رضي الله عنه وانما اسروا هذا الحديث وبالغوا
في اخفائه لانه شبه التشاور فيما بينهم والتحاور في طلب الطريق الى هدم امره وعمل المنصوبة في
التثبط عنه وعادة المتشاورين في امر ان لا يشركوا اعداءهم في شوراهم ويجاهدوا في طي سرهم
عنهم ما امكن واستطيع ومنه ما يرفع الى النبي صلى الله عليه وسلم استعينوا على حوائجكم بالكتمان ويجوز
ان يكون السبب في اسرار النجوى ان يقولوا للرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ان كان ما تدعونه حقا
فاخبرونا بما اسررنا ولهذا قال قل لهم يا محمد ربي يعلم القول في السماء والارض فهو يعلم سرهم
وما اسروه قال رضي الله عنه ولم يقل يعلم السر لقوله واسروا النجوى لان القول عام يشمل

السر والجهر فكان في العلم به العلم بالسر وزيادة فكان آكد في بيان الاطلاع على نجواهم من ان يقول
يعلم السر كما ان قوله يعلم السر آكد من ان يقول يعلم سرهم والمعنى انه يعلم جميع ما يقال في السموات
والارض من سر وجهر وهو السميع العليم من ذلك وبانه السميع العالم لذاته فكيف يخفى
عليه خافية من نجواهم او غيرها قال رضي الله عنه وقد ترك هذا الآكد في سورة الفرقان
حيث قال تعالى قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض لانه ليس بواجب ان يجيء بالآكد
في كل موضع ولكن يجيء بالوكيد تارة وبالآكد اخرى كما يجيء بالحسن في موضع وبالاحسن في غيره
ليفتن الكلام افتنانا ويجمع الغاية وما دونها على ان اسلوب تلك الآية خلاف اسلوب
هذه الآية لانه قدم هاهنا انهم اسروا النجوى فكانه اراد ان يقول ان ربي يعلم ما اسروا
فوضع القول موضع ذاك للمبالغة وفي الفرقان قصد وصف ذاته بان انزله الذي يعلم السر
في السموات والارض فهو كقوله علام الغيوب بل قالوا اضغاث احلام بل افتراه بل هو شاعر
بل جعلها الاضراب اضربوا عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط منامات رآها في النوم ثم الى
انه كلام مفترى من عنده اي يكذب على الله ثم الى انه قول شاعر قال رضي الله عنه وهكذا
الباطل لجلج والمبطل متحير رجاع غير ثابت على قول واحد ويجوز ان يكون هذا الاضراب
من الله تعالى لاقوالهم في درج الفساد وان قولهم الثاني افسد من الاول والثالث افسد من الثاني
وكذلك الرابع من الثالث فليأتنا بآية لم يعتدوا بآياته العظام فطلبوا الآية تعنتا منهم
ومعنى كما ارسل الاولون اي كما اتى الاولون من الانبياء بالآيات لان ارسال الرسل متضمن
للاتيان بالآيات ثم قال ما آمنت قبلهم من قرية اهلكناها اي ما آمن قبلهم من اهل قرية اهلكناهم
يعني الذين اقترحوا على انبيائهم المعجزات وعهدوا انهم يؤمنون افهم يؤمنون يعني انهم اعتى من اولئك ولو
اعطيناهم ما يقترحون من الآيات تعنتا لكانوا انكث وما ارسلنا قبلك الا رجالا
نوحي اليهم فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون امرهم ان يستعلموا اهل الذكر حتى يعلموهم ان
الرسل الموحى اليهم كانوا بشرا لا ملائكة واهل الذكر علماء الكتاب الذي فيه ذكر الله ودين
ما يفرق بين الحق والباطل وانما امرهم بسؤالهم واحالهم عليهم لانهم كانوا ايضا يعينون المشركين

احلام اي تخاليط ... النائم

اللجلج الملتبس الذي يتردد ...

في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يكاد يتهمون في تصديق بقصة صلى الله عليه وسلم في انهم بشر وما جعلناهم جسدا اي
لدنا انه لحم ودم لا يأكلون الطعام معناه وما جعلنا الانبياء قبله ذوي جسد غير طاعمين ووحد الجسد
لانه اراد الجنس كانه قال وما جعلناهم ذوي ضرب من الاجساد وهذا رد لقولهم ما لهذا الرسول يأكل
الطعام لانهم انكروا ان يكون الرسول بشرا يأكل ويشرب وما كانوا خالدين يحتمل ان يقولوا انه بشر مثلنا
يعيش كما نعيش ويموت كما نموت او يقولوا هلا كان ملكا لا يطعم ويخلد اما معتقدين ان الملائكة لا يموتون
او مسمين حياتهم المتطاولة وبقاءهم الممتد خلودا فرد قولهم اي وما كان الرسل خالدين كما زعمتم ثم صدقناهم الوعد
اي في الوعد والمعنى ثم صدقنا الرسل فيما وعدناهم من انجائهم واهلاك عدوهم فانجيناهم ومن نشاء
هم المؤمنون ومن في بقائه مصلحة واهلكنا المسرفين اي المفرطين في الكفر والمعاصي يعني
انهم المكذبين والمعاندين لهم لقد انزلنا اليكم كتابا وهو القرآن فيه ذكركم اي شرفكم وصيتكم
كما قال وانه لذكر لك ولقومك او فيه موعظتكم التي تذكركم ما لا حرج او فيه مكارم الاخلاق التي كنتم تطلبون
بها الثناء وحسن الذكر كحسن الجوار والوفاء بالعهد وصدق الحديث واداء الامانة والسخاء وما
اشبه ذلك ثم انكر عليهم بقوله افلا تعقلون لغفلتكم انكم معرضون عنه فلا تعقلون اي كانكم لا عقول
لكم لان العاقل لا يعرض عن مصالحه وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة معنى كم التكثير وهذه
الآية واردة عن غضب شديد ومنادية على سخط عظيم لان القصم افظع الكسر وهو الكسر الذي
يبين تلاؤم الاجزاء بخلاف الفصم واراد بالقرية اهلها ولذلك وصفها بالظلم وقال قوما آخرين
لان المعنى اهلكنا قوما آخرين وعن ابن عباس انها حضور وحضور وسحول قريتان باليمن ينسب
اليهما الثياب وفي الحديث كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثوبين سحوليين وروى حضوريين بعث الله اليهم
نبيا فقتلوه فسلط الله عليهم بخت نصر كما سلطه على اهل بيت المقدس فاستأصلهم وروي ان الله لما اخذتهم
السيوف ونادى مناد من السماء يا لثارات الانبياء ندموا واعترفوا بالخطأ وذلك حين لم ينفعهم الندم
وظاهر الآية على الكثرة ولعل ابن عباس ذكر حضور بانها احدى القرى التي ارادها الله بهذه الآية
فلما احسوا بأسنا اي فلما علموا شدة عذابنا وبطشنا علم حس ومشاهدة لم يشكوا فيها اذا
هم منها يركضون الركض ضرب الدابة بالرجل فيجوز ان يركبوا دوابهم يركضونها هاربين منهزمين

وانشانا بعدها قوما آخرين

كهنش
الراكض

من قريتهم لما ادركتهم مقدمة العذاب ويجوز ان يشبهوا في سرعة عدوهم على ارجلهم بالراكضين
لدوابهم لا تركضوا اي فقيل لهم لا تركضوا والقايل لهم يحتمل ان يكون بعض الملائكة او بعض من ثم
من المؤمنين او هم احقاء بان يقال لهم ذلك وان لم يقل او يقوله رب العزة ويسمعه ملائكته لينفعهم في
دينهم او يلهمهم ذلك فيحدثوا به نفوسهم وارجعوا الى ما اترفتم فيه من العيش الرافه والحال
الناعمة والاتراف ابطار النعمة وهي الترفه ومساكنكم لعلكم تسألون هذا استهزاء بهم وتوبيخ
لهم اي ارجعوا الى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسألون غدا عما جرى عليكم ونزل باموالكم
فتجيبوا السايل جواب علم ومشاهدة او معناه ارجعوا واجلسوا كما كنتم في مجالسكم وترتبوا في
مراتبكم حتى يسألكم عبيدكم وحشمكم ومن تملكون امره وينفذ فيه امركم ونهيكم ويقولوا لكم بما
تامرون وماذا ترسمون وكيف نأتي ونذر كعادة المنعمين المخدمين او يسألكم الناس المعاون في نوازل الخطوب
ويستشيرونكم في المهمات والعوارض ويستشفون بتدابيركم ~~ويستشفون بتدابيركم~~ ويستضيئون
بارائكم او يسألكم الوافدون عليكم والطماع ويستمطرون سحاب اكفكم ويمترون اخلاف معروفكم اما
لانهم كانوا اسخياء ينفقون اموالهم رئاء الناس وطلب الثناء او كانوا بخلاء فقيل لهم ذلك تهكما الى تهكم
وتوبيخا الى توبيخ فلما رأوا ذلك اقروا على انفسهم حين لم ينفعهم وقالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين انفسنا
بتكذيب الرسل فما زالت تلك دعواهم تلك اشارة الى يا ويلنا لانها دعوى كانه قيل فما زالت تلك الدعوى دعوتهم
اي تلك الدعوى دعواهم والدعوى بمعنى الدعوة حتى جعلناهم حصيدا خامدين الحصيد الزرع
المحصود اي جعلناهم مثل الحصيد شبههم به في استيصالهم واصطلامهم كما تقول جعلناهم رمادا
اي مثل الرماد ومعنى خامدين ميتين والمعنى جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود وما
خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين اي وما سوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع
وما بينهما من اصناف الخلايق مشحونة بضروب البدايع والعجايب كما يسوي الجبابرة سقوفهم وفرشهم وساير
زخارفهم للهو واللعب وانما سويناها للفوايد الدينية والحكم الربانية لتكون مطارح افتكار واعتبار
واستدلال ونظر لعبادنا مع ما يتعلق لهم بها من المنافع التي لا تعد والمرافق التي لا تحصى ثم بين ان السبب
في ترك اتخاذ اللهو واللعب هو ان الحكمة صارفة عنه والا فهو قادر على اتخاذه فقال لو اردنا ان نتخذ

الحسا

لهوا لاتخذناه من لدنا اللهو واللعب معناهما واحد وهو ما لا يفيد من قول او فعل اي لو اردنا
الذي صرفت عنه الحكمة لاتخذناه من جهة قدرتنا ان كنا فاعلين اي ان كنت فاعله لاتخذته لاني على
كل شيء قدير وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل المراة وقيل من لدنا اي من الملائكة لا من الجن
ردا لولادة المسيح وعزير بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه بل اضراب عن اتخاذ اللهو
واللعب وتنزيه منه لذاته كانه قال سبحاننا ان نتخذ اللهو واللعب بل نقذف بالحق اي لكن من عادتنا
وموجب حكمتنا واستغنائنا عن القبيح ان نغلب اللعب بالجد وندحض الباطل بالحق واستعار
لذلك القذف والدمغ تصويرا لابطاله واهداره ومحقه كان الحق جرم صلب كالصخرة مثلا رمي به على
جرم رخو اجوف فيدمغه بهذا تصوير لاذهاب الحق للباطل فاذا هو زاهق اي فاذا الباطل
ذاهب مبطل والزاهق الهالك المضمحل ثم قال ولكم الويل مما تصفون اي لكم الهلاك مما تصفونه به
بما لا يجوز عليه وعلى حكمته والدمغ شج الراس حتى يبلغ الشجة الدماغ والقذف بالحجارة الرمي
ولها من في السموات والارض اي جميع من فيهما من العباد ومن عنده هم الملائكة وخصهم انهم مكرمون
منزلون لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك على طريق التمثيل والبيان لشرفهم وفضلهم على جميع
خلقه ووصفهم بانهم لا يستكبرون عن عبادته ولا يترفعون عنها ويذلون له ولا يستحسرون ونفى
الحسور عنهم في عبادته والاستحسار مبالغة في الحسور وكان الابلغ في وصفهم ان ينفى عنهم ادنى الحسور
ولكن في الاستحسار بيان ان ما هم فيه يوجب غاية الحسور واقصاه وانهم احقاء لتلك العبادات
الباهظة بان يستحسروا فيما يفعلون يسبحون الليل والنهار لا يفترون اي تسبيحهم متصل
دايم في جميع اوقاتهم لا يتخلله فترة بفراغ او بشغل اخر ام اتخذوا الهة من الارض هم
ينشرون ام بمعنى بل هاهنا وفايدتها الاضراب عما قبلها والانكار لما بعدها والمنكر هو اتخاذهم الهة
من الارض ينشرون الموتى اي يحيونهم قال رضي الله عنه لعمري ان من اعظم المنكرات ان ينشر الموتى
بعض الموات يعني الاصنام قال رضي الله عنه وكانوا لا يدعون ان الهتهم ينشر الموتى بل يقرون بان
الله خالق السموات والارض وبانه القادر على المقدورات كلها وعلى النشاة الاولى منكرين البعث
يقولون من يحيي العظام وهي رميم فكيف يدعون للجماد الذي لا يوصف بالقدرة راسا ولكنهم باد عائهم

لها الهة يلزمهم ان يدعوا لها الانشار لانه لا يستحق هذا الاسم الا القادر على كل مقدور والانشار
من جملة المقدورات وفي هذا باب من التهكم بهم والتوبيخ لهم والتجهيل واشعار بان ما استبعدوه من الله
وهو البعث لا يصح استبعاده لان الالهية لما صحت صح معها الاقتدار على الابدا والاعادة ومعنى قوله
من الارض الاعلام بانها الاصنام التي تعبد في الارض لان الالهة كلها ارضية وسماوية ومن ذلك حديث
الامة التي قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم اين ربك فاشارت الى السما فقال انها مؤمنة لانه فهم منها ان مرادها
نفي الالهة الارضية التي هي الاصنام لا اثبات السما مكانا لله عز وجل ويجوز ان يراد الهة من جنس الارض
لانها اما ان تنحت من بعض الحجارة او تعمل من بعض جواهر الارض قال رضي الله عنه ولا بد من فائدة
لطيفة في قولهم وهي افادة معنى الخصوصية كانه قيل ام اتخذوا الهة لا يقدر على الانشار الا هم
وحدهم لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا يعني لو كان يتولاهما ويدبر امرهما الهة شتى غير الواحد
الذي هو فاطرهما لفسدتا اي خربتا وهلك من فيهما لوقوع التنازع بين الالهة قال رضي الله عنه
وفي هذا دلالة على امرين احدهما وجوب ان لا يكون مدبرهما الا واحدا لعلمنا ان الرعية تفسد بتدبير
الملكين لما تحدث بينهما من التغالب والتناكر والاختلاف والثاني ان لا يكون ذلك الواحد الا الله وحده
لقوله الا الله فسبحان الله رب العرش اي فنزهوا الله عن الشركاء في الالهية وهو يعني قوله
عما يصفون لهم وصفهم لذلك وخص العرش بالذكر لعظمه روي ان للعرش ثلاث مائة وستين الف قائمة
كل قائمة اشد اثر السموات السبع والارضين السبع من كل قائمة الى قائمة خفقان الطير
المسرع ثمانين الف سنة لا يسال عما يفعل وهم يسالون قال رضي الله عنه اذا كانت عادة الملوك
والجبابرة ان لا يسالهم من في مملكتهم عن افعالهم وعما يوردون ويصدرون من تدبير ملكهم تهيبا
واجلالا مع جواز الخطا والزلل وانواع الفساد عليهم كان ملك الملوك ورب الارباب خالقهم ورازقهم
اولى بان لا يسال عن افعاله مع ما علم واستقر في العقول من ان ما يفعله كله مفعول بدواعي الحكمة
ولا يجوز عليه الخطا ولا فعل القبائح وهم يسالون اي هم مملوكون مستعبدون خطاؤن فما
احقهم بان يقال لهم لم فعلتم في كل شي فعلوه ام اتخذوا من دونه الهة قل هاتوا برهانكم
كرر ام اتخذوا من دونه الهة استفظاعا لشانهم واستعظاما لكفرهم اي وصفتم الله تعالى بان له

شريكا فهاتوا برهانكم على ذلك اما من جهة العقل واما من جهة الوحي فانكم لا تجدون كتابا من كتب
الاولين الا وتوحيد الله وتنزيهه عن الانداد مدعو اليه والاشراك به منهي عنه متوعد عليه هذا
ذكر من معي اي هذا الوحي الوارد في معنى توحيد الله ونفي الشركاء عنه كما ورد علي فقد ورد على جميع
الانبيا فهو ذكر اي موعظة للذين معي يعني امتي وذكر من قبلي اي وذكر للذين من قبلي يريد امم
الانبيا بل اكثرهم لا يعلمون الحق اي بل عندهم ما هو اصل الشر والفساد كله وهو الجهل
وفقد العلم وعدم التمييز بين الحق والباطل فمن ثم جا هذا الاعراض ومن هناك ورد هذا الانكار
فهم معرضون عن الحق بسبب ما هم عليه من دا الجهل وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحى
اليه انه لا اله الا انا فاعبدون نوحي ويوحى قراتان وهذه الاية مقررة لما سبقها من اي
التوحيد في المعنى انه لم يبعث رسولا الا بتوحيد الله تعالى فلم يات رسول لقومه بان لهم الها غير الله
سبحانه وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون نزلت في خزاعة حيث قالوا
الملائكة بنات الله نزه ذاته عن ذلك بقوله سبحانه ثم اخبر عنهم بانهم عباد له والعبودية تنافي
الولادة الا انهم مكرمون مقربون عندي مفضلون على سائر العباد لما هم عليه من احوال وصفات
ليست لغيرهم فذلك هو الذي غر منهم من زعم انهم اولادي تعاليت عن ذلك علوا كبيرا لا
يسبقونه بالقول قرئ بضم البا وكسرها والمعنى انهم يتبعون قوله ولا يقولون شيا حتى يقوله
فلا يسبق قولهم قوله اي لا يسبقونه بقولهم وهم بامره يعملون اي وكما ان قولهم تابع لقوله فعملهم
ايضا كذلك مبني على امره لا يعملون عملا ما لم يؤمروا به يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم اي يعلم
ما قدموا من الافعال وما اخروا منها وجميع ما ياتون وما يذرون لعلمه تعالى لا يعزب عنه شي وهو
مجازيهم عليه فلعلمهم بذلك يضبطون انفسهم ويراعون احوالهم ويعمرون اوقاتهم بالعبادات
ويحفظون ولا يشفعون الا لمن ارتضى اي ومن حفظهم انهم لا يجسرون ان يشفعوا الا لمن ارتضاه
الله واهله للشفاعة في ازدياد الثواب والتعظيم وهم من خشيته مشفقون اي وهم مع هذا كله
من خشية الله مشفقون اي خائفون خيفة من ان تفرط منهم فرطة فلا يامنون مكر الله وعن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه راى جبريل ليلة المعراج ساقطا كالحلس من خشية الله والحلس

خوفه تجعل تحت وفاء التعظيم ومن يقل منهم اي من الملائكه اني اله من دونه اي من دون الله فيدعي لنفسه
ما ادعاه له المبطلون فذلك القايل نجزيه جهنم جزاء على قوله قال رضي الله عنه والعدل وصد
الله الملائكه وكون اسمهم عنده وقرب منزلتهم عنده واتم نعمه عليهم واضاف اليهم ترك الافعال السيئة
والاعمال المرضية فاجابه بالوعيد الشديد والانذار بعذاب جهنم من اشرك منهم وهذا على سبيل الفرض
والتمثيل مع احاطة علمه بانه لا يكون منهم كما قال ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون فقصد بذلك
تفظيع امر الشرك وتعظيم شان التوحيد كذلك اي مثل ذلك الجزا بعذاب جهنم نجزي الظالمين
لانفسهم بالشرك وسائر المعاصي اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا
وقرئ الم ير بغير واو رتقا بسكون التا وفتحها وكلاهما بمعنى مرتوق اي كانتا مرتوقتين ومعنى
ذلك ان السما كانت لاصقة بالارض لا فضا بينهما او كانت السموات متلاصقات وكذلك الارضون
لا فرج بينها ففتقناهما اي فتحناهما ورفعنا ما بينهما وقيل فتقناهما بالمطر في السما والنبات
في الارض وكانت السما لا تمطر والارض لا تنبت ففتقناهما بعدما كانت مصمتة وانما قيل كانتا ولم يقل
كن لان المراد جماعة السموات وجماعة الارض ومعنى اولم ير الذين كفروا والعلم بذلك [illegible]
قال رضي الله عنه ولم يروهما مرتوقتين وللرؤية وجهان احدهما انه وارد في القران الذي هو
معجز في نفسه فقام مقام المرئي المشاهد والثاني ان تلاصق الارض والسما وتباينهما كلاهما جائز
في العقل فلا بد للتباين دون التلاصق من مخصص وهو القديم سبحانه وتعالى وجعلنا من الما
كل شي حي يجوز ان يكون بمعنى خلقنا اي وخلقنا من الما كل حيوان كقوله والله خالق كل دابة من ما
مرتبة فما من حيوان الا واصله من الما نطفة او كانا خلقناه من الما لشدة احتياجه اليه وحبه له وقلة صبره
عنه كقوله خلق الانسان من عجل ويجوز ان يكون جعلنا بمعنى صيرنا فالمعنى صيرنا كل شي حي
بسبب من الما لا بد له منه وقرئ حيا افلا يؤمنون فلا يتدبرون هذه الادلة التي
توجب الايمان والتوحيد وجعلنا في الارض رواسي اي جبالا ثوابت راسية ان تميد بهم اي
كراهة ان تضطرب ولا تستقر لانها كانت تضطرب قبل الجبال وجعلنا فيها فجاجا سبلا
قال رضي الله عنه الفجاج جمع الفج الطريق الواسع فقدمها على السبل وهي صفة

توحي كما في قوله تعالى لتسلكوا منها سبلا فجاجا واجاب بانه لم تقدم ها هنا وهي صفة ولكن
جعلت حالا والفرق بينهما من جهة المعنى ان الاية التي في سورة نوح اعلام بانه جعل فيها طرقا
واسعة وهذه ههنا اعلام بانه حين خلقها ولا يصح ان تكون صفة لتقدمها والصفة تستدعي
على الموصوف فقوله فجاجا سبلا بيان لما ابهمه هنالك لعلهم يهتدون اي لارادة ان يهتدوا
لتحصيل ما فيه مصالحهم بالسير في تلك الفجاج او ارادة لعلهم يهتدون الى النظر والاعتبار وجعلنا
السما سقفا محفوظا اي حفظناه بقدرتنا من ان تقع على الارض وتتزلزل وحفظناه بالشهب
عن تسمع الشياطين لما يلقى على سكانها من الملائكة وهم عن اياتها اي عما وضع الله فيها من الادلة
والعبر بالشمس والقمر وسائر النيرات ومسايرها وطلوعها وغروبها على الحساب القويم
والترتيب العجيب الدال على الحكمة البالغة والقدرة الباهرة معرضون اي معرضون عن هذه
الايات واي جهل اعظم من جهل من اعرض عنها ولم تذهب وهمه الى تدبرها والاعتبار
بها والاستدلال على عظم شان من اوجدها عن عدم ودبرها ونصبها وادعمها ما ادعمها
لا تعرف كنهه الا هو عزت قدرته ولطف علمه وقرئ ايتها اكتفا بالواحدة في الدلالة على الجنس
اي هم متفطنون لما يرد عليهم من السما من المنافع الدنيوية كالاستضاءة بقمريها والاهتدا
بكواكبها وحياة الارض والحيوان بامطارها وهم عن كونها اية بينة على الخالق معرضون
وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر اي هو المختص بالقدرة على خلق هذه
الاشيا كل في فلك يسبحون يعني الشمس والقمر لان السباحة في فلك لا يصح اسنادها الى
الليل والنهار والشمس واحد والقمر واحد لكن المراد جنس الطوالع كل يوم وليلة فصح الجمع
باعتبار مطالعها وكثرة مطالعها قالوا الشموس والاقمار والواو في يسبحون مختص بالعقلا
وجي بها للوصف بفعلهم وهو السباحة اي السرعة والمنافع على نظام مستقيم وما جعلنا
لبشر من قبلك الخلد اي الخلود والبقا الدائم افاين مت فهم الخالدون كانوا يقدرون
انه سيموت فيشمتون بموته فنفى الله عنه الشماتة بهذا اي قضى الله ان لا يخلد في الدنيا بشر فلا
انت ولا هم الا عرضة للموت فاذا كان الامر كذلك فان مت انت افهم يخلدون وفي معنى قول القائل

جعلها على تلك الصفة
لي قوله فجاجا سبلا
حال السلوك حال جعلها

ظ
بينها
وفي الكشاف
بينهما

فقل للشامتين بنا افيقوا سيلقى الشامتون كما لقيناه **كل نفس ذائقة الموت** اى طاعمة لمرارته
ونبلوكم بالشر والخير اى نختبركم بما يجب فيه الصبر من البلا وبما يجب فيه الشكر من النعم **فتنة** اى ابتلا
لننظر كيف شكركم وصبركم **والينا ترجعون** اى والى جزائنا في الاخرة مرجعكم فنجازيكم
على حسب ما يوجد منكم من الصبر او الشكر وانما سمى ذلك ابتلا وهو عالم بما سيكون من اعمال العاملين
قبل وجودهم لانه في صورة الاختبار وقوله فتنة تاكيد لقوله نبلوكم لانها بمعناه من غير لفظه
واذا رآك الذين كفروا يعني المستهزئين **ان يتخذونك** اى ما يتخذونك **الا هزوا** اى
مهزوا به **اهذا الذي يذكر آلهتكم** اي قالوا اهذا الانسان الذي يذم آلهتكم والذكر يكون
بخير وبخلافه فاذا دلت الحال على احدهما اطلق ولم يقيد كقولك للرجل سمعت فلانا يذكرك
فان كان الذاكر صديقا فهو ثنا وان كان عدوا فذم وهو هاهنا عيب لالهتهم فذكرهم لها
ونحو سمعنا فتى يذكرهم **وهم بذكر الرحمن هم كافرون** المعنى انهم عاكفون بهممهم على ذكر الهتهم
وما يجب ان لا يذكر به من كونهم شفعا وشهدا ويسوءهم ان تذكرها انت بخلاف ذلك واما ذكر الله
وما يجب ان يذكر به من الوحدانية فهم به كافرون لا يصدقون به اصلا فهم احق بان يتخذوا
هزوا منك فانك محق وهم مبطلون وقيل معنى بذكر الرحمن قولهم ما نعرف الرحمن الا مسيلمة
وقولهم وما الرحمن انسجد لما تامرنا وقيل بذكر الرحمن بما انزل عليك من القران **خلق**
الانسان من عجل كانوا يستعجلون عذاب الله وآياته الملجئة الى العلم والاقرار ويقولون متى
هذا الوعد يريد نزول العذاب وبالقيامة على سبيل التكذيب فاراد نهيهم عن الاستعجال وزجرهم
فقدم اولا ذم الانسان على افراط العجلة بقوله خلق الانسان من عجل اى هو لشدة عجلته كانه مخلوق
من عجل ثم قال **ساريكم آياتي** اى العلامات الملجئة الى العلم **فلا تستعجلون** اى ليس ببدع منكم
ان تستعجلوا فانكم مجبولون على ذلك وهو طبعكم وسجيتكم **ويقولون** اى ويسالون عن الانقضاء
فيقولون **متى هذا الوعد** اى الوعد بقيام الساعة **ان كنتم صادقين** اى ان صدقتم
بوقتها وعن ابن عباس انه اراد بالانسان آدم وانه حين بلغ الروح صدره ولم يتبالغ فيه
اراد ان يقوم وروى لما دخل الروح في عينيه نظر الى ثمار الجنة ولما دخل جوفه اشتهى الطعام

لم يتبالغ

اى الوعد

وقيل خلقه الله في آخر النهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس فاستعجل في خلقه قبل نفخها قال رضي الله عنه
والظاهر ان المراد بالانسان الجنس والعجل الطين بلغة حمير والله اعلم بصحته **لو يعلم الذين كفروا**
حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم جواب لو محذوف اى لو يعلمون الوقت
الذي يستعجلون بقولهم متى هذا الوعد وهو وقت صعب شديد تحيط بهم فيه النار من ورائهم
وقدام فلا يقدرون على دفعها ومنعها من انفسهم لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء
والاستعجال ولكن جهلهم به هو الذي هونه عندهم **ولا هم ينصرون** اى ولا يجدون ناصرا ينصرهم
يدفعها عنهم **بل تاتيهم بغتة** اى فجاءة من غير استعداد **فتبهتهم** اى تغلبهم يقال للمغلوب
في المحاجة مبهوت **فلا يستطيعون ردها** اى لا يقدرون على جهاد دفعها عنهم **ولا هم ينظرون**
اى ولا هم يمهلون الامهال الطويل الذي كانوا عليه في الدنيا **ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق**
بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون هذه تسلية يسلي بها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
استهزائهم به بان له في الانبيا عليهم السلام اسوة وان ما يفعلونه به يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين
بالانبيا عليهم السلام ما فعلوا **قل** لهم يا محمد **من يكلؤكم بالليل والنهار** الكلاءة الحفظ اى قل لهم
من يحفظكم في ساعات الليل والنهار **من الرحمن** اى من باسه وعذابه **بل هم عن ذكر ربهم**
معرضون اى لا يخطرونه ببالهم فضلا ان يخافوا باسه حتى اذا عرفوا الكلاءة منه عرفوا
من الكالئ وصلحوا للسؤال عنه والمراد انه امر رسوله صلى الله عليه وسلم بسؤالهم عن الكالئ ثم بين
انهم لا يصلحون لذلك لاعراضهم عن ذكر من يكلؤهم ثم اضرب عن ذلك بقوله **ام لهم آلهة** اى بل
الهم آلهة **تمنعهم من دوننا** اى تمنعهم من العذاب وتتجاوز منعنا وحفظنا ثم استانف فقال **لا يستطيعون**
نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون بين ان ما ليس بقادر على نصر نفسه ومنعها ولا مصحوب من الله
بالنصر والتاييد كيف يمنع غيره وينصره ثم قال **بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر** اى
بل ما هم فيه من الحفظ والكلاءة انما هو منا لا من مانع يمنعهم من اهلاكنا وما كلاناهم وآباءهم الماضين الا تمتيعا
لهم بالحياة الدنيا وامهالا كما متعنا غيرهم من الكفار وامهلناهم حتى طال عليهم الامد وامتدت ايام
الروح والطمانينة فحسبوا ان لا يزالوا على ذلك لا يغلبون ولا ينزع عنهم ثوب امنتهم واستمتاعهم

وذلك طمع فارغ وامل كاذب افلا يرون انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها اي افلا يرون
ننقص ارض الكفر ودار الحرب ونحذف اطرافها بتسليط المسلمين عليها واظهارهم عليها
وردها دار الاسلام قال رضي الله عنه وفائدة قوله نأتي الارض تصوير ما كان الله عز وجل
يجريه على ايدي المسلمين وان عساكرهم وسراياهم كانت تغزو ارض المشركين وتأتيها غالبة عليها
ناقصة من اطرافها وقيل ننقص الارض بموت العلماء وقوله افهم الغالبون توبيخ لهم وتهكم بهم
تقديره افهم الغالبون للمسلمين حتى انهم لا يرون حركة بل هم مغلوبون لكنهم تعاموا قل انما انذركم
بالوحي اي انما انذركم من العذاب بالوحي الصادق فارتدعوا عن اسباب الهلاك ولا يسمع
الصم الدعاء قرئ لا يُسمع الصم ولا تُسمع الصم بالتاء والياء اي لا تُسمع انت او لا يُسمع رسول الله
والصم جمع اصم وهو الذي لا يسمع الدعاء اذا ما ينذرون فرق في الصمم بين وقت الانذار
ووقت التبشير في انه لا يسمع الدعاء ولكنه اراد بالصم الاشارة الى هؤلاء المنذرين فوضع الصم
موضع ذلك للدلالة على تصامهم واصل الكلام ولا يسمعون اذا ما ينذرون فوضع الصم موضع ذلك
للدلالة على تصامهم وسدهم اسماعهم اذا انذروا اي هم على هذه الصفة من الجراءة والجسارة على التصام
من آيات الانذار ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك النفحة اليسيرة من العذاب اي والله لئن مسهم
من هذا الذي ينذرون به ادنى شيء ليقولن يا ويلنا اي يا هلاكنا انا كنا ظالمين لانفسنا اذ عموا
عن الانذار وسدوا اسماعنا والمعنى انهم على ما هم عليه من الاعراض والتصام لو مسهم اقل قليل
لذلوا واقروا بانهم ظلموا انفسهم حين تصاموا واعرضوا قال رضي الله عنه وفي المس والنفحة
ثلاث مبالغات في خفة العذاب وهي المس الذي اصابه يسير والنفح لانه في معنى القلة
والنزر يقال نفحته الدابة وهو رمح يسير ودخول البناء في نفحة لدلالتها على انها واحدة من النفح
ونضع الموازين القسط ليوم القيامة القسط العدل وصفت به الموازين على المبالغة
كانها في انفسها قسط واللام في ليوم القيامة لسان التاريخ الذي اختصت به مثلها في قولك جئته
لخمس ليال خلون من الشهر وقيل المراد لاهل يوم القيامة اي لاجلهم قال رضي الله عنه والمراد بوضع
الموازين امران احدهما ارصاد الحسنات السوية والاخر اعلى حسب الاعمال بالعدل والنصفة

من غير ان يظلم عباده مثقال ذرة فمثل ذلك بوضع الموازين ليوزن بها الموزونات والثاني انه يوضع الموازين
الحقيقية ويوزن بها الاعمال عن الحسن هو ميزان له كفتان ولسان ويروى ان داود عليه السلام سال
ربه ان يريه الميزان فلما راه غشي عليه ثم افاق فقال الهي من الذي يقدر ان يملأ كفته حسنات
فقال يا داود اني اذا رضيت عن عبدي ملأتها بتمرة قال رضي الله عنه وفي وزن الاعمال وهي اعراض قولان
احدهما يوزن صحائف الاعمال والثاني يجعل في كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة وفي كفة السيئات جواهر
سود مظلمة وقيل وضع الميزان حسي وقيل للخلق ميزان واحد وقيل بل هناك موازين فلا تظلم نفس شيا
اي شيا من الظلم واراد انه لا ينقص من حسناتها نقصا يسيرا بل يوفر عليها ما تستحقه من ثوابها وفوقها
وان كان مثقال حبة من خردل اي وان كان العمل في حقارته مثقال حبة اي وزن حبة من حب الخردل
اتينا بها اي احضرناها وقرئ اثبنا بها من الثواب وفي قراءة اي جئنا بها يعني المثقال وانما انث ضميره لانه مضاف
الى المؤنث وهي الحبة كقولهم ذهبت بعض اصابعه وكفى بنا حاسبين اي محاسبين وفي هذا تهديد عظيم
ولقد اتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين اي اتيناهما الفرقان وهو التوراة واتينا
به ضياء وذكرا للمتقين والمعنى انه في نفسه ضياء وذكر او معناه واتيناهما التوراة فيها الشرائع والمواعظ
ضياء وذكرا وعن ابن عباس الفرقان الفتح وعن الضحاك فلق البحر وعن محمد بن كعب المخرج من الشبهات
وخص المتقين لانهم المنتفعون بها الذين يخشون ربهم بالغيب اي يخشون عذابه وهو غائب عنهم
وقيل معنى بالغيب في الخلوات اي غائبين عن عيون الناس وهم من الساعة مشفقون اي
من قيام القيامة خائفون لانها تبعث الناس في ساعة وهذا ذكر يعني القرآن لانه موعظة او لان
فيه ذكر ما يحتاجون في امر الدين او لانه شرف كقوله وانه لذكر لك ولقومك مبارك اي
كثير المنافع غزير الخير انزلناه من السماء او من اللوح المحفوظ والمعنى انزلناه لصالحكم في الدين والدنيا
ثم انكر عليهم بقوله افانتم له منكرون تقديره اتكذبون فانتم له منكرون مع قيام الدليل على
صدقه ومع ان فيه مصالحكم ولقد اتينا ابراهيم رشده الرشد الاهتداء لوجوه الصلاح وقرئ
رشده والرشد والرشد بمعنى ومعنى اضافة الرشد اليه انه رشد مثله اي رشدا عظيما من قبل اي
من قبل موسى وهارون وكنا به عالمين معنى علمه به انه علم منه احوالا بديعة واسرارا عجيبة وصفات

ربع

قد رضيها واحمدها احق اهلها لمخالته ومخالفته وهذا كقولك في خير من الناس انا عالم بفلان
جمع من محاسن الاوصاف التي اختص بها اذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل هذا متعلق بقوله
اتينا والمعنى اتيناه رشده وقت قوله لابيه وقومه منكرا عليهم ما هذه التماثيل او بمضمر اي اذكر من اوقات
رشده هذا الوقت الذي انكر فيه على ابيه وقومه والتماثيل الاصنام التي كانت على مثال الحيوان صورها
قال رضي الله عنه وقوله ما هذه التماثيل تجاهل لهم وتغاب ليحقر الهتهم ويصغر شانها مع علمه
بتعظيمهم واجلالهم لها التي انتم لها عاكفون اي التي انتم فاعلون لها العكوف وهو الاقامة على الشيء
قالوا وجدنا اباءنا لها عابدين فاقتدينا بهم وقلدناهم قال رضي الله عنه ما اقبح التقليد والقول المتقبل
بغير برهان وما اعظم كيد الشيطان للمقلدين حين استدرجهم الى ان قلدوا اباءهم في عبادة التماثيل
وعفروا لها جباههم وهم معتقدون انهم على شيء وجادون في نصرة مذهبهم ومجادلون لاهل الحق
عن باطلهم وكفى اهل التقليد سبة ان عبدة الاصنام منهم قال ابرهيم اقسم لقد كنتم انتم واباؤكم
فلانتم في ضلال مبين اي في ذهاب عن الحق والصواب بين واضح قال رضي الله عنه قوله انتم من التاكيد
الذي لا يصح الكلام مع الاخلال به لان العطف على ضمير هو في حكم بعض الفعل ممتنع ونحوه اسكن انت
وزوجك الجنة ان المقلدين والمقلدين جميعا منخرطون في سلك ضلال لا يخفى على من به ادنى مسكة
لاستناد الفريقين الى غير دليل بل الى هوى متبع وشيطان مطاع قالوا اجئتنا بالحق ام انت
من اللاعبين هذا انكار عليه وتعجب من تضليله اياهم فما هو عندهم حق وحسبوا ان
ما قاله على وجه المزاح والمداعبة لا على طريق الجد فقالوا له هذا الذي جئتنا به اهو جد وحق
ام لعب وهزل قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن الضمير في فطرهن للسموات
والارض او للتماثيل وكونه للتماثيل ادخل في تضليلهم واثبت للاحتجاج عليهم حيث جعلوا بعض خلقه
اندادا شركاء له وانا على ذلكم من الشاهدين شهادته على ذلك ادلاؤه بالحجة عليه وتصحيحه بها
كما تصح الدعوى بالشهادة كانه قال وانا ابين ذلك وابرهن عليه كما تبين الدعاوى بالبينات اي لست مثلكم
فاقول ما لا اقدر على اثباته بالحجة كما لم تقدروا على الاحتجاج لمذهبكم ولم تزيدوا على انكم وجدتم عليه
اباءكم وتالله لاكيدن اصنامكم تالله قسم واختار التاء في القسم على الباء لان فيها زيادة معنى وهو التعجب

كانه تعجب من تسهل الكيد على يده وتاتيه لان ذلك كان امرا مقنوطا منه لصعوبته وتعذره ولعمري ان
مثله صعب متعذر في كل زمان خصوصا في زمن نمرود مع عتوه واستكباره وقوة سلطانه وتهالكه على
نصرة دينه ولكن اذا الله سنى عقد امر تيسرا لاكيدن جواب القسم والكيد المكر ومعناها الاحتيال في
ابطال الشيء وافنائه بعد ان تولوا مدبرين فزي تولوا بمعنى تتولوا اي بعد ان تولوا عنها ذاهبين روي
انه قال ذلك سرا من قومه وروي انه سمعه رجل واحد وروي ان ازر اباه خرج بابرهيم في يوم عيد لهم فبدءوا
ببيت الاصنام فدخلوه وسجدوا لها ووضعوا بينها طعاما خرجوا به معهم وقالوا الى ان نرجع بركت
الالهة على طعامنا فذهبوا وبقي ابرهيم فنظر الى الاصنام وكانت سبعين صنما مصطفة
وثم صنم عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب وفي عينيه جوهرتان تضيئان بالليل فكسرها كلها
بفاس في يده حتى لم يبق الا الكبير فعلق الفاس في عنقه فهو قوله فجعلهم جذاذا اي جعل الاصنام
قطاعا من الجذ وهو القطع وقرئ جذاذا بكسر الجيم وفتحها الا كبيرا لهم اي للاصنام فاستبقاه
لعلهم اليه يرجعون قال رضي الله عنه وانما استبقى الكبير لانه غلب في ظنه انهم لا يرجعون الا اليه
لما تسامعوه من انكاره لدينهم وسبه لالهتهم فيبكتهم بما اجاب من قوله بل فعله كبيرهم هذا فاسالوهم وعن
الكلبي معنى اليه الى كبيرهم اي يرجعون اليه كما يرجع الى العالم في حل المشكلات فيقولون له ما
لهؤلاء مكسورة وما لك صحيحا والفاس على عاتقك قال هذا بناء على ظنه بهم لما جرب وذاق من مكايدتهم
لعقولهم واعتقادهم في الهتهم وتعظيمهم لها او قاله مع علمه انهم لا يرجعون اليه استهزاء بهم واستجهالا
وان قياس حال من يسجد له ويؤهل للعبادة ان يرجع اليه في حل المشكلات فلما انصرفوا وراوا اصنامهم
مكسرة قالوا من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين اي ان من فعل هذا الكسر والحطم لشديد الظلم
معدود في الظلمة اما لجراته على الالهة الحقيقة عندهم بالتوقير والاعظام واما لانهم راوا افراطا في
حطمها وتماديا في الاستهانة بها قالوا اي قال الذين سمعوا قول ابرهيم لاكيدن اصنامكم سمعنا فتى
يذكرهم اي يسبهم ويعيبهم يقال له ابرهيم اي اسمه ابرهيم قالوا فاتوا به على اعين الناس اي فاتوا
به معاينا مشاهدا ينظر اليه الناس ومعنى الاستعلاء في على التمثيل اي ياتوا به اتيانا ظاهرا ابين في الاعين
ويتمكن فيها ثبات الراكب على المركوب وتمكنه منه لعلهم يشهدون عليه بما سمع منه او يحضرون عقوبتنا

يعني الى ابرهيم

له وكان الخبر بلغ نمرود واشراف قومه فامروا باحضاره **قالوا أأنت فعلت هذا بالهتنا يا ابرهيم**
اى فلما احضر قالوا له هل انت الذى فعلت هذا الكسر والحطم فى الهتنا فاجاب **قال بل فعله كبيرهم هذا**
واشار الى الصنم الكبير الذى علق الفاس على عنقه قال رضى الله عنه جواب ابرهيم هذا من معاريض
الكلام ولطايف هذا النوع لا تتغلغل فيها الا الاذهان الراضة من علماء المعانى والتحقيق فيه ان
ابرهيم صلى الله عليه لم يكن ليسنب الفعل الى الصنم وانما قصد تقريره لنفسه واثباته لها على اسلوب تعريضى
يبلغ فيه غرضه من الزامهم الحجة وتبكيتهم ومثاله ان تقول لك رجل امى لا يحسن الكتابة وقد كتبت كتابا
بخط رشيق وانت مشهور بحسن الخط أانت كتبت هذا فتقول له بل كتبته انت تريد اثباته لك مع الاستهزاء
به لا نفيه عنك واثباته للامى قال رضى الله عنه وللقايل ان يقول غاظته تلك الاصنام حين ابصرها
مصطفة مرتبة وكان غيظ كبيرها اعظم اكبر واشد لما راى من زيادة تعظيمهم له فاسند الفعل اليه
لانه السبب فى حطمها والاستهانة بها والفعل يسند الى السبب كما يسند الى الفاعل ويجوز ان يكون حكاية
لما يقود الى تجويزه مذهبهم كانه قال لهم ما تنكرون ان يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى الها ان
يقدر على هذا واشد منه ويحكى انه قال فعله كبيرهم هذا لانه غضب ان تعبد معه هذه الصغار وهو
اكبر منها **فاسألوهم** اى عن الفاعل وعن صدقى **ان كانوا ينطقون** اى ان كانوا يقدرون على النطق
والاكثر انها تعجز عن الشكوى وعن النطق بالجواب **فرجعوا الى انفسهم** اى فلما القمهم الحجر
واخذ بمخانقهم رجعوا الى انفسهم بالتوبيخ والذم **فقالوا انكم انتم الظالمون** على الحقيقة لا من ظلمتموه
حين قلتم من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين اى قال بعضهم لبعض هذا القول **ثم نكسوا على رؤسهم**
اى قلبوا ومعنى نكسته قلبته فجعلت اسفله اعلاه وانتكس اى انقلب اى استقاموا حين رجعوا
الى انفسهم وجاوا بالفكرة الصالحة ثم انتكسوا وانقلبوا عن تلك الحالة فاخذوا فى المجادلة بالباطل
والمكابرة للحق فهذا معنى انتكاسهم على رؤسهم **لقد علمت ما هؤلاء ينطقون** اى قالوا انك لقد علمت
ما هؤلاء الاصنام ينطقون فنفوا لهم لان النطق مختص بالحيوان وهى جمادات او معناه انتكسوا
على رؤسهم حقيقة لفرط اطراقهم خجلا وانكسارا مما بهتهم به ابرهيم فما وجدوا جوابا الا هذا
الذى هو حجة عليهم وهو عجز الهتهم عن النطق فلما توجهت الحجة عليهم **قال** ابرهيم مبكتا لهم

ذكر الامام يحيى حمزه عليه السلام ان هذا النوع يلقب التخلص فى علم البلاغة وهو فن كثير غريب عزيز وقصة ابرهيم عليه السلام اشتملت على كلمات عن ذكره الامام عليه السلام فى كتابه الطراز فى علوم حقايق الاعجاز

اطرافهم ح

الانبيا

افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيا ولا يضركم اى انعرفون انها لا تقدر على نطق وتعجز
عن النفع والضر وانتم مع هذا تعبدونها **اف لكم ولما تعبدون من دون الله** اف صوت اذا صوت به
علم ان صاحبه متضجر اضجره ما راى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم وبعد وضوح
الحق وزهوق الباطل فتافف بهم واللام فى لكم لبيان المتافف به اى لكم ولالهتكم هذا التافف **افلا
تعقلون** معناه اتختارون الباطل على الحق بعد وضوحه كانكم لا عقول لكم لان العاقل
لا يختار الضار على النافع فلما عجزوا عن الحجة **قالوا حرقوه وانصروا الهتكم** قال رضى الله عنه
اجمعوا رايهم لما غلبوا باهلاكه وهكذا المبطل اذا قرعت شبهته بالحجة وافتضح لم يكن احد
ابغض اليه من المحق ولم يبق له مفزع الا مناصبته كما فعلت قريش برسول الله صلى الله عليه حين عجزوا
عن المعارضة والذى اشار باحراقه نمرود وروى انهم حين هموا باحراقه حبسوه ثم بنوا بيتا كالحظيرة
بكوثى وهى قرية بالكوفة وجمعوا شهرا اصناف الخشب الصلاب حتى ان المراة لتمرض فتقول ان
عافانى الله لاجمعن حطبا لابراهيم ثم اشعلوا نارا عظيمة كادت الطير تحترق فى الجو من وهجها
ثم وضعوه فى المنجنيق مقيدا مغلولا فرموا به فيها فناداها جبريل عليه السلام يا نار كونى بردا وسلاما
ويحكى انه ما احرقت منه الا وثاقه اى رباطه الذى كتف به وقال له جبريل حين رمى به هل لك حاجة
فقال اما اليك فلا قال فاسال ربك قال حسبى من سؤالى علمه بحالى وعن ابن عباس انما نجا بقوله حسبى
الله ونعم الوكيل واطل عليه نمرود من الصرح فاذا هو فى روضة ومعه جليس له من الملائكة فقال
انى مقرب الى الهك فذبح اربعة الاف بقرة وكف عن ابرهيم وكان ابرهيم عليه السلام يومئذ
ابن ست عشرة سنة واختاروا المعاقبة بالنار لانها اهول ما يعاقب به وافظعه ولذلك جاء فى
الحديث لا يعذب بالنار الا خالقها ومن ثم قالوا **ان كنتم فاعلين** اى ان كنتم ناصرين الهتكم نصرا
مؤزرا فاختاروا لابراهيم اهول المعاقبات وهى الاحراق بالنار والا فرطتم فى نصرتها ولهذا عظموا النار
وتكلفوا فى تشهير امرها وتفخيم شانها ولم يالوا جهدا فى ذلك **قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على
ابرهيم** اى قال جبريل واضاف قوله اليه تعظيما له وتعريفا لمنزلته ويجوز ان يتكلم الله تعالى بذلك قطعا للحجة
للملائكة قال رضى الله عنه جعل النار لطفا وعصمها فعل الله وارادته كامر اى شى فسله

مزود ... المعجمة هكذا فى الكشاف

والمعنى كوني ذات برد وسلام فبولغ في ذلك كأن ذاتها برد وسلام والمراد ابردي فيسلم منك ابرهيم
ابردي بردا غير ضار وعن ابن عباس لو لم يقل ذلك لاهلكته ببردها قال رضي الله عنه وبرد النار
وهي نار ان الله نزع عنها طبعها الذي طبعها عليه من الحر والاحراق وابقاها على الاضاءة والاشتعال
والاشتعال كما كانت والله على كل شيء قدير ويجوز ان يدفع بقدرته عن جسم ابرهيم خليل الله اذى
حرها ويذيقه فيها عكس ذلك كما يفعل بخزنة جهنم وارادوا به كيدا اي كيدا عظيما وهو الاحراق
فجعلناهم الاخسرين اي المغلوبين المخفقين لانهم غالبوه بالجدال فغلبه الله بالحجة
ولقنه المبكت ثم ارادوا الكيد بالنار فغلبوا بما لا يقدر عليه وجعلها عليه بردا وسلاما وهو
التعذيب بعث الله اليه ملكا يؤنسه وقميصا يلبسه وجعل حوله روضا وزهرا خضرا وعين
ماء تجري وفي تفسير الثعلبي ان الله امر كل عود من الشجر ان يرجع شجرا ويطرح ثمره واقام ابرهيم
في النار سبعة ايام وقال ما كنت اياما قط انعم مني في الايام التي كنت فيها في النار ولم يبق يومئذ نار الا
طفئت ظنت انها تعنى بقوله كوني بردا وسلاما ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها
للعالمين لوط هو ابن اخت ابرهيم عليهما السلام وهو اول من امن به حين راى النار لم تحرقه وقال
الثعلبي لوط هو ابن اخ ابرهيم وهو لوط بن هاران وهاران اخو ابرهيم والمراد نجيناهما من
الهلكة وشر الاعداء في الدين وسوء جوارهم وفيه دليل على ان مجاورة الفساق بلاء ومحنة والمهاجرة
عنهم خلاص ونعمة حيث يبعدونكم عن المعاصي ويحمونكم عن الفسوق ولذلك سمى الخروج عنهم
نجاة قال رضي الله عنه نجيا من العراق الى ارض الشام وروى ان ابرهيم نزل بفلسطين ولوط
بالموتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة والبركة كثرة الخير والمنافع وبركات الشام الواصلة الى العالمين
ان اكثر الانبياء بعثوا فيه وانتشرت في العالمين شرائعهم واثارهم الدينية وهي البركات
الحقيقية وقيل بارك الله فيه بكثرة الماء والشجر والثمر والخصب وطيب عيش الغني والفقير
وعن سفيان انه خرج الى الشام فقيل له الى اين فقال الى بلد يملأ فيه الجراب بدرهم وقيل ما من
عذب الا وينبع اصله من تحت الصخرة التي ببيت المقدس ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة النافلة
ولد الولد وقيل اسحق فاعطيه واعطي يعقوب نافلة اي زيادة وفضلا من غير سؤال وكلا اي كلهم جعلنا

صالحين اي من اهل النبوة والصلاح في الدين وجعلناهم ائمة اي قدوة يقتدى بهم في الخير
يهدون بامرنا اي يدعون الناس الى الدين ويدلونهم على الهدى بامرنا لهم بذلك والمعنى انا امرناهم
بهداية كل ضال قال رضي الله عنه وفي هذا دليل ان من صلح ليكون قدوة في دين الله سبحانه فالهداية
محتومة عليه مامور بها من جهة الله ليس له ان يخل بها ويتثاقل عنها واول ذلك ان
يهتدي بنفسه لان الانتفاع بهداه اعم والنفوس الى الاقتداء بالمهدي اميل واوحينا اليهم فعل
الخيرات اي ان نفعل الخيرات والخيرات علم في انواع البر والاعمال الصالحات ثم خص الصلوة
والزكوة لفضلهما فقال واقام الصلوة وايتاء الزكوة اي وان نقيم الصلوة وان نؤتي الزكوة وكانوا
لنا عابدين اي مخلصين العبادة لنا غير مشركين ولا مرائين ولوطا اتيناه حكما وعلما اي واذكر
لوطا وقصته والحكم الحكمة وهو ما يجب فعله او فصلا بين الخصوم وقيل هو النبوة ونجيناه من
القرية التي كانت تعمل الخبائث القرية سذوم والمعنى ونجيناه من اهلها لكن وصف القرية
بصفة اهلها وهم الذين كانوا ياتون الذكور والخبائث الفواحش واتيان الذكور اعظمها
واخبثها انهم كانوا قوم سوء فاسقين اي خارجين عن الحد مجاوزين للغاية في عمل الخبائث
وروي ان الشيطان لعنه الله حضر كل فاحشة امر بها الا هذه الفاحشة الخبيثة فانه بعد
عنها وعن فاعلها مخافة ان يخسف الله بهم جميعا وادخلناه في رحمتنا اي ادخلنا لوطا في
اهل رحمتنا او في الجنة لانها اعظم رحمة الله ومنه الحديث هذه رحمتي ارحم بها من اشاء ثم علل
ذلك بقوله انه من الصالحين اي من اهل الصلاح في الدين الذين خصصناهم برحمتنا
ونوحا اذ نادى من قبل اي من قبل هؤلاء المذكورين من الانبياء ونداؤه دعاؤه كانه يشير الى قوله اني مغلوب
فانتصر فاستجبنا له فنجيناه واهله من الكرب العظيم وهو الطوفان وما كان فيه من تكذيب قومه
واذاهم له ونصرناه من القوم الذين كذبوا باياتنا اي جعلناه منتصرا منهم بقوله تعالى نصرته
فاعنته اي اعنته عليه ثم علل الانتصار منهم بقوله انهم كانوا قوم سوء اي فساد وقبح فاغرقناهم
اجمعين بسبب فسادهم وتكذيبهم وما كانوا فيه وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت
فيه غنم القوم اي واذكرهما واذكر وقت حكمهما في الحرث حين نفشت فيه غنم القوم والنفش الانتشار

بالليل كانها اكلته بالليل وكنا لحكمهم شاهدين اى عالمين به لم يغب عن علمنا وجمع الضمير لحكمهم
لانه ارادهما والمتحاكمين اليهما وقرئ لحكمهما ففهمناها سليمن اى فهمناها الحكومة او الفتوى
سليمان وقرئ فافهمناها قالوا حكم داود عليه السلم بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان وهو ابن احدى عشرة
سنة غير هذا ارفق بالفريقين فعزم عليه ليحكمن فقال ارى ان يدفع الغنم الى اهل الحرث
ينتفعون بالبانها واولادها واصوافها والحرث الى ارباب الشاء يقومون عليه حتى يعود كهيئته يوم افسد ثم
يترادان فقال داود القضاء ما قضيت وامضى الحكم بذلك قيل حكما جميعا بالوحي الا ان حكومة
داود نسخت بحكومة سليمان وقيل اجتهدا جميعا فجاء اجتهاد سليمان اصوب وهو مقتضى الفقه الآن
قوله وكلا آتينا حكما وعلما دليل على انهما حكما بالصواب وقوله ففهمناها سليمان فيه دليل على ان
الاصوب كان مع سليمن قال رضي الله عنه ولكل احد من الحكومتين وجه اما وجه حكومة داود فلان
الضرر لما وقع بالغنم سلمت بجنايتها الى المجني عليه كما قال ابو حنيفة في العبد اذا جنى على النفس يدفعه
المولى بذلك او يفديه وعند الشافعي يبيعه في ذلك او يفديه ولعل قيمة الغنم كانت على قدر النقصان
في الحرث ووجه حكومة سليمان انه جعل الانتفاع بالغنم ~~كانت على قدر النقصان~~ بمقابلة ما فات
من الانتفاع بالحرث من غير ان يزول ملك المالك عن الغنم واوجب على صاحب الغنم ان يعمل في الحرث حتى
يزول الضرر والنقصان مثاله ما قاله اصحاب الشافعي فيمن غصب عبدا فابق من يده انه يضمن القيمة
فينتفع بها المغصوب منه بازاء ما فوته الغاصب من منافع العبد فاذا ظهر ترادا القيمة والعبد
قال رضي الله عنه وحكم هذه الواقعة لو وقعت في شريعتنا ان ابا حنيفة واصحابه لا يرون فيها
ضمانا بالليل او بالنهار الا ان يكون مع البهيمة سايق او قايد والشافعي يوجب الضمان بالليل دون النهار
قلت ومذهب ائمتنا عليهم السلم ان الكلام في جناية العبد كما ذكره ابو حنيفة بشرط ان تكون الجناية مما ليس
فيه القصاص واما في العبد المغصوب اذا ارتد الى مولاه ففيها خلاف بين اهل المذهب وما ذكره اصحاب
ش هو الذي ذهب اليه الهادي عليه السلم واما الحرث فمقتضى المذهب فيه اذا ضمن ان يجب ارش النقص
من الدراهم والدنانير ولا يجب القيام باصلاحه واعادته ولا يضمن صاحب البهيمة الا ان يفسده بالليل
دون النهار فلا يجب فيه ضمان الا ان يكون سايقا او قايدا او يكون البهيمة في هذا الحكم بحيث انها

اذا ارسلت استر نسلك الله وحث على الفوز وسخرنا مع داود الجبال يسبحن اى ذللناها يجاوبه
بالتسبيح كما يفعل المذلل المطيع ويسبحن بيان لكيفية تسخيرهن كان قايلا قال كيف سخرهن فقال يسبحن
والطير اي وسخرنا الطير او تقديره يسبحن مع الطير قال رضي الله عنه وقدم الجبال على الطير لان
تسخيرها وتسبيحها اعجب وادل على القدرة وادخل في الاعجاز لانها جماد والطير حيوان ناطق
روي انه كان يمر بالجبال مسبحا وهي تجاوبه وقيل كانت تسير معه حيث سار وكيفية نطق الجبال
بالتسبيح ان يخلق الله فيها الكلام كما خلقه في الشجرة حتى كلم موسى قال رضي الله عنه ووجه اخر
وهو ان يسبح من رآها تسير بتسخير الله فلما حملت من رآها على التسبيح وصفت به لانها السبب فيه
وكنا فاعلين اى قادرين على ان نفعل هذا وان كان عجبا عندكم وقيل معناه وكنا نفعل
مثل ذلك بالانبيا وعلمناه صنعة لبوس لكم اللبوس اللباس والمراد الدرع لانها تلبس اى وعلمناه
كيف يصنع الدرع وكانت صفائح فاول من سردها وحلقها داود ومعنى حلقها جعلها حلقا
فجمعت الخفة والتحصين لتحصنكم من بأسكم اى لتحرزكم وتمنعكم من قتال عدوكم في سبيل الله والمراد
تحصنهم من ضربات سيوفهم لانها تقيهم منه ثم حث على شكر نعمته فقال فهل انتم شاكرون نعمتنا عليكم
وهذا اخرج مخرج الامر فيه توبيخ على التفريط في الشكر كما يقال افانتم شاكرون ام انتم معرضون عن
الشكر وفيه تنبيه على عظم النعمة بتعليم صنعة الدروع ولسليمان الريح اى وسخرنا له الريح
عاصفة اى شديدة الهبوب قال رضي الله عنه ووصفت هذه الرياح بالعصف تارة وبالرخاء
اخرى والجمع بينهما انها كانت في نفسها رخية طيبة كالنسيم فاذا مرت بكرسيه ابعدت به في مدة يسيرة
شهر على ما قال غدوها شهر ورواحها شهر فكان جمعها بين الامرين ان تكون رخاء في نفسها
وعاصفة في عملها مع طاعتها لسليمان وهبوبها على حسب ما يريد ويحتكم آية الى آية ومعجزة الى
معجزة وقيل كانت في وقت رخاء وفي وقت عاصفا لهبوبها على حكم ارادته تجري بامره اى بما امرها
به من عصف ورخاء الى الارض التي باركنا فيها وهي ارض الشام وبركتها ان اكثر الانبيا
بعثوا منها هنالك فانتشرت من ابتعهم النافعة في الدين او لانها ارض كثيرة الرزق واسعة المعاش
وكنا بكل شيء عالمين اي قد احاط علمنا بكل شيء فنجري الاشيا كلها على ما يقتضيه علمنا وحكمتنا

اى مع تسبيح الطير

ومن الشياطين من يغوصون له اي يغوصون له في البحار فيستخرجون الجواهر ويعملون عملا
دون ذلك اي يتجاوزون ذلك الى الاعمال المهن وبناء المدائن والقصور واختراع الصنائع العجيبة كما قال
يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وكنا لهم حافظين من ان يزيغوا عن امره او يبدلوا او يغيروا او
عملوا او يوجد منهم فساد في شيء مما سخروا فيه ولتسخيرنا امره وايوب اذ نادى ربه اي اذكر ايوب
وقت ندائه ربه اني مسني الضر الضر بالفتح الضرر في كل شيء من نفس او مال والضر بالضم الضرر في النفس
لا غير من مرض وهزال فرق بين البناءين لافتراق المعنيين والضر الذي مسه مرض في بدنه و
الضر وانت ارحم الراحمين قال رضي الله عنه لقد الطف ايوب عليه السلام في السؤال حيث ذكر
نفسه بما يوجب الرحمة وذكر ربه بغاية الرحمة فعرض بقوله وانت ارحم الراحمين اي فاكشف
الضر عني بعظيم رحمتك ولم يصرح بالمطلوب ويحكى ان عجوزا تعرضت لسليمان بن عبد الملك فقالت
يا امير المومنين مشت جرذان بيتي على العصي فقال لها الطفت في السؤال لا جرم لاردنها تثب وثب
الفهود وملأ بيتها حبا فاستجبنا له دعاءه الذي عرض به فكشفنا ما به من ضر اي فازلنا
ما نزل به من مرض قال رضي الله عنه كان ايوب عليه السلام روميا من ولد اسحق بن يعقوب عليهم السلام وقد
استنبأه الله وبسط عليه الدنيا وكثر اهله وماله كان له سبعة بنين وسبع بنات وله
اصناف البهائم وخمس مائة فدان يتبعها خمس مائة عبد لكل عبد امراة وولد ونخيل فابتلاه
الله بذهاب ولده انهدم عليهم البيت فهلكوا وبذهاب ماله وبالمرض في بدنه ثماني عشرة سنة او
ثلاث عشرة سنة فقالت له امراته يوما لو دعوت الله فقال لها كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين
سنة فقال انا استحيي من الله ان ادعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي فلما كشف الله عنه الضر
احيا ولده ورزقه مثلهم ونوافل منهم اي اولاد اولاد ورد الى امراته ولدت بعد ستة وعشرين ابنا
وآتيناه اهله اي احيينا اولاده ومثلهم معهم اي ووهبنا له اولادا اخر مثلهم ورددنا اليه
الصحة بعد المرض والى الرخاء بعد الشدة رحمة من عندنا وذكرى للعابدين اي
لرحمتنا العابدين وانا نذكرهم بالاحسان لا ننساهم او رحمة منا لايوب وتذكرة لغيره من
العابدين ليصبروا كما صبر حتى يثابوا كما اثيب في الدنيا والآخرة قيل بلغ من بلائه انه لم يبق منه الا القلب

الجرذان
الفيران

واللسان وقيل بسبب بلائه ان رجلا استغاثه على ظالم فلم يغثه والذي روي في بلائه عليه السلام انه اكله الدود
وكان مع ما سقط عنه دون حملها ووضعها موضعها من جسده نحو ما اطيل الرواة فيما فيه من الاستقذار والتنفير
على وجه الارض اكرم من ايوب على الله منه وما روي ان الله سلط الشيطان حتى فعل ما فعل من اماته
اولاده وما اصابه في جسده باطل لان الله تعالى لا يسلط الشيطان على اوليائه وقد قيل ان الذي حمله على الدعاء
الى الله ان بعض من كان يتبعه قال له لعلك اذنبت ذنبا عظيما فضاق به صدره فدعا الى الله واسمعيل وادريس
وذا الكفل اي واذكر اسمعيل بن ابرهيم وادريس جد نوح وذا الكفل وهو الياس وقيل زكريا وقيل يوشع
بن نون والكفل الحظ الوافر والنصيب الكامل كانه سمي بذلك لانه ذو الحظ العظيم من الله وقيل كان له
ضعف عمل الانبياء في زمانه وضعف ثوابهم وقيل خمسة من الانبياء ذوو اسمين اسرائيل ويعقوب الياس وذو الكفل
عيسى والمسيح يونس وذو النون محمد واحمد كل من الصابرين اي كلهم من اهل الصبر العظيم على البلاء
بالمحن وادخلناهم في رحمتنا اي في اهل رحمتنا او في الجنة انهم من الصالحين اي من اهل الصلاح في
الدين والاعمال وذا النون اي واذكر صاحب النون وهو يونس والنون الحوت واضيف يونس اليه لانه
كان في بطنه اذ ذهب مغاضبا اي اذكره حين ذهب عن قومه اهل نينوى لانه دعاهم فكذبوه
فذهب عن ارضهم ارض الموصل ومغاضبا حال في الذهاب اي ذهب عنهم في حال كونه مغاضبا
لهم بغير اذن من ربه في ذلك اغضبه ما رأى من اصرارهم على الكفر مع طول ما ذكرهم فلم يذكروا
فهاجرهم وترك اعظمهم وظن ان ذلك يسوغ حيث لم يفعله الا غضبا لله وانفة لدينه وبغضا
للكفر واهله وكان عليه ان يصابر وينتظر الاذن من الله في المهاجرة عنهم فابتلي ببطن الحوت ومعنى
مغاضبته لقومه انه اغضبهم بالكفر والتكذيب واغضبهم بمفارقته لخوفهم نزول العذاب عليهم
بسببها وقرئ مغضبا على الله المغضب وحده فظن اي فحسب ان لن نقدر عليه قرئ نقدر ونقدر
بالنون مخففا ومشددا ويقدر ويقدر بالياء وفتح الدال فيهما مخففا ومشددا وفسر المخفف
بالتضييق عليه اي فظن ان لن نضيق عليه وفسر المشدد بنقدر الله عليه عقوبته لما نسب مهاجرته
بغير اذن وعن ابن عباس انه دخل على معاوية فقال له معاوية لقد ضربتني امواج القرآن البارحة فغرقت فيها
فلم اجد لنفسي خلاصا الا بك قال وما هي يا معاوية فقرأ هذه الآية وقال او يظن نبي الله ان لن يقدر عليه فقال

ابن عباس بالقوية هذا من القدر لا من القدرة اى من القدر الذى بمعنى التقدير كانه قيل فظن ان لن نقدر عليه
تقدير النقص قال رضى الله عنه والمخفف يصح ان يفسر بالقدر على معنى فظن ان لن نعمل فيه قدرتنا او تمثيل لحاله بحال
من ظن ان لن نقدر عليه فى مهاجرته قومه من غير انتظار لامر الله تعالى ويجوز ان يسبق ذلك الى وهمه بوسوسة
الشيطان ثم يردعه ويرده بالدليل والبرهان كما يفعل المومن المحقق عند وسوسة الشيطان فانها تسبق الى
وهمه ثم يردها ومنه قوله تعالى وتظنون بالله الظنونا والخطاب للمومنين فنادى فى الظلمات اى فى الظلمة
الشديدة المتكاثفة فى بطن الحوت وقيل هى ثلث ظلمات بطن الحوت والبحر والليل وقيل ابتلع حوته حوت اكبر منه
فحصل فى ظلمتى بطنى الحوتين وظلمة البحر ان لا اله الا انت هذا تفسير لندائه اى لا معبود بحق الا انت سبحانك
اى انزهك عن الشرك وعما لا يجوز عليك قيل لما اراد الدعا قدم ذكر التوحيد والعدل اى اتوسل اليك اولا
بلا اله الا انت والعدل قوله سبحانك اى تنزيها لك من الظلم انى كنت من الظالمين لنفسى حيث هاجرت بغير
اذن منك ولا انتظار لامرك فاستغفرك واتوب اليك فتب على ونجنى وعن النبى صلى الله عليه وسلم ما من مكروب
يدعو بهذا الدعا الا استجيب له وعن الحسن ما نجاه والله الا اقراره على نفسه بالظلم فاستجبنا له دعاه
ونجيناه من الغم اى من الكرب الذى كان معه فى بطن الحوت وكذلك اى كما انجيناه مما اصابه ننجى المومنين
من كربهم اذا استغاثوا بنا ودعونا واعترفوا بالظلم كما اعترف وتابوا كما تاب قيل امسك الله نفسه فى
بطن الحوت حيا معجزة له لانه لبث فيه اربعين يوما وليس ابتلاع الحوت له عقوبة لان العقوبة تقتضى
العذاب ولا يجوز ان يعاقب الله الانبيا ولكن يجوز ان يودب ويتعلم ما هو الاصلح وزكريا اذ نادى
ربه اى اذكر وقت دعائه ربه بقوله رب لا تذرنى فردا اى لا تتركنى وحيدا بلا ولد يسال ربه ان يرزقه
ولدا يرثه العلم والشرايع لان الانبيا لا تورث المال ولا يدعه وحيدا بلا وارث ثم رد امره الى الله مستسلما
فقال وانت خير الوارثين اى ان لم ترزقنى من يرثنى فلا ابالى فانك خير وارث اى خير باق بعدى وخير
حافظ لدينى فاستجبنا له دعاه ووهبنا له يحيى ونعم الولد كان لم يفعل معصية قط ولا هم بها واصلحنا
له زوجه هى ام يحيى واصلاحها ان جعلها صالحة للولادة بعد ان كانت عاقرا لا تلد وقيل اصلاحها
بتحسين خلقها وكانت سيئة الخلق انهم كانوا يسارعون فى الخيرات الضمير لمن تقدم ذكره من الانبيا يريد
انهم ما استحقوا الاجابة الى طلباتهم الا لمبادرتهم ابواب الخير ومسارعتهم فى تحصيلها كما يفعل الراغبون

فى الامور الجادون ويدعوننا اى يعبدوننا ويجوز ان يراد الدعا باللسان والتضرع رغبا ورهبا
اى راغبين فى الثواب وراهبين من العقاب او تعليل اى يدعوننا للرغبة فى ثوابنا والرهبة من عقابنا قال الحاكم
وفيه دليل على ان العبادة تحسن فعلها رغبة ورهبة وكانوا لنا خاشعين اى متواضعين خائفين
وعن مجاهد الخشوع الخوف الدائم فى القلب والتى احصنت فرجها اى اذكر مريم التى اعفت فرجها وحصنته
احصانا كليا من الحلال والحرام جميعا كما قالت ولم يمسسنى بشر ولم اك بغيا فنفخنا فيها من روحنا قال رضى الله
عنه نفخ الروح فى الجسد عبارة عن احيائه قال الله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحى اى احييته فقوله فنفخنا
فيها من روحنا مشكل لان ظاهره يدل على احياء مريم وليس كذلك لكن معناه نفخنا الروح فى عيسى فيها
اى احييناه فى جوفها ونظيره ان يقول الزمار نفخت فى بيت فلان اى نفخت فى المزمار فى بيته ويجوز ان
يراد وفعلنا النفخ فى مريم من جهة روحنا وهو جبريل عليه السلام لانه نفخ فى جيب درعها فوصل النفخ الى
جوفها وجعلناها وابنها اية اى عبرة وعلامة للعالمين قال رضى الله عنه لم يقل ايتين كما قال وجعلنا
الليل والنهار ايتين لان حالهما بمجموعهما اية واحدة وهى ولادتها اياه من غير فحل والمعنى جعلناها
وموعظة للناس يدلهم على قدرتنا ان هذه امتكم امة واحدة الامة الملة وهذه اشارة الى ملة الاسلام اى
ان ملة الاسلام هى ملتكم التى يجب ان تكونوا عليها لا تنحرفون عنها يشار اليها ملة واحدة
غير مختلفة وانا ربكم فاعبدون اى وانا الهكم اله واحد فخصونى بالعبادة وقرى الحسن امتكم بالنصب على
البدل من هذه ورفع امة واحدة على الخبر وعنه رفعهما جميعا خبرين وتقطعوا امرهم بينهم
كان الاصل وتقطعتم الا ان الكلام حرف الى الغيبة على طريقة الالتفات كانه ينعى عليهم ما افسدوه الى
اخرين ويقبح عندهم فعلهم ويقول الا ترون الى عظيم ما ارتكب هولاء فى دين الله والمعنى انهم جعلوا امر دينهم
فيما بينهم قطعا كما يتوزع الجماعة الشى فيصير لهذا نصيب ولذاك نصيب تمثيلا لاختلافهم فى الدين وصيرورتهم
فيه فرقا واحزابا شتى مختلفة الاديان والمذاهب ثم توعدهم بقوله كل الينا راجعون اى
كل هولاء الفرق المختلفة الينا يرجعون فنحاسبهم ونجازيهم فمن يعمل من الصالحات اى من
الطاعات الصحيحة المطابقة للكتاب والسنة وهذا عام فى سائر اعمال الذى يستحق بها الثواب وهو
مومن شرط لان الايمان شرط فى صحة الاعمال وغير المومن يحبط الطاعات والاعمال فلا كفران لسعيه

اي لا نبطل عمله بل نثيبه والكفران هو الكفر وهو مثل في حرمان الثواب كما ان الشكر مثل في اعطائه اذا قيل
لله شكور لان الكفر والشكر حقيقة لا يصح انتسابهما الى الله تعالى وهذا النفي مراد بقول فلا كفران يعني المراد
بالسعي العمل وانا له كاتبون اي كاتبوا ذلك السعي ومثبتوه في صحيفة عمله وما اثبتناه فهو غير ضائع
ومثاب عليه صاحبه وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون استعير الحرام للممتنع وجوده ومنه
قوله تعالى ان الله حرمهما على الكافرين اي منعهما منهم والمراد بالقرية اهلها ومعنى اهلكناها عزمنا على
اهلاكها او قدرنا اهلاكها ومعنى لا يرجعون اي لا يتوبون ولا يرجعون عن الكفر الى الاسلام الى ان تقوم القيمة
حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج هي اسان لغاية امتناع رجوعهم اي حتى اذا فتح سد ياجوج وماجوج
الذي سدهم به ذو القرنين من الخروج على الناس يعني انهم مطبوع على قلوبهم فلا يزالون على كفرهم ويموتون
عليه حتى يروا العذاب يوم القيمة حين تفتح السد وقرئ انهم بالكسر على انه تعليل لما قبله كانه قيل وحرام على
قرية اهلكناها هذا اي المذكور في الاية المتقدمة من العمل الصالح والسعي المشكور غير المكفور وهو
تعليل معنوي كانه قيل لم حرم عليهم فقيل انهم لا يرجعون عن الكفر فوجب منعهم وياجوج وماجوج
قبيلتان من جنس الانس من ولد يافث بن نوح يقال الناس عشرة اجزاء تسعة منهم ياجوج وماجوج وهم يعني
الناس المستوفون الى المحشر وقيل هم ياجوج وماجوج يخرجون حين تفتح السد من كل حدب ينسلون
الحدب النشز من الارض اي المرتفع منها وقرا ابن عباس من كل جدث وهو القبر وقرئ ينسلون بضم السين
اي يسرعون الى المحشر يقال نسل وعسل بمعنى اسرع واقترب الوعد الحق يعني القيمة والواو زائدة
لان اقترب جواب حتى وقيل هو معطوف على فتحت داخل في الشرط اي لا يزالون على كفرهم اي الى
فتح السد والى اقتراب الوعد الحق وهو وعد الحساب والجزاء على الاعمال وقوله فاذا هي شاخصة
ابصار الذين كفروا جواب اذا فتحت وقوله هي ضمير مبهم تفسيره الابصار والمعنى فاذا هي شاخصة
ابصارهم لكنه ذمهم بالوصف بالكفر ومعنى شخوص ابصارهم انها لا تطرف في اماكنها من هول ما ترى
كما ترى من يقاد للقود اي يحشرون يرجعون عن كفرهم ويقولون يا ويلنا قد كنا في الدنيا في غفلة من هذا
الهول الذي حذرنا منه ثم اضربوا الى الاعتراف بالظلم فقالوا بل كنا ظالمين لانفسنا بالكفر والاعراض
عن الشكر وعن انذار النذر الصادق فيه قال رضي الله عنه ومجاز الاية ان قوما عزم الله عز وجل على

اهلاكهم غير متصور ان يرجعوا او ينيبوا الى ان تقوم القيمة فحينئذ يرجعون ويقولون يا ويلنا قد كنا
في غفلة من هذا انا كنا ظالمين يعني انه مطبوع على قلوبهم فلا يزالون على كفرهم ويموتون عليه حتى يروا العذاب
انكم وما تعبدون من دون الله اي يقال يوم القيمة انكم ايها المشركون وما يعبدون غير الله الى عبادته
حصب جهنم الحصب هو المحصوب اي المرمي به لانهم يحصبون في النار اي يرمون فيها وقرئ حطب جهنم
ويحتمل ان يريد بما تعبدون الاصنام او ابليس واعوانه لانهم بطاعتهم لهم واتباعهم خطواتهم في حكم عبدتهم
وتصديقه ما روي ان الرسول صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وصناديد قريش في الحطيم وحول الكعبة ثلثمائة وستون
صنما فجلس اليهم فعرض له النضر بن الحارث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى افحمه ثم تلا عليهم انكم وما تعبدون من
دون الله الاية فاقبل عبد الله بن الزبعرى فرآهم يتهامسون فقال فيم خوضكم فاخبره الوليد بن
المغيرة بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله اما والله لو وجدته لخصمته فدعوه فقال ابن الزبعرى
أانت قلت ذلك قال نعم قال قد خصمتك ورب الكعبة اليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح
وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال صلى الله عليه وسلم بل عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك فانزل الله تعالى ان الذين
سبقت لهم منا الحسنى الاية يعني عزيرا والمسيح والملائكة وقرنوا في النار بالهتهم لانهم لا يزالون لمقارنتهم
في زيادة غم وحسرة حيث اصابهم ما اصابهم بسببهم والنظر الى وجه العدو باب من العذاب ولانهم قدروا
انهم يستشفعون بهم في الاخرة ويستنفعون بشفاعتهم فاذا صادفوا الامر على عكس ما قدروا لم يكن
شيء ابغض اليهم منهم لو كان هؤلاء الاصنام الذين عبدتموهم الهة على الحقيقة كما زعمتم ما وردوها اي
ما دخلوا النار معكم ولا قرنوا بكم في العذاب وكل اي وكلهم فيها خالدون يعني العابدين والمعبودين
وقوله لو كان هؤلاء الهة خطاب لهم اي يقال لهم ذلك وقوله لهم فيها زفير [illegible]
الى الغيبة والزفير اخراج النفس والشهيق رده وهم فيها اي في جهنم لا يسمعون عن ابن مسعود
يجعلون في توابيت من نار فلا يسمعون ويجوز ان يصمهم الله تعالى كما يعميهم ان الذين سبقت لهم منا
الحسنى اي سبق في علمنا لهم الحسنى وهي الخصلة المفضلة في الحسن وهي اما السعادة واما
البشرى بالثواب واما التوفيق للطاعة اولئك عنها اي عن جهنم مبعدون اي مرحزحون منحون
[illegible] سلوك سبيل النجاة ويروى ان عليا عليه السلم قرأ هذه الاية ثم قال انا منهم وابو بكر

وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف ثم اقيمت الصلوة فقام يجر رداءه وهو يقول لا
يسمعون حسيسها اى صوتها الذى يحس بالسمع وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون الشهوة طلب
النفس اللذة يعنى انهم مخلدون فى نعيم الجنة متمكنون فيها من كل مشتهى بلذاته لا ينقطع ذلك عنهم لا
يحزنهم الفزع الاكبر فرى لا يحزنهم من احزن يحزن ويحزنهم من حزن يحزن اى لا نغص عليهم ولا يهولهم الفزع
الاكبر قيل هو النفخة الاخيرة وقيل هو الانصراف الى النار وقيل حين يطبق على النار وقيل
حين يذبح الموت على صورة كبش املح ليتحققوا الخلود وينادى يا اهل الجنة خلود ولا موت ويا اهل
النار خلود ولا موت فيزداد سرور اهل الجنة وغم اهل النار وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى
كنتم توعدون اى تستقبلهم الملائكة مهنئين على ابواب الجنة ويقولون هذا وقت ثوابكم الذى
وعدكم ربكم قد حل اى حضر يوم نطوى السماء كطى السجل للكتاب اى كما يطوى الطومار للكتابة ليكتب
فيه والمعنى ان السماء يوم القيمة تطوى وتلف بعضها على بعض كطى الصحيفة للكتب فيها لانه يطوى لطيها
وقيل السجل ملك يطوى كتب بنى ادم اذا رفعت اليه وقيل هو اسم كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم والكتاب
على هذا اسم الصحيفة المكتوب فيها وهذا ظاهر لانها تطوى حقيقة كما بدأنا اول خلق نعيده اى نعيد اول
الخلق كما بدأناه تشبيها للاعادة بالابتداء فى تناول القدرة لهما على سواء والمعنى كما اوجدناه اولا عن عدم
كذلك نعيده ثانيا عن عدم وكما خلقناكم ابتداء حفاة عراة غرلا كذلك نعيدكم يوم القيمة وعدا علينا
هذا تأكيد لان قوله نعيده عدة للاعادة انا كنا فاعلين اى قادرين على ان نفعل ذلك وفائدة كان
الدلالة على ان قدرته على البعث صفة ذاتية ثابتة له فى الماضى كثبوتها فى المستقبل والحال الذى
نستعملها لكن الحكمة قضت بتاخير الاعادة الى الوقت الذى اختص بعلمه ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر
الزبور زبور داود عليه السلام والذكر التوراة وقيل الزبور اسم لجنس ما انزل على الانبياء من الكتب والذكر
ام الكتاب يعنى اللوح المحفوظ ومعنى من بعد الذكر اى من بعد كتابته ذلك فى الذكر ان الارض يعنى الدنيا
يرثها عبادى الصالحون اى يملكها المؤمنون من اهل الصلاح بعد اجلاء الكفار عنها وعن ابن
عباس هى ارض الجنة وقيل الارض المقدسة يرثها امة محمد صلى الله عليه وسلم ان فى هذا المذكور فى هذه السورة
من الاخبار والوعد والوعيد والمواعظ البالغة لبلاغا اى لكفاية يبلغ الى المقصود لقوم عابدين

مطيعين لله وخصهم لانهم المنتفعون به وما ارسلناك يا محمد الا رحمة للعالمين قال رضى الله عنه
ارسل صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين من الانس والجن لانه جاء بما يسعدهم ان اتبعوه ومن خالف ولم يتبع
فانما اتى من عند نفسه حيث ضيع نصيبه منها ومثاله ان يفجر الله عينا غزيرة فيسقى ناس زروعهم
ومواشيهم بمائها فيفلحوا ويبقى ناس مفرطون عن السقى فيضيعوا فالعين المفجرة نعمة من الله ورحمة
للفريقين لكن الكسلان محنة على نفسه حيث حرمها ما ينفعها وقيل كونه رحمة للفجار من حيث ان
عقوبتهم اخرت بسببه وامنوا به عذاب الاستيصال قل انما يوحى الى انما الهكم اله واحد انما لقصر الحكم
على شئ او لقصر الشئ على حكم كقولك انما زيد قائم وقد اجتمع المثالان فى هذه الاية لان انما يوحى مع فاعله
بمنزلة انما يقوم زيد وانما الهكم مع ما بعده بمنزلة انما زيد قائم وفائدة اجتماعهما الدلالة على ان الوحى الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم مقصور على استيثار الله بالوحدانية فهل انتم مسلمون اى موحدون مخلصون
له العبادة وفيه دلالة على ان الوحى الوارد على هذه الصفة موجب ان تخلصوا التوحيد لله وان تخلعوا
الانداد لان قوله فهل انتم مسلمون فيه حث على الاسلام وتوبيخ على الشرك بعدما صحت بدليل العقل
الوحى الوارد وفيه دليل على ان صفة الوحدانية يصح ان يكون طريقها السمع فان تولوا اى اعرضوا
عن التوحيد والاسلام فقل لهم اذنتكم اى اعلمتكم بما يوحى الى والمعنى انى بعد توليكم واعراضكم عن
قبولها عرض عليكم من وجوب توحيد الله عز وجل وتنزيهه عن الانداد والشركاء كرجل بينه وبين
اعدائه هدنة فاحس منهم بغدرة فنبذ اليهم العهد وشهر النبذ واشاعه واذنهم جميعا بذلك على
سواء اى مستوين فى الاعلام به لم نطوه عن احد منهم وكاشف كلهم وقشر العصا عن لحائها وما
توعدونه من غلبة المسلمين عليكم كائن لا محالة ولا بد من ان يلحقكم الذلة والصغار وان ادرى
اى وما اعلم اقريب ام بعيد ما توعدون اى لا اعلم متى يكون ذلك الواقع بكم لان الله لم يطلعنى عليه ولم
يطلعنى عليه ولا اخبرنى بوقته انه يعلم الجهر من القول اى عالم لا يخفى عليه ما تجاهرون به من كلام
الطاعنين فى الاسلام ويعلم ما تكتمون اى ما تخفونه فى صدوركم من الاحن والاحقاد للمسلمين
وهو مجازيكم على ما تكتمونه كما عاتبكم على ما تجاهرون به وان ادرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين
اى وما ادرى لعل تاخير هذا الموعد امتحان لكم وابتلاء لينظر كيف تعملون او تمتيع لكم الى حين

لتكون ذلك حجة عليكم وليقع الموعد في وقت هو فيه حكمة **وقل رب احكم بالحق** قرئ قل وقال على
حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم اي اقض بيننا وبين اهل مكة بالحق امر باستعجال العذاب لقومه فعذبوا
ببدر ومعنى بالحق اي لا تحابهم وشدد عليهم كما هو حقهم كما قال صلى الله عليه وسلم اشدد وطاتك على مضر وقيل
امر ان يقول كما قالت الرسل قبله من قوله افتح بيننا وبين قومنا بالحق **وربنا** اي وقل ربنا **الرحمن
المستعان على ما تصفون** اي على ما تصفونه بالسحر وكانوا يصفون الحال على خلاف ما جرت
عليه ويطمعون ان تكون لهم الغلبة على المومنين فكذب الله عز وجل ظنونهم وخيب امالهم
ونصر رسوله صلى الله عليه وسلم والمومنين وخذلهم

سورة الحج مكية غير ست ايات وهي ثمان وسبعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم **يا ايها الناس** يعني اهل مكة
اتقوا ربكم اي اطيعوه **ان زلزلة الساعة شيء عظيم** الزلزلة شدة التحريك والازعاج للشيء وان
يكون في مكانه وهو من زليل الاشيا عن مقارها وهذه الزلزلة هي الزلزلة المذكورة في قوله اذا زلزلت الارض
زلزالها واضاف الساعة القيامة لانها تحدث في الساعة على غفلة واضاف الزلزلة الى الساعة كانها
التي تزلزل الاشيا مجازا والوقوع الزلزلة فيها واختلف في وقت الزلزلة فعن الحسن انها تكون يوم
القيمة وعن الشعبي عند طلوع الشمس من مغربها قال رضي الله عنه امر الله بني ادم بالتقوى ثم علل وجوبها
عليهم بذكر الساعة ووصفها باهول صفة لينظروا الى تلك الصفة ببصائرهم ويتصوروها بعقولهم
حتى يبقوا على انفسهم ويرحموها من شدائد ذلك اليوم بامتثال ما امرهم به ربهم من التردي بلباس التقوى
الذي لا يومنهم تلك الافزاع الا ان يتردوا به **يوم ترونها** يعني الزلزلة **تذهل كل مرضعة عما ارضعت**
قرئ تذهل كل مرضعة وتذهل كل مرضعة اي تذهلها الزلزلة والذهول الذهاب عن الامر مع دهشة
وفزع وقال مرضعة ولم يقل مرضع لان المرضعة هي التي في حال الارضاع ملقمة ثديها الصبي والمرضع
التي شانها ان ترضع وان لم تباشر الارضاع في حال وصفها به فقيل مرضعة ليدل على ان ذلك الهول
اذا فوجئت به هذه وقد القمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه لما يلحقها من الدهشة **عما ارضعت** اي
عن ارضاعها او عن الذي ارضعته وهو الطفل **وتضع كل ذات حمل حملها** اي تسقط ولدها من هول

ذلك اليوم وعن الحسن تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام **وترى
الناس سكارى** من الخوف **وما هم بسكارى** من الشراب **ولكن عذاب الله شديد** فهم يخافونه والمعنى وتراهم
سكارى على التشبيه وما هم بسكارى على التحقيق ولكن ما غشيهم من خوف عذاب الله هو الذي اذهب عقولهم
وطير تمييزهم وردهم في نحو من حال من يذهب السكر بعقله وتمييزه وروي انها نزلت ليلا في غزوة بني
المصطلق فقراها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ير اكثر باكيا من تلك الليلة فلما اصبحوا لم يحطوا السرج
عن الدواب ولم يضربوا الخيام وقت النزول ولم يطبخوا قدرا وكانوا من بين حزين وباك ومفكر **ومن الناس
من يجادل في الله بغير علم** نزلت في النضر بن الحارث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقران
اساطير الاولين والله غير قادر على احياء من بلي وصار ترابا قال رضي الله عنه وهي عامة في كل
من يتعاطى الجدال فيما يجوز على الله عز وجل وما لا يجوز من الصفات والافعال ولا يرجع الى علم ولا يعض
فيه بضرس قاطع وليس فيه اتباع للبرهان ولا نزول على النصفة فهو يخبط خبط عشواء غير فارق
بين الحق والباطل **ويتبع كل شيطان مريد** اي يتبع في جداله خطوات كل شيطان مريد عات خارج
من طاعة الله تعالى **كتب عليه** اي على الشيطان **انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير** اي
علم من حاله وظهر وتبين انه من جعله وليا لم يثمر ولايته الا الاضلال عن طريق الجنة والهداية الى النار
والكتبة عليه مثل اي كانما كتب اضلال من يتولاه عليه ورقم به لظهور ذلك في حاله قال رضي الله عنه
وما ارى رؤسا اهل الاهوا وارباب البدع والحشوية المتلقبين بالامامة في دين الله تعالى الا داخلين
تحت كل هذا دخولا اوليا بل هم اشد الشياطين اضلالا واقطعهم لطريق الحق حيث دونوا الضلالة
تدوينا ولقنوها اشياعهم تلقينا وكانهم ساطوا بلحومهم ودمائهم واياهم عني مروان تعني تفسير الكرمانية

وكاين ترى فقهاء الحطانين فوقه طرائق جاه عندهم تستوي كما
ولو قراوا اللوح ما خط فيه من بيان اعوجاج في طريقه لمجوا

اللهم ثبتنا على المعتقد الصحيح الذي رضيته لملائكتك في سمواتك وانبيائك وارضك وادخلنا
برحمتك في عبادك الصالحين **يا ايها الناس** يعني كفار مكة **ان كنتم في ريب من البعث** اي في شك من
الاحياء **فانا خلقناكم** اي خلقنا اباكم ادم الذي هو اصل البشر **من تراب ثم** خلقنا ذريته

من نطفة وهي المني ثم من علقة وهي قطعة الدم الجامد ثم من مضغة وهي لحمة صغيرة قدر ما
يمضغ مخلقة أي مصورة تامة الخلق والمخلقة المسواة الملساء من النقصان والعيب وغير مخلقة
أي ومن مضغة غير مخلقة وهي ما تمجه الأرحام دمًا وهو السقط كأن الله تعالى يخلق المضغ متفاوتة
مختلفة منها ما هو كامل الخلقة أملس من العيوب ومنها ما هو على عكس ذلك فيتبع ذلك التفاوت
اختلاف الناس في خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم وتمامهم ونقصانهم وإنما نقلناكم من حال إلى حال ومن
خلقة إلى خلقة لنبين لكم بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وأن من قدر على خلق البشر من تراب أولًا ثم من
نطفة ثانيًا ولا تناسب بين التراب والماء وقدر على أن يجعل النطفة علقة وبينهما تباين ظاهر ثم يجعل العلقة
مضغة والمضغة عظامًا قادر على إعادة ما أبداه بل هو أدخل في القدرة من تلك وأهون في القياس
لأن الإعادة لها مثال ونظير بخلاف الابتداء ونقر في الأرحام ما نشاء أي نثبت فيها ما لا يكون سقطًا
إلى أجل مسمى وهو وقت الوضع آخر ستة أشهر أو تسعة أو سنتين أو أربع أو كما نشاء وقدر وما لم نشأ
إقراره مجته الأرحام أو أسقطته وقرئ ليبين لكم ونقر بالياء والنصب وقرئ يقر ويخرجكم بالياء والنصب
ويقر ويخرجكم بالنصب والرفع فالقراءة بالرفع إخبار بأنه يقر في الأرحام ما يشاء أن يقره وبالنصب تعليل
معطوف على تعليل ومعناه خلقناكم مدرجين هذا التدريج لغرضين أحدهما أن نبين قدرتنا
والثاني أن نقر في الأرحام من نقر حتى يولدوا وينشؤوا ويبلغوا حد التكليف فأكلفهم ثم نخرجكم من بطون
أمهاتكم طفلا أي صغارًا وأفرد لأن الغرض الدلالة على الجنس فاستغني بالمفرد عن الجمع ويحتمل
أن يراد يخرج كل أحد منكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم الأشد كمال القوة والعقل والتمييز وهو من ألفاظ الجموع
التي لم يستعمل لها واحد ومنكم من يتوفى أي يتوفاه الله قبل بلوغ الأشد ومنكم من يرد إلى أرذل العمر وهو
الهرم والخرف حتى يعود كهيئته الأولى في أوان طفوليته ضعيف البنية سخيف العقل قليل الفهم بين تعالى
الله كما قدر على أن يرقيه في درجات الزيادة حتى يبلغه حد التمام فهو قادر على أن يحطه حتى ينتهي به إلى
الحالة السفلى لكيلا يعلم من بعد علم شيئا أي ليصير نساءً بحيث إذا اكتسب علمًا في شيء لم ينشب أن ينساه
ويزل عنه علمه حتى يسأل عنه من ساعته يقول لك من هذا فتقول فلان فما يلبث لحظة إلا سألك عنه
ثم ذكر تعالى دلالة أخرى على البعث لظهورها ولكونها مشاهدة مكررة معاينة كثيرًا

الله تعالى في كتابه فقال وترى الأرض هامدة أي ميتة يابسة ذات تراب فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت
أي تحركت بالنبات كما يتحرك الحي وربت أي انتفخت وقرئ ربأت أي ارتفعت لأن الأرض تنتفخ وترتفع
بالنبات لأنه يرفع ما فوقه من التراب عند طلوعه وأنبتت من كل زوج بهيج الزوج الصنف من أصناف
النبات والبهيج الحسن السار للناظر إليه لحسنه بهجته ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى
وأنه على كل شيء قدير أي ذلك الذي ذكرنا من اختلاف أحوال خلق الإنسان وإحياء الأرض مع
ما فيه من أصناف الحكم واللطائف حاصل بسبب أن الله هو الحق أي الثابت الموجود ولولاه لم
يتصور وجود ذلك وبسبب أنه قادر على إحياء الموتى لقدرته على ذلك وبسبب أنه قدير على كل شيء
مقدور وأن الساعة آتية لا ريب فيها أي لا شك في إتيانها لأنه تعالى لا يجوز عليه إخلاف الميعاد
وأن الله يبعث من في القبور فيجازيهم بأعمالهم ومن الناس من يجادل في الله بغير علم عن ابن عباس أنه
أبو جهل بن هشام وقيل الأول في المقلدين وهذا في المقلَّدين أي ومن الناس من يخاصم ويكابر في توحيد الله
وما يجوز عليه وما لا يجوز بغير علم والمراد بالعلم العلم الضروري ولا هدى ولا كتاب منير والمراد بالهدى
الاستدلال والنظر لأنه يهدي إلى المعرفة وبالكتاب المنير الوحي ثاني عطفه ثني العطف عبارة عن الكبر
والخيلاء كتصعير الخد ولي الجيد وقيل هو عبارة عن الإعراض عن الذكر وعن الحسن ثاني عطفه
فتح العنق أي مانع تعطفه بمعنى لا يلين القول ليضل عن سبيل الله هذا تعليل للمجادلة وقرئ بضم
الياء أي ليضل غيره وبفتحها ليضل في نفسه والضلال لما أدى جداله إلى الضلال جعل كأنه غرضه فعل الضلال
ولما أعرض عما عرض عليه من الهدى وأقبل على الجدال بالباطل جعل كالخارج من الهدى إلى الضلال
فقيل ليضل عن سبيل الله طريقه التي يرتضاها وهي دين الإسلام له في الدنيا خزي أي ذل وصغار
وهو ما أصابه يوم بدر من الصغار والقتل ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق أي كما أذاق المطعوم أي
من أن العذاب الغليظ من النار ذلك بما قدمت يداك أي يقال له ذلك الذي أصابك من الخزي في الدنيا
والعذاب في الآخرة بسبب ما قدمت في الدنيا من الفساد والجدال بالباطل ونسب ذلك إلى اليدين لما كان أكثر
الأعمال بهما وأن الله ليس بظلام للعبيد أي وبسبب أن الله لا يعاقب أحدا بغير جرم والسبب فيما بين به من خزي
الدنيا وعذاب الآخرة هو ما قدمت يداه وعدل الله في معاقبة الفجار وإثابة الصالحين ومن الناس

من يعبد الله على حرف اي على طرف من الدين لا في وسطه وقلبه وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب
في دينهم لا على سكون وطمانينة كالذي يكون على طرف من العسكر فان احس بظفر وغنيمة قر واطمأن
والا فر وطار على وجهه قالوا نزلت في اعاريب قدموا المدينة فكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه
مهرا سريا وولدت امراته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال ما اصبت منذ دخلت في ديني هذا الا خيرا
واطمأن وان كان خلاف ذلك قال ما اصبت الا شرا وانقلب وهو معنى قوله فان اصابه خير اي خصب وكثرة
مال اطمأن به اي سكن به قلبه وان اصابته فتنة اي اختبار وامتحان بجدب وقلة مال انقلب على
وجهه اي رجع الى دينه الى الكفر وعن ابي سعيد الخدري ان رجلا من اليهود اسلم فاصابته مصائب
فتشاءم بالاسلام فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اقلني فقال ان الاسلام لا يقال فنزلت ومعنى قوله خسر الدنيا
والآخرة ان المصاب بالمحنة بترك التسليم لقضاء الله والخروج الى ما يسخط الله جامع على نفسه
محنتين احداهما ذهاب ما اصيب به والثاني ذهاب ثواب الصابرين في الآخرة مع عقاب الجزع وترك التسليم
وقرئ خاسر الدنيا والآخرة بالنصب والرفع ذلك اي خسران الدنيا والآخرة هو الخسران المبين اي
الواضح الذي لا لبس فيه يدعو من دون الله ما لا يضره ان عصاه وما لا ينفعه ان اطاعه جعل
الله تعالى الكافر بانه يعبد من دونه الاصنام التي هي جماد لا يقدر له على ضر ولا نفع وهو يعتقد بجهله
وضلاله انها تنفعه وتشفع له يوم القيمة ذلك يعني المذكور من ضلال الكافر هو الضلال البعيد
استعير الضلال البعيد من ضلال من ذهب عن جهته او عن الطريق فبعدت مسافته ولم يهتد اليه
واستعير هنا للذهاب البعيد عن الصواب ثم قال يدعو لمن ضره اقرب من نفعه اي يقول هذا الكافر
يوم القيمة بدعاء وصراخ حين يرى استضراره بالاصنام ودخوله النار بعبادتها ولا يرى اثر
الشفاعة التي ادعاها لها لمن ضره اقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير معنى بئس الذي والمولى
الناصر والعشير الصاحب المعاشر وكرر يدعو كانه قال يدعو يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه
ثم قال لمن ضره بكونه معبودا اقرب من نفعه بكونه شفيعا لبئس المولى اي لبئس الناصر والصاحب
من ضره اقرب من نفعه وقرئ من ضره بغير لام ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات
جنات تجري من تحتها الانهار هذا اخبار بحال المومنين المنافية لتلك الحال وان الله يكرمهم ويثيبهم

بنعيم جناته لانهم عبدوا الحي القادر على الضر والنفع ان الله يفعل ما يريد من اثابة الابرار ومعاقبة
الفجار من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والآخرة هذا كلام قد دخله اختصار والمعنى ان الله ناصر
رسوله في الدنيا والآخرة فمن كان يظن من حاسديه واعاديه ان الله يفعل خلاف ذلك ويطمع فيه
ويغيظه انه لا يظفر بمطلوبه فليمدد بسبب الى السماء اي فليستقص وسعه وليستفرغ مجهوده في ازالة ما
يغيظه بان يفعل ما يفعل من بلغ منه الغيظ كل مبلغ ثم مد حبلا الى سماء بيته فاختنق وهو معنى قوله ثم
ليقطع اي ثم ليختنق وسمي الاختناق قطعا لان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه فلينظر هل يذهبن
كيده ما يغيظ اي فاذا اختنق فلينظر وليصور في نفسه انه ان فعل ذلك هل يذهب نصر الله الذي يغيظه
وسمي فعله كيدا لانه وضعه موضع الكيد حيث لم يقدر على غيره او على سبيل الاستهزاء لانه لم يكد به
محسوده انما كاد به نفسه والمراد انه ليس في يده الا ما ليس بمذهب لما يغيظه وقيل فليمدد بحبل الى السماء
المظلة وليصعد عليه فليقطع الوحي ان ينزل عليه وقيل كان قوم من المسلمين لشدة غيظهم وحنقهم على
المشركين يستبطئون ما وعد الله رسوله من النصر واخرون من المشركين يريدون اتباعه ويخشون ان لا
يثبت امره فنزلت وقد فسر النصر بالرزق وقيل معناه ان الارزاق بيد الله لا تنال الا بمشيته ولا بد للعبد من
الرضى بقسمته فمن ظن ان الله غير رازقه وليس به صبر واستسلام فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق
فان ذلك لا يقلب القسمة ولا يرده مرزوقا وكذلك انزلناه اي ومثل ذلك الانزال البين انزلنا القرآن ايات بينات
لا خفاء بهن في معانيهن وان الله يهدي من يريد تقديره ولان الله يهدي به من يريد هدايته من الذين يعلم
انهم يومنون او يثبت الذين امنوا ويزيدهم هدى لانهم مهديون ان الذين امنوا اي صدقوا بالايمان
والذين هادوا اي دخلوا في اليهودية يقال هاد يهود والصابئين هم قوم عبدوا الملائكة وما لوا عن الدين
والنصارى هم قوم عيسى وسموا بذلك لانهم نصروا المسيح فغلب عليهم الاسم وان كانوا كفارا والمجوس هم قوم
من الملل الخارجة عن الاسلام يتزوجون ارحامهم والذين اشركوا هم عبدة الاصنام وقوله
ان الله يفصل بينهم يوم القيمة الفصل مطلق يحتمل الفصل بينهم في الاحوال والاماكن جميعا فلا يجازيهم
جزاء واحدا بغير تفاوت ولا يجمعهم في موطن واحد وقيل الاديان خمسة اربعة للشيطان وواحد للرحمن
وهو دين الاسلام وقيل معنى يفصل بينهم اي يقضي بين المومنين والكافرين ثم علل ذلك بقوله ان

قال بعض اهل التفسير هذه الاية في نفر من اسد وغطفان قالوا انا نخاف ان لا ينصر محمد فينقطع الذي بيننا وبين حلفائنا من اليهود ولا يعطونا ولا يطعمونا فقال الله تعالى ... والله اعلم وحكى بعضهم ان الاية نزلت في الذين انصرفوا عن رسول الله لان ارزاقهم ما اتسعت

الله على كل شيء من افعالهم شهيد اى مطلع عليه ومجازيهم بحسب ذلك الم تر ان الله يسجد له من في السموات
ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب المراد بسجود هذه الاشيا انقيادها لامر
الله ومطاوعتها له فيما يحدث فيها من افعاله ويجريها عليه من تدبيره وتسخيره لها . سمى ذلك سجودا له
تشبيها لمطاوعتها بابلغ افعال المكلف في الطاعة والانقياد وهو السجود الذى كل خضوع دونه
وكثير من الناس فعله محذوف اى ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة والمراد به السجود
الحقيقى ولا يصح ان يتعلق بقوله او لا يسجد له لانه قد اسند الى من في السموات ومن في الارض على العموم
فلا يفيد قوله وكثير من الناس ويراد السجود الحقيقى في حق هولا لان اللفظ الواحد لا يصح استعماله في
حالة واحدة على معنيين مختلفين ويجوز ان يراد وكثير من الناس مثاب ويحذف مثاب لان ما بعده يدل عليه
وهو قوله وكثير حق عليه العذاب اى وجب يعنى فريقا من المؤمنين وغير المؤمنين ويجوز ان يبالغ في
تكثير المستحقين للعذاب فيعطف كثير على كثير ثم يخبر عنهم بحق عليهم العذاب كانه قيل كثير وكثير من الناس
حق عليهم العذاب والكثير على هذا ظاهر لقلة اهل النجاة يوم القيمة وكثرة المعذبين ومن يهن الله
اى ومن اهانه الله بان كتب عليه الشقاوة لما سبق في علمه من كفره او فسقه فما له من مكرم اى فلن يجد له مكرما
يكرمه بالسعادة وقرئ مكرم بمعنى فلن يجد له اكراما ان الله يفعل ما يشاء من الاكرام والاهانة ولا يشاء
ذلك الا بما يقتضيه عمل العاملين واعتقاد المعتقدين هذان خصمان يعنى المؤمنين والكافرين اختصموا
في ربهم اى في دينه وصفاته روى ان اهل الكتاب قالوا للمؤمنين نحن احق بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم
وقال المؤمنون نحن احق بالله امنا بمحمد وامنا بنبيكم وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم كفرتم
وكفرتم به حسدا فهذه خصومتهم في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار هذا هو فصل الخصومة
المعنى بقوله تعالى ان الله يفصل بينهم يوم القيمة وقرئ قطعت بالتخفيف كان الله تعالى يقدر لهم نيرانا على مقادير
جثتهم تشتمل عليها كما تقطع الثياب الملبوسة ويجوز ان يظاهر الله تعالى على كل واحد منهم تلك النيران كالثياب
المظاهرة على اللابس بعضها فوق بعض يصب من فوق رؤسهم الحميم وهو الماء الحار عن ابن عباس لو سقطت منه
نقطة على جبال الدنيا لاذابتها يصهر به اى يذاب بالحميم قال المفسرون يذاب بالماء الحار ما في بطونهم من شحم او معا
يخرج من ادبارهم وينضج الجلود فيتساقط من حره ما في بطونهم والجلود اى اذا صب الحميم على رؤسهم كان تاثيره في الباطن

خ قطره

نحو تاثيره في الظاهر فتذاب امعاؤهم واحشاؤهم كما تذاب جلودهم فتتساقط ولهم مقامع من حديد المقامع السياط
وفي الحديث لو وضعت مقمعة منها في الارض فاجتمع عليها الثقلان ما اقلوها كلما ارادوا ان يخرجوا منها اى من
النار من غم اى من عذاب يغمهم اعيدوا فيها اى ردوا اليها بالمقامع ومعنى الخروج ما يروى عن الحسن ان
النار تضربهم بلهبها فترفعهم حتى اذا كانوا في اعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا وذوقوا
اى وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق وهو الغليظ من النار المنتشر العظيم الاهلاك ان الله يدخل الذين امنوا
وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار لما فرغ من بيان ما استحقه اهل العذاب من الخصمين
بين ما استحقه الخصم الاخر وهم المؤمنون من الثواب والمعنى ان الله يدخل الذين جمعوا بين الايمان والاعمال
الصالحة جنات تجري من تحتها الانهار كما ترى الاشجار النابتة على شواطى الانهار يحلون فيها
من اساور من ذهب ولؤلؤا اى يلبسون في الجنة حلية وقرئ يحلون من حليت المرأة تحلى فهي حال اى
محلية والاساور جمع سوار وهي حلية اليد وقرأ نافع ولؤلؤا بمعنى ويؤتون لؤلؤا ولباسهم فيها حرير وهو
الديباج وهدوا الى الطيب من القول اى هداهم الله والهمهم ان يقولوا الحمد لله الذى صدقنا وعده بالثواب
على الايمان وصالح الاعمال وهدوا الى صراط الحميد اى وهداهم الله الى طريق الجنة والحميد هو الله تعالى
واضيف الصراط اليه لانه الذى رضيه ودعا اليه ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله اى جمعوا
بين الكفر الذى هو الشرك وبين الصد الذى هو المنع للناس عن الدخول في الاسلام وسبيل الله عام في كل خير
والمسجد الحرام هو مكة والمعنى انهم يصدون عنها لاجل المسجد وحجه وسمي باسم المسجد لانه اشرفها
وهي تابعة له وقيل معنى الحرام لان الله تعالى حرم التعرض لكل الذي جعلناه للناس اى خلقناه وبيناه للناس
كلهم لم يخص به بعضا دون بعض سواء العاكف فيه والباد اى سواء في تعظيم حرمته وقضاء النسك به
الحاضر والذى ياتى من البادية والبلاد فليس اهل مكة احق به من النازع اليه قال رضي الله عنه وقد احتج
اصحاب ح بهذه الاية على امتناع جواز بيع دور مكة واجارتها وعند ش لا يمتنع ذلك واحتج بقوله
تعالى الذين اخرجوا من ديارهم فنسب الديار الى مالكيها وبان عمر بن الخطاب اشترى دار السجن ومذهب
اناسا عليهم ثم ان ارض مكة لا يجوز بيعها ولا اجارتها كما ذكره اصحاب ح والحجة احتجوا به وهى قراءة
حفص سواء بالنصب اى جعلناه مستويا فيه العاكف والباد من غير فرق بين المستوطن وغيره

المستوطن المكي وغير المكي والباقون بالرفع على معنى ان جملة قوله سواء العاكف فيه والباد تمام جعلناه
اي العاكف منهم والباد فيه سواء الامر فيه لمكي على غيره قال رضي الله عنه وخبر ان الذين كفروا محذوف
لدلالة الشرط عليه تقديره ان الذين كفروا ويصدون عن المسجد الحرام نذيقهم من عذاب اليم قال
ومن يرد فيه بالحاد بظلم الالحاد العدول عن القصد اي الحادا ظلما وهو ان يميل الى الظلم ومفعول يرد
متروك ليتناول كل متناول كانه قال ومن يرد فيه مرادا ما عادلا عن القصد ظالما نذقه من عذاب
اليم يعني ان الواجب على من كان فيه ان يضبط نفسه ويسلك طريق السداد والعدل في
جميع ما يهم به ويقصده وعن ابن مسعود الهمة في الحرم تكتب ذنبا وقيل الالحاد في الحرم منع الناس
عن عمارته وعن ابن جبير هو الاحتكار وعن عطا هو قول الرجل في المبايعة لا والله وبلى والله وعن
ابن عمر انه كان له فسطاطان احدهما في الحل والآخر في الحرم فاذا اراد ان يعاتب اهله عاتبهم في الحل
فقيل له فقال كنا نحدث ان من الالحاد فيه ان يقول الرجل لا والله وبلى والله واذ بوانا لابرهيم
مكان البيت اي بيناله حتى بنى والمعنى واذكر يا محمد حين جعلنا لابرهيم مكان البيت مباءة اي مرجعا
يرجع اليه للعمارة والعبادة روي انه رفع البيت الى السماء ايام الطوفان وكان من ياقوتة حمراء فاعلم الله ابرهيم
مكانه بريح ارسلها يقال لها الخجوج كنست ما حوله فبناه على اسه القديم اي قلنا اصله الاول ان لا
تشرك بي شيئا يعني وامرناه ان لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي من الاصنام والاوثان والاقذار ان تطرح حوله
للطائفين حوله وهم الحجاج والقائمين في الصلوة والركع السجود يعني المصلين لان الركوع والسجود
صفتهم واذن في الناس بالحج اي ناد فيهم بالطاعة وقرئ آذن والنداء بالحج ان يقولوا حجوا او عليكم الحج
وروي انه صعد ابا قبيس ووضع اصبعيه في اذنيه فقال يا ايها الناس حجوا بيت ربكم فاجابوه بالتلبية من
اصلاب الرجال واول من اجابه اهل اليمن فمن اتى الكعبة حاجا فكانه قد اتى ابرهيم لانه مجيب نداءه وعن
الحسن انه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم امر ان يفعل ذلك في حجة الوداع قيل لما فرغ ابرهيم من بناء البيت
جاءه جبريل فامره ان يؤذن في الناس بالحج فقال ابرهيم وما يبلغ صوتي فقال الله تعالى اذن وعلي البلاغ
فعلا المقام فاشرف به حتى صار كاطول الجبال فادخل اصبعيه في اذنيه واقبل بوجهه يمنا وشمالا
وشرقا وغربا وقال يا ايها الناس كتب عليكم الحج الى البيت العتيق فاجيبوا ربكم فاجابه من كان في

اصلاب الرجال وارحام النساء لبيك اللهم لبيك يأتوك رجالا اي مشاة على ارجلهم ورجالا عن ابن
عباس انه قال لبنيه يا بني حجوا من مكة مشاة حتى ترجعوا اليها مشاة فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه
يقول للحاج الراكب بكل خطوة تخطوها راحلته سبعون حسنة وللحاج الماشي بكل خطوة يخطوها
سبعمائة حسنة من حسنات الحرم قيل وما حسنات الحرم قال الحسنة بمائة الف وعن انس قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه يقول ان الله عز وجل يباهي باهل عرفات الملائكة يقول يا ملائكتي انظروا الى عبادي
شعثا غبرا يضربون الي من كل فج عميق فاشهدكم اني قد اجبت دعاءهم وشفعت رغبتهم ووهبت
مسيئهم لمحسنهم واعطيت محسنهم جميع ما سألوا غير التبعات التي بينهم فاذا افاضوا الى جمع ووقفوا
وعادوا في الرغبة والطلب فاشهدكم اني قد استجبت دعاءهم ووهبت مسيئهم لمحسنهم واعطيت محسنهم
جميع ما سألوني وكفلت عنهم بالتبعات التي بينهم وعلى كل ضامر وهو البعير المهزول من الابل يأتين
من كل فج عميق يأتين صفة لكل ضامر لانه في معنى الجمع وقرئ يأتون صفة للرجال والركبان والفج
المكان الواسع والعميق البعيد وعن ابن عباس قال حج النبي صلى الله عليه فلما اتى وادي عسفان قال لقد مر
بهذا الوادي نوح وهود وابرهيم على بكرات حمر خطمهم الليف وازرهم العبا وارديتهم النمار يحجون
هذا البيت ليشهدوا اي ليحضروا منافع لهم اكثر المفسرين جعلوها منافع الدنيا من التجارات والاسواق
ومنهم من خصها بمنافع الآخرة ومنهم من جعلها شايعة في منافع الدنيا والآخرة قال رضي الله عنه نكر
المنافع لانه اراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودنيوية لا توجد في غيرها من العبادات
وعن ابي حنيفة رحمه الله انه كان يفاضل بين العبادات كلها لما شاهد من تلك الخصائص وعن عمر بن عبد العزيز
الله انه كان يقول اذا وقف بعرفة اللهم انك دعوت الى حج بيتك ووعدت المنفعة على شهود مناسكك وقد جئتك
فاجعل منفعتي مما تنفعني به ان تؤتيني في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وان تقيني عذاب النار ويذكروا
اسم الله كنى عن الذبح والنحر بذكر اسم الله لان اهل الاسلام لا ينفكون عن ذكر اسمه اذا نحروا او ذبحوا وفيه
تنبيه على ان الغرض الاصلي فيما يتقرب به الى الله تعالى ان يذكر اسمه وقد حسن الكلام تحسينا بينا ان جمع
بين قوله ليذكروا اسم الله وبين قوله على ما رزقهم ولو قيل لينحروا في ايام معلومات بهيمة الانعام لم ير شيئا
من ذلك الحسن والروعة في ايام معلومات في ايام العشر عند ابي حنيفة والحسن وقتادة وعند صاحبيه

هي ايام النحر ومذهب ابائنا عليهم السلام انها الايام العشر على ما رزقهم من بهيمة الانعام البهيمة مبهمة في كل
ذوات الاربع في البر والبحر فبينت بالانعام وهي الابل والبقر والضان والمعز فكلوا منها هذا امر اباحة
لان اهل الجاهلية كانوا لا ياكلون من نسائكهم ويجوز ان يكون ندبا لما فيه من مساواة الفقراء ومواساتهم
ومن استعمال التواضع ومن ثم استحب اباؤنا عليهم السلام ان ياكل الموسع من اضحيته مقدار الثلث وهو
مذهب الفقهاء والائمة كلوا وادخروا وابحروا واطعموا البائس الفقير وهو الذي اصابه بؤس
اي شدة والفقير الذي اضعفه الاعسار ومذهب اباينا عليهم السلام هو الذي لا يملك النصاب ثم ليقضوا
تفثهم التفث الوسخ والقذارة من طول الشعر والاظفار والشعث وقضاؤه نقضه وازالته بقص الشارب
والاظفار ونتف الابط والاستحداد وليوفوا نذورهم اي مواجب حجهم او ما ينذرونه من اعمال البر
في حجهم وربما نذر الرجل ان يتصدق ان رزقه الله لقاء الكعبة وان كان على الرجل نذور مطلقة
فالافضل ان يتصدق وان يهديها الى اهل مكة وليطوفوا يعني طواف الزيارة الذي هو من اركان
الحج ويقع به التحليل التام وقيل هو طواف الوداع ومذهب اباينا عليهم السلام ان طواف الوداع واجب
مع وجوب طواف الزيارة والحجة على المخالف قوله صلى الله عليه من حج هذا البيت فليكن اخر عهده بالبيت
الطواف فثبت انه واجب بعد الوقوف وهو واجب بالحج الا على الحائض فان النبي صلى الله عليه رخص لها في تركه
وقيس عليها المعذور كالحائض بالبيت العتيق البيت اسم علم للكعبة حرسها الله والعتيق القديم لانه
اول بيت وضع للناس وقيل لانه اعتق من الجبابرة كم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله وعن مجاهد
لم يملك قط وقيل لانه اعتق من الغرق قال رضي الله عنه واما تسليط الحجاج عليه فقد منعه فانه
لم يقصد التسلط على البيت وانما تحصن به ابن الزبير فاحتال لاخراجه ثم بناه ولما قصد
التسلط عليه ابرهة فعل به ما فعل ذلك ومن يعظم حرمات الله اي الامر ذلك وهذا كما يقدم الكاتب جملة
من كتابه في بعض المعاني ثم اذا اراد الخوض في معنى اخر قال هذا وقد كان كذا والحرمة ما لا يحل هتكه فيحتمل
ان يكون عاما في جميع تكاليفه وان يكون خاصا فيما يتعلق بالحج وعن زيد بن اسلم الحرمات خمس الكعبة
الحرام والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرم حتى يحل فهو خير له اي فالتعظيم خير له عند ربه
ومعنى التعظيم لها والقيام بمراعاتها واحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم الانعام هي الازواج الثمانية

والمتلو لا يستثنى من الانعام ولكن المعنى الا ما يتلى عليكم اية تحريمه وذلك قوله في المائدة حرمت عليكم
الميتة والمعنى ان الله قد احل لكم الانعام كلها الا ما استثناه في كتابه فحافظوا على حدوده واياكم ان
تحرموا مما احل شيئا كتحريم عبدة الاوثان البحيرة والسائبة وان تحلوا مما حرم شيئا كاحلالهم اكل
الموقوذة والميتة فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور لما حث على تعظيم حرماته
وحمد من يعظمها اتبعه الامر باجتناب الاوثان وقول الزور لان توحيد الله تعالى ونفي الشركاء عنه وصدق
القول اعظم الحرمات وجمع الشرك وقول الزور في قران واحد وذلك ان الشرك من باب الزور لان المشرك
زاعم ان الوثن تحق له العبادة فكانه قال فاجتنبوا عبادة الاوثان التي هي راس الزور واجتنبوا قول
الزور كله لا تقربوا شيئا منه لتماديه في القبح والسماجة وما ظنك بشيء من قبيله عبادة الاوثان وسمى الاوثان
رجسا وكذلك الخمر والميسر والازلام على طريق التشبيه يعني انكم كما تنفرون بطباعكم عن الرجس
وتجتنبونه فعليكم ان تنفروا عن هذه الاشياء مثل تلك النفرة ونبه على هذا المعنى بقوله رجس من
عمل الشيطان فاجتنبوه جعل العلة في اجتنابه انه رجس والرجس مجتنب وقيل ان قول الزور هو شهادة
الزور وعن النبي صلى الله عليه انه صلى الصبح فلما سلم قام قائما واستقبل الناس بوجهه وقال عدلت
شهادة الزور الاشراك بالله عدلت شهادة الزور الاشراك بالله عدلت شهادة الزور الاشراك بالله
وتلا هذه الاية وقيل هو الكذب والبهتان حنفاء لله غير مشركين به اي مسلمين عادلين عن كل دين
سواه من وثن وغيره ثم قال ومن يشرك بالله فكانما خر اي سقط من السماء فتخطفه الطير في
الهواء او تهوي به الريح في مكان سحيق قال رضي الله عنه يجوز في هذا التشبيه ان يكون من
المركب والمفرق فان كان تشبيها مركبا فكانه قال من اشرك بالله فقد اهلك نفسه اهلاكا ليس بعده
بان صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير فتفرق قطعا في حواصلها او عصفت
به الريح حتى هوت به في بعض المطارح البعيدة وان كان تشبيها مفرقا فقد شبه الايمان في علوه
بالسماء والذي ترك الايمان واشرك بالله بالساقط من السماء والاهواء التي توزع افكاره بالطير المختطفة
والشيطان الذي يطوح به في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة
ذلك ومن يعظم شعائر الله الشعائر الهدايا لانها من معالم الحج وتعظيمها ان يختارها عظام

الاجسام حسا فانها غالية الاثمان ويترك المكاس في شرائها فقد كانوا يغالون في ثلاث ويكرهون المكاس
فيهن الهدي والاضحية والرقبة المشتراة للعتق وروي عن عمر انه اهدى نجيبة طلبت منه بثلثمائة
دينار فسال رسول الله صلى الله عليه وآله ان يبيعها ويشتري بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل اهدها
واهدى رسول الله صلى الله عليه وآله مائة بدنة فيها جمل لابي جهل في انفه برة من ذهب ومن تعظيمها ما
ذكره اباؤنا عليهم السلام وهي ان تكون مجللة باي جلال كان لما روي عن علي عليه السلام انه قال امرني رسول الله
صلى الله عليه وآله ان اقوم على بدنه فاقسم جلودها وجلالها وكان ابن عمر يسوق البدن مجللة بالقباطي فيتصدق
بلحومها وبجلالها ومن تعظيمها ان يعتقد ان طاعة الله في التقرب بها واهدائها الى بيته المعظم امر
عظيم لا بد ان يقام به ويسارع فيه **فانها من تقوى القلوب** اي فان من تعظيمها من افعال ذوي تقوى
القلوب فحذفت هذه المضافات ولا يستقيم المعنى الا بتقديرها لانه لا بد من راجع من الجزاء الى من ارتبط
به وانما ذكرت القلوب لانها مراكز التقوى التي اذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر اثرها في سائر الاعضاء
لكم فيها منافع في دينكم ودنياكم **الى اجل مسمى** اي الى ان تنحر ويتصدق بلحمها ويؤكل منها **ثم محلها**
الى البيت العتيق ثم للتراخي في الوقت فاستعيرت للتراخي في الاحوال لبيان تباعدها من المنافع
ان ما بعدها ابلغ مما قبلها واكثر نفعا لانه قيل واعظم هذه المنافع محلها الى البيت اي وجوب نحرها
او وقت وجوب نحرها منتهية الى البيت والمراد نحرها في الحرم الذي هو في حكم البيت لان الحرم هو
حرم البيت قال رضي الله عنه وانما تعدد المنافع الدينية يشير الى ان المنافع التي قبل نحرها منافع
دنيا فيجوز الانتفاع بها الى ان تنحر وهذا مروي عن الامام الناصر من ابائنا عليهم السلام والمشهور من مذهبهم
رضي الله عنهم ان منافع الهدي قد تعلقه داخلة في حكمه في تعلق القربة بها فلا يجوز الانتفاع به
ولقوله صلى الله عليه وآله لا تاكل من لحمها ولا تشرب من لبنها انت ولا من يتصل بك من رفقتك يعني اذا
نحرت قبل الاجل لانه اذا تعيبت قالوا وهي هدي لا يجوز ان تحمل عليها شيئا الا ان تنتج فيحمل عليها ولدها
ولا يجوز ان تركبها هو ولا من يتصل به من خدمه ولا غيرهم الا مضطر وتم نحو ان يعجز عن المشي فيركب
ركوبا خفيفا او لو ترك عاجزا على وجه لا يضر بها لقوله صلى الله عليه وآله اركبها بالمعروف ان احوجت اليها
حتى تجد ظهرا ومقتضى تفسير الاجل على المشهور من مذهب ائمتنا عليهم السلام هو الى ان يجعلها هديا

فتكون المنافع قبل ذلك فاذا سماها هديا انقطعت المنافع بعد ذلك فهو معنى قوله الى اجل مسمى ولما
محل الشعائر على مذهب ائمتنا عليهم السلام فما كان للجبر من قران او احصار او افساد او تطوع فمحله منى ولا
يجزي الا في وقته وهو ايام النحر وما كان منها للعمرة فلا وقت له ومحله مكة قالوا فان بلغ الحرم وخشي هلاكه
فنحر اجزاه لان الحرم كله في حكم البيت **ولكل امة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم**
من بهيمة الانعام قرئ منسكا بفتح السين وكسرها وهو بمعنى النسك والمشهور يكون بمعنى الموضع والمعنى
شرع الله لكل امة ان ينسكوا له اي لا يذبحوا الا على وجه التقرب فجعل العلة في ذلك ان
يذكروا اسمه تقدست اسماؤه على المناسك قالوا وفي الاية دليل على ان الذبائح والتسمية على الذبح كانت
مشروعة قبلنا وليست من خصائص هذه الامة **فالهكم اله واحد فله اسلموا** اي فلوجهه خاصة
اخلصوا الذكر واجعلوه له سالما اي خالصا لا تشوبوه باشراك كما تفعل المشركون **وبشر المخبتين**
اي المتواضعين الخاشعين وقيل هم الذين لا يظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا **الذين اذا ذكر الله**
وجلت قلوبهم اي فزعت هيبة لجلاله وخافت ذلهم لبطشه فتقشعر اجسادهم من خشيته **والصابرين**
على ما اصابهم من المصائب والمحن **والمقيمي الصلوة** اي يفعلون الصلوة تامة الاركان كاملة الفرائض
والشرائط وقرا ابن مسعود والمقيمين الصلوة على الاصل **ومما رزقناهم** اي ومن بعض ما رزقناه **ينفقون**
يريد الزكاة او هي وغيرها والمعنى لا يسرفون في الانفاق **والبدن جعلناها لكم** البدن جمع بدنة سميت بذلك
لعظم بدنها وهي الابل خاصة ولان رسول الله صلى الله عليه وآله الحق البقر بالابل حين قال البدنة عن سبعة والبقرة عن
سبعة فجعل البقر في حكم الابل فصارت البقرة يتناوله اسم البدنة عند ابي حنيفة واصحابه والا فالبدن هي
الابل وعليه تدل الاية **من شعائر الله** اي من اعلام الشريعة التي شرعها الله واضاف الشعائر الى اسمه
تعالى تعظيما لها **لكم فيها خير** كقوله لكم فيها منافع قال رضي الله عنه ومن شان الحاج ان يحرص
على شيء فيه خير ومنافع بشهادة الله وعن بعض السلف انه لم يملك الا تسعة دنانير فاشترى بها بدنة
فقيل له في ذلك فقال سمعت ربي يقول لكم فيها خير وعن ابن عباس دنيا واخرة وعن ابراهيم من احتاج الى
ظهرها ركب ومن احتاج الى لبنها شرب **فاذكروا اسم الله عليها** هو ان يقول عند النحر الله اكبر
لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك واليك **صواف** اي قائمات قد صففن ايديهن وارجلهن

وقرئ صوافن من صفون الفرس وهو ان تقوم على ثلاث وتنصب الرابعة على طرف سنبكه لان البدنة تعقل احدى
يديها فتقوم على ثلاث وقيل صوافي اي خوالص لوجه الله وعن عمرو بن عبيد صوافنا بالتنوين فاذا وجبت جنوبها
اي سقطت على الارض عقيب نحرها والمعنى فاذا وجبت جنوبها وسكنت حركاتها حل لكم الاكل منها
والاطعام وهو معنى قوله فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر القانع السائل والمعتر المتعرض
بغير سؤال وقيل القانع الراضي بما عنده وبما يعطى من غير سؤال والمعتر المتعرض بالسؤال كذلك
سخرناها لكم اي ذللناها لكم تاخذونها سهلة دليله قال رضي الله عنه من الله تعالى على عباده
واستحمد اليهم بان سخر لهم البدن ياخذونها منقادة للاخذ طيعة فيعقلونها ويحبسونها صافة
قوائمها ثم يطعنون في لباتها ولولا تسخير الله لها لم تطق ولم تكن باعجز من بعض الوحوش التي هي
اصغر منها جرما واقل قوة وكفى بما يتابد من الابل شاهدا وعبرة لعلكم تشكرون اي لارادة ان
تشكروا النعمة في تسخيرها لن ينال الله لحومها ولا دماؤها اي لن يصيب رضا الله اللحوم
المتصدق بها ولا الدماء المهراقة بالنحر والمراد اصحاب اللحوم والدماء ولكن يناله التقوى منكم
اي العمل منكم بما توجبه التقوى من اخلاص النية والمعنى لن يرضى المضحون والمقربون ربهم الا بمراعاة
النية والاخلاص والاحتفاظ بشروط التقوى في حل ما قرب به وغير ذلك من المحافظات الشرعية
واوامر الورع فاذا لم يراعوا ذلك لم تغن عنهم التضحية والتقريب وان كثر ذلك منهم وكان اهل الجاهلية
اذا نحروا البدن نضحوا الدماء حول البيت ولطخوه بالدم فلما حج المسلمون ارادوا امثال ذلك فنزلت
كذلك سخرها لكم كرر تذكير النعمة بالتسخير ثم قال لتكبروا الله اي لتشكروه على ما هداكم اي
على هدايته اياكم لاعلام دينه ومناسك حجه بان تكبروا وتهللوا فاختصر الكلام بان ضمن التكبير
معنى الشكر فانه يعلم بعلى التي يأتي بعد الشكر وبشر المحسنين بالثواب وكل خير ان الله يدافع عن
الذين امنوا معنى يدافع يبالغ في نصرته لهم ودفع كل مكروه واذى عنهم كما لا يدفع مثله عمن هو على خلاف
صفتهم وخص المؤمنين بذلك لفضيلة الايمان كما قال انا لننصر رسلنا والذين امنوا ان الله لا يحب
كل خوان كفور جعل العلة في اختصاص المؤمنين بالمدافعة عنهم انه لا يحب اضدادهم لكونهم الذين
الذين يخونون الله والرسول ويخونون اماناتهم ويكفرون نعم الله ويغمطونها اذن للذين يقاتلون

بانهم ظلموا اي بسبب كونهم مظلومين وهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مشركو مكة يؤذونهم اذى شديدا
وكانوا ياتون رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فاني لم اومر
بالقتال حتى هاجر فانزلت هذه الاية وهي اول اية اذن فيها بالقتال بعدما نهي عنه في نيف وسبعين اية وقيل
نزلت في قوم خرجوا مهاجرين فاعترضهم مشركو مكة فاذن لهم في مقاتلتهم وان الله على نصرهم لقدير اخبر
بكونه قادرا على نصرهم غير متهم بالنصر وارد به على سنن كلام الجبابرة وما مر من دفعه عن الذين امنوا
مؤذن بمثل هذه العدة ايضا الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق اي بغير موجب للاخراج بل بسبب ما يوجب
الاقرار الا ان يقولوا ربنا الله اي بل بسبب التوحيد كقوله هل تنقمون منا الا ان امنا بالله ولولا دفاع الله
الناس بعضهم ببعض معنى الدفاع الدفع العظيم والمعنى لولا دفع الله بعض الناس ببعض وهو اظهاره وتسليطه
المسلمين منهم على الكافرين بالمجاهدة لهدمت اي لخربت صوامع وبيع وصلوات ومساجد اراد
لولا ذلك لاستولى المشركون على اهل الملل المختلفة في ازمنتهم وعلى متعبداتهم فهدموها ولم يتركوا للنصارى
بيعا ولا لرهبانهم صوامع ولا لليهود صلوات ولا للمسلمين مساجد تسمى متعبدات الفرق بهذه الاسماء
او معناه ولولا دفاع الله لغلب المشركون في امة محمد صلى الله عليه وسلم على المسلمين وعلى اهل الكتاب الذين في ذمتهم
وهدموا متعبدات الفريقين وسميت كنيسة اليهود صلاة لانه يصلى فيها يذكر فيها اسم الله كثيرا اي يذكر
اسم الله في هذه المتعبدات ذكرا كثيرا ولينصرن الله من ينصره لينصرن الله من
اي من ينصر دينه واولياءه ان الله لقوي اي لقادر على النصر عزيز اي غالب لا يغلب الذين ان مكناهم في
الارض اي سلطناهم فيها فتمكنوا من انفاذ الامر فيها اقاموا الصلاة واتوا الزكاة وامروا بالمعروف
ونهوا عن المنكر قال رضي الله عنه هذا اخبار من الله عز وجل بظهر الغيب عما ستكون عليه سيرة المهاجرين
رضي الله عنهم ان مكنهم في الارض وبسط لهم في الدنيا وكيف يقومون بامر الدين وعن عثمان هذا والله
ثناء قبل بلاء يريد ان الله قد اثنى عليهم قبل ان يحدثوا من الخير ما احدثوا وقالوا فيه دليل على صحة امر الخلفاء
الراشدين لان الله لم يعط التمكين ونفاذ الامر مع السيرة العادلة غيرهم من المهاجرين ولا حظ في ذلك
للانصار والطلقاء عن الحسن هم امة محمد صلى الله عليه وسلم ولله عاقبة الامور اي مرجعها الى حكمه وفيه
تاكيد لما وعده من اظهار اوليائه واعلاء كلمتهم وان يكذبوك يا محمد فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم

عاد قوم هود وثمود قوم صالح واصحاب مدين قوم شعيب ومدين ابن
ابرهيم وقوم لوط واصحاب مدين قوم شعيب سميت بمدين بن ابرهيم وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه والمعنى لست باوحدي في التكذيب
فقد كذب الرسل قبلك اوايلهم وكما كذبهم ادعوك وكذب موسى انما قال وكذب موسى ولم يقل وقوم موسى
لان موسى ما كذبه قومه بنو اسرايل وانما كذبه غير قومه وهم القبط وفيه شيء اخر كانه قيل بعد ما ذكر
تكذيب كل قوم رسولهم وكذب موسى مع وضوح اياته وعظم معجزاته فما ظنك بغيره فامليت للكافرين
اي امهلتهم واخرتهم ولم اعاجلهم ثم اخذتهم اي عاقبتهم فكيف كان نكير النكير بمعنى الانكار والتغيير
والمعنى انظر كيف كان تغييري عليهم حيث ابدلتهم بالنعمة محنة وبالحيوة هلاكا وبالعمارة خرابا فكاين
من قرية اهلكناها معنى كاين التكثير مثل كم اي فكثير من القرى اهلكناها والمراد اهلها ولذلك
قال وهي ظالمة اي في حال ظلمهم لانفسهم بالتكذيب فهي خاوية على عروشها الخاوي الساقط والعروش
السقوف وكل مرتفع من سقف بيت او خيمة او غير ذلك والمعنى فهي ساقطة على سقوفها اي خرت
سقوفها على الارض ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف او معناه فهي خالية عن اهلها مع
بقاء عروشها وسلامتها وبير معطلة معنى المعطلة انها عامرة فيها الماء ومعها الات الاستقاء الا
انها عطلت اي تركت لا يستقى منها لهلاك اهلها وقصر مشيد المشيد المجصص او المرفوع البنيان والمعنى
كم قرية اهلكناها وكم بير عطلناها عن سقاتها وكم قصر مشيد اخليناه عن ساكنيه قال رضي الله عنه وروي
ان هذه بير نزل عليها صالح مع اربعة الاف نفر ممن امن به ونجاهم الله من العذاب وهي بحضرموت وانما سميت بذلك
لان صالحا عليه السلام لما حضرها مات وثم بلدة عند البير اسمها حاضورا بناها قوم صالح وامروا عليهم جلهس
بن جلاس واقاموا بها زمانا ثم كفروا وعبدوا صنما فارسل اليهم حنظلة بن صفوان عليه السلام نبيا فقتلوه فاهلكهم
الله عز وجل وعطل بيرهم وخرب قصورهم افلم يسيروا في الارض يعني كفار مكة فتكون لهم قلوب يعقلون بها اي يعقلون
ما يجب ان يعقل من التوحيد او اذان يسمعون بها اي يسمعون ما يجب استماعه من الوحي فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى
القلوب التي في الصدور المعنى ان ابصارهم صحيحة سالمة لا عمى بها وانما العمى بقلوبهم او معناه انه لا يعتد بعمى الابصار
فكانه ليس بعمى بالاضافة الى عمى القلوب قال رضي الله عنه يحتمل انهم لم يسافروا فحثوا على السفر ليروا مصارع
من اهلكهم الله بكفرهم ويشاهدوا اثارهم فيعتبروا او يحتمل انهم قد سافروا وراوا ذلك ولكن لم يعتبروا فجعلوا

كان لم يسافروا ولم يروا فان ذكر الصدور التي في الصدور لما استقر من عمى القلب ان العمى على الحقيقة مكانه
البصر وهو ان تطمس نور العين فمحو ان مكان العمى هو القلوب التي في الصدور لا الاعيان التي هي مكانه على الحقيقة
ويستعجلونك بالعذاب كانوا يقولون له ايتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين فقال تعالى ولن يخلف الله وعده الذي
وعدك من نصرك واهلاكهم ومعناه فلن يخلف الله وعده في التطويل والامهال ثم ذكر ان لهم مع عذاب الدنيا عذابا
طويلا في الاخرة وهو قوله تعالى وان يوما عند ربك يعني من ايام عذابهم في الاخرة كالف سنة مما تعدون في الدنيا
قال رضي الله عنه انكر الله استعجالهم بالمتوعد به من العذاب العاجل او الاجل كانه قال ولم يستعجلون به كانهم
يجوزون الفوت وانما يجوز ذلك على ميعاد من يجوز عليه الخلف والله عز وجل لا يخلف الميعاد وما وعدهم به
لنصيبنهم ولو بعد حين وهو سبحانه لا يعجل ومن حلمه ووقاره واستقصاره المدد الطوال ان يوما واحدا
عنده كالف سنة عندكم وقيل معناه كيف يستعجلون بعذاب من يوم واحد من ايام عذابه في طول الف سنة
من سنيكم لان ايام الشدايد مستطالة ثم قال وكاين من قرية امليت لها وهي ظالمة ثم اخذتها اي وكم من
اهل قرية كانوا مثلكم ظالمين قد انظرتهم حينا ثم اخذتهم بالعذاب المستاصل والي المصير اي والي المرجع
والى حكمي ومعنى امليت امهلت وانظرت قال رضي الله عنه وانما كانت الاية الاولى معطوفة بالفاء وهذه
بالواو لان الاولى وقعت بدلا عن قوله فكيف كان نكير واما هذه فحكمها حكم ما تقدمها من الجملتين المعطوفتين
بالواو وهما قوله ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين اي
[illegible] الا الانذار البين فالذين امنوا وعملوا الصالحات ناجون من العقاب لهم مغفرة لذنوبهم
ورزق كريم اي حسن عظيم مرضي وهو الجنة التي هي اكرم الارزاق والذين سعوا في اياتنا اي عملوا
في ابطالها وسعوا في محقها بالفساد من الطعن فيها حيث سموها سحرا او شعرا او اساطير ومن تثبيط
الناس عنها معاجزين اي مقدرين انهم يعجزوننا ويفوتوننا او مسابقين في زعمهم وتقديرهم طامعين
ان كيدهم للاسلام يتم لهم اولئك اصحاب الجحيم قال رضي الله عنه كان القياس ان يقال انما انا بشير
لكم ونذير لذكر الفريقين بعده لكن الحديث مسوق الى المشركين ويا ايها الناس نداء لهم وهم الذين قيل
فيهم افلم يسيروا ووصفوا بالاستعجال وانما ذكر المومنين وثوابهم ليغيظ المشركين بذلك وما ارسلنا من قبلك من
رسول ولا نبي قال رضي الله عنه في هذا دليل بين على ثبوت التغاير بين الرسول والنبي وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه

سئل عن الانبيا فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا قيل فكم الرسل منهم فقال ثلثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا

والفرق بينهما ان الرسول من الانبيا من جمع بين المعجزة والكتاب المنزل عليه والنبي غير الرسول من لم

ينزل عليه كتاب وانما امر ان يدعو الناس الى شريعة من قبله **الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته** السبب

نزول هذه الاية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اعرض عنه قومه وشاقوه ولم يتابعوه على ما جاء به تمنى لفرط

ضجره من اعراضهم ولحرصه على اسلامهم ان لا ينزل عليه ما ينفرهم لعله يتخذ ذلك طريقا الى استمالتهم

الى الاسلام فاستمر به ما تمناه حتى نزلت عليه سورة النجم وهو في نادي قومه وذلك التمني في نفسه

فاخذ يقراوها فلما بلغ قوله ومناة الثالثة الاخرى القى الشيطان في امنيته التي تمناها اي وسوس

اليه بما شيعه به فسبق لسانه على سبيل السهو والغلط الى ان قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن [illegible]

ولم يفطن له حتى ادركته العصمة فتنبه عليه وقيل نبهه جبريل عليه السلام وقيل معنى القى الشيطان

في امنيته انه تكلم بذلك فاسمعه الناس فلما سجد في اخرها سجد من كان معه في النادي وطابت نفوسهم

رضي الله عنهم وكان تمكين الشيطان من ذلك محنة من الله عز وجل وابتلاء زاد المنافقين

به شكا وظلمة والمؤمنين نورا وايقانا والمعنى ان الرسل والانبياء من قبلك كانت عادتهم كذلك اذا تمنوا

[illegible] مكن الله تعالى الشيطان ليلقي في اماناتهم مثل ما القى في امنيتك ارادة امتحان من حولهم

والله سبحانه له ان يمتحن عباده بما شاء من صنوف المحن وانواع الفتن ليضاعف ثواب الثابتين ويزيد

عقاب المذبذبين وقيل تمنى معنى قرا وامنيته قراءته وتلك الغرانيق اشارة الى الملائكة اي هم الشفعا [illegible]

فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يذهب به ويبطله **ثم يحكم الله اياته** اي يثبتها ويحفظها من لحوق [illegible]

والله عليم بما اوحى [illegible] **حكيم** عادل لا يساوي بين عباده في اي ابتلاء بل يجازيهم بما يستحقون من

ثواب وعقاب على حسب نياتهم وبغيهم **ليجعل ما يلقي الشيطان** اي مكن الله تعالى الشيطان في الالقاء ليجعل

ما القاه **فتنة** اي محنة وابتلاء **للذين في قلوبهم مرض** يعني المنافقين لان اعتقادهم الفاسد شك

في الدين وانه فيه سبب [illegible] بالمرض **والقاسية قلوبهم** هم المشركون المكذبون لان قلوبهم كالحجارة [illegible]

[illegible] **وان الظالمين** اراد بهم لان الكلام في المنافقين والمشركين لكن [illegible]

[illegible] **لفي شقاق بعيد** اي لفي خلاف طويل بعيد المسافة [illegible]